

كاميلا لاكبيرغ
تليجرام : هنا سور الازبكية
أكبر مكتبة رقمية
الأيادي
الموهوبة
مكتبة الرمحي أحمد
الكتاب ٦١
رواية
للنشر
سما

كاميلا لاكبيرغ

الأيادي الموهوبة

رواية

ترجمة: شكير نصرالدين

سما للنشر

المركز الثقافي العربي


أهم جروبات على تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية



كان مستهل النهار يَعِدُ بالكثير. استيقظ باكراً قبل بقيّة أفراد الأسرة، ارتدى ملابسه بأقصى ما استطاع من التكتم، ونجح في الانسلال دون إثارة الانتباه. حمل معه قبّعة الفارس التي لديه والسيف الخشبي الذي لوَّح به منتصراً بينما كان يركض على طول المائة متر التي تفصل منزله عن مدخل **فجوة الملك**. توقّف لحظة ونظر بإجلال إلى الثقب الحادّ الذي يشقّ الصخرة. متران تقريباً، كانا يفصلان بين الجدارين المرتفعين على علوّ عشرة أمتار كاملة نحو السماء، هناك حيث شرعت الشمس في صعودها ظلت ثلاث قطع كبيرة من الصخر محبوسة عند منتصف العلو وقد شكَّلت بذلك منظراً مثيراً للإعجاب. كان للمكان قوّة جذب ساحرة على الطفل ذي الست سنوات، ولأنّ فجوة الملك عُدَّت مكاناً محرَّماً، فذلك زادَ من جاذبيتها

استمدّ الصدع اسمه من زيارةٍ قام بها أوسكار الثاني لـ«**فيَالْباكا**» نهاية ثمانينيات القرن التاسع عشر، لكنه لم يكن يعلم شيئاً عن ذلك، بل لم يُعِرْه بالاً، حينما تقدَّم بتُؤدة وسط الظلال وسيفه الخشبي على أهبّة الهجوم. بيْدَ أنّ أباه حكى له أن مشاهد **هاوية الجحيم** في فيلم **رونيا، بنت قُطاع الطرق** تمّ تصويرها في فجوة الملك، وداخل قاعة

السينما اجتاحته مشاعر مثيرة عارمة حينما رأى مَاتِيسْ، زعيم العصابة يجتازها عَدْواً ممتطياً فرسه. أحياناً كان يأتي هنا للَعِب دور قاطع الطريق، لكنه اليوم فارس من فرسان المائدة المستديرة، مثلما في كتاب التلوين الذي أهدته إياه جدته بمناسبة عيد ميلاده.

تقدّم خطوة فأخرى فوق الصخور واستعدّ شاهراً سيفه بشجاعة لمواجهة التنين الضخم قذاف النار. لم يكن بمستطاع الشمس دخول ذلك الممرّ الضيق، وكان المكان يظلّ بارداً ومظلماً ولو في الصيف. ممتاز للتنانين. قريباً سوف يجعل دمه يتدفّق من حنجرته، وبعد احتضار طويل يخرّ التنين عند قدميه.

بنظرة شزرٍ، لحظ شيئاً شدّ انتباهه، قطعة ثوب أحمر تجاوزت طرف الصخرة. غلبه فضوله، يستطيع التنين الانتظار. ربما كان هنالك كنزٌ مخفيّ، أخذ أهبته، ثم نطّ فوق الكتلة الحجرية ونظر نحو الجانب المقابل. للحظة كاد يغشى عليه، ترنح بضع ثوانٍ ثم استعاد توازنه وهو يخبط بذراعيه. عقب ذلك، لم يرد الإقرار بأنه كان مرعوباً، لكن في ذلك الحين شهد أكبر لحظة خوف في حياته ذات الست سنوات. كانت سيدة مُنْدسَّة هناك، مستلقية على قفاها، تحدّق فيه بعينيها الواسعتين. أول ما خطر بباله هو الفرار، قبل أن تتمكن من الإمساك به وتدرك أنه كان يلعب هنا بينما ليس له الحق في فعل ذلك. ربما كانت سترغمه على أن يقول لها أين يسكن، وتعيده إلى المنزل. الماما والبابا سوف يغضبان كثيراً ويستفهمانه عن عدد المرات التي سبق لهما فيها أن حذرّاه من مغبة الذهاب إلى فجوة الملك دون رفقة شخص راشد.

لكن الغريب هو أن السيدة لم تكن تحرك ساكناً. ولا يكسوها أي لباس، وللحظة أزعجه النظر إلى امرأة عارية تماماً الشيء الأحمر الذي رآه سابقاً لم يكن قطعة من الثوب، بل حقيبة وضعت

إلى جوارها بالتحديد، لكنه لم يكن يلحظ من ملابس، في أي مكان. عجيب أنْ تظل المرأة عارية تماماً بينما كان الجو بارداً جداً هنا!

ثم تفتّق ذهنه عن فكرة مستحيلة. ربما كانت السيدة ميتة! كان ذلك هو التفسير الوحيد الذي يستطيع به تبرير جمودها المطلق. جعلته هذه الفكرة يقفز إلى أسفل الصخرة ويتراجع ببطء نحو فتحة الصدع. وبعد أن جعل بضعة أمتار بينه وبين المرأة الميتة، دار على عقبيه وأسلم ساقيه للريح عائداً إلى المنزل. لم يعُد يهتم بمعرفة ما إذا كان سوف يتمّ تأنيبه من عدمه.

كان العَرق يُلصق اللحاف على جسدها. كانت إريكا تتقلب في سريرها ذات اليمين وذات الشمال، ولم تنجح بالعثور على الوضعية المريحة كي تنام. كما أن ليل الصيف المضيء لم يكن يُيسِّر النعاس بدوره، وللمرة الألف لاحظت ذهنياً أنّ عَليها وضع ستائر معتمة على النوافذ، أو التصرف بحيث يتكلف باتريك بفعل ذلك.

تنفسه الهادئ بجوارها كان يولِّد لديها الرغبة في القتل. كيف يمكنه الجرأة على الشخير بهدوء بينما تمضي لياليها محرومة من نعمة النوم؟ بعد هذا وذاك، فهو طفله أيضاً. أما كان عليه أن يظل مستيقظاً من باب التضامن أو أي شيء من هذا القبيل؟ لَمَسَتْه آملة أن يصحو. ولا حركة. لمسته بقوة أكثر قليلاً همْهَمَ، سحب الغطاء نحوه وأدار لها ظهره.

وبزفرة، صالبت ذراعيها على صدرها وحدَّقت في السقف. كان بطنها متكوراً مثل مجسّم ضخم للكرة الأرضية وحاولت تخيّل الطفل، وهو يسبح في السائل السابيائي، هناك في الظلام. ربما يرضع إصبعه، لكن كل هذا كان غير واقعي بشكل مبالغٍ فيه ممّا لم

يجعل صور طفل تولدُ في خيالها كانت في شهرها الثامن، لكنها لم تتوفق يوماً في تصور أنّ هناك طفلاً في بطنها حسناً، لا شكّ أنّ ذلك لن يتأخر في أن يصير واقعياً كانت إريكا ممزّقة بين الاستعجال والخوف. كان يستعصي عليها أن تنظر أبعد من لحظة الولادة. ولو كانت صادقة بحقّ، فقد كان يصعبُ عليها أن تنظر أبعد من مشكل عدم القدرة على النوم وهي مستلقية على البطن. نظرت إلى أرقام المنبّه المضيئة. الرابعة واثنين وأربعين. ربما تستطيع إضاءة النور والقراءة بعض الوقت؟

ثلاث ساعات ونصف وفيلم بوليسي رديء بعد ذلك، كانت منهمكة في التدحرج خارج السرير كي تنهض حينما رنّ جرس الهاتف. وجرياً على عادتها، ناولت السماعة لباتريك.

- آلو. كان صوته ثخيناً من شدة النوم. أجل، بالتأكيد. أوه، أجل، أستطيع أن أكون هناك بعد ربع ساعة من الآن. موافق، نلتقي هنالك.

التفت صوب إريكا.

- عليّ الذهاب. حالة استنفار.

- لكنك في عطلة. ألا يوجد غيرك ليهتم بالأمر؟ انتبهت إلى كمْ كان صوتها متذمراً، لكن لا توجد أبداً ليلة بيضاء مفيدة للمزاج.

- إنها جريمة قتل. ميلبرغ يريد أن أحضر. هو متوجّه إلى هناك أيضاً.

- جريمة قتل؟ أين حدث ذلك؟

- هنا، بـ«فيالباكا»، عثر صبي على امرأة مقتولة في فجوة الملك هذا الصباح.

ارتدى باتريك ملابسه بأقصى سرعة، ملابس صيف خفيفة، ما دام الأوان شهر يوليو. قبل أن يهرع إلى الخارج، تسلّق السرير وقبّل

بطن إريكا، في مكانٍ ما تتذكّر على نحوٍ غامض بأنه كانت لها فيه سُرَّة.

- وداعاً طفلي. كنْ لطيفاً مع ماما، سوف أعود في الحال.

طبع قبلة سريعة على خَدّ رفيقته وانصرف. وهي تزفر، أخرجت إريكا نفسها من السرير، ولبست إحدى الخيام التي تؤدي دور اللباس. وبكلّ سذاجة، كانت تتوفر على كمٍّ من الكتب الخاصة بالحمل، وفي رأيها، كل المؤلفين الذين كانوا يصفون مسرات الحمل، يجب أن يتمّ سحبهم نحو الساحات العامة وجَلْدهم. أرقٌ بالجملة، آلامٌ في المفاصل، قصور، بواسير، رشْح، وكل أصناف الاضطرابات الهرمونية كانت هي الأقرب إلى الحقيقة. وهذه النار الجَوَّانية المفروض فيها أن تنيرها، الأكيد أنها لم تشعُر بأدنى شعلة ملعونة منها وهي تدمدم، نزلت الدرج ببطء كي تبتلع أول فنجان قهوة لليوم.

لمَّا وصل باتريك، كان العمل على أشدّه. ومدخل فجوة الملك قد أغلِقَ بالشرائط الصُّفر، عدَّ ثلاث سيارات للشرطة وسيارة إسعاف. الفريق التقني لـ **أودفالا** كان قد شرعَ في عمله قبل ذلك الحين. ولأنّ باتريك يتمتع بما يكفي من الخبرة لم يطأ مسرح الجريمة بحذائه الضخم. تلك، كانت غلطة المبتدئين، لكن ذلك لم يمنع رئيسه، العميد ميلبرغ، من التجوُّل بين التقنيين. واليأس ملء العيون، كان هؤلاء ينظرون إلى حذائه وملابسه وهي ترسِّب الآلاف من الألياف والجزيئات في مكان عملهم البالغ الهشاشة. حينما توقف باتريك أمام الشريط ولوَّح إلى ميلبرغ، غادر هذا الأخير المكان، ممّا أراحهم كثيراً، وعبر إلى الجانب الآخر من الحاجز

- أهلاً، هيدشتروم.

كان صوته ودوداً، بل منشرحاً، وقد فزع باتريك من دهشته. ظنّ لثانية أنّ رئيسه سوف يأخذه بالأحضان، لكن لحسن الحظ ظلّت تلك مجرد فكرة محيِّرة. بدا الرجل متغيراً بالكامل. بالكاد مرّ أسبوع على عطلة باتريك، لكن ميلبرغ الذي كان أمامه لم يكن بحقّ الشخص نفسه العبوس القابع خلف مكتبه والذي يدمدم أنّ العطلة مقولة ينبغي حذفها.

شدَّ ميلبرغ على يد باتريك بحرارة وربت على كتفه.

- كيف حال دجاجتك البيَّاضة؟ اقترَبَ الأجل، أليس كذلك؟

- ليس قبل شهر ونصف، حسب ما يقولون.

لم يستطع باتريك فهم السبب وراء كلّ مظاهر الفرح تلك لدى ميلبرغ، لكنه احتفظ بفضوله لنفسه وحاول التركيز على سبب قدومه إلى هذا المكان.

- ماذا وجدتم؟

تحمَّل ميلبرغ الكثير من العناء لقطع الطريق أمام ابتسامة كادت تعلو محياه وأشارَ إلى أحشاء الصَّدع الظَّليلة.

- خرج صبيٌّ في السادسة من العمر باكراً هذا الصباح كان والداه لا يزالان نائمين، وجاء إلى هنا كي يلعب دور الفارس بين الصخور. فوجد امرأة مقتولة. تمّ إخبارنا عند الساعة السادسة والربع.

- منذ متى والتقنيون يفحصون المكان؟

- إنهم هنا منذ ساعة. حضرت سيارة الإسعاف أولاً، وأكَّدوا على الفور أنه لم يعُد من الوارد التدخُّل طبياً. ومنذئذٍ، استطاع التقنيون العمل على رِسْلِهم. إنهم مملّون للغاية، هؤلاء الرجال، أقول لك. ذهبتُ لألقي نظرة بسيطة، هذا كلّ ما في الأمر، فإذا بهم ينعتونني بكلّ الألقاب، لكن، أفترض أن ذلك يجعلهم

متذمّرين، بالتأكيد، كونهم يمضون أيامهم جاثمين على أربع في ملاحقة الألياف بملقاط إزالة الشَّعر.

هاهنا تعرَّف باتريك على رئيسه الأعلى رتبة. هذه، كانت بالأحرى لغة ميلبرغ. بحُكم التجربة، كان يعلم أنْ لا طائل من محاولة تصحيح آرائه. بكل بساطة كان يدَع كلّ ذلك يدخل من أذنٍ ليخرج من الأخرى.

- ماذا لدينا من معلومات عن الضحية؟

- لا شيء إلى حدّ الآن. حوالي خمس وعشرين سنة. لباسها الوحيد، إذا جاز لنا تسمية ذلك باللباس، هي حقيبة يد، وإلا فهي عارية تماماً. لها نهدان جميلان، بالمناسبة.

أغمض باتريك عينيه، وكرَّر في صمت، وكأنها تعويذة داخلية: «سوف يُحال قريباً على التقاعد. سوف يُحال قريباً على التقاعد. .»

بكل ثباتٍ، استرسل ميلبرغ:

- لم نستطع تحديد سبب وفاتها، لكنها متضرِّرة بما يكفي. أورامٌ في كلّ أنحاء الجسم وخدوش غائرة، بسكين لا محالة، ثم، أجل، إنها ممدودة على غطاء رمادي اللون. الطبيب الشرعي منهمك في فحصها، هكذا، آمل أن يكون لدينا رأي تمهيدي بسرعة كافية.

- ألم يتمّ الإخبار عن أيّ اختفاءٍ يخصّ امرأة في الآونة الأخيرة؟ امرأة في عمرها تقريباً؟

- لا، لا أحد في الأرجاء. فقط عجوز الأسبوع الماضي، لكن في نهاية المطاف، تبيَّن أنه كان قد سئم البقاء محبوساً في عربة مقطورة مع زوجته، لذا هرب مع فتاة صغيرة كان قد التقاها في La Galère.

لاحظ باتريك أنّ الفريق كان يستعدّ لنقل الجثة في كيس. كانت اليدان والقدمان مسوّرتان بالأكياس النظامية، للحفاظ على كلّ آثار

مفترضة. كان تقنيو أودفالا متعوّدين على ذلك ويعملون بمهارة فعالة لإدخال المرأة في الكيس. الغطاء بدوره سوف يتمّ وضعه في كيس بلاستيكي لفحصه لاحقاً

من خلال علامة الذهول وبالنظر إلى الطريقة التي توقفوا بها في غمرة حركاتهم، أدرك باتريك حدوث شيء غير متوقع.

- ما الذي يحدث؟

- لن تصدق ذلك، لكن لدينا عظام هنا. وجمجمتان. بالنظر إلى مقدار العظام، أخمن في الواقع أننا أمام هيكلين آدميين.

صيف 1979

كانت تنعرج كثيراً بدراجتها الهوائية في عودتها إلى المنزل ليلة عيد القديس يوحنا المعمدان. لقد كان حفلاً مكتظاً أكثر من المتوقع، لكن لا يهم ذلك. إنها صارت راشدة الآن، تستطيع فعلَ ما تريد. والأجمل كان هو تخلُّصها من الصغيرة. الصبية وصراخها، وتعطّشها للحنان وطلبها المتواصل لشيء ما، كانت هي عاجزة عن منحها إياه. فالخطأ خطأها فعلاً إنْ هي كانت مرغمة على الاستمرار في العيش ببيت أمها، وإن كانت العجوز لا تتركها تتجاوز بأنفها إلى الخارج ولو أنها تبلغ العشرين من عمرها. إنّ الأمر أشبه بالمعجزة لأنها استطاعت الخروج من أجل الحفلة الراقصة هذا المساء.

ولو لم يكن لديها الرضيعة لاستطاعت أن تُقيم لوحدها الآن وتكسب قوتها، تخرج أنَّى شاءت وتعود في الساعة التي تريد، دون أن تكون مراقبة على الدوام، لكن مع الطفلة لم يكن ذلك ممكناً. كم ودَّت أن تعهد بها إلى شخص ما، تمنحها للتبني، إلا أنّ العجوز لم تكن موافقة على ذلك، والآن ينبغي عليها هي التصرف. إذا كانت لدى أمها كلّ تلك الرغبة في رعاية الصغيرة، ما عليها سوى الاهتمام بها، أوَليس كذلك؟

سوف تستقبلها العجوز بوجهٍ جهمٍ حينما تراها قادمة عند

الفجر، على ذلك النحو. نفوح منها رائحة الكحول وغداً سوف تتحمل العواقب، لكن ذلك كان يستحقّ. لم تستمتع بكلّ ذلك القدر منذ ولادة تلك الرضيعة السخيفة.

عبرت مفترق الطرق عند محطة خدمة البنزين وواصلت ما تيسَّر من الطريق قبل الانعطاف نحو بْروكْ. كادت تسقط في الحفيرة، لكنها استطاعت تعديل الدراجة وداست بقوة أكبر حتى تصعد العقبة الأولى. كانت الريح تُلاعب خصلات شعرها وكان ليل الصيف هادئاً حدَّ الكمال. للحظة أغمضت عينيها وفكرت في ليلة الصيف الأخرى الصافية لمّا حبلت من الألماني. لقد كانت ليلة عجيبة ومحرَّمة، لكنها لا تستحق الثمن الذي كانت مرغمة على أدائه.

بغتة فتحت عينيها. شيء ما انتصب حاجزاً أمام دراجتها بعنف وآخر شيء رأته كانت هي الأرضية المندفعة نحوها بسرعة خارقة.

حينما عاد إلى مخفر شرطة تانمشيد، انغمس ميلبرغ في تفكير عميق، على غير عادته بالمرة. وهو جالس قبالة رئيسه في المطبخ، لم يكن باتريك يقول شيئاً ذا بال. هو أيضاً كان منهمكاً في تأمل أحداث الصباح. وفي الحقيقة كان الجو حاراً جداً لبستقيم معه شرب فنجان قهوة، لكنه كان بحاجة إلى مقوي، والكحول لم يكن مناسباً جداً. كلاهما كان يروِّح عن نفسه بواسطة مِلَفٍّ للانتعاش قليلاً. كان المكيّف معطلاً منذ أسبوعين، ولم يستطيعا بعد العثور على مَن يُصلحه. في الصباح، كانا يدبِّران الأمر، لكن حوالي منتصف النهار كانت الحرارة تصلُ مستويات عالية لا تُطاق.

- أيّ ورطة هذه؟ وهو مستغرق في التفكير، حكَّ ميلبرغ عُشَّ خصلات الشعر الملفوفة فوق رأسه المُعَدِّ لإخفاء صلعه.

- أصارحك القول، ولا أدنى فكرة. جثة امرأة موضوعة فوق هيكلين آدميين. لو لم يتم قتل شخص ما حقيقة، لظننتُ أنّ ذلك شبيه بمقلب. عظام تمَّت سرقتها من مختبر أو شيء من هذا القبيل، لكن هناك جثة المرأة، ولقد تمّ قتلها بالفعل. سمعتُ تعليقاً من أحد التقنيين، قال بأنّ العظام لا يبدو أنها تعود لعهد قريب، لكن، بداهة، كل شيء رهين بموقعها. إذا كانت قد تعرَّضت للمطر

وللريح، أو كانت في منجاة منهما نأمل أن يستطيع الطبيب الشرعي تقدير إلى أيّ تاريخ تعود.

- أجل، بالمناسبة، متى تظنّ أننا سوف نتوصل بتقريره الأول؟

وعَلَت جبين ميلبرغ اللامع بالعرق تجاعيد حيرى.

- لا شك، خلال هذا اليوم، بعد ذلك، سوف يتطلب منه أمر مراجعة كل شيء بتفصيل بومين أو ثلاثة أيام. حتى تصل تلك اللحظة، سوف نكتفي بما لدينا. أين هم الآخرون؟

زفر ميلبرغ.

- غوسطا في عطلة اليوم. مرة أخرى، واحدة من مبارياته للغولف السخيفة، على ما أعتقد. إرنست ومارتن ذهبا لإنجاز محضر إثبات. أنيكا ذهبت إلى تِنيريف تعتقد أن المطر سيهطل مثل العادة هذا الصيف. يا للمسكينة الصغيرة. من المحزن أن لا يمضي المرء عطلته بالسويد حينما يعمّ طقسٌ مثل هذا.

ألقى باتريك مجدداً نظرة اندهاش نحو ميلبرغ وتساءل عن نزعة التعاطف غير المعتادة تلك. رابني أمره، هذا جليّ. إلا أنّ الوقت غير مناسب للتفكير في ذلك. لديهما أمور بالغة الأهمية يجب تسويتها.

- أعرف أنك في فترة عطلة إلى غاية نهاية الأسبوع، لكن ألا يمكن التفكير في العودة كي تمدّنا بشيء من المساعدة؟ إرنست ينقصه الخيال تماماً، ومارتن لا يتوفّر على التجربة المطلوبة للإشراف على التحقيق. سوف نحتاج بحق إلى مساعدتك.

لقد كان طلبه ينضح بالإطراء لغروره إلى حدٍّ أنّ باتريك رأى نفسه يَقبَل في الحال. كان يعلم جيداً بأنه سوف يتعرَّض للتأنيب عند العودة إلى البيت، لكنه برَّر اختياره محدِّثاً نفسه بأنّ الأمر لن يتطلب منه سوى ربع ساعة للعودة إذا ما كانت إريكا في حاجة إليه. ثم، بالنظر إلى موجة الحرارة الشديدة هذه، فقد أخذا يعيشان على

أعصابهما، هما الاثنان، وربما سوف يكون من المفيد إن غاب عن البيت.

- قبل أيّ شيء، أودّ التحقُّق ممّا إذا تمّ الإخبار عن اختفاء امرأة ما يجب القيام ببحث موسَّع، على سبيل المثال من ستروستاد إلى غوتبورغ. سأدعو مارتن وإرنست للاهتمام بالأمر. يبدو لي أني أسمعهما مقبلان.

- هذا جيد، رائع! تفكيرٌ جيد جداً، واصل على هذا النحو!

كان ميلبرغ قد أنهى قهوته، نهض وربت بسرور على كتفِ باتريك. أدركَ هذا الأخير بأنه سينجز العمل كله بمفرده مثل العادة، بينما ميلبرغ يجني الثمار، لكن ذلك كان أمراً محسوماً، ولم يعُد يُجدي نفعاً الانشغال به.

وهو يزفر وضع فنجانه وفنجان ميلبرغ في مغسلة الأواني. كل شيء يدلّ أنه ما ينبغي عليه اليوم الاهتمام بأمارات الكُريم المقاوم لأشعة الشمس.

- هيا انهضوا، أتظنون أنكم تقيمون هنا في مأوى عائلي سخيف، حيث يمكن ملازمة الفراش حتى الظهيرة؟

عبر الصوت طبقات سميكة من الضباب وارتطم صداه بعظم جبهته. فتح جوهان عيناً واحدة بحذر، لكنه أغمضها فور ذلك لمَّا صادف الضياء الباهر لشمس الصيف.

- اللعنة. تقلَّب أخوه روبير الذي يكبره بسنة في فراشه، سحب الوسادة على رأسه، لكنها انتزِعت منه بفظاظة. فانتصب وهو يدمدم:

- أليس من الممكن النوم حتى الظهيرة في هذا البيت؟

- إنكما تنامان حتى الظهيرة كل يوم كلاكما الساعة تشارف

على منتصف النهار. لو توقفتما عن التسكع بالخارج ليلاً لاقتراف ما يعلمه الله وحده، لما أمضيتما كلّ أيامكما في النوم. أحتاج إلى المساعدة قليلاً هنا، إنكما تقيمان مجاناً وتُطْعَمان مجاناً، بينما أنتما راشدان، أقلّ شيء هو أنْ تمدّا يد العون لأمكما المسكينة.

كانت سولفيغ هولت واقفة وذراعاها متصالبتان حول صدرها الضخم. بدينة يعلوها شحوب مَن لا يضع قدمه خارج البيت أبداً. وكان شعرها متَّسخاً يتدلى بجدائله الداكنة والدهنية على جانبَي وجهها.

- تشارفان على الثلاثين، وأمكما هي التي تتكفل إلى الآن برعايتكما. ويسميّان نفسيهما بالأبطال، هكذا! كيف يتسنى لكما الذهاب قصد الاحتفال كلّ مساء، أودّ كثيراً معرفة ذلك؟ لا تعملان، ولم أشهد منكما أدنى مساهمة في الصندوق المشترك. ها أنا أخبركما، لو كان أبوكما هنا، لوضع حداً لذلك! هل توصَّلتما بمعلومات من وكالة التشغيل؟ كان عليكما مراجعتها قبل أسبوعين!

وجاء دور جوهان لوضع الوسادة على وجهه. حاول صد الثرثرة الأبدية، يخالها المرء أسطوانة مشروخة، لكن الوسادة انتُزعت منه على الفور ليجد نفسه مضطراً للنهوض من على الفراش، وصداع الإفراط في السُّكْر يخبط دماغه مثل جوقة عسكرية.

- لقد مسحتُ مائدة الإفطار منذ مدّة. تدبرا أمركما للعثور على شيء في الثلاَّجة.

تمايل ردف سولفيغ الضخم حينما غادرت الغرفة الصغيرة التي يقتسمها الأخَوان وصفقت الباب خلفها. لم يجرؤا على محاولة العودة إلى النوم. أخرجا علبة سجائر وأشعل كلٌّ منها واحدة. لا مشكلة في الاستغناء عن الفطور، لكن السيجارة توقظ الذهن وتُدخل الدفء إلى الحنجرة بلطف.

- هه، يا لها من عملية سطو مشهودة تلك، كانت البارحة.
ضحك روبير ونفث حلقات من الدخان في الهواء. لقد أخبرتك بذلك، بأنّ لديهم أشياء مهولة، مدير مقاولة بستوكهولم، ليس عجباً أن يتمتعوا بمثل تلك الرفاهية.

لم يُجِبْه جوهان. بخلاف أخيه الأكبر، فإنّ السرقات لم تمنحه أبداً تلك الجرعات الزائدة من الأدرينالين، سواء قبل الإغارة أو بعدها. لقد كان يعتريه بالأحرى شعور وكأنّ كرة ضخمة من القلق البارد تستوطن بطنه. إلّا أنه كان يخضع دوماً لروبير. لم يَدُرْ بخلده أنّ الأمور قد تسير على نحوٍ مغاير.

منذ أمدٍ بعيد لم تكن حصيلة سرقة بمثل غنيمة البارحة. لقد طفق الناس يتّخذون حذرهم وباتوا لا يحتفظون بأشياء ذات قيمة في بيوت الريف، إذ كانوا يؤثثونها بمشغولات بالية لم يجدوا وسيلة للتخلص منها، أو بما تقع عليها أيديهم من مبيعات المزاد العلني التي كانت تعطيهم الانطباع بأنهم حققوا صفقة مربحة، بينما لم تكن تساوي فلساً، لكن البارحة، وضع الأخوان أيديهما على تلفاز جديد، وقارئ أشرطة رقمية DVD، لوحة عرض Nintendo، ومجموعة حليّ صاحبة البيت، وسوف يبيع روبير كل المسروقات عبر قنواته المعتادة، ويجنيان من ذلك مبلغاً مغرياً لن يدوم طويلاً سيَحرق المال المسروق جيوبهما وبعد انصرام بضعة أسابيع لن يبقى منه شيء. بعد صرفه في القمار، في المطاعم حيث سيدعوان الجميع، وفي اقتناء شيئين أو ثلاثة أشياء لأنفسهما. نظر جوهان إلى ساعته اليدوية التي لا تقدَّر بثمن. لحسن الحظّ أن العجوز لا دراية لها بالتعرُّف على الأشياء الثمينة حينما كانت تصادف واحدة منها. لو علمت كم يقدَّر ثمن تلك الساعة لما كفَّت عن الشكوى ملء شدقها.

أحياناً كان لديه انطباع بأنه يدور مثل سنجاب في عجلة، بينما

الأعوام تمضي، لا شيء تغيَّر بحقٍّ منذ كانا مراهقين، وكان المستقبل يبدو له مسدوداً أيضاً الشيء الوحيد الذي يعطي معنى لحياته هو السرّ، السرّ الفريد الذي أخفاه عن روبير. غريزة مدفونة عميقاً بداخله كانت تُخبره بأنه لن يجدي نفعاً إن هو أسرَّ لأخيه بذلك. سوف يدنس روبير ذلك بتعليقاته السمجة.

طول ثانية سمح لنفسه بالتفكير فيها، في نعومة شعرها، في يدها الصغيرة حينما كان يضمّها بيده.

- يا هذا، كُفَّ عن الأحلام. لدينا شغل ينتظرنا.

نهض روبير، والسيجارة تتدلى من زاوية فمه، غادر الغرفة هو الأول، كما هو الحال على الدوام. تبعه جوهان. لم يكن يستطيع التصرف على نحوٍ مغاير.

في المطبخ كانت سولفيغ تقبع في مكانها المعتاد، منذ أنْ كان جوهان فتى صغيراً، منذ ما وقع لأبيه، رآها جالسة على كرسيها أمام النافذة، وأصابعها تعبث في نرفزة بما كان موضوعاً نصب عينيها على المائدة. في ذكرياته الأولى، كانت تبدو جميلة، لكن مع توالي الأيام استوطنت السُّمنة جسمها وملامحها بطبقات سميكة أكثر فأكثر.

كانت تبدو وكأن الوَجْد تَمَلَّكها: أصابعها تعيش حياتها الخاصة، تسحق شيئاً أو تلامسه. لقد مضت أكثر من عشرين سنة وهي تهتم بهذه الألبومات القذرة، تفرزها وتُعيد، تقتني أخرى، وتلصق الصور وقصاصات الجرائد من جديد، بل أكثر من ذلك، بعناية فائقة. لم يكن بالسذاجة التي تمنعه من إدراك أنّ تلك كانت طريقتها الخاصة بها للحفاظ على لحظاتها الأكثر سعادة، لكن يجب عليها أن تدرك يوماً ما أنّ ذلك الزمن قد ولّى.

تعود تلك الصور إلى سنواتٍ كانت أثناءها سولفيغ جميلة.

وتمثَّلت قمة حياتها في الزواج من **جوهانس هولت** أصغر أبناء **إفرايبم هولت**، واعظٌ إنجيلي مشهور، ومالك أغنى ضيعة في المنطقة. كان جوهانس وسيماً وثرياً صحيح أنها كانت فقيرة، إلا أنها كانت أجمل فتاة في المقاطعة أيضاً الجميع كان يتحدث عن ذلك. وإذا كان لا بد من أدلة أخرى، يكفي إظهار المقالات حول تتويجها بلقب ملكة جمال الصيف لسنتين متتاليتين، التي احتفظت بها جميعها هذه المقالات هي ما كانت تزينه وتفرزه بكل تلك العناية الفائقة، كل يوم منذ عشرين سنة خلت، والصور الكثيرة بالأسود والأبيض حينما كانت في ريعان الشباب. كانت تعلم أن تلك الفتاة موجودة في مكانٍ ما تحت طبقات الدهن، ومن خلال الصور تستطيع الحفاظ عليها، ولو أنه مع كل سنة تمضي، كانت تفلت منها أكثر فأكثر شيئاً ما.

بعد نظرة أخيرة من خلف كتفها، غادر جوهان المطبخ، وسار في عقب أخيه، ومثلما قال روبير، ثمة شغل في انتظارهما

تساءلت إريكا عمّا إذا كان حرياً بها الخروج للنزهة، لكنها أدركَت أنه ربما لم يكن من المناسب المغادرة في أشدّ أوقات النهار قيظاً والشمس في كبد السماء. لقد كانت في عافية جيدة طول فترة الحمل إلى أن استوطن القيظ الأجواء. ومنذ ذلك الحين، تشعر وكأنها حوتٌ ضخم يتصبب عرقاً، وتسعى على نحو يائس للظفر بقليل من الانتعاش. ليبارك الله باتريك الذي خطرت له فكرة سديدة بأن اشترى لها مروحة كهربائية تحملها في كلّ مكان من البيت.

كان الواصل الكهربائي بالشرفة المقصورة مثبتاً على نحوٍ يناسب المروحة وكان بإمكانها الاستلقاء على الأريكة. لم يكن أيّ وضع مريحاً لأكثر من خمس دقائق، وكانت مضطرة للتقلب بلا توقُّف في

كلّ الاتجاهات سعياً منها للعثور على الوضع المقبول. في بعض الأوضاع كانت تتلقى ضربة قدم على الأضلاع، أو شيئاً ربما يشبه يداً تعاند في لكمها، وكانت مجبرة على التحرُّك من جديد. كانت تتساءل عن السبيل إلى التحمُّل وهي على ذلك الحال شهراً إضافياً

لم يمضِ على حياتهما بصفتهما زوجين سوى ستة أشهر، هي وباتريك، حينما صارت حبلى، لكن الغريب أن ذلك لم يمثّل أدنى مشكل بالنسبة لهما. لقد كانت لديهما معاً تجربة معينة عن الحياة، كانا يعرفان ما يريدانه ويريان أنْ لا مبرِّر للانتظار. الآن فحسب طفقت تطرح الأسئلة، لكن فات الأوان على ذلك شيئاً ما. ربما لم يعيشا بما فيه الكفاية الحياة اليومية معاً قبل الشروع في ذلك؟ كيف ستقاوم علاقتهما مواجهة كائن صغير جديد الذي ربما سوف يتطلب كلّ ذلك الاهتمام الذي خصّ به كلّ واحد منهما الآخر حتى الآن؟

المؤكد أنّ الحب الجنوني والأعمى في أول عهدهما قد انقضى وهما الآن يعيشان علاقة واقعية أكثر، تميِّزها معرفة جيدة للجوانب الطيبة والسيئة لكلٍّ منها، لكن ماذا لو أنه في أعقاب الطفل لم تبق سوى الجوانب السيئة؟ كم من مرة سمعت الإحصاءات عن كلّ أولئك الأزواج الذين كان مصيرهم الفشل خلال السنة الأولى من مَقْدَم طفلهما الأول؟ لكن، طيب، لا داعي للقلق من أجل ذلك الآن. ما حصل قد حصل، ومهما كان الأمر، هي وباتريك أيضاً يترقبان قدوم الطفل بكامل جوارحهما. ينبغي فحسب أن يدوم هذا الاندفاع حتى يعينهما على تجاوز الانقلاب الأكبر.

ذعرت حينما رنَّ جرس الهاتف وقامت بمشقّة من على الأريكة كي تذهب للردّ.

- نعم، آلو؟ ياه، أهلاً كوني، أجل، طيب، شكراً، أشعر فقط بحرارة مفرطة شيئاً ما لأني حامل. القدوم لرؤيتنا؟ أجل، بالطبع،

مرحباً بكم لشرب القهوة عندنا. قضاء الليلة؟ حسناً. زفرت إريكا داخلياً. طيب، موافقة. متى أنتم قادمون؟ الليلة! نعم، لا، لا مانع، بالطبع، سوف أهيئ الأسِرَّة بغرفة الضيوف.

أقفلت السماعة من شدّة اشمئزازها. لقد أضحى امتلاك بيت في فيالباكا عبئاً ثقيلاً في الصيف. كل أفراد العائلة وكلّ أصناف الأصدقاء يظهرون على حين غرّة، بينما لا يظهر لهم أثر طول الأشهر العشرة الباقية من السنة. في شهر نوفمبر، لم يكن يعني لهم القدوم الشيء الكثير، لكن في يوليو كانت تبدو لهم الفرصة سانحة للإقامة بالمجان في بيتٍ مطلٌ على البحر. ظنّت إريكا أنها بمنجاة من ذلك هذا الصيف، ما دام قد انقضى من يوليو منتصفه دون أن يظهر أحد، وهاهو الآن ابن عمها كوني يحدِّثها مُخبِراً إياها أنه في الطريق إليها، بزوجته وأطفاله. من أجل قضاء ليلة واحدة فحسب، المفروض أنها تستطيع تحمُّل الأمر. لم يسبق لها بتاتاً أن كانت صديقة مقرَّبة على نحوٍ خاص من أي من ابْنَي عمِّها، لكن نشأتها الرفيعة لم تكن تسمح لها برفض استقبالهما، ولو أن ذلك هو أفضل شيء يجب عليها القيام به لأنهما كانا متطفلين.

إلّا أنّ إريكا كانت مسرورة بامتلاك ذلك البيت بفيالباكا حيث تستطيع هي وباتريك استقبال أصدقائهما، سواء تمّت دعوتهم أم لم تتم. بعد موت والديهما المباغت، سعى زوج أختها للحصول على البيت بالإكراه، لكن وصلت الأمور إلى أن طفح الكيل بـ آنّا من المعاملة السيئة، جسدياً ونفسياً، التي كان يقابلها بها لوكا، حصلت على الطلاق والبيت الآن في حوزتها بالملكية المشتركة مع إريكا وبما أنها كانت تقطن بستوكهولم رفقة طفليها، فقد تسنى لباتريك وإريكا الاستقرار بفيالباكا، ومقابل ذلك فإنهما يؤديان جميع المصاريف. فيما بعد سوف يكون عليهما تسوية المشكل بصفة

نهائية، لكن في الوقت الحاضر كانت إريكا مسرورة فحسب لأن البيت لا يزال في حوزتهما، ولأنها تقيم فيه طول السنة.

نظرت نحو الغرفة وأدركت أنّ عليها التحرك لو أرادت استقبال عائلتها كما يجب. تساءلت عمّا سيكون عليه ردّ فعل باتريك إزاء هذا الغزو، ثم رفعت هامتها. إذا كان هو يستطيع أن يتركها هنا لوحدها للذهاب إلى العمل، بينما من المفروض أنه في عطلة، فإنّ لها إذن الحق في استقبال الناس لو أرادت ذلك. وها هي قد نسيت، أنها منذ لحظة فقط، قد وجدت من المناسب التخلص من ملازمته لها

عاد إرنست ومارتن بالفعل من مهمتهما، وشرع باتريك يُطلعهما على القضية. استدعاهما إلى مكتبه، وتداعى كل منهما على كرسيه. كان إرنست يتميز غيظاً من تعيين باتريك للإشراف على التحقيق، لكن هذا الأخير فضّل تجاهله. الأمر يعود لميلبرغ في تسوية ذلك، وفي أسوأ الأحوال، سيتدبران دون مساعدة من إرنست إذا رفض زميله التعاون.

- أعتقد أنكما على علمٍ مسبق بما حدث.

- أجل، لقد سمعنا النداء حينما كنّا في السيارة. كان مارتن، وهو في جمال الشباب ومتحمّس، يجلس مثل الألف مستقيماً على كرسيه، ويضع على ركبتيه دفتراً لتدوين الملاحظات وقلم حبرٍ متأهّب للعمل.

- لقد تمّ العثور إذن على امرأة مقتولة في فجوة الملك بفيالباكا كانت عارية، ويبدو أنها كانت تبلغ بين العشرين والثلاثين من العمر. وتحت جسدها تمّ العثور كذلك على هيكلين آدميين يجهل أصلهما وعمرهما لقد توصلت بتقدير غير رسمي من عند كارلستروم بالفرقة

التقنية يقول بأنهما لا يعودان إلى عهد قريب. حتماً قد تتجاوز الأعباء طاقتنا، وإضافة إلى ذلك كلّ تلك المشاجرات بين السكارى والسكر أثناء القيادة التي تنزل على رؤوسنا. - وجد أنيتا وغوستا معاً في عطلة، ولم يتبقَّ لنا سوى التشمير عن سواعدنا من دونهما في انتظار ذلك. وفي الواقع أنا بدوري في عطلة هذا الأسبوع، لكني قبلت العودة إلى العمل، وإذن مَن سيشرف على هذا التحقيق، ما دامت تلك رغبة ميلبرغ. هل من أسئلة؟

كان يوجِّه كلامه رأساً إلى إرنست، الذي فضَّل رغم ذلك عدم الدخول في صراعٍ معه، مثل كل مرة حتى يتسنى له لاحقاً التباكي غيبة منه.

- ماذا تريد أن أفعل؟ كان مارتن أشبه بحصانٍ يرغد من شدّة نفاد صبره داخل مقصورته ويرسم دوائر في الهواء فوق دفتر ملاحظاته.

- أريد أن تبدأ بالتحقُّق عبر نظام معلومات شينغن (SIS) من النساء التي تمّ الإخبار باختفائهن، فلنقُل منذ، شهرين. من الأفضل التوفر على هامش فيما يخص الوقت إلى أن يقدِّم لنا الطب الشرعي معلومات إضافية، لكني أحسب أن الوفاة حديثة العهد أكثر من هذا، ربما تعود فحسب إلى يومين، ثلاثة أيام.

- ألم تعلم بالأمر؟ قال مارتن.

- أي أمر؟

- شينغن معطل. يجب أن نستغني عن نظام معلوماته، علينا التصرُّف مثلما كنّا نفعل ذات زمن جميل.

- يا للقرف. ويحدث ذلك بالضبط في هذه اللحظة. حسن، عندنا لم يتم الإخبار بأية حالات اختفاء وفق ما قاله ميلبرغ وما كان في علمي قبل أن أستفيد من العطلة، أقترح إذن بأن تُخبر كل

المقاطعات القريبة. وأن تعمل انطلاقاً من دوائر مشتركة المركز، بداية من الوسط، ثم توسع الدائرة، هل فهمتَ قصدي؟

- أي نعم، إلى أي حدّ تريد أن أذهب؟

- إلى أبعد ما يكون، إلى أن تجد مَن يطابق المواصفات. تحدّث إلى أودفالا للتو، سوف يمدّونك بتقرير أولي تستند إليه كقاعدة للبحث.

- وأنا، ماذا أفعل؟ لم تكن الحماسة التي تشي نبرة صوت إرنست من النوع المُعدي.

نظر باتريك إلى الملاحظات التي دوَّنها عقب لقائه مع ميلبرغ.

- أودّ أن تبتدئ بالتحدُّث إلى من يَقطنون قرب فجوة الملك. إذا كانوا قد رأوا أو سمعوا بشيء هذه الليلة، أو باكراً هذا الصباح. الموقع يضجّ بالسيّاح خلال النهار، وهذا يعني أنّ الجثة أو الجثث لو أردنا التدقيق قد تمّ نقلها إلى هناك خلال الليل أو عند الفجر. أظن أننا نستطيع إثبات أنه مروا عبر المدخل الرئيس، لا أحد كان يستطيع ارتقاء السلالم انطلاقاً من ساحة إنغريد برغمان بكلّ ذلك الحِمل. لقد عثر عليها الصبي حوالي السادسة صباحاً، وفي رأيي يجب التركيز على توقيتٍ يقع بين التاسعة ليلاً والسادسة صباحاً. بالنسبة لي، لقد عزمت الأمر على الذهاب لإلقاء نظرة في الأرشيف. هناك شيء يشغلني بالنسبة إلى هذين الهيكلين. عندي إحساس أنه كان من المفروض أن أعرف ما ذاك، لكن.   ألا يذكّركما ذلك بشيء؟ لا شيء ينشّط ذكرياتي؟

وسَّع باتريك ما بين ذراعيه وانتظر جواباً، وحاجباه مرتفعان، لكن اكتفى كلّ من مارتن وإرنست بهزّة من رأسه. زفر. طيب، لم يبقَ له سوى النزول إلى سرداب الموتى.

وهو يعلم بأنهم لا يكنّون له كل الودّ، وإن كان في مقدوره توقّع الأمر لو أعْمَلَ تفكيره، كان باتريك ينقّب بين أوراق قديمة في أقبية مخفر تانمشيد السفلية. كان الغبار قد غطى أغلب الملفات، لكن لحسن الحظ لا يزال هناك قليل من الترتيب. لم يكن يعلم عمّا يبحث على وجه التدقيق، ومع ذلك كان متيقناً أن ذلك موجود هناك.

وهو يجلس القرفصاء على البلاط الإسمنتي، كان يراجع بانتظام علب الملفات الواحدة بعد الأخرى. عشرات السنين من المصائر البشرية تمرّ بين يديه وكان يندهش شيئاً فشيئاً لعدد الناس والأسَر الذي يتردّد بلا توقف في سجلات الشرطة. وهو يرى الاسم نفسه يتكرَّر للمرة الألف، حدَّث نفسه بأن الأفعال الإجرامية تبدو أحياناً وكأنها تنتقل من الآباء إلى الأبناء، بل وإلى الأحفاد.

رنّ جرس هاتفه النقال، كانت تلك إريكا.

- أهلاً حبيبتي، كل شيء على ما يرام؟ كان يعلم الجواب مسبقاً. أجل، أعرف أنّ الجو حار. حاولي البقاء قرب المروحة، لا أرى حلّاً غير ذلك. أردت أن أخبركِ بأنّ علينا تحمّل عبء جريمة قتل، هنا، وميلبرغ يريد أن أشرف على التحقيق. هل يزعجك كثيراً إن عدتُ إلى العمل لبضعة أيام؟

حبس باتريك أنفاسه. يعرف بأنه كان عليه مكالمتها لإخبارها بأنه ربما سوف يكون مضطراً للعمل، لكن على هَذي الذكور في تهرّبهم، ففضّل تأجيل ما لا مفر منه. من جهة أخرى، كانت إريكا تعرف التزاماته المهنية. كانت الفترة الصيفية الأشدّ وطأة من حيث الأعباء بالنسبة إلى شرطة تانمشيد، وقد كانوا مرغمين على الاكتفاء بعطلٍ قصيرة جداً بالتناوب، بل حتى أيام العمل المتسلسل على ندرتها لم تكن مضمونة، كل شيء كان رهينَ عدد حالات السُّكر،

والمشاجرات والآثار الأخرى الناجمة عن السياحة التي كان على المركز تدبيرها وكانت جرائم القتل توجد على انفراد نوعاً ما قالت شيئاً كاد يفوته.

- تقولين زيارة؟ مَن ذاك؟ ابن عمك؟ زفر باتريك. لا، ماذا تريدين أن أقول لك؟ بالطبع كنتُ أودّ لو بقينا نحن الاثنين، لكن إن كانوا في الطريق الآن، لا يسعني فعل أيّ شيء. لن يمكثوا سوى ليلة واحدة؟ ok، سوف أمرُّ لشراء بعض الجمبري قبل العودة، هكذا لن تكوني مضطرة للوقوف في مقابل الفرن. سوف أكون هناك حوالي السابعة، قبلاتي، وداعاً.

دسَّ الجهاز في جيبه وتابع تصفُّح محتوى العلب الموضوعة أمامه. أثار انتباهه ملفٌّ موسوم بـ«مختفون». شخص طموح قام بجمع كل التقارير عن أشخاص مختفين وردت أسماؤهم في تحقيقات الشرطة. أحسّ باتريك بأنه عثرَ على ما كان يبحث عنه. كانت أصابعه ملطَّخة بالغبار، مسحَها بقميصه قبل فتح الملف الرقيق جداً. بعد أن تصفَّح وقرأ لبعض الوقت، أدرك أنَّ ذاكرته قد حصلت تواً على تلك الدفعة التي كانت بحاجة إليها كان من المفروض أن يتذكر هذه القضية على الفور، باعتبار أن عدد الأشخاص في هذه المنطقة الأمنية الذين اختفوا فعلاً دون أن يتمّ العثور عليهم قليل. هذا من تأثيرات العمر، لا ريب. في الوقت الحاضر، كانت التقارير أمام عينيه على كلّ حال وكان يشعر بأنّ كل ذلك لم يكن وليد الصدفة. امرأتان تمّ الإخبار عن اختفائهما سنة 1979. هيكلان آدميان تمّ العثور عليهما في فجوة الملك.

صعد إلى حيث الضوء حاملاً الإضبارة معه، ثم وضعها على مكتبه.

كانت الخيول هي كلّ ما يُبقيها هناك. بِيَدٍ مجرّبة مشَّطت بِهِمَّة الحصان المخصيّ الكميت المدمى. إنّ النشاط المادي الذي كان يسمح لها بتصريف إحباطها، هو بمثابة صمام أمان. إنه لأمرٌ مضجر فعلاً أنْ يبلغ المرء سنّ السابعة عشرة وأن لا يكون سيد حياته الشخصية. ما إن تصلُ سنَّ الرشد، سوف تهرب من هذه الحفرة الوضيعة. سوف تقبل اقتراح الفوتوغرافي الذي حدَّثها في الشارع بغوتبرغ. حينما ستصير مانكان بباريس وتجني الكثير من المال، سوف تخبرها عن المكان الذي يجب أن يحشو فيه تكوينهم السخيف. قال لها الفوتوغرافي إنه مقابل كلّ سنة تمضي فإنّ قيمتها كعارضة أزياء تتناقص، وهاهي سنة سوف تضيع من حياتها قبل أن تتمكن من المغادرة، فقط لأنّ أباها مهووس بمستقبلها لم يكن أحد في حاجة إلى الدراسة من أجل السَّير على منصة العرض، ثم لمّا تبلغ الخامسة والعشرين مثلاً وتكون كبيرة جداً، ستتزوج مليونيراً ولن تكون في حاجة إلى تهديده بحرمانها من الميراث. في يوم واحد، تستطيع أن تنفق في التسوّق ما يعادل كل ثروة أبيها.

وأخوها السخيف لا يسهّل الأمور بكل ذلك التفوق الذي يتباهى به. صحيح أنه كان من الأفضل الإقامة عنده وماريتا، على السكن بمنزل الوالدين، لكن ليس لكلّ ذلك الحدّ. لقد كان يبلغ حدّ الكمال هذا السخيف. لم يرتكب أبداً أي خطأ، أمّا عنها هي، فقد كان كل شيء ذنبها تلقائياً

- ليندا! كان الصوت مُلِحّاً أكثر. كان يعلم أنها هنا، لا حاجة لمحاولة الاختفاء.

- نعم، يا للقرف، كُفَّ عن ملاحقتي. ماذا هناك؟

- لا داعي للكلام معي بتلك النبرة. أعتقد أنه لا يتطلب منك الشيء الكثير كي تكوني مهذبة.

لم تجد أكثر من الغمغمة ببعض الشتائم على سبيل الردّ التي لم يقف عندها جاكوب.

- لست أبي، أنت أخي فقط، هل فكرت في ذلك؟

- أنا أدرك ذلك جيداً، أجل، لكن ما دمت تقيمين تحت سقف بيتي، لديّ بعض المسؤولية تجاهك.

لأنه كان يكبرها بسبع عشرة سنة، كان جاكوب يظنّ أنه يعلم كل شيء، لكن من السهل أن يتباهى المرء حينما يكون في مأمن من العوز مثله. كان والدهما يعيد ويكرر بأنّ جاكوب ابن يفتخر المرء به. في استطاعته تدبير الأملاك العائلية بيدٍ أمينة، إلى حدّ أن ليندا كانت تفترض أنّ كل شيء سيعود إليها عند الميراث. وفي انتظار ذلك، يستطيع التظاهر كما لو أنّ لا أهمية للمال عنده، لكن ليندا تستشفّ نواياه. الجميع معجبٌ بجاكوب لأنه يعمل مع شباب ذوي احتياجات خاصة، لكن الجميع يعلم أيضاً بأنه في آخر المطاف سيرث الأملاك وثروة كبيرة، حينذاك سوف نرى ما الذي سيبقى من عمله التطوّعي.

استهزأت في السرّ. لو علم جاكوب أنها تخرج ليلاً رغم المنع لفَقَد صوابه، ولو علم مع مَن تلتقي، لتعرَّضت لتأنيبٍ لا يُنسى. يمكن أن نُظهر التعاطف مع المعوزين ما لم يتزاحموا على بابك. وسوف يجنّ جاكوب جنونه لو علم أنها ترى جوهان، إذْ هناك أسباب راسخة لذلك. كان جوهان ابن عمّهما والحرب بين فرعَيْ العائلة مستمرة منذ ما قبل ولادة ليندا، أجل، بل قبل أن يولد جاكوب. لم تكن تعرف السبب، لكن تعلم فحسب أنّ الأمر كان على ذلك الحال، وهو ما كان يضفي مزيداً من المتعة لمّا كانت تتسلل ليلاً من أجل لقائه. إضافة إلى أنها كانت تشعر بالراحة إلى جانبه. صحيح أنه كان متحفظاً شيئاً ما، لكنه كان يكبرها باثنتي

عشرة سنة ولديه ثقة لم يكن الرجال في سنّه يتوفرون عليها إلّا في أحلامهم الأكثر جنوناً. لم يكن ينشغل بالها بتاتاً بحقيقة أنهما أبناء عمومة. اليوم، كان أبناء العمومة يستطيعون الزواج فيما بينهم، ومع أن ذلك لم يكن جزءاً من مشاريعها للمستقبل، فإنها لم تكن ضد صقل تَعَلُّمِها معه، شرط أن يتمّ ذلك في السرّ.

- هل كنت تريد شيئاً أو أتيت فقط لتراقبني هكذا، للمتعة؟

- أطلق جاكوب زفرة عميقة ووضع يده على كتفها. حاولت التقهقر، لكن يده كانت ثقيلة.

- يستعصي عليّ فهم من أين تستمدين كل هذه العدوانية. الفتية الذين أتعاملُ معهم على استعداد للتضحية بكلّ ما لديهم للتوفر على بيت ونضارة شباب مثلك. تعلمين أنّ قليلاً من الاعتراف بالجميل والنضج ليس بالطلب الكثير. أي نعم، أريد شيئاً. الأكل جاهز، سيكون من اللّطف لو بدَّلت ملابسك وحضرت للأكل صحبتنا. أرخى قبضته حول كتفها وخرج من الإسطبل. مُدَمْدِمَةً تركت فرشاة تنظيف الحصان وذهبت للاستعداد. صحيح أنها كانت جائعة، رغم كل شيء.

كان قلب مارتن لا يزال منكسراً. لم يكن يعلم كم من مرّة حدث معه ذلك، لكن كونه تعوّد عليه لا يجعل من الأمر أقل إيذاءً. كما هو الحال دائماً، ظنَّ بأنها خُلقت لأجله، تلك التي تضع رأسها على الوسادة إلى جانبه. بالطبع، كان يعلم أنها مرتبطة مسبقاً، ذلك بسذاجته المعهودة، اعتقد أنه أكثر من مجرَّد تسلية بالنسبة لها وظنَّ أن أيام شريكها الشرعي كانت معدودة. لم يجُلْ بخاطره أبداً أنه، بفضل سحنته البريئة وجسده الظريف، كان يجذب النساء الناضجات مثلما يجذب العسل الذباب. هنَّ المستقرات مسبقاً في الرتابة الزوجية، لم تكن لديهن أيّ رغبة في التخلي عن أزواجهن من أجل

شرطيّ لطيف يبلغ الخامسة والعشرين، إلّا أنهن لم تتردّدن لحظة عن مضاجعته حينما وجب تحقيق الرغبة وكانت الحاجة إلى إثبات الذات. لم يكن مارتن ضدّ أي علاقة جسدية محضة، بل إنه كان ماهراً على نحوٍ مميّز في هذا المجال، لكنه كان رجلاً شاباً وعاطفياً أيضاً. العشاق كانوا يجدون بكلّ بساطة في مارتن مُولاَنْ تُربة خصبة. لذلك كانت حكاياته الصغيرة تنتهي دائماً بالبكاء وصرير الأسنان، حينما كانت النسوة يشكرنه ويعدن إلى بيوتهن لمتابعة حياتهن، المملة ربما، لكن المستقرة والمألوفة.

أطلق زفرة مستغرقة، جالس هناك أمام مكتبه، وهو يسعى للتركيز على المهمة التي تنتظره. المكالمات التي أجراها حتى الآن لم تكن مثمرة، لكن هناك الكثير من المناطق الأمنية التي يجب الاتصال بها لقد كان من حظه حقاً أنّ قاعدة المعطيات الأوروبية تعرَّضت لعطلٍ بالضبط حينما كانوا في حاجة إليها

ساعتان بعد ذلك، انحنى إلى الخلف ورمى بقلمه الحبر نحو السقف، من شدّة المرارة. ما من مفقودة تناسب مواصفات الضحية. ماذا تراهم فاعلون الآن؟

ليس ذلك من العدل حقاً إنه أكبر من ذلك المُدَّعي الغرّ، وكان من الأَوْلى أن يُشرف هو على إدارة التحقيق، لكن طيب، أصحاب المواهب العظماء لا أحد يعرفهم في هذا العالم. منذ سنوات طويلة وهو يواظب على التملُّق لذلك الأبله ميلبرغ. وماذا جنى؟ حاور إرنست منعطفات طريق فيالباكا بسرعة مفرطة ولو لم يكن في سيارة للشرطة لشاهد بالتأكيد في المرآة العاكسة عدداً كبيراً من الأذرع ملوّحة له بإشارات قبيحة. فليجرؤ إذن هؤلاء السياح الداعرون ولسوف يريهم مِن أيّ معدن هو.

طَرْقُ أبواب الجيران مهمة المبتدئين، وليست جديرة برجلٍ له خمس وعشرين سنة من التجربة المهنية. كان من الأفضل أن يقوم بها مارتن الصبي ذاك، أما هو، إرنست، لكان أمضى وقتاً على الهاتف للثرثرة مع زملائه بالمناطق الأمنية الأخرى.

كان يغلي في الداخل، لكن ذلك هو مزاجه الطبيعي منذ أن كان طفلاً، لا شيء يخرج عن المألوف. مزاج غاضبٌ كان يجعله بالأحرى غير مؤهَّل لمهنة تستدعي كل ذلك التواصل الاجتماعي. لكن من جهة أخرى كان يحظى بالاحترام لدى المنحرفين الذين كانوا يشعرون، عن فطرة، بأنّ إرنست لوندغرين ليس هو الشخص الذي ينبغي الاحتكاك به إذا ما أراد المرء الحفاظ على عافية بدنه.

لمّا عَبَر البلدة تابعته الأنظار وأوْمَت إليه الأصابع، فأدرك أنّ الخبر قد شاع مسبقاً في كل أنحاء فيالباكا. اضطرّ لعبور ساحة إنغريد برغمان ببطء شديد، بسبب وقوف كلّ تلك السيارات بشكل فوضوي. شعر بالارتياح لمّا رأى أنّ مروره دفع نوعاً ما الكثيرين لمغادرة مقهى Le Pronton على عجل. كانوا على حق. لو كانت سياراتهم لا تزال هناك عند عودته، لوجد الكثير من المتعة في إفساد عطلة أولئك الذين يركنون سياراتهم كما اتفق. ربما دفعهم إلى النفخ في البالون أيضاً. الكثير من السائقين كانوا منهمكين في احتساء الجعة. بقليل من الحظ قد يسحب دون شكّ بعض رخص القيادة.

لم يكن هناك الكثير من المواضع للوقوف عند الطرف الصغير من الشارع أمام فجوة الملك، لكنه وضعها بمكان ضيق وشرع في عملية طرق الأبواب. ومثلما هو متوقّع بالطبع، لم يشاهد أحد أي شيء. الناس الذين ينتبهون، عموماً، عندما يضرط جارهم في بيته، يصيرون عميان وبُكماً حينما تطلب منهم الشرطة شيئاً. إلّا أنّ إرنست كان مرغماً على الاعتراف بذلك، ربما لم يسمعوا شيئاً بالفعل. في

الصيف، كان مستوى الأصوات مرتفعاً بشدة في الليل، نظراً إلى كلّ أولئك السكارى الذين يعودون إلى بيوتهم عند الفجر، بحيث أنّ السكان تعلَّموا تصفية الأصوات للحفاظ على نومٍ هانئ بالليل. ومع ذلك، فالأمر مزعج.

في المنزل الأخير، عثر على صيد في نهاية المطاف. أكيد ليس بالثمين، ولكن لا يُستهان به مع ذلك. العجوز المقيم في أبعد بيت من مدخل فجوة الملك، سمع صوت سيارة قادمة حوالي الثالثة صباحاً حينما ذهب للخلاء، بل استطاع تدقيق الوقت، الثالثة إلا ربعاً، لكنه لم يتكلَّف عناء إلقاء نظرة نحو الخارج، بحيث لم يستطِع قول أي شيء لا عن السيارة ولا عن السائق. وبحُكم أنه كان معلماً للسياقة، وبأنه ساق الكثير من السيارات في حياته، فقد كان متأكداً تماماً بأنها لم تكُن سيارة حديثة، بل عمرها بضع سنوات على الأقل.

رائع، الشيء الوحيد الذي أثمرت عنه ساعتان من طرق الأبواب تمثّل في أنّ القاتل على الأرجح أحضر الجثث في السيارة حوالي الثالثة صباحاً، وربما كان يقود سيارة من الطراز القديم. نتيجة لا تدعو حقيقةً للفخر.

عند قفوله عبر الساحة، تحسَّن مزاجه بوضوح حينما أبصر فوضى جديدة في أماكن الوقوف التي كانت شاغرة قبل ذلك بقليل. جميل، سوف يجعلهم ينفخون في البالون، هؤلاء المهرجين الصغار، إلى أن تنفجر صدورهم!

أوقف رنين جرس ملحاح بالباب إريكا التي كانت منهمكة في تشغيل المكنسة الكهربائية. كانت ترشح عرقاً، أبعدت بعض الجدائل المبللة المتدلية على وجهها قبل أن تفتح الباب. لعلهم ساقوا السيارة مثل المجانين حتى وصلوا في هذا الأوان.

- مرحباً بَديتَتي!

ذراعان عملاقتان ضيَّقتا عليها مثل ملزم، لم تكن وحدها من يرشح عرقاً! وأنفها محشو بالكامل في إبط كُوني، أدركَت أنها هي الأخرى تفوح منها رائحة الزهر والأرجوان مقارنة معه.

بعد أن تخلَّصت من حضنه، حَيَّت بريتا، زوجة كُوني، مكتفية بمصافحتها بأدب. بعد كلّ شيء، لم يسبق أن التقتا سوى في مناسبات نادرة معدودة. كانت يد بريتا نضوح ورخوة تعطيك الانطباع بأنك تمسك سمكة ميتة. ارتعشت إريكا وكبحت رغبتها في الذهاب لمسح يدها.

- أي بطن! هل تحملين هناك توأمين أم ماذا؟

لم تكن إريكا تحب بتاتاً أن تشهد التعليق على جسمها بذلك النحو، لكنها أدرت في نهاية المطاف بأنَّ الحمل يدع لأي كان المجال مفتوحاً لإبداء الرأي في خلقتها والربت على بطنها بطريقة مألوفة تزيد عن الحدّ، بل حدث أنّ ناساً لا تعرفهم بتاتاً دنوا منها ووضعوا أيديهم على بطنها بلا أدب. استعدّت لذلك، وبالفعل لم يتأخر كوني في القيام بالأمر نفسه.

- أووه، لديكِ هنا لاعب كرة قدم! بضربات قدمٍ مثل هذه، بالتأكيد أنه صبي. تعالوا يا صغار تلمَّسوا ذلك!

لم تقوَ إريكا على الاحتجاج، إذ هجم عليها فوراً زوجان من الأيدي ملطّخة بالمثلجات التي وسخت سترة الحمل البيضاء القصيرة. ولحسن الحظ فإنّ ليزا وفكتور، اللذان يبلغان ست وثماني سنوات على التوالي، انشغلا بسرعة عن الأمر.

- وما رأي الأب المحظوظ؟ إنه يعدّ الأيام، أليس كذلك؟

لم ينتظر كوني الجواب، لأن الحوارات ليست مجاله المفضَّل.

- أي نعم، يا للعجب، أتذكر حينما قدم الصغيران إلى هذا

العالم. إنها تجربة فريدة، لكن قولي له بأنْ لا ينظر إلى حيث يقع الأمر. إنّ ذلك يُفقدك كل شهية لمدة طويلة بعد ذلك.

كَرْكَرَ ثم وَكَز بريتا بمرفقه. أجابت بنظرة قاطعة. أدركت إريكا أنّ النهار سوف يطول. ليت باتريك يعود في ساعة معقولة!

طرق باتريك باب مارتن بلطف. كان يحسده قليلاً على النظام الذي يعمّ المكان. كان ظَهْر مكتبه نظيفاً جداً بحيث يمكن استعماله طاولة لإجراء العمليات.

- هل من تقدُّم؟ أتوصلت إلى شيء ما؟

سحنة مارتن المشبطة أخبرته قبل أن يهزّ رأسه. تبّاً إذن. الأكثر أهمية بالنسبة إلى التحقيق، وعلى الفور، هو التوصل إلى تحديد هوية المرأة. في مكان ما، هناك أناس قلقون بشأنها. هناك بالتأكيد شخص ما في مكان ما يفتقدها!

- وأنت؟ هل وجدت ما كنتَ تبحث عنه؟

أشار مارتن برأسه إلى الملف الذي كان باتريك يمسكه بيده.

- أظنّ ذلك، أجل.

سحب كرسياً وجلس إلى جانب مارتن:

- انظر إلى هذا امرأتان اختفتا من فيالباكا نهاية السبعينيات، لا أدري ماذا وقع كي لا أتذكر ذلك على الفور، كان ذلك على الصفحات الأولى للجرائد. على أيّ حال، لقد وجدت الملفات المتبقية من التحقيق.

كان الملف الذي وضعه على المكتب ملطخاً بالغبار حقيقة، ورأى باتريك من خلال يد مارتن المرتبكة أنّ ذلك يثيره لمسحه. نظرة ملحّة هدّأت على الفور من حماسه الزائد للنظافة. فتح باتريك الملف وأشار إلى الصور الموضوعة على سبيل التقديم.

- هذه، إنها **سِيفْ لانْتان**، اختفت يوم عيد القديس يوحنا 1979. كان عمرها تسع عشرة سنة. الفتاة الأخرى اسمها **مونا تيرنبلاد**، اختفت خمسة عشر يوماً من بعد ذلك، كان عمرها ثماني عشرة سنة. لم يتمّ العثور على أيٍّ منهما، رغم حملة كبيرة من التمشيط، والرجال - الضفادع، وكل الأمور الأخرى. لقد وجدوا دراجة سيف الهوائية في حفيرة، ذلك كل شيء. ومن حاجيات مونا، عثروا على حذاء فحسب.

- أجل، الآن بعد قولك ذلك، يبدو لي أني سمعت بالأمر. كان هناك مشتبه به، أليس كذلك؟

- تصفّح باتريك أوراق التحقيق المصفرّة ثم وضع أصبعه على اسم مرقون بالآلة.

- جوهانس هولت. تصوّر، إن أخاه، **غابرييل هولت**، هو مَن طلب الشرطة ليُخبر بأنه رآه صحبة سيف لانتان على طريق ضيعته في **بْرَاكْ**، الليلة التي اختفت فيها عن الأنظار.

- هل تمّ أخذ المعلومة على محمل الجد؟ أقصد، أن يبلّغ المرء عن أخيه بصفته مشتبهاً به في جريمة قتل، ثمة أمور كثيرة وراء مثل هذا الفعل.

- إنّ رحى الحرب تدور وسط عائلة هولت منذ سنوات طويلة، والجميع على علم بالأمر. في اعتقادي، لقد تمّ استقبال تصريحات غابرييل بشيء من الارتياب، لكن كان لا بد من إجراء تحقيق مهما كانت الأحوال. تمّ استجواب جوهانس مرّتين، إلا أنه لم يوجد أيّ دليل ما عدا تصريحات أخيه. تصريح وتصريح مضادّ هكذا كان. وتمّ الإفراج عنه.

- أين هو اليوم؟

- لست متأكداً، أعتقد أنّ جوهانس هولت انتحر فترة قليلة بعد

ذلك. اللعنة، كان لا بد أن تكون معنا أنيكا هنا والآن. لكانت قادرة على تحديث الملف في لمح البصر. إنّ ما لدينا هنا أقل من هزيل.

- يبدو أنك متأكّد بما يكفي من أن الهيكلان الآدميان يعودان إلى سيف ومونا؟

- متأكد، كلمة مبالغ فيها، أنا أعتمد على ما هو راجح. لدينا امرأتان اختفتا في السبعينيات، وإذا بهذين الهيكلين يظهران بغتة يبدو أنهما يرزحان تحت ثقل السنين. كم لدينا من احتمال، في رأيك، ليكون الأمر مجرد صدفة؟ لست متأكداً، لا، ولن يكون لنا ذلك إلا حينما يفصل الطبيب الشرعي في الأمر، لكن لا بد لي من العمل على نحوٍ يجعله مُطَّلعاً على هذه المعطيات في أسرع وقت.

نظر باتريك إلى ساعة معصمه.

- اللعنة، يجب عليّ الإسراع، لقد تعهدت بالعودة باكراً اليوم. ابن عم إريكا قادم، وينبغي الذهاب لشراء الجمبري وبعض الحاجيات لهذا المساء. هل بإمكانك بعث هذه المعلومات إلى الطبيب الشرعي؟ أوضح الأمور مع إرنست عند عودته إنْ عثر على شيء ذي قيمة.

صدمته الحرارة كما لو أنه اصطدم بجدار حينما غادر مقرّ البلدية، ثم اتجه نحو سيارته يحث الخطى للوصول بسرعة إلى مكان مبرَّد. إذا كانت الحرارة تمتحنه بقسوة، فهو كان يتخيل بسهولة مدى شدة وطأتها على إريكا، الحبيبة المسكينة.

لا داعي لاستقبال زوار الآن بالتحديد، لكنه كان يتفهَّم الصعوبة التي تلاقيها في قول كلمة «لا»، ومع ذلك فإن أسرة فْلُودْ ستغادر في اليوم الموالي. وبهذا سيضيّعان ليلة واحدة فحسب. ضبط المكيّف على حدّه الأقصى وتوجَّه رأساً نحو فيالباكا.

- هل تحدَّثت مع ليندا؟

لفَّت ليني يديها بعصبية. كانت تلك حركةٍ دأبَ على مقتها.

- ليس هناك ما يستحقّ الذكر. ما عليها إلا فعل ما طُلِب منها.

لم يرفع غابرييل عينيه حتى، وواصل بهدوء عمله. كانت نبرته تضع حدّاً لكلّ شيء، لكن ليني لم تكن تلزم الصمت بسهولة. للأسف. كم تمنى منذ سنوات كثيرة خلت أن تلزم زوجته الصمت بدل الكلام، إلا أن ذلك أمرٌ أشبه بالمعجزة، نظراً إلى شخصيتها.

فيما يخصّه، كان غابرييل هوت محاسباً من قمة رأسه إلى أخمص قدميه. كان يحبّ مقارنة الاعتمادات والديون للوصول إلى توازن في نهاية السنة، وكان يمقت بحرارة كلّ ما يمتّ إلى المشاعر بصلة ولا ينتمي إلى المنطق. كان الوضوح عقيدته، ورغم حرارة الصيف، كان بالبدلة والقميص، بالطبع المصنوعين من قماش خفيف، لكنهما رسميان جداً. خصلات شعره الكستنائي أضحت قليلة، كان يمشّطها إلى الخلف ولم يكن يحاول بالتأكيد إخفاء الجانب الأصلع من فروة رأسه. وفوق هذا وذاك، كانت النظارتان المدورتان المستقرتان بشكل دائم على أرنبته تسمحان له بإلقاء نظرة استعلاء على مخاطبه من خلف الإطار. الحسابات الجيدة تصنع الأصدقاء الجيدين، كان ذلك هو الشعار الذي يعتمده كقاعدة للعيش وفي الحقيقة كان بودّه لو أنّ لمحيطه الفلسفة ذاتها. وبدل ذلك، يبدو وكأنهم يستنفدون كلّ جهدهم وطاقتهم لزعزعة توازنه الكامل وجعل حياته متعبة. كم سيكون كل شيء بسيطاً لو اتَّبعوا نصائحه بدل الانصراف إلى اقتراف الحماقات بمحض إرادتهم.

الشاغل الأساسي هذه اللحظة في حياته كان هو ابنته. لم يكن جاكوب على أيّ حال صعب المراس إلى هذا الحدّ مثلها لما كان مراهقاً! في تصور غابرييل، كانت الفتيات أكثر هدوءاً وإذعاناً من

الفتيان. بينما هم الآن يجدون أنفسهم أمام مسخ يقول أسود حينما يقولون أبيض والذي يقوم عامة بكلّ ما في وسعه كي يفسد حياة أبيه. وهذه النزوة السخيفة لتصبح عارضة أزياء، لا أمل في ذلك. ليندا، من المؤكد أنها جذابة، إلا أنها للأسف تفكر مثل أمها ولن تقاوم لأكثر من ساعة في عالم الموضة الذي لا يرحم.

- لقد سبق لنا أن تحدثنا في هذا الشأن، يا ليني، ولم أغير موقفي منذ ذلك الحين. من غير الوارد أن تذهب ليندا كي تأخذ لها صوراً عند فوتوغرافي مشبوه يريد رؤيتها عارية. سوف تتابع ليندا دراستها للحصول على عمل، لا رجعة في ذلك.

- أجل، لكن ستبلغ ثماني عشرة سنة في غضون سنة وإذّاك سوف تصنع ما تريد. من الأفضل مساندتها الآن، مع ذلك، بدل المجازفة برؤيتها تختفي حقيقة السنة المقبلة، ألا تعتقد ذلك؟

- ليندا تعرف من أين يأتي المال، وأستبعد كثيراً أن تختفي دون أن تطمئن إلى أن النبع لا يزال جارياً. وإذا تابعت دراستها، فذلك ما سيحدث بالضبط. لقد تعهّدت بأن أمنحها المال كل شهر شرط أن لا تتوقف بعد الجامعة، وهذا عهدٌ عليّ أنوي الوفاء به. والآن لا أريد أن أسمع كلاماً في هذا الشأن.

استمرت ليني في لَوْيِ يديها، لكنها كانت تعرف الإقرار حينما تنهزم، وخرجت من مكتب العمل، وكتفاها مرتخيتان. أغلقت الأبواب خلفها بلطف وأطلق غابرييل زفرة ارتياح. هذا الاجترار يرهق أعصابه. منذ كل تلك السنوات، المفروض أنها تعرفه بما يكفي لتعلم أنه لم يكن بالشخص الذي يغيّر رأيه بعد أخذ قراره.

استعاد رضاه وسكينته ما إن استطاع العودة إلى كتاباته. فالبرامج المعلوماتية في المحاسبة لم تستهوه أبداً، كان يحبّ التوفّر على دفتر كبير مفتوح نصب عينيه، بأعداد مسطّرة بدقّة يجمعها أسفل

كل صفحة. حينما انتهى، استلقى إلى الخلف. ذاك، هو العالم الذي يتحكم فيه.

للحظة تساءل باتريك عمّا إذا كان قد أخطأ العنوان. ذلك ليس بأيِّ حال بيته الهادئ والساكن الذي غادره الصباح ذاته. كان مستوى الصوت يفوق المسموح به في أغلب أماكن العمل، ويخيل للمرء أن أحداً رمى فيه بقنبلة يدوية. كانت حاجيات ليست في ملكه مبعثرة في كلّ الأنحاء، وكانت تبدو موجودات الحجرة وكأنها نقلت من مكانها. وبالنظر إلى محيا إريكا فقد كان ينبغي عليه من دون شك العودة قبل ذلك الأوان بساعة على الأقل.

أذهله الأمر، عدَّ طفلين فحسب، وراشدين، وتساءل كيف أمكنهم وحدهم التسبُّب في كلّ ذلك الضجيج الجدير بدار للحضانة. كان التلفاز مشغَّلاً، وقناة ديزني تصرخ بأعلى صوتها. كان طفل صغير يركض خلف طفلة أصغر بكثير ويهدِّدها بمسدس مائي. كان والدا المشاغبين يجلسان بهدوء في الشرفة المقصورة، وجَّه رجلٌ ضخم البنية إشارات مرحة لباتريك، لكنه لم يتكلَّف عناء القيام، فذلك كان سيدفعه للتخلي عن طبق الحلوى المنصوب فوق المائدة.

انصرف باتريك للالتحاق بإريكا في المطبخ، وانهارت بين ذراعيه.

- خذني بعيداً عن هنا. لعلّي اقترفت خطيئة لا تغتفر في حياة سابقة كي أعاقب على هذا النحو. هذان الصبيان ليسا من جنس البشر، إنهما شيطانان متنكران، وكوني - إنه كوني. زوجته لم تنطق بكلمة واحدة تقريباً، ويبدو أنها ساخطة إلى درجة من الغليان يصير معها الحليب خاثراً. النجدة، يجب أن يغادروا بسرعة!

لمواساتها ربَّتَ على ظهرها، كانت سُترتها مبللة.

- هيا، خذي حماماً على رِسلك، سوف أهتم بالضيوف بعض الوقت. إنك تتصببين عرقاً.

- شكراً، يا لك من ملاك. لا يزال هناك بعض القهوة. ذاك فنجانهما الثالث، لكن كُونِي ألمحَ إلى استعداده لشرب شيء أشد مذاقاً. يمكنك التحقق ممّا لدينا من كحول.

- سوف أهتم بذلك، يا حبيبتي، هيا انصرفي، قبل أن أغير رأيي.

وتلقى منها قبلة امتنان.

- أريد مثلجات.

كان فيكتور قد جاء ليندسّ خلف باتريك بالضبط ومهدداً إياه بمسدس مائي.

- معذرة، ليس لدينا مثلجات.

- ما عليك سوى الذهاب لشرائها.

إنّ سحنة الصبي الوقحة جعلت باتريك يخرج عن طوعه، لكنه سعى جهد المستطاع كي يبدو لطيفاً، وقال بما أمكنه من المودة:

- لا، بكل تأكيد لا، هناك حلوى فوق المائدة، ذلك يبدو كافياً.

- أريد مثلجاااات!!! كان الصبي يصرخ ويخبط الأرض برجليه، ووجهه مُحْمَرّ.

- لقد قلت لك، ليس لدينا مثلجات هنا، كان صبر باتريك على وشك النفاد.

- مثلجات، مثلجات، مثلجات، مثلجات.

لم يكن فيكتور يستسلم بسهولة، لكن عينا باتريك كانت تظهر أنّ الأمر تجاوز الحدّ لأن الصبي خرس وتراجع ببطء إلى خارج

المطبخ، ثم ركض وهو يجهش بالبكاء للالتحاق بوالديه اللذان لم يعيرا أدنى اهتمام للضجيج الذي عمَّ المطبخ.

- باباااا، السيد غير لطيف، أريد مثلجات!

حاول باتريك التغافل وانصرف للسلام على زائريه محضراً معه القهوة. نهض كُونِي، مدّ يده مصافحاً، وكان من حقّ باتريك هو أيضاً قبضة كفّ بريتا الباردة والندية.

- إن فيكتور يمرّ من مرحلة يجرب فيها حدود إرادته، لا نريد قهر نموّه الشخصي. ندعه كي يجد وحده الحدّ الفاصل بين أمانيه وأماني محيطه.

نظرت بريتا إلى طفلها بعطفٍ وتَذَكَّر باتريك على نحو غامض أن إريكا أخبرته بأنها عالمة نفسية. إذا كان ذلك هو تصورها لتربية طفل، فإن الصغير فكتور سوف يكون في حاجة ماسَّة إلى هذه الهيئة المهنية حينما يكبر. لم يبدُ على كوني بأنه انتبه لما حدث، وأخرس الطفل بأنْ قام بكلّ بساطة وأدخل قطعة من الحلوى في فمه. وبالنظر إلى خلقة الطفل المكتنزة، من الظاهر أنّ هذا هو النهج المتبع معه في الغالب. وكان باتريك مرغماً على الإقرار بأنها كانت وسيلة ناجعة ومغرية بكلّ بساطتها.

عادت إريكا، مستحمة ومسترخية أكثر، بالضبط حينما انتهى باتريك من إعداد المائدة، وقد تيسر له أيضاً الوقت للذهاب من أجل إحضار قطع بيتزا للصغيرين، بعد أن توصّل بكثير من الفطنة إلى أن تلك الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الوجبة من كارثة محقّقة شاملة.

أخذ الجميع مكانه وكانت إريكا تهم بأن تفتح فمها قائلة «شهية طيبة، تفضلوا» حينما أغرق كوني يديه الاثنتين في طبق كبير من الجمبري. قبضة، قبضتان، فثلاث قبضات كبيرة حطَّتْ على صحنه، ولم يترك منه ولا حتى النصف.

- ما ألذّه، أحبّ هذا ‌ هاهنا، سوف ترون من يجيد أكل الجمبري.

ضرب كوني بطنه بزهوّ وهجم على جبل القشريات الصغيرة. أما باتريك الذي قدَّم الكيلوغرامين بأكملهما، اللذين اشتراهما بسعر مرتفع، فقد زفر واكتفى بحفنة صغيرة جداً. وحذت إريكا حذوه، وأسنانها مكزوزة، ثم ناولت الطبق لبريتا التي أخذت لنفسها ما تبقى بسحنة عابسة.

بعد العشاء الفاشل، أعدت إريكا وباتريك حجرة الضيوف وانسحبا فوراً، معتذرين بأنّ إريكا في حاجة إلى الراحة. دلّ باتريك كوني على مكان وجود الويسكي، ثم صعد، منشرح الصدر، إلى حيث يعمّ الهدوء بالطابق الأول.

وبعد أن استويا على الفراش، حكى باتريك نهاره. منذ أمدٍ بعيد تخلى عن كلّ محاولة لإخفاء أسرار انشغالاته بصفته مفتِّش شرطة، لكنه كان يعلم أيضاً بأن إريكا لا تتحدث لأحدٍ بما يُسِرُّه لها ‌ ولما وصل إلى حادث المرأتين المفقودتين رآها تصيخ له السمع.

- أعرف أني قرأت في السابق أشياء بهذا الخصوص. وتظنون أنهما تانك المرأتان؟

- أنا متأكد بما في الكفاية. وإلّا فهي مصادفة كبيرة جداً. ما إن نتوصّل بتقرير الطبيب الشرعي، نستطيع بدء التحقيق بالفعل، لكن في انتظار ذلك، نحن مرغمون على ترك كلّ السبل الممكنة مفتوحة.

- ألا تحتاج إلى المساعدة من أجل الذهاب للنبش في وثائق تلك الفترة؟

استدارت صوبه، متحمِّسة بشدة، وقد ميَّز الحماسة في عينيها

- لا، لا، لا هدِّئي من روعك، أنت. لا تنسي أنك في رخصة مرضية.

- أجل، لكن الضغط الدموي كان عادياً عندي أثناء الفحص الأخير. وإني أفقد صوابي بالمكوث من دون فعل أي شيء هنا بالبيت، بل إني لم أستطِع حتى العودة إلى الكتابة.

إن الكتاب حول ألكسندرا وِيجْكْنِرْ التي وُجِدت ميتة في حوض حمام مجمد قد عرف نجاحاً تجارياً كبيراً أدى إلى عقدٍ آخر لكتاب جديد يعتمد جريمة قتل حقيقية. لقد تطلَّب الكتاب التزاماً هائلاً من قِبل إريكا، إنْ على المستوى المهني أو العاطفي، ومنذ أنْ تمّ إرسال المخطوط إلى الناشر، شهر أيار/ مايو، لم تجد القوة لمباشرة مشروع جديد. وجاء ضغط دموي مرتفع جداً ورخصة مرضية لتتويج كلّ ذلك وقد خضعت لانتظار ولادة الطفل قبل الشروع في أي جديد كان. لم يكن من طبعها البقاء في البيت لا تفعل شيئاً

- لا، لكن أنصِتْ إليّ، أنيكا في عطلة، لن تستطيع القيام بذلك. وهذا النوع من الأبحاث ليس بالسهولة التي قد يعتقدها البعض. يجب أن يعرف المرء الموضع حيث يبحث، هذا أمرٌ أنا أعرفه. دعني مع ذلك ألقي نظرة صغيرة.

- لا، هذا غير وارد. بقليل من الحظ، كُونِي وعصابته سيغادرون غداً صباحاً، وبعد ذلك، سوف ترتاحين، أسمعت! والآن تصمتين، لأني سوف أتحدث مع الطفل قليلاً علينا وضع الخطوط العريضة لمساره بصفته لاعب كرة قدم.

- ربما هي طفلة.

- اتفقنا، إذن لننقل مسارها كمحترفة غولف. في الوقت الراهن، ليس هناك ما قد يجنيه المرء من مال في كرة القدم النسائية.

زفرت إريكا، لكنها استلقت بوداعة على ظهرها لتسهيل التواصل.

- ألا يتنبهون لشيء حينما تغادرين من دون إذنهم؟

كان جوهان مستلقياً إلى جوار ليندا ويدغدغ وجهها بعودٍ من القش.

- لا، لأن جاكوب يثق فيّ، هل تدري. غضّنت جبينها وقلّدت نبرة أخيها. إنه شيء استقاه من كل تداريبه خلق - تواصل - طيب - مع - الشبان. الأدهى من ذلك هو أن غالبية الشبان يبدو عليهم مسايرة ذلك بإخلاص، جاكوب بمثابة إلههم، لكن عندما يكون المرء قد شبَّ من دون أب، فإنه يقبل أياً كان فيما بعد. تَوَقَّف!

بحركة منزعجة أبعدِت عود جوهان.

- ماذا، أنا أغيظك فحسب.

رأت أنه قد جُرِح، أكبّت عليه وقبلته كي يسامحها. ليس اليوم يومها. لقد طَمِثَتْ هذا الصباح، ولن تستطيع مضاجعة جوهان طول أسبوع، ثم لقد طفح الكيل بالنسبة لها من العيش مع أخيها المثالي وزوجته المثالية بدورها.

- آه، ليت السنة تنقضي بسرعة، حتى يتسنى لي الخلاص من هذا المكان الملعون!

كانا مكرَهَين على الحديث وشوشة كي لا يتمّ كشفهما في مخبئهما بعِلّيَة التبن، لكنها خبطت الألواح بقبضتها للتأكيد على كلماتها.

- هل أنتِ مستعجلة للتخلي عني هنا أيضاً، أم ماذا؟

عضّت لسانها لمّا رأت سحنة جوهان المتكدِّرة. إذا وصلت إلى العالم الراقي، لن تنظر عيناها أبداً إلى شخص مثله، لكن طالما

ظلّت هنا، فهو يفي بالغرض، على سبيل التسلية لا أكثر، لكن لا داعي لأن يفطن للأمر. تكوّرت مثل قطيط يستجدي عناقاً والتصقت به. لم يتفاعل، أمسكَت ذراعه وسوَّرَت بها جسدها. وكما لو أنها تحركت بإرادتها، شرعت أصابع جوهان تتجول فوقها وضحكت في قرارة نفسها. الرجال يسهل كثيراً التلاعب بهم.

- ماذا لو أتيتَ معي؟

قالت ذلك وهي تعلم علم اليقين بأنه لن يستطيع أبداً الانفصال عن فيالباكا، وللدقّة أكثر عن أخيه.

تفادى الردّ عن السؤال. قال فحسب:

- هل تحدّثت عن ذلك مع أبيك، في النهاية؟ ماذا يقول؟

- ماذا تتوقع أن يقول؟ أنا تحت نفوذه لسنة أخرى، لكن ما إن أبلغ الثامنة عشرة من العمر، لن يكون أمامه سوى غلق فمه. وهذا يجعله يجنّ جنونه. أحياناً أشعر كأنه يريد لو استطاع تسجيلنا في دفاتر حساباته الداعرة. جاكوب، اعتمادات، ليندا، ديون.

- ما المقصود، اعتمادات، ديون؟

ضحكت ليندا من سؤاله.

- إنها مصطلحات المحاسبة، لا تشغل بالك.

- أتساءل كيف كانت ستجري الأمور لو أني. لم تكن عينا جوهان تريان شيئاً حينما ركّز نظره في مكان ما خلفها، في الوقت ذاته الذي كان يلوك فيه عود القش.

- بخصوص ماذا؟

- لو أن والدي لم يخسر ماله كله. تصوري، كنا نحن من سيسكن المزرعة إذن، ولكنتِ أنت وأبويك سترغمون على العيش في بيت الحارس المِلْك الغابوي.

- وددتُ لو رأيتُ ذلك. ماما وهي مكرَهَة على العيش من تَسَوُّل الصدقات. في أشدّ حالات العوز والافتقار.

رمت ليندا رأسها إلى الخلف وضحكت بحرارة وقد اضطر جوهان لإسكاتها حتى لا يصل الصوت إلى غاية منزل جاكوب وبريتا الذي كان على مرمى حجر من الحظيرة.

- ربما كان والدي قد بقي على قيد الحياة إلى غاية اليوم. وبالتالي لما ظلَّت أمي تحملق في ألبومات صورها الملعونة طول النهار.

- ليس بسبب المال كان أن أقدم على.

- إنك لا تعرفين شيئاً عن ذلك. وما يدريك، أنت، بدوافعه؟

علا صوته وأصبح صاخباً

- الجميع يعلم ذلك.

لم تكن ليندا تحبِّذ المجرى الذي اتخذه الحديث ولم تتجرأ على التحديق في عيني جوهان. إن الحرب العائلية وكلّ ما يتصل بها كان إلى حدّ الآن موضوعاً محرَّماً، وكأن الأمر يخضع لاتفاق مضمر.

- يعتقد الجميع أنه على علم، لكن لا أحد يعرف شيئاً أخوك الذي يسكن يقيم في ضيعتنا، ذلك أمر يصعب استساغته!

ما وقع قد وقع. وذلك ليس ذنب جاكوب. إنّ جدي هو من وهبه المزرعة، ثم إنه كان دائماً من أول المدافعين عن جوهانس.

وجدَت من الغريب أنها تدافع عن أخيها الذي كانت، بصفة عامة، تجهد في تشويه سمعته، لكن هاهنا، كان صوت القرابة الدموية هو الذي يتكلم.

كان جوهان يعلم أنها على حق، فانطفأ غضبه. بكلّ بساطة،

أحياناً كان يؤلمه كثيراً أن تتحدث ليندا عن أسرتها، لأن ذلك يذكّره بما أضاعه هو. لم يكن يجرؤ على البوح لها بذلك، إلا أنه كان يجدها في الغالب جاحدة للمعروف بما يكفي. هي وأسرتها، كانوا يمتلكون كل شيء، بينما أسرته هو لا تملك شيئاً. وذلك ظلم كبير!

في الوقت نفسه، كان يغفر لها كل شيء. لم يسبق له أن أحبّ شخصاً بتلك الدرجة من الوله، ووحدها رؤية جسدها الممشوق جنبه كانت تلهب مشاعره. أحياناً، كان يستعصي عليه تصديق أن فتاة مثلها تريد إضاعة وقتها صحبته، لكنه كان يتمتع بما يكفي من الذكاء كي لا يهدر طاقته في الشك في حسن نيتها لا، كان يسعى لتجاهل المستقبل والاستمتاع بالحاضر. جرَّها بالقرب منه وأغمض عينيه وهو يستنشق طيب شعرها. فكّ الزر الأول في سربالها «الجينز»، إلا أنها أوقفته.

- لا أستطيع، أنا حائض. دعني أفعل.

فتحت سربال جوهان ثم استلقى على الظهر. من خلف جفنيه المغمضين، عبرت السماء في ومضة.

لقد عثر على جثة المرأة الشابة يوماً من ذي قبل فحسب، لكن الاستعجال كان يحيِّر باتريك مسبقاً في مكان ما، هناك شخص يتساءل أين هي. من يتساءل، ينشغل ويترك أفكاره تسبح في دروب حيرى أكثر فأكثر. والمرعب، هو أنه في الوقت الراهن، أقصى ما يخشى قد تمّ تأكيده. وفوق كل شيء، كان يريد معرفة مَن تكون تلك المرأة، حتى يستطيع إخبار أولئك الذين يحبونها ليس هناك أسوأ من انعدام اليقين، ولا حتى الموت. إنّ العزاء لا يمكن أن يبدأ قبل أن يعرف مَن يتم البكاء عليه. ذهنياً كان باتريك قد تقمَّص مسبقاً مهمة إخبارهم بالنبأ لن يكون ذلك سهلاً، لكنه كان يعلم أنّ جزءاً

مهماً من عمله، يتمثل في التخفيف من الحزن وفي تقديم الدعم، لكن، في الأخص، معرفة ما حصل لتلك التي يحبون.

ومن المفارقة أن المكالمات الهاتفية التي أجراها مارتن يوماً من ذي قبل قد جعلت عملية تحديد الهوية أكثر صعوبة. لم يسبق أن تمّ التبليغ عن اختفائها في أيِّ مكان من القطاع القريب ونتيجة ذلك فإنّ مجال البحث اتّسع ليشمل السويد بأكملها، وحتى الخارج ربما. للحظة بدت له المهمة مستحيلة، لكنه أزاح بسرعة هذه الفكرة. في هذا الأوان، كانا المدافعَين الوحيدين عن هذه المرأة المجهولة.

قرع مارتن الباب برفق.

- كيف تريد أن أواصل؟ أن أوسّع دائرة البحث، أو أن أبتدئ بالمناطق الأمنية في المدن الكبرى أو. ؟ رفع حاجبيه وكتفيه دلالة على الاستفهام.

شعر باتريك فجأة بثقل مسؤولية التحقيق. في العمق، لا شيء يبرِّر هذه الوجهة أكثر من تلك، لكن كان لا بد من أن يبدأ من مكانٍ ما.

- تحقَّق من المناطق الأمنية بالمدن الكبرى، بغوتبرغ، قد تمّ فعل ذلك، إذن انتقل إلى ستوكهولم ومالمو. المفروض أنه لن يتأخر وصول التقرير الأول من مصلحة الطبّ الشرعي وبقليل من الحظ قد يبعثون لنا بشيء ذي قيمة.

- حسناً.

غادر مارتن الحجرة وتوجّه صوب مكتبه. جعله جرس الاستقبال يدور على عقبيه فذهب يفتح الباب لزائر. عادة كانت تلك مهمة أنيكا، لكن في غيابها، يتكلف الجميع بالأمر.

بدت الفتاة قلقة. كانت سقيمة، بجديلتين شقراوين اثنتين وحقيبة ظهر ضخمة.

- I want to speak to someone in charge[1]

كانت تتكلم الإنجليزية بلكنة ظاهرة وقد راهن بأنها كانت ألمانية. أشار لها مارتن بالدخول. ثم نادى في اتجاه الممرّ:

- باتريك، لديك زيارة.

فات الأوان، حدَّث نفسه بأنه كان عليه ربما السؤال أولاً عمّا تريد، لكن باتريك كان قد أطلّ مسبقاً برأسه من بابه وكانت الفتاة في طريقها إليه.

- Are you the man in charge?[2]

للحظة، كاد باتريك يحيلها على ميلبرغ، الذي كان من وجهة نظر تقنية الرئيس المباشر، لكنه عدل عن ذلك حينما رأى ملامحها اليائسة وقرَّر أن يعفِيها من تلك التجربة. إنّ إرسال فتاة شابة إلى ميلبرغ أشبه بدفع خروف إلى المِجْزَر وكانت الغلبة لفطرته الطبيعية على الحماية.

- أجل، ماذا أستطيع فعله لأجلك؟ أجاب بالإنجليزية.

دعاها للدخول ودلَّها على الكرسي أمام مكتبه. بسهولة مدهشة أنزلت حقيبة الظهر الضخمة وأسندتها بحِيطةٍ على الجدار.

- My English is very bad. You speak German?[3]

استعرضَ باتريك ذهنياً معرفته القديمة من اللغة الألمانية في المدرسة الثانوية. الجواب مشروط بالتعريف الذي نعطيه لعبارة Speak German. يستطيع طلب جعة وطلب الحساب، لكنه خمَّن أنها ليست هنا لأخذ طلبه.

---

(1) أريد التحدث إلى الشخص المسؤول.
(2) هل أنت الشخص المسؤول؟
(3) لغتي الإنجليزية سيئة للغاية - هل تتكلم الألمانية؟

- قليل من الألمانية، أجاب بمشقّة باللغة الأم للفتاة ولوَّح بيده للدلالة على «شيء من هذا وذاك».

بدا عليها الارتياح وتكلّمت بتؤدة وبيان في النطق كي تتيح له الفرصة لفهم مقصدها. وقد دهش لمّا أدرك أنه وإن لم يكن يفهم جميع الكلمات فالسياق كان واضحاً

قدمت نفسها باسم **ليز فورستر**. والظاهر أنها حضرت في السابق إلى المفوضية أسبوعاً من ذي قبل للتبليغ عن اختفاء صديقتها **تانيا** وقد تحدثت إلى مفتش أخبرها أنه سوف يتصل بها حالما يتوصل بأي جديد. الآن، مرَّ أسبوع وهي تنتظر من دون ورود أي أخبار. كانت الحيرة مكتوبة بحروف من نار على وجهها وقد أخذ باتريك على محمل الجدّ ما كانت تقوله.

التقت تانيا وليز على متن القطار في طريقهما إلى السويد. كانتا قادمتين معاً من شمال ألمانيا، لكنهما لا يعرفان بعضهما من قبل. جمع حبل الودّ بينهما بسرعة وكان متبادلاً قالت ليز إنهما كانتا تشعران وكأنهما أختان. لم يكن لدى ليز مشروع محدَّد فيما يخص رحلتها في السويد، لذلك اقترحت عليها تانيا مرافقتها إلى بلدة صغيرة تقع على الساحل الغربي، هي فيالباكا.

- لماذا فيالباكا بالتحديد؟ سألها باتريك بألمانيته المتردِّدة.

تأخر جوابها. كانت تلك هي المسألة الوحيدة التي لم تناقشها تانيا فيه بطريقة جازمة وواضحة، وأقرّت ليز بأنها لم تكن تعرف ذلك جيداً لقد أخبرتها تانيا فحسب بأنّ لديها عمل ستنجزه هناك. وما إنْ يتمّ ذلك، يمكنهما مواصلة رحلتهما عبر السويد، لكن كان يتوجب عليها البحث أولاً عن شيء ما، كانت تقول. بدا الموضوع حساساً، ولم تَزِدْ على سؤالها ذلك. كانت سعيدة فحسب لأنها وجدت رفيقة رحلة، مهما كان السبب الذي بموجبه تريد تانيا الوجود هنالك.

كان قد مرَّ حينها على إقامتهما في مخيم صالفيك بفيالباكا ثلاثة أيام عندما اختفت تانيا كانت قد ذهبت في الصباح قائلة إنّ لديها ما تقوم به خلال النهار وأنها ستعود بعد الظهيرة. تحوَّلت الظهيرة إلى مساء، ثم إلى ليل، وكبُرت حيرة لييز دقيقة بعد أخرى. في صباح اليوم الموالي، سألت في مكتب السياحة عن أقرب مخفر للشرطة، وقيل لها إنه يقع بتانمشيد. انتقلت إليه، تمَّ أخذ بلاغها، والآن تودّ معرفة ما حدث.

ذُهِلَ باتريك. حسب علمه، لم يتوصلوا بأيّ بلاغ عن اختفاء والآن هو يشعر بكتلة ثقيلة تتجمع في قرارة أحشائه. الجواب عن سؤاله حول مواصفات تانيا جاء ليؤكِّد مخاوفه. كلّ ما حكته لييز عن صديقتها يطابق المرأة الشابة بفجوة الملك، وحينما أظهر لها، والقلب حزين، صورة القتيلة، أكَّد نحيب لييز ما خمَّنه من ذي قبل. يستطيع مارتن التوقف عن إجراء مكالماته إلى كلّ الدوائر وهناك مَن سوف يتحمل المسؤولية في أنّ اختفاء تانيا لم يتمّ تبليغه كما يجب. لقد هدروا بلا جدوى ساعات كثيرة ثمينة، ولم يكن لدى باتريك أدنى شك في الوجهة الذي ينبغي اتخاذها للعثور على المذنب.

كان قد انصرف إلى العمل حينما استيقظت إريكا من نوم كان، هذه المرة، عميقاً وخالياً من الأحلام. نظرت إلى ساعة معصمها التاسعة ولا صوت يتناهى من الأسفل.

لحظة بعد ذلك، كانت القهوة في طور الإعداد وشرعت تهيئ مائدة الإفطار لها ولضيوفها حلوا بالمطبخ الواحد تلو الآخر، والنوم لم يفارقهم بعد إلا قليلاً، لكن الحياة دبَّت فيهم بسرعة حينما باشروا الفطور.

- إذن، أنتم ذاهبون بحق إلى كُوسْتِر؟

طرحت إريكا السؤال بقدر ما في ذلك من أدب ومن استعجال للتخلُّص منهم.

تبادل كوني وزوجته نظرة سريعة وقال:

- طيب، بريتا وأنا تحدثنا في الأمر مساء البارحة وقلنا إنه ما دمنا هنا الآن، وما دام الجو صحواً، نود القيام بجولة إلى إحدى جزر الناحية، لقضاء النهار فحسب. أعتقد أن لديكما زورقاً، أليس كذلك؟

- أجل، بالفعل. أقرَّت إريكا على مضض، لكن لست متأكدة من أنّ لباتريك الرغبة في إعارته. وارتجلت بسرعة قائلة: أقصد فيما يخص التأمين وأمور مثل هذه. إنّ فكرة أن يمكثوا أطول مما هو متوقع، ولو لبضع ساعات أخرى، جعلت بدنها يقشعر من الغيظ.

- لكن، كنا نظن أنه ربما تستطيعين نقلنا إلى غاية مكان لطيف، وللعودة نتصل بك عبر الهاتف.

في ذلك الأوان، لم تجد سبيلاً للكلمات، واعتبر **كوني** ذلك موافقة ضمنية. وقد استنجدت إريكا بالقوى الخارقة كي تمدّها بالصبر واقتنعت بأنه لا جدوى من المواجهة مع العائلة حتى تعفي نفسها من قضاء بضع ساعات بصحبتهم فقط. علاوة على ذلك، لن تتحمّل عناء رؤيتهم طول النهار، وبقليل من الحظ، سوف يكونوا قد غادروا عندما يعود باتريك من العمل. لقد سبق أن قرَّرت إعداد شيء مخصّص للعشاء واجتراح سهرة ملازَمة البيت وجهاً لوجه. بعد كل شيء، إن باتريك في عطلة. ومن يدري كم من الوقت سوف يستطيعان تخصيصه لبعضهما حينما سيكون الطفل هنا - من الأفضل انتهاز الفرص قبل ذلك.

حينما انتهت أسرة **فلود** بأكملها من جمع لوازم السباحة،

انطلقوا جميعاً نحو الميناء. الزورق، وهو من نوع سْنِيبَا، صغير، لون خشبه أزرق، كان واطئاً ويصعب الوصول إليه من رصيف **باذهولْمن**، وقد تطلَّب من إريكا الكثير من الليونة الرياضية كي تُنزِل إليه جسمها الممتلئ. وبعدما جابت الأرخبيل لما يقارب الساعة بحثاً عن «صخرة خالية، أو أفضل من ذلك، عن شاطئ» لزوارها، عثرت أخيراً على خليج صغير أخطأه المصطافون الآخرون بمعجزة، ثم عادت أدراجها إلى فيالباكا. لم تكن قادرة على صعود الرصيف لوحدها وقد عرَّضت نفسها للمهانة وطلبت المساعدة من السياح الذين كانوا يمرون من هناك.

مبلَّلة بالعرق، متعبة وغاضبة، سلكت الطريق إلى البيت، لكن بالضبط قبل الوصول إلى نادي رواد الميناء الترفيهي غيَّرت رأيها وانعطفت إلى اليسار بدل مواصلة الطريق رأساً نحو **صالفيك** ثم البيت. دارت إلى اليمين على الطريق التي تلفّ الجبل، مرت أمام الملعب الرياضي والمركب العقاري **كُولِين** ثم أقبلت على ركن السيارة أمام المكتبة. سوف تُصاب بالجنون جراء ملازمتها البيت دون فعل أدنى شيء طول اليوم. لا بأس إن احتجّ باتريك، إنها مقبلة على تقديم يد المساعدة له في أبحاثه، سواء أراد ذلك أم لم يرد!

حينما وصل إلى المفوضية، ذهب إرنست إلى مكتب هيدشتروم بكثير من الخشية. لقد نادى عليه باتريك عبر هاتفه المحمول، وأمره بلهجة لا تقبل الردّ، بالحضور فوراً إلى المركز، وقد أدرك بسرعة أنّ هناك خطرٌ داهمٌ إن لم يتصرّف، نبش في ذاكرته سعياً للعثور عمّا صدر عنه من سوء عمل، لكنه اضطرّ للاقتناع بأنّ نطاق خطاياه كان واسعاً بإفراط. وفي الحقيقة، كان بارعاً في الطرق المختصرة وارتقى بالغشّ إلى مرتبة الفن. امتثل طوعاً لأمر باتريك وأظهر وجهاً وقحاً

للاحتماء من العاصفة القادمة. - ما الأمر العاجل لهذا الحدّ، اللعنة؟ كنتُ في غمرة قضية وليس لأنّ مسؤولية التحقيق آلت إليك مؤقتاً، فإنك ستسمح لنفسك بتوجيه الأوامر إليّ على هذا النحو. الهجوم كان أحسن وسيلة للدفاع، لكن بالنظر إلى سحنة باتريك الكالحة أكثر فأكثر، فإن ذلك لم يكن هو التكتيك المناسب في الوقت الراهن.

- هل قمتَ بضبط بلاغ يخصّ اختفاء سائحة ألمانية منذ أسبوع مضى؟

اللعنة، لقد نسيَ ذلك. كانت الفتاة الشقراء الصغيرة قد وصلت بالتحديد قبل وقت الغذاء وقد تصرَّف بكل بساطة على نحوٍ جعله يتخلَّص منها حتى يتمكَّن من الانصراف للأكل. في أغلب الأحيان، لا طائل من تلك التقارير المتعلقة بصديقات فقد أثرهن. بصفة عامة، كان يتمّ العثور عليهن مرميات في حفرة ما شبه موتى، سكرانات طافحات، أو قد رجعن مع شخص ما اللعنة العاهرة. كان يعلم أنه سيؤدي ثمن ذلك. غريب أنه لم يجد صلة بالفتاة التي عثروا عليها البارحة، لكن، حسناً، من السهل أن يكون المرء نافذ الذهن بعدئذٍ. الآن يجب التخفيف من الخسائر.

- نعم، أجل، أجل، يبدو لي ذلك، نعم.

- يبدو لك أنْ أجَل؟

دوَّى صوت باتريك في الحجرة الصغيرة وكأنه صوتٌ جهوري، وهو في العادة هادئ.

- إما أنك سجَّلت البلاغ، وإما أنك لم تفعل. ليس هناك أمر وسط. وإذا كنت قد سجَّلت البلاغ، أين حشرته؟ هل تقدِّر الوقت الذي أضعته على التحقيق؟

كان باتريك غاضباً إلى حدٍّ كاد معه يتلعثم في الكلام.

- أجل، بالتأكيد، إنّ ذلك محزن، لكن كيف لي أن أعرف.

- ليس مطلوباً منك أن تعرف، كل ما عليك فعله، هو القيام بعملك على أحسن وجه! أتمنى أن لا يتكرر أبداً هذا الأمر مرة أخرى. والآن علينا تعويض تلك الساعات الثمينة الضائعة.

- هل هناك ما أستطيع.

جعل إرنست صوته خافتاً قدر الإمكان وأظهر عليه الندم. ومن الداخل، كان يزمجر لأنّ فتى وضعه في مكانه الذي يستحقه، لكن ما دام يبدو أن هيدشتروم يحظى بثقة ميلبرغ فمن السذاجة تعقيد الأمور أكثر.

- لقد صنعت ما فيه الكفاية هكذا. سوف أواصل التحقيق صحبة مارتن. وتتكلف أنت بالقضايا الجارية. لدينا بلاغٌ عن سرقة بـ سْكَيْبْسْتاذْ. لقد حدَّثْت ميلبرغ في الأمر، وقد أعطى الضوء الأخضر بأن تذهب وحدك.

وللإشارة بأن اللقاء انتهى، أدار باتريك ظهره لإرنست وأخذ ينقر بجنون على لوحة المفاتيح.

انصرف إرنست وهو يزمجر. مهما يكن الأمر، إنه لا يستحق كلّ ذلك التهويل، إنْ هو نسِيَ كتابة تقرير صغير. حينما تُتاح له الفرصة، سوف يكلِّم ميلبرغ عن الحكمة في تقليد مسؤولية التحقيق في جريمة قتل لشخص هو بذلك المزاج المضطرب. أجل، اللعنة، إنه لن يفلت من ذلك.

كان الفتى ذي الوجه البَشِر يمثِّل حالة خمول تستحقّ الدرس. لقد تمّ تلقينه عبثية الوجود منذ أمدٍ بعيد وكان الإحباط مرسوماً على

وجهه. إنَّ جاكوب يعرف علامات ذلك ولم يكن يجد مانعاً من اعتبار أنَّ في ذلك نوع من التحدي. كانت لديه القدرة على توجيه حياة ذلك الفتى على نحوٍ مختلف، لكن إذا ما رغب هذا الأخير حقاً في أن يتمّ إرجاعه إلى جادّة الصواب.

داخل المجمع، كان عمل جاكوب مع الشبان معروفاً ومحترماً جداً. كثيرة هي الأرواح المنكسرة التي حلت بضيعة الاستقبال لكي تغادرها وهي مواطنة منتجة. إنّ إعانات الدولة كانت تقوم على أسس هشّة وكان هناك سعيٌ للتقليل من المظهر الديني أمام العالم الخارجي. إذ يوجد دوماً مشكّكون على استعداد للصراخ «إنها طائفة» ما إن يخرج أحدٌ عن نظرتهم المتزمّتة للدين.

إنّ أكبر قسط من الاحترام الذي يحظى به نابع مع ذلك من مؤهلاته الشخصية، وإن كان عليه الإقرار بأنَّ من الواجب أيضاً إرجاع الفضل في جزءٍ منه إلى جَدِّه، الذي ليس شخصاً آخر سوى إفرايم هولت «الواعظ». صحيح أنّ جده لم يكن منتمياً لهذه الجماعة بالتحديد، إلّا أنّ شهرتها التي أطبقت آفاق ساحل بُوهُوسْلانْ كان يصل صداها إلى كل تجمعات الكنائس الإصلاحية. والكنيسة السويدية كانت تنظر بالطبع إلى الواعظ على أنه دجّال، لكنها كانت تحظى بجمهور قليل الشيء الذي جعل الجماعات المسيحية الحرة لا تأخذ ذلك في الحسبان على نحو خاص.

إن العمل مع غير المؤهلين والمهمّشين كان يملأ حياة جاكوب لما يقارب عقداً من الزمان، لكنه لم يعُد يمنحه القدر نفسه من الإشباع كما في السابق. لقد ساهم في إنشاء مكان الاستقبال هذا على ساحل إحدى بحيرات بُولارِنْ. إلّا أنّ العمل لم يعُد يملأ الفراغ الذي تعايش معه طول حياته. ينقصه شيء ما، والسعي وراء هذا الـ«شيء ما» المجهول كان يرعبه. هو مَن كان لديه خلال أمدٍ

طويل الانطباع بأنه يقفُ على أرضٍ صلبة، يشعر الآن أنها تهتزّ تحت قدميه بخطورة، وكان مذعوراً عند التفكير في الهاوية التي قد تنفتح وتبتلعه جسداً وروحاً. كم من مرة احتمى بيقينه كي ينبّه، بفطرة سليمة، أنّ الشك هو أوّل أدوات الشيطان، دون أن يتخيل لثانية أنه سيجد نفسه يوماً ما على تلك الحال.

قام وأدار ظهره للمراهق. نظر عبر النافذة المطلّة على البحيرة؛ لكنه لم يرَ سوى انعكاس شخصه في الزجاج. رجلٌ قوي وذو صحة جيدة. شعر كستنائي قصير، ماريتا هي مَن كان يقصّه له وقد كانت تُحسن فعل ذلك حقاً ملامح وجهه التي رُسمت برقّة كانت حساسة من دون أن تكون أنثوية. لم يكن بالنحيل ولا بالعُضّل خاصة، ذو بنية عادية بالأحرى، لكن أكبر ميزة لدى جاكوب كانت هي عيناه. عينان زرقاوان قد يبدو أنهما وديعتان وثاقبتان في الآن نفسه. عيناه كانتا له عوناً في إقناع الكثير من الأشخاص بما هو الطريق الصحيح. كان يعرف ذلك، ويستخدمه.

لكن ليس اليوم. كانت شياطينه تمنعه من التركيز على مشاكل الآخرين وقد كان من اليسير عليه فهم ما يقوله الفتى إنْ لم ينظر إليه. أشاح بوجهه عن انعكاس صورته وصوَّب ناظريه نحو البحيرة والغابة الممتدة أمامه على عشرات الكيلومترات. كان يستطيع رؤية الهواء يهتزّ فوق الماء، من شدّة الحرارة. سنوات من الإهمال خرَّبت ضيعة بولارين الكبيرة وقد أمكنهم شراءها بثمنٍ بخس، ثم كرَّسوا لإصلاحها ساعات كثيرة من العمل الشاقّ. لم تَصِرْ فاخرة، وإنما أصبحت منعشة، نظيفة وممتعة. قد كان ممثل البلدية يُعْجَب دوماً بالدار والأنحاء المحيطة الرائعة وكان يلقي خطابات عظيمة عن الأثر الإيجابي لكلّ ذلك في الفتيات والفتيان المحرومين المعرَّضين للانحراف. إلى حدّ الآن، فقد توصّلوا دوماً بالمساعدات اللازمة

وقد عمل النشاط جيداً خلال هذه السنوات العشر. إلى حدّ أنّ المشكل لا يوجد سوى في رأسه، إنْ لم يكن في نفسه!

ربما كان ذلك ناتج من الإرهاق اليومي الذي دفعه لاختيار الوجهة الخاطئة في مفترق حاسم. لم يتردَّد لحظة في إيواء أخته ببيته، مَن له القدرة، سواه، على التخفيف من القلق العميق لدى الفتاة الشابة وإدخال السكينة إلى روحها المتمردة؟ لكن ليندا بدت أقوى منه في الصراع النفسي، وبينما كان «الأنا» عند أخته يتضخّم يوماً عن يوم، فقد كان يشعر بالسخط الدائم يحفر كلّ كيانه. أحياناً كان يستغرب من كونه يقبض يديه ويفكِّر بأنها لم تكن سوى فتاة صغيرة بلهاء تستحق أن تتجاهلها أسرتها، لكن المسيحي لا ينبغي له التفكير على ذلك النحو، وحصيلة كل واحدة من هذه الأفكار هي ساعات من امتحان الضمير والدراسات الإنجيلية المستغرقة، أملاً في استنهاض الهمّة.

من الخارج، كان دائماً بمثابة صخرة أمان وَثِقَة. كان جاكوب يعرف أن الناس في محيطه في حاجة إليه شأن حاجتهم إلى عكاز، ولم يكن مستعداً للتضحية بهذه الصورة المكوّنة عنه. منذ أن قهر المرض الذي انهال عليه بوحشية خلال سنوات شبابه الأولى، ظلَّ يقاوم كي لا يفقد زمام كيانه، لكن وحده الجهد للحفاظ على المظاهر كان يستنفد آخر مدّخراته. وكانت الهاوية تدنو منه بخطوات جبَّارة. ومن سخرية القدر أنّ بعد كل تلك السنوات هاهي الدائرة تشارف على الانغلاق. خلال ثانية دفعه الإعلان عن النتائج لاقتراف المستحيل. لقد انتابه الشكّ. لم يدُم ذلك سوى ثانية، لكن الشك كان قد أحدث شرخاً صغيراً في النسيج المتين الذي سند حياته، ولم يكفّ هذا الشرخ عن الاتساع.

أزاح جاكوب عنه هذه الأفكار السوداء وسعى للتركيز على

المراهق أمامه وعلى حياته المثيرة للشفقة. كانت الأسئلة التي تُلقى عليه تأتيه بصورة آلية، مثل ابتسامة التعاطف التي كان يخصّ بها دوماً الحَمَل الضائع الوافد الجديد الذي يلتحق بالقطيع.

يوم آخر إضافي. كائن إنساني إضافي منهار يجب ترميمه. ذلك لا يتوقف أبداً، لكن، حتى الرَّب أمكنه أن يستريح في اليوم السابع.

بعد أن انصرفت لإحضار العائلة اللذيذة بطعم السُّكر من جزيرة السباحة، انتظرت إريكا بنفاد صبر عودة باتريك. كانت تترقب أيضاً العلامة الدّالة على أن كُوْني وعشيرته قد شرعوا في جمع أمتعتهم، لكن الساعة الآن تشير إلى الخامسة والنصف ولم تبدُ عليهم أيّ إشارة للرغبة في المغادرة. قرَّرتْ أن تنتظر لبعض الوقت قبل أن تسألهم إنْ لم يحن الأوان بعد للانصراف، لكن جلبة الطفلين أصابتها بصداعٍ حاد في الرأس، ولم يعُد من المقبول الانتظار لوقت أطول. وبارتياح سمعت خطوات باتريك على السلم وهرعت لاستقباله.

- نهارك سعيد يا حبيبي، كان عليها الوقوف على أطراف الأصابع للتمكّن من معانقته.

- أهلاً، ألم ينصرفوا بعد؟ كان باتريك يتكلم بصوت خافِت محاولاً إلقاء نظرة إلى الصالون.

- لا، يبدو أنْ لا نية لهم في فعل ذلك. ماذا سنفعل؟ همست إريكا ورفعت ناظريها نحو السماء للدلالة عن استيائها.

- مهما يكن، ليس في إمكانهم البقاء يوماً آخر هكذا من دون أن يلتمسوا منّا ذلك أول الأمر! أخبريني بأن ذلك لا يصح!

- لو علمتَ عدد الزوار الذين حلوا ضيوفاً على والدَيَّ طول سنوات وسنوات، إذ كان من المفترض أن يقوموا بزيارة خاطفة

فحسب، فإذا بهم كانوا يقيمون أسبوعاً كاملاً ويتوقعون أن يُوَفَّر لهم المأوى والمأكل والخدمات المصاحبة لذلك. الناس مجانين تماماً. والأسوأ من ذلك، أن الأمر يتعلق دوماً بالعائلة.

بدا باتريك مصعوقاً

- لا يمكنهم المكوث لأسبوع! يجب فعل شيء. ألا تستطيعين إخبارهم بأنّ عليهم الانصراف؟

- أنا، لماذا يجب عليّ أنا فعل ذلك؟

- إنها عائلتك، بعد كل شيء.

كان على إريكا الاعتراف بأنّه سجَّل نقطة لصالحه. إذن، هيا للعمل المزعج. انصرفت للاطّلاع على مشاريع الزوار، لكن لم تجد حتى الوقت لطرح السؤال.

- ماذا صنعت للعشاء؟ التفتَتْ صوبها أربعة أزواج من العيون الفضولية.

- أوه. ضاع من إريكا حبل الكلام لشدّة ما أدهشتها هذه الفظاظة. قامت بجردٍ ذهني لمحتويات البراد. معكرونة «سباغيتي بُولُونيزْ». في ظرف ساعة.

راودتها الرغبة في أن تركل مؤخرتها بنفسها حينما عادت إلى المطبخ حيث كان باتريك بانتظارها.

- ماذا قالوا؟ متى سيغادرون؟

لم تحدّق إريكا في عينيه، قالت فحسب:

- لا علم لي بذلك، لكن سيكون هناك معكرونة بولونيز في ظرف ساعة.

- لم تقولي شيئاً؟ ورفع بدوره عينيه نحو السماء.

- إن الأمر ليس بتلك السهولة. حاول أنت، وسترى. ما علينا سوى التحمُّل ليلة إضافية. سوف أخبرهم ذلك غداً. بادر بالأحرى

بتقشير البصل، لا أشعر أنّي أقوى على تحضير الأكل من أجل ستة أشخاص لوحدي.

جعلها الامتعاض تبصق مثل قطّ وشرعت تُخرج بصخب المقالي والأواني. وهم يعملون وسط صمت ثقيل وصلت إريكا إلى حدٍّ لم تستطع تمالك نفسها، فقالت:

- لقد ذهبت إلى المكتبة اليوم وأخرجتُ بعض الوثائق التي ربما قد تفيدك. إنها هناك.

وأشارت برأسها إلى طاولة المطبخ حيث تكدّست حزمة من الأوراق المستنسخة.

- لكني قلتُ لك بأن لا

- أجل، أجل، أعرف، لكن الآن تمّ الأمر وقد كان لطيفاً أن أنشغل بشيء ما بدل البقاء هنا بلا عمل بين أربعة جدران. وعليه كُفَّ عن إزعاجي.

كان باتريك يعرف الوقت الذي يجدر فيه التزام الصمت. جلس إلى الطاولة وطفق يتابع الصفحات بعينيه. كان الأمر يتعلق بمقالات صحافية عن اختفاء الفتاتين الشابتين وقرأ بكثير من الاهتمام.

- واووو، هذا رائع! سوف آخذ كلّ هذا إلى المكتب غداً لفحصه عن قرب، لكن يبدو لي هذا عظيم.

دنا من إريكا، وانتصب خلفها وأحاط بطنها المنتفخ بذراعيه.

- إني لم أرد إزعاجك. الأمر ببساطة أني قلق بشأنك وشأن الرضيع.

استدارت إريكا واحتضنته بحنان.

- أعرف. لكنك تدري أني لست مصنوعة من الخزف. قديماً كانت النساء يعملن في الحقول إلى أن تضع بالفعل مواليدها في عين

المكان، إذن في إمكاني البقاء جالسة داخل مكتبة وقلب الصفحات دون أن يحدث لي أي مكروه.

- نعم، أجل، أعرف ذلك. لو أننا استطعنا التخلص من المتطفلين، نحن في حاجة للمكوث معاً لوحدنا. عاهديني على أن تُخبريني إن أحببت أن أبقى بالبيت يوماً. في المفوضية يعرفون أني أعمل بمبادرة مني وبأنك أنتِ صاحبة الأولوية.

- أعاهدك. ساعدني الآن. آمل أن يهدأ الصغيران قليلاً بعد تناولهما الطعام.

- يصعب عليّ تصديق ذلك. سيكون من الأفضل لو قدَّمنا لكل واحد منهما كأس ويسكي قبل الأكل كي يناما. وندَّت عنه ابتسامة لطيفة.

- إذن، هاهنا، إنك تبالغ! اذهب بالأحرى لتقديم كأس منه لكوني وبريتا، على الأقل هذا سيجعله في مزاج أفضل.

اتَّبع باتريك نصيحتها وهو ينظر بحزن لمستوى أفضل خمرة صُرِفَ لديه، والذي كان ينخفض على مرأى عينيه. إذا ظلوا هنا لأيام معدودة أخرى سوف يتعرض مخزونه من الويسكي لضربة قاسية.

صيف 1979

فتحت عينيها بأكبر قدر من الحيطة. سبب ذلك كان صداعاً حاداً في الرأس يخزُها حتى منبت الشعر، لكن الغريب هو أنها لم تجد أيّ اختلاف حينما كانت عيناها مفتوحتان. كان الظلام مطبقاً دائماً. وخلال لحظة فزع اعتقدت أنها صارت عمياء. ربما هي الخمرة الرديئة التي احتستها في اليوم السابق! لقد سمعت حكايات كثيرة في هذا الشأن عن شبان أصيبوا بالعمى بعد شربهم كحولاً من صنع محلي. بعد بضع ثوان أدركت أنها لا تزال تبصر، لكنها موجودة في مكان ينعدم فيه الضوء. رفعت ناظريها للتأكد ممّا إذا كانت ترى النجوم أو الهلال، لكنها أدركت على الفور بأنّ الليالي لا تصير أبداً بذلك القدر من الحلكة صيفاً، وبأنه كان عليها أن ترى الضوء الفاتن لليالي الصيف الشمالية.

تحسّست الأرضية حيث كانت ممددة، وأمسكت بحفنة من ترابٍ رملي تركته ينزلق من خلال أصابعها. تفوح من المكان رائحة تربة قوية، رائحة فاترة ونتنة، وحدّثت نفسها أنها قد تكون مدفونة تحت الأرض. هجم عليها الذعر. إحساسٌ بمخافة الأمكنة المغلقة. ومع أنها لم تستطِع تحديد حجم المكان، فقد أمكنها رؤية الجدران التي كانت تدنو منها بتؤدة، وتحبسها. شعرت وكأنها غير قادرة على

التنفس وطفقت تسحق حنجرتها ثم توقفت واجتهدت للتنفس بعمق وبهدوء للتغلُّب على هلعها.

كان المكان بارداً وأدركت أنها كانت عارية، إلا من تُبَّانِها الصغير. كان جسمها يؤلمها في أنحاء كثيرة منه ثم انطوت على نفسها وهي ترتعد. ومكان الهلع حلَّ خوف شديد كانت تشعر به حتى العظام، كيف وصلت إلى هنا؟ ولماذا؟ مَن الذي جرَّدها من لباسها؟ والخلاصة الوحيدة التي كانت تصل إليها هي أنها لم تكن ربما ترغب في معرفة الجواب. شيء فظيع حدث لها ولم تكن تعرف ما هو، شيء ما في ذاته يضاعف الرعب الذي كان يشلّ حركتها.

انعكس شعاع من الضوء على يدها ورفعت عينيها بآلية نحو مصدره. شعاع دقيقٌ من الضوء كان يخترق الظلام المخملي، أكرهت نفسها على الانتصاب وصرخت طلباً النجدة. لا مجيب. وقفت على أطراف أصابعها وحاولت الوصول إلى مصدر الضوء، لكنه كان بعيداً جداً عن المنال. حينها أحسَّت بقطرات تتساقط على وجهها المرفوع. قطرات ماء تحوّلت إلى دفقٍ وشعرت بغتة كم كانت عطشانة. تصرفت بالفطرة وفتحت فمها كي تمتص السائل. في البداية، كان كل شيء يمر إلى جانبها، لكن بعد قليل من الوقت وجدت المسلك الصحيح وشربت بشراهة. بعد ذلك، لم ترَ سوى ضباب وأخذت الحجرة في الدوران. صار كل شيء مظلماً.

استيقظت ليندا باكرا على غير العادة وحاولت العودة للنوم. تواصل السمر رفقة جوهان إلى وقت متأخر، إلى الليل للدقة، وأشعرتها قلة النوم بصداعِ مَن أصبح بعد إفراطه في الشُّرب. كانت الحجرة التي جهَّزها لها جاكوب وماريتا تقع بالتحديد تحت السقف وكان صوت المطر على القرميد شديداً إلى حدّ أنّ صداه كان يتردَّد في صدغيها.

كان ذلك أول صباح تستيقظ فيه منذ أمد طويل داخل حجرة منعشة. لقد دام القيظ عدّة أشهر تقريباً، وهو رقمٌ قياسي، كان ذلك أشدّ الأصياف قيظاً منذ مائة عام. في الأيام الأولى، استحسنَت شدّة الشمس، لكن سحر هذا الإحساس الجديد اختفى منذ أسابيع، والصحو كلّ صباح في أغطية مبلَّلة بالعرق صار أمراً مقيتاً بالنسبة لها. كان النسيم المنعش المتسلِّل تحت عوارض السقف أكثر عذوبة. أزاحت ليندا الغطاء الرقيق وتركت جسمها يستمتع بالحرارة اللطيفة. ومع أنّ ذلك لا يشبهها في شيء، قرَّرت النهوض قبل أن يأتي أحدٌ ما لطردها من الفراش. سوف يكون من اللطف أن لا تتناول الفطور وحدها، لو مرة. سمعت جلبة بالمطبخ، لبست بسرعة ثوباً فضفاضاً قصيراً ودسَّت قدميها في زوج شباشب.

تمّ استقبال حضورها الباكر بوجوه مستغربة. كل العائلة كانت مجتمعة هناك، جاكوب، ماريتا، ويليام وبيترا، ثم قطعوا على الفور حديثهم المهموس لمّا رأوها قادمة. تهاوت فوق إحدى الكراسي الفارغة وشرعت في تحضير خبز مدهون.

- جيد أن ترغبي في مرافقتنا ولو مرة، لكني أستحسن أن تحتشمي قليلاً حين تنزلين. فكري في الطفلين.

إنّ هذا النفاق الداعر لدى جاكوب كان يدعوها للغثيان. وقصد إغاظته تركت الثوب الفضفاض الرقيق ينفتح قليلاً ونهداً يُرى من خلال الفرجة. وابيضّ وجه جاكوب لشدّة غضبه، لكن لسبب أو لآخر لم يجد الشجاعة ليدخل معها في مناوشات. نظر إليها ويليام وبيترا، مفتونين، ووجّهت لهما بعض التكشيرات التي جعلتهما يصرخان ضحكاً. في الأصل، كان هذان الصغيران ممتعان حقاً، يجب الإقرار بذلك، لكن مع الوقت، فإن جاكوب وماريتا سيدمّرانهما، من كل النواحي. وحين ينهيان تربيتهما الدينية، لن يبقَ لهما أيّ شيء من فرحة للعيش.

- اهدآ الآن، اجلسا مثلما يجب إلى المائدة حينما تأكلان. أبعدي رجليك عن ذلك الكرسي، يا بيترا، واجلسي مثلما تفعل كلّ فتاة كبيرة. واغلق فمك أثناء الأكل يا ويليام. لا أريد أن أرى ما تمضغه.

اختفت الضحكة من وجهي الطفلين وجلسا جامدين كأنهما جنديان من رصاص، يحدقان أمامهما مباشرة بنظرة فارغة. زفرت ليندا في جوفها. أحياناً يشقّ عليها فهم أنها وجاكوب من أسرة واحدة. لا يمكن العثور على أخٍ وأخت يفوقانهما تنافراً، لقد كانت متيقّنة من ذلك. والظلم العظيم هو أنه كان هو المفضل لدى أبويهما، كانا يضربان به المثل دوماً، بينما لم تكن تحظى برضاهما.

هل الذنب ذنبها إن جاءت في المرتبة الأخيرة غير المرغوب فيها؟ ماذا لو كان مرض جاكوب، سنوات عديدة قبل ميلادها، جعلهما متحفظين في شأن إنجاب أطفال آخرين؟ أكيد أنها تقدِّر حساسية الموقف، لقد كاد يموت، لكن هل ذلك مبرِّر كافٍ لمعاقبتها؟ ليس هي ما جعله مريضاً.

ولو أن جاكوب تماثَلَ للشفاء، فقد تواصلت عنايتهما به. لقد كان الأمر يجري وكأن والديهما كانا ينظران لكلّ يوم جديد في حياة طفلهما باعتبارها هبة ربانية، بينما حياتها هي لم تكن تخلِّف لديهما سوى المتاعب والهموم. هذا دون الحديث عن الجدّ وجاكوب. إنها تدرك ملياً بأن الصلة بينهما كانت مخصوصة جداً نظراً لما صنعه الجدّ من أجل جاكوب، لكن ما كان ينبغي أن يتمّ ذلك على حساب باقي أحفاده. مات الجدّ قبل ميلاد ليندا ولم تواجه لا مبالاته، لكن جوهان حكى بأنّ روبير وهو كان يتمّ استبعادهما دائماً من كرمه، وكل اهتمامه كان منصبّاً على ابن عمهما جاكوب. من المحتمل أن ليندا كانت ستعاني الشيء نفسه لو كان الجدّ لا يزال على قيد الحياة.

كلّ هذا الظلم جعل دموعاً حرَّى تملأ مقلتيها، لكنها كبحتها مثل كلّ تلك المرات السابقة. لم يكن في نيتها إشباع رغبة أخيها في أن يراها تبكي وأن يعود له مرة أخرى نتيجة ذلك دور المُخَلِّص للعالم. لقد كان يثيره أمر توجيه حياة أخته صوب النهج الصحيح، لكنها كانت تفضّل الموت على أن تصير ذليلة مثله. ربما تذهب الفتيات اللطيفات إلى الجنة، لكنها كانت لها النية للذهاب أبعد من ذلك، بل أبعد من ذلك بكثير. إنها تفضل أن تقع وتكون خسارتها مدوية على أن تذلّ للحياة مثل أخيها، تلك الخصية الرخوة، الذي يحبّه الجميع.

- هل لديك ما تنوين فعله اليوم؟ سوف أحتاج إلى بعض المساعدة في البيت.

كانت ماريتا تُحَضِّر قطعاً أخرى من الخبز المدهون للطفلين. كانت أماً رؤوماً، ذات وجه مألوف، مع بعض الكيلوغرامات الزائدة. لقد فكّرت ليندا دوماً أنه كان على جاكوب أن يجدَ أفضل من ذلك. وانبثق في ذهنها مشهد أخيها وزوجه في الفراش. من باب الواجب، كانا يفعلان ذلك مرة في الشهر، والنور منطفئ، وزوج أخيها قميص نوم كامل يغطيها من القدمين إلى الكتفين. جعلتها هذه الصورة تقهقه، فنظر إليها الآخرون.

- استيقظي، لقد وجَّهت لك ماريتا سؤالاً هل تستطيعين مدّ يد المساعدة اليوم في البيت؟ هذا ليس فندقاً، تعلمين ذلك.

- أجل، أجل، لقد سمعت، لا داعي لتكرارٍ دون توقف. حسناً، لا، لا يمكن أن أمدّ يد المساعدة اليوم. يجب علي أن. بحثت عن مبرِّر جيد، يجب أن أهتم بسِيرُوكُو. لقد لاحظتُ البارحة أنه يعرج.

استُقْبِل عذرها بنظرات مرتابة، وهي متأهِّبة للمعركة، كشفت ليندا عن وجهها الأشدّ عدائية، لكن لدهشتها، لم يخالفها أحدٌ رغم كذبتها الظاهرة. هذا هو الانتصار - ويوم من الكسل - يعود إليها.

كانت الرغبة في الخروج تحت المطر لا تقاوم، الوجه مرفوع نحو السماء والماء يسيل على الجسد، لكن كانت هناك أشياء لا يمكن أن يسمح بها المرء لنفسه بصفته راشداً، خصوصاً إذا كان في مكان العمل، لذلك اضطرّ مارتن لكبح نزوته الصبيانية، لكن كان ذلك مذهلاً رغم كل شيء. كل تلك الحرارة الخانقة التي سجنتهم هذين الشهرين الأخيرين قد غسلها وكنسها مَطَرٌ غزيرٌ دفعة واحدة. كان يمكنه استنشاق رائحته من خلال النافذة التي شرّعها على مصراعيها. بعض الماء كان يتدفق على مكتبه أسفل النافذة، لكن بما

أنه قد أزال عنه كل الملفات، فلا بأس في ذلك. لقد كان يستحق العناء، للإحساس بالانتعاش.

سبق وأنْ أبلغهم باتريك عن كونه لم يستيقظ في الوقت المناسب. وعلى غير العادة، كان مارتن أول الوافدين إلى المركز. كان الجو بالمفوضية ثقيلاً في اليوم السابق بعد افتضاح كذبة إرنست، وكان من الأحسن أن يستطيع البقاء في هدوء الآن والتفكير في آخر الأحداث. لم يكن يغبط باتريك على مهمّته المتمثّلة في إبلاغ خبر الوفاة لأسرة الفتاة الشابة الميتة، لكن هو أيضاً كان يعلم بحقّ أنّ اليقين هو الخطوة الأولى نحو الحداد الذي لا بدّ منه للشفاء. كان من المحتمل جداً أنهم ليسوا حتى على علم بأنها اختفت، والخبر سيحلّ عليهم كالصدمة. الآن يجدر العثور عليهم وإحدى مهام مارتن اليوم تتمثّل في الاتصال بزملائه الألمان. كان يأمل أن يتواصل معهم بالإنجليزية. بعد أن سمع زميله يتلعثم بالألمانية طول المحادثة مع صديقة تانيا، أدرك بأنّ باتريك ليس هو مَن قد يعينه.

كان على وشك رفع السماعة لمكالمة ألمانيا، حينما باغته رنين حادّ. تسارع نبضه قليلاً حينما أدرك أنه الطب الشرعي بغوتبرغ وتمدّد للإمساك بدفتر ملاحظاته الذي تكسوه الخربشات مسبقاً. وفي الواقع، كان على الطبيب الشرعي أن يقدّم تقريره لباتريك، لكن ما دام أنه لم يصل بعد، سوف يتكلّف مارتن بالمسألة.

- كأن الأمور تثور في بلدتكم منذ مدّة.

كان الطبيب الشرعي تورد بيدرسن يلمح إلى تشريح جثة ألكسندرا ويجكنر الذي قام به، سنة ونصف السنة من ذي قبل والذي أعطى دفعة قوية لواحد من أكثر التحقيقات، في جرائم القتل ندرةً، التي أشرف عليها مخفر تانمشيد لغاية الآن.

- أجل، وقد يتساءل المرء إنْ لم يكن قد حطَّ فيروس جائح على رؤوسنا. وقريباً سنتجاوز ستوكهولم بالنسبة إلى إحصائيات جرائم القتل.

إن اللهجة المستخفة والمتهكمة، بالنسبة لهما كما هو شأن كلّ العاملين الذين يصادفون الموت والآفات، كانت وسيلة لتحمُّل عملهم اليومي، لكنهم كانوا يظلون جميعاً على وعي بجدّية مهمتهم.

- هل وجدتم الوقت مسبقاً للقيام بالتشريح؟ كنت أعتقد أنكم مشغولون بهؤلاء الناس الذين يتقاتلون بسبب الحرارة؟

- أجل، أنت محق من حيث المضمون. لقد لاحظنا أنّ ثائرة الناس تثور بسهولة حينما يشتدّ الحر، لكن هدأت الأمور في الأيام الأخيرة، وقد أمكننا الاهتمام بقضيتكم أسرع من المتوقع.

- أخبِرْني بكلّ شيء إذن. حبس مارتن أنفاسه. الكثير من الأشياء تعتمد كلياً على ما سيقدِّمه الطبّ الشرعي.

- أجل، من الواضح بجلاء، أنه شخص بغيضٌ على نحوٍ متميِّز ذاك الذي يثقل على كاهلكم. سبب الموت كان بسيطاً للغاية، لقد تمّ خنق الفتاة، لكن ما تعرَّضت له قبل قتلها هو الخارج عن المألوف.

توقف بيدرسن وقد يخيل للمرء أنه كان يضع نظارتيه.

- نعم؟ كان من الصعب على مارتن إخفاء نفاد صبره.

- دعونا نرى. سوف يصلك عبر الفاكس كذلك. هَمْهَمْ.

- قرأ بيدرسن الأسطر وأحسّ مارتن أن يده الموضوعة على الهاتف قد أصبحت مبلَّلة بالعرق.

- نعم، هاكَ هذا. أربعة عشر كسراً في أنحاء مختلفة من الجسم. كلها تمَّت قبل موتها بالنظر إلى درجة الالتحام المتغيرة.

- تقصِد.

- أقصد أنّ أحدهم كسر الذراعين، الساقين، أصابع اليدين والرجلين التي لهذه الفتاة على مدى أسبوع تقريباً.

- هل الكسور تمّ إحداثها دفعة واحدة أو خلال مرات عديدة؟ هل تستطيع كشف ذلك؟

- هذا ما قلته، نستطيع رؤية أنّ الكسور لها درجات مختلفة من الالتحام، ورأيي المهني هو أنها أحدِثت طول كل هذه المدة. لقد وضعتُ رسماً تقريبياً للترتيب الذي أعتقد أنّ بحسبه جرى إلحاقها بها. ستجده في الفاكس. كانت لديها أيضاً بعض الجروح السطحية على الجسم. وبدورها تمّت على مراحل متغيرة من الشفاء.

- اللعنة، يا لها من فظاعة! لم يستطع مارتن كبح هذا التعليق النابع من القلب.

- أتفق معك تماماً. لعلّ الألم كان لا يُحتمل على الإطلاق.

كان صوت بيدرسن جافاً. للحظة فكّرا بصمت في قسوة الإنسان. ثم استجمع مارتن قواه وتابع قائلاً:

- هل أُخِذَت آثارٌ من على الجسم قد تفيدنا؟

- أجل، لقد وجدنا شيئاً من المني. إنْ وضعتم اليد على مجرم مفترض، نستطيع أن نُظهر صلته بجريمة القتل عبر الحمض النووي، ADN. سوف نقوم بأبحاث طبعاً في بنك المعطيات أيضاً، لكن من النادر أن تقع أيدينا على صيدٍ من خلال هذا المسلك. السِّجل هزيل جداً إلى حدّ الآن. لا نستطيع سوى الحلم باليوم الذي سيكون فيه الحمض النووي الخاص بكلّ المواطنين في تناولنا، ذلك سوف يسهِّل الأمور.

- نعم، لا شكّ أن الحلم هو الكلمة المناسبة. في كلّ الأحوال سيتذرّعون بالقيود على الحرية الفردية حتى يعرقلوا عملنا.

- إذا كان ما حلَّ بهذه المرأة لا يُسمى قيدٌ على الحرية الفردية، إذن لا أدري أين يجب البحث عن.

كان من النادر أن يكون بيدرسن الموضوعي جداً متفلسفاً على هذا النحو، وأدرك مارتن بأنه تأثر لمصير المرأة الشابة. مبدئياً، لم يكن ذلك بالشيء الذي يسمح الطبيب الشرعي به لنفسه، لو أراد الحفاظ على قدرته على النوم.

- هل تستطيع أن تخبرني متى ماتت تقريباً؟

- أجل، لقد توصلتُ بنتائج العينات التي أجرتها الفرقة التقنية في عين المكان. لقد قارنتها بملاحظاتي الشخصية، وهذا يسمح لي بمنح فارق زمني موثوق.

- أنا منصِتٌ.

- حسب تقديري، لقد ماتت أول أمس، بين السادسة والحادية عشرة ليلاً

خاب أمل مارتن.

- ألا يمكن أن تقدِّم ساعة أكثر دقة من ذلك؟

- هذا هو المعمول به هنا في السويد، أن لا يُعطى فارق زمني أقل من خمس ساعات في حالات مثل هذه، ولا أستطيع فعل أكثر من ذلك، لكن درجة الوثوق هي تسعون بالمائة، وإذن فذلك صحيح تماماً. بخلاف ذلك، يمكنني تأكيد ما تشكّون فيه ربما، هو أنّ فجوة الملك ليست مكان الجريمة، لقد قُتلت في مكان آخر، وبقيت فيه بضع ساعات قبل أن يتمّ نقلها. فقد تأكّد لنا ذلك من خلال لون الجثة الداكن.

- كذلك هو الأمر. والهيكلان الآدميان؟ ماذا رشح عنهما؟ لقد بعث لك باتريك اسمَي الشخصين اللذين تفكر بهما؟

- أجل، توصلت بذلك. ولم ننتهِ تماماً بعد. ليس الأمر

بالسهولة التي قد يتخيّلها المرء للعثور على سجلات الأسنان التي تعود إلى السبعينيات، إلا أننا نعمل على الأمر طول الوقت، وما إن جدَّ جديدٌ سنتصل بكم. لكن أستطيع إخبارك أن الأمر يتعلق بهيكلين آدميين لامرأتين، ويبدو أنّ السن متطابق. إن عظمتا رأس الورك لدى إحدى المرأتين تُظهران أنها كان لها طفل وهذا يطابق المعطيات المتوفرة لدينا - يظهر على الهيكلين كسور مشابهة لتلك التي وجدت على المرأة الشابة المقتولة. بيني وبينك، سوف أذهب إلى حدّ القول إن كسور الضحايا الثلاث متطابقة كلياً.

لقد ذهل مارتن بشدة إلى حدّ أنه أفلت قلمه من يده. ما الذي حلَّ بهم؟ قاتل ساديٌّ يفصل بين جرائمه بأربع وعشرين سنة؟ لم يكن يرغب حتى التفكير في البديل القائل بأن القاتل لم ينتظر لأربع وعشرين سنة وأنهم بكلّ بساطة لم يجدوا الضحايا بعد.

- هل تم بَضْعُهما بالسكين أيضاً؟

- لم يتبقَّ هناك من مادة عضوية، وبالتالي فمن الصعب قول ذلك، لكن هناك بعض الخدوش على العظام التي قد تدلّ على أنهما تعرَّضتا للمعاملة نفسها.

- وسبب الموت؟

- مثلما هو الشأن بالنسبة إلى الألمانية. تمّ غرز عظامٍ على مستوى العنق وهذا يترابط جيداً مع الجروح الناجمة عن الخنق.

دوَّن مارتن ذلك بسرعة وهو يتكلم:

- وماذا بالإضافة إلى ذلك؟

- لا شيء، إنّ الأجساد قد تمّ دفنها، وهناك بقايا من التراب على العظام التي تستطيع أن تقدِّم لنا ربما معلومات بعد التحليل، لكن يجب عليكم الانتظار. كان هناك تراب على تانيا شميت أيضاً

على الغطاء الذي وضعت عليه، سوف نقارنه مع العينات المأخوذة من على العظام.

- توقف بيدرسن، ثم واصل:

- ميلبرغ هو مَن يشرف على التحقيق؟

ندَّ بعض القلق عن صوته. ابتسم مارتن بلطف، خفية، لكنه استطاع طمأنته من هذه الناحية.

- لا، بل باتريك هو المسؤول عنه. أمّا عن معرفة مَن سيحظى بالفخر من ذلك إذا توصلنا إلى حلّ القضية، فذلك شأنٌ، آخر.

ضحكا معاً من هذا التعليق، لكنه كان ضحكاً ظلّ حبيساً شيئاً ما في حلق مارتن.

بعد انتهاء الحديث مع تورد بيدرسن، أخرج الفاكس وحينما وصل باتريك كان قد قرأه حتى آخر سطرٍ فيه. قدَّم له خلاصة عنه جعلته متشائماً بدوره. كان ذلك ينذر بفوضى عارمة!

كانت **آنا** مستلقية بالبكيني على جسر المركب الشراعي تاركة الشمس تحرقها. وكان الطفلان نائمين في القمرة بينما **غوستاف** يسيِّر الدَّفة. قطرات صغيرة مالحة ترشّه كلما وقع مقدم المركب في الماء وكان ذلك منعشاً على نحوٍ عجيب. إذا أغمضت عينيها، تستطيع نسيان همومها لوقت قصير وتخيّل أن تلك كانت حياتها الحقيقية.

- آنا، إنه الهاتف.

أخرجها صوت غوستاف من شبه تأمّلها، كان يلوّح بهاتفها المحمول.

- مَن المتصل؟

- لم يرد قول ذلك؟

اللعنة إذن. أدركَتْ على الفور هوية من يتصل بها، وعقدت الحيرة بطنها، تحرّكت بحذرٍ صوب غوستاف.

- آنا.

- من كان ذاك؟ صفَّر لوكا.

تردَّدت آنا.

- قلت لك إني سوف أتنزّه بالمركب رفقة صديق.

- وتودّين إقناعي بأنّ ذلك كان صديقاً؟ ما اسمه؟

- ذلك أمرٌ لا يعنيك.

قاطعها لوكا:

- **ما اسمه؟** يا آنا.

كانت مقاومتها تتفتت ثانية وهي تسمع الصوت عبر الجهاز. أجابت بصوتٍ مهموس:

- **غوستاف آف كلينت.**

- هكذا إذن، مع أداة النسب، وكلّ ما يلزم. وانتقلت نبرة صوته من السخرية إلى التهديد. وكيف تجرئين على أخذ طفلَيّ معك في عطلة صحبة رجل آخر؟

- نحن مطلّقان، يا لوكا، قالت آنا وهي تضع يدها على عينيها.

- تُدركين مثلي أنّ ذلك لا يغيِّر في الأمر شيئاً. أنت أم طفلَيّ وذلك يعني أننا مرتبطان إلى الأبد، أنت وأنا. أنت لي والطفلان لي.

- إذن لماذا تسعى لانتزاعهما مني؟

- لأنك غير مستقرة، يا آنا. كان لديك دائماً مشاكل في الأعصاب، وبكلّ صراحة، أشكّ في قدرتك على الاهتمام بطفلَيّ كما يجب. انظري كيف تعيشين. تعملين طول النهار وهما في دار

الحضانة. هل تعتبرين أنّ تلك حياة مواتية بالنسبة إلى أطفالنا، يا آنا؟

- لكن يجب أن أعمل، يا لوكا. وكيف كنت ستتصرف لو كانت الحضانة تعود إليك؟ من سيهتمّ بهما في هذه الحالة؟

- هناك حلّ، يا آنا، تعرفين ذلك جيداً.

- هل جننت؟ هل تعتقد جدياً أني سأعود إليك بعد كلّ ما فعلته بـ إيما؟ لقد كسرت ذراعها، يا لوكا، لا تنسى ذلك. هذا دون ذكر ما صنعته بي أنا.

صار صوت آنا حاداً بشدّة. عرفت بالغريزة أنها تمادت كثيراً.

- لم يكن ذلك ذنبي! كانت حادثة! لقد أصرَرْتِ على مخالفتي طول الوقت، لولا ذلك، ما كان ليجرفني الغضب أحياناً كثيرة!

كان الأمر أشبه بمَن ينفخ في قربة مثقوبة. لا جدوى منه. كانت آنا تعلم بفضل كلّ تلك السنوات رفقة لوكا أنه كان موقناً من أنه على حقّ. وأنه ليس المخطئ أبداً. كلّ ما كان يحدث هو دائماً ذنب الآخرين. كلّ مرة كان يضربها فيها، كان ينجح في جعلها هي المذنبة؛ لم تكن متفهّمة كفاية، غير حنونة بما يكفي، غير خاضعة بما يكفي.

حينما نجحت في استنفار موارد لم تكن في الحسبان لاستكمال إجراءات الطلاق بنجاح، أحسَّت للمرة الأولى منذ سنوات عديدة بأنها قوية ولا يمكن قهرها. وأخيراً سوف تستطيع استعادة حياتها. سيكون في مكنتها هي والطفلين أن يبدؤوا مجدداً من نقطة الصفر، لكن ذلك كان صعباً جداً بعض الشيء. لقد صُدِم لوكا فعلاً من كونه كسر ذراع طفلته حينما أخذته سورة غضب من تلك الكثيرات، وقد بدا مذعناً أكثر ممّا كان عليه في الواقع. فحياة الفوضى التي عاشها بعد الطلاق، والتي عمل خلالها على مراكمة المغامرات النسائية،

قد سمحت لآنا وطفليها بالعيش في سلام، لكن بينما كانت آنا تشعر أنها في أمن وسلام، أخذ لوكا يشعر بالضجر من حياته الجديدة ويظهر الاهتمام المتزايد بأسرته. وعندما لم تعُد باقات الورد والهدايا والتماس الصفح تجدي نفعاً، أزاح القفازات المخملية. كان يتمسّك بحضانة الأطفال. لأجل ذلك، كان يقدّم جملة من الاتهامات ضدّ آنا لا أساس لها من الصحة، من بينها أنها لم تكن مؤهلة لتكون أماً. أي شيء من ذلك لم يكن صحيحاً، لكن لوكا كان يعرف كيف يكون مقنعاً ومغرياً حينما يريد، وكانت ترتعد من إمكانية نجاحه في مبتغاه. كانت تعلم أيضاً أنه لا يريد الطفلين في حقيقة الأمر. إن التكفّل بطفلين صغيرين لا يتناسب وحياته المهنية، إلّا أنه كان يأمل أن يخيف آنا بما فيه الكفاية لإرغامها على العودة إليه. في لحظات من الضعف، كانت مستعدّة لفعل ذلك. وهي تُدرك أن ذلك كان مستحيلاً. سوف تنزل إلى الحضيض إنْ هي عادت إليه. حاولت أن تحتمي.

- لوكا، هذا الحديث لا فائدة منه. لقد أعدتُ بناء حياتي بعد الطلاق، وعليك أن تقوم بالمثل. أجل، لقد تعرَّفت على رجل وعليك أن تتدرّب على قبول ذلك. الطفلان في حال حسن، وأنا في حال حسن. أليس في الإمكان تدبير ذلك بصفتنا راشدين؟

كانت نبرتها مستجدية، لكن الصمت في الطرف الآخر من الهاتف كان مطبقاً. أدركَت أنها تجاوزت الحدّ. حينما سمعت النغمة التي تدلّ على أن لوكا أقفل الخط ببساطة، علمت أنها، بطريقة أو بأخرى، ستدفع ثمن ذلك. غالياً.

صيف 1979

دفعها صداع الرأس الذي لا يُطاق إلى أن تحك وجهها بأصابعها. كان الألم ممتعاً تقريباً عندما تخدش أظفارها بشرتها، مقارنة مع الشقيقة الموجعة، وكان ذلك يساعدها على التركيز.

كان الظلام لا يزال مخيّماً، لكن شيئاً ما أخرجها من سباتها العميق. شعاع صغير من الضوء برز فوق رأسها، وبما أنها كانت تصوّب نظرها نحوه فقد كان يتّسع بأناة. ولقلّة اعتيادها على الضوء لم تبصر شيئاً، لكنها سمعت أحداً ما يسير عبر الشقّ الذي انفتح، ثم وهو ينزل السُلَّم. شخص يدنو أكثر فأكثر عبر الظلام. كان الاضطراب يمنعها من تحديد هل يجب عليها الإحساس بالخوف أم بالارتياح، كان هذان الشعوران يتتابعان بداخلها على نحوٍ متعاقب.

كانت الخطوات الأخيرة صامتة تماماً حيث تكوّمت في وضعٍ شبيه بالجنين. ومن دون أن يتمّ النبس بكلمة واحدة، أحسّت بيدٍ تمسح رأسها. لعلّ هذه الإيماءة كانت لتهدّئ ربما من روعها، إلّا أنّ بساطة الحركة جعلت قلبها يعتصر من شدّة الرعب.

واصلت اليد زحفها عبر جسدها ثم ارتعدت في الظلام. للحظة حدَّثت نفسها بأنّ عليها مقاومة الغريب الذي لا وجه له. واختفت الفكرة فور انبثاقها. كان الظلام باهراً بإفراط، وكانت قوة اليد التي

تداعبها تخترق جلدها، أعصابها ونفسها. كان الخضوع خيارها الوحيد، كانت تعلم ذلك بصفاء ذهن مروع.

وحينما تخلت اليد عن المداعبات وشرعت تلوي وتضغط وتجرّ، لم يفاجئها الأمر، وعلى نحو غريب استقبلت الوجع بامتنان. كان تدبير أمر الوجع الملموس أسهل من الرعب في انتظار المجهول.

جاءت المكالمة الثانية من تورد بيدرسن بضع ساعات فقط بعدما تحدَّث باتريك إلى مارتن. كان قد تمّ الانتهاء من تحديد هوية أحد الهيكلين الآدميين اللذين وُجِدا في فجوة الملك. لقد تعلَّق الأمر حقاً بـ **مونا ثيرنبلاد**، إحدى الفتاتين المختفيتين عام 1979

راجع باتريك ومارتن كل المعلومات التي جمعاها من أجل التحقيق. لقد سطع ميلبرغ بغيابه، لكن **غوسطا فليغار** عاد بعد ما تمّت مهمة الغولف بخير. من المؤكد أنه لم يفُز، لكن كانت دهشته كبيرة، وسعادته عارمة فقد حقَّق حفرة بضربة واحدة وقدّمت له الشمبانيا بالنادي. إنها المرة الثالثة الآن التي يسمعه فيها باتريك ومارتن وهو يُعيد حكاية الكرّة التي ذهبت مباشرة إلى الحفرة الثالثة عشرة في الضربة الأولى، ولم يخالجهما الشكّ في أن تكون هناك مرات أخرى قبل نهاية اليوم، لكن لم يكن في ذلك الأمر سوء. كان سعيداً من أجل غوسطا ومنحه باتريك فترة من الراحة قبل أن يُشرِكَه في التحقيق. وقد لبى غوسطا نداء الواجب بأن أجرى الاتصال بمعارفه في الغولف لإخبارهم بالحدث العظيم.

– إذن، لدينا حثالة يكسر عظام النساء قبلِ قتلهن، قال مارتن.

ويقطعهن بالسكين.

- أجل، يبدو كذلك. وفي كل الأحوال، هناك دافع جنسي وراء ذلك. سادي حقير يهيج عندما يوجع الآخرين. لقد وجدوا شيئاً من المني على تانيا، وهذا يبرهن على ذلك جيداً.

هل تستطيع التكفُّل بإخبار أسرة مونا؟ أقصد أن تقول لهم بأنه تمّ العثور عليها؟

كانت الحيرة بادية على مارتن وقَبِل باتريك فعل ذلك.

- لقد فكرت في الذهاب لرؤية أبيها بعد الظهيرة. أمها توفيت منذ أمدٍ طويل ولم يبقَ إلّا هو من أجل إخباره.

- كيف تعلم ذلك؟ هل تعرفهم؟

- لا، لكن إريكا ذهبت البارحة إلى المكتبة واستخرجت كلّ ما كتبته الصحافة عن سيف ومونا. لقد تناولت الصحف هذه الاختفاءات بانتظام، منذ سنتين أو ثلاث سنوات مثلاً، استجوبوا الأسر. لم يعُد لمونا سوى والدها وسيف لم يكن قد تبقى لها سوى أمها حينما اختفت. كانت لديها طفلة صغيرة، سوف أتحدث إليها كذلك - ما إن نتوصّل بما يؤكّد أنّ الهيكل الثاني هو لسِيْف بحق.

- وسوف تكون صدفة مشهودة لو أنّ الأمر يتعلق بشخص آخر؟

- أجل، أعوّل على أنها هي، لكننا لا نستطيع قول ذلك بتأكيد. لقد سبق لنا أن رأينا أشياء أغرب من هذه.

تصفَّح باتريك الأوراق التي استخرجتها له إريكا ووضع بعضاً منها على شكلٍ مروحة أمامه فوق المكتب. كما أنه فتح ملف التحقيقات القديمة التي كان قد انصرف للبحث عنها بالأرشيف في القبو، بهدف تقريب كلّ المعلومات المتوافرة لديهم عن اختفاء الفتاتين. الكثير ممّا كانت ترويه الصحف لم يكن ضمن ملفات التحقيق، بحيث إن المصدرين معاً ضروريان للحصول على نظرة شاملة للوضعية.

- انظر إلى هذا لقد اختفت سيف نهاية الأسبوع الموافق لعيد القديس يوحنا المعمدان عام 1979 ومونا بعد ذلك بخمسة عشر يوماً.

ومن أجل توضيح وترتيب تلك المعلومات، شرع باتريك يدوّن على لوحة العرض الحائطية.

- لقد تمّت مشاهدة سيف لانتان للمرة الأخيرة وهي عائدة إلى البيت على متن دراجة هوائية بعد أن احتفلت بصحبة رفاقها. آخر شهادة تُخبر بأنها غادرت الطريق الرئيسة في اتجاه براك. كانت الساعة تشير حينها إلى الثانية صباحاً، لقد رآها سائق سيارة قام بتجاوزها بعد هذا، لم يرها ولم يسمعها أحد.

- هذا بغض النظر عن شهادة غابرييل هولت، أضاف مارتن.

- أجل، هذا بغض النظر عن شهادة غابرييل هولت، وأعتبره أمر وارد حتى إشعار آخر. هزّ باتريك رأسه قبل أن يواصل كلامه. اختفت مونا خمسة عشر يوماً بعد ذلك. وخلافاً لسِيْف، فقد اختفت في وضَح النهار. خرجت من منزلها نحو الساعة الثالثة بعد الزوال لممارسة الجري ولم تعُد أبداً. تم العثور على فردة حذائها في الطريق على امتداد مسار تدريباتها العادي، لكن كان ذلك كل شيء.

- هل تسنّى وضع أوجه تشابه بين الفتاتين؟ علاوة على جنسهما وسنهما؟

لم يستطع باتريك منع نفسه من الابتسام قليلاً

- يا هذا، لقد أفرطت في مشاهدة بروفايلر على التلفاز، لكنك ستصاب بالإحباط. إذا كنّا نتعامل مع قاتل بالجملة، أفترض أن هذا ما يدور بخلدك - وليس هناك أي تشابه في الظاهر بينهما.

ثبّت صورتين بالأسود والأبيض على اللوحة.

- كانت سيف تبلغ تسع عشرة سنة. قصيرة، سمراء ومكتنزة.

كانت تقترف الكثير من الحماقات، وقد أدى ذلك إلى فضيحة بفيالباكا حينما وضعت طفلاً وهي في سنّ السابعة عشرة. كانت تعيش مع الطفل عند والدتها، لكن بحسب ما ترويه الصحف كانت تفضل دائماً الحفلات الصاخبة ولم تكن تستحسن البقاء في البيت. وعلى العكس من ذلك، توصَف مونا بكونها فتاة عائلة محترمة كانت ناجحة في المدرسة، كان لديها الكثير من الأصدقاء والجميع كان يحبها. كانت طويلة القامة، شقراء ورياضية. وهي في سن الثامنة عشرة، كانت لا تزال تقطن ببيت والديها، كانت صحة أمها عليلة ولم يكن أبوها قادراً على العناية بها لوحده. ولم يبدُ لأحد أنه تجمع لديه شيء سلبي مهما كان لقوله بخصوصها. الشيء الوحيد الذي كان مشتركاً بين هاتين الفتاتين، إذن، هو أنهما اختفتا تماماً دون تركِ أيّ أثر منذ أكثر من عشرين سنة، وتظهران بغتة اليوم على هيئة عظام في فجوة الملك.

أسند مارتن رأسه إلى يده متفكراً. ومثل باتريك، ظلّ صامتاً للحظة وتفحّص قصاصات الصحف والملاحظات المدونة على لوحة العرض، وفي ذهنهما العمر الصغير للفتاتين. كانت تنتظرهما الكثير من الأشياء لعيشها، لو أنّ الشر لم يصادف طريقهما. ثم هناك تانيا، التي لا يتوفران منها سوى على الصورة المأخوذة بعد موتها. بدورها فتاة شابة كانت الحياة أمامها، وهي الآن ميتة، بدورها.

أخرج باتريك من الملف حزمة سميكة من الأوراق مرقونة على الآلة.

- لقد استنفروا إمكانات ضخمة من أجل الاستنطاقات. تمّ الاستماع للأصدقاء ولأفراد الأُسَر، تمّ العمل بطرق الأبواب باباً بعد باب في القطاع كما تمّ إخضاع المنحرفين المحليين للاستجواب. في المجموع، تمّ القيام بما يناهز مئة استنطاق، حسب ما أرى.

- والنتيجة؟

- لا شيء. لا شيء قبل أن يحصلوا على معلومات سرية من غابرييل هولت. هو بعينه من طلب الشرطة ليروي بأنه شاهد سيف داخل سيارة أخيه، ليلة اختفائها.

- وبعد؟ إلّا أنّ ذلك لم يكن كافياً لاتهامه بقتلها؟

- لا، حينما تمّ استنطاق أخ غابرييل، جوهانس هولت، أنكر بأنه تحدّث معها، أو حتى شاهدها، لكن في غياب مسار للتحقيق أكثر سخونة تمّ مع ذلك اختيار التركيز عليه.

- وإلى أين قادهم ذلك؟

- ليس إلى مكان محدّد. وبعد فترة قليلة، انتحر جوهانس هولت في حظيرته. وأصبح المسار بارداً بكل صراحة، إذا جاز القول.

- من الغريب أن ينتحر بعد ذلك بتلك السرعة.

- بالفعل. وعليه، إذا كان هو المجرم الحقيقي، فإن روحه هي التي قتلت تانيا. الموتى لا يَقْتُلون.

- وما هذا الشيء، أخٌ يبادر للتبليغ عن شخص من لحمه ودمه؟ ما الذي قد يدفع لفعل ذلك؟ غضّن مارتن جبينه. آه، كم أنا مغفل. هولت - لعلها العائلة نفسها التي ينتسب إليها جوهان وروبير، المعتديان اللطيفان الوفيان دائماً لموقعهما.

- أجل، صحيح، جوهانس كان أبوهما. والآن بعد ما صرت أعرفه عن عائلة هولت، أفهم على نحو أفضل لماذا جوهان وروبير حريصان على المهمة بتلك الدرجة. كانا لا يزالان في سن الخامسة والسادسة حينما شنق جوهانس نفسه، وروبير هو من عثر عليه في الحظيرة. يمكنك تخيل أثر ذلك على صبي في السادسة من العمر.

- أوه، اللعنة. حرَّك مارتن رأسه. حسناً، أحتاج إلى مزيد من

القهوة قبل المواصلة. معدل الكافيين هبط إلى درجة الخطورة. هل تريد منها؟

هز باتريك رأسه وبعد لحظة عاد مارتن حاملاً فنجانين من القهوة المحرقة. على غير العادة، كان الجو يسمح بمشروبات ساخنة.

واصل باتريك عرضه.

- جوهانس وغابرييل هما ولدا رجل اسمه إفرايم هولت، الملقَّب بالواعظ. كان إفرايم قسّاً إنجيلياً معروفاً بغوتبرغ، أو سيئ السمعة، حسب الاختيار. كان ينظّم تجمعات ضخمة وأثناءها يجعل ولديه اللذين كانا لا يزالان صغيرين يشطحان ويتكلمان لغات غير مفهومة ويبرءان مرضى ومعطوبين. أغلب الناس كان يصفه بأنه نصّاب ودجّال، لكنه على كلّ حال ظفر بصفقة العمر في اليوم الذي جعلت منه مريدة من جماعته، مارغريت ديبلينغ، وريثاً لها. بعد موتها، أصبح على رأس ثروة هائلة من أموال وأراضٍ وغابات، وضيعة مهيبة ناحية فيالباكا. وفجأة فَقَد إفرايم كل رغبة في نشر كلمة الرَّب، وجاء إلى هنا للإقامة رفقة ولديه، ومنذ ذلك الحين والأسرة تعيش من أموال السيدة العجوز.

الآن صارت لوحة العرض مليئة بالخربشات والملاحظات، وغدا مكتب باتريك مكسواً بالأوراق.

- صحيح أن علم الأنساب مفيد جداً، لكن ما علاقته بجرائم القتل؟ لقد قلت ذلك بنفسك، جوهانس مات قبل عشرين سنة من قتل تانيا والموتى لا يَقتلون. كان من الصعب على مارتن إخفاء تذمره.

- صحيح، لكني تصفحت كل وثائق التحقيق القديم وشهادة غابرييل هي الشيء الوحيد المهم. كما كنت آمل التمكن من مناقشة

إيرولد لبند، الذي كان مكلَّفاً بالتحقيق، لكنه مات جراء أزمة قلبية عام 1989، وهذه المادة هي كلّ ما لدينا. إذا لم تكن لديك فكرة أفضل من هذه، أقترح بأن نشرع في كشف المزيد ممّا نعرفه عن تانيا وبالحديث مع والدَيّ كلٍّ من سيف ومونا الذين لا يزالون على قيد الحياة، بعدها سوف نرى إن كان من المجدي الاستماع من جديد إلى غابرييل.

- أجل، يبدو ذلك منطقياً بماذا سأبدأ؟

- ما عليك سوى البدء بالأبحاث حول تانيا. واسهر على الدفع بغوسطا للعمل ابتداء من صباح الغد أيضاً. كفاه لهواً الآن. لقد أمضى وقتاً ممتعاً.

- وميلبرغ وإرنست؟ ماذا تنوي فعله معهما؟

زفر باتريك.

تتلخص استراتيجيتي في جعلهما على الهامش ما أمكن ذلك. وهذا يعني المزيد من العمل بالنسبة لنا نحن الثلاثة، لكن أعتقد أننا سنكون نحن الرابحون مع الوقت. ميلبرغ يكون سعيداً عندما لا يفعل شيئاً، ثم إنه فوَّض لي سلطته. سيواصل إرنست ما يقوم به سلفاً، ويتلقى ما أمكن من البلاغات العادية. إذا احتاج للمساعدة نبعث له غوسطا؛ أنت وأنا، علينا أن نكون مستعدِّين إلى أقصى حد للسير بالتحقيق. مفهوم؟

- Yes boss   حرَّك مارتن رأسه بحرارة.

- إذن، لننطلق!

لما غادر مارتن المكتب، التفت باتريك نحو لوحة العرض، ويداه متصالبتان خلف عنقه ثم غَرِق في أفكاره. كانت المهمة التي تنتظرهما شاقة، لم تكن لديهم تجربة بتاتاً بخصوص جرائم القتل. شعر بموجة من الإحباط تداهمه لتزعزع معنوياته، لكن يبقى من

المأمول أن يتمّ تعويض عدم الإلمام ذاك بحماسهما. لقد انسجم مارتن مسبقاً مع اللعبة وهو مستعدّ لبذل المستحيل كي يوقظ فليغار من إغفاءته المسحورة. ثم إذا نجحا في إبعاد ميلبرغ وإرنست عن التحقيقات، يعتقد باتريك بأنه حينها سيحالفهما الحظ ربما لحلّ لغز جرائم القتل. إلّا أنّ هذا الحظ كان ضئيلاً، وهو كذلك بما أن المسار المتعلق بالحالتين قد عرف فتوراً، كي لا نقول بأنه تجمَّد تماماً. كانا يعلمان أنّ أفضل فرصة أمامهما هي التركيز على تانيا، لكن في الوقت نفسه كانت غريزته تحدِّثه بأن العلاقة بين الجرائم كانت قوية وملموسة إلى حدٍّ يوجب التحقيق فيها على نحوٍ موازي. لن يكون من اليُسر بعث الروح في التحقيق القديم، لكن ينبغي محاولة ذلك.

تأكّد من عنوان في دليل التلفون، أخذ مظلّة وخرج والقلب حزين. بعض المهام كان يكتنف إنجازها قدراً لا يستهان به من البشاعة.

كان المطر ينقر بلا كلل زجاج النوافذ. في ظروف مغايرة كانت إريكا ستستقبل بحفاوة البرودة التي حملها معه، لكن الصدفة والعائلة الطفيلية التي كانت تستضيفها قرَّرت خلاف ذلك، وقد كانت مدفوعة بتؤدة، لكن بتأكيد نحو حدود التذمر.

كان الطفلان يركضان في كلّ الأنحاء كالمجنونين لشدّة ما تمّ الإبقاء عليهما محبوسين، أما كوني وبريتا فقد شرعا ينقلبان ضدّ بعضهما، مثل كلبين مسعورين. لم يأخذ ذلك صفة التشاجر المتعارف عليه، إلّا أن الكلمات الجارحة كانت في تصاعد وقد وصلت إلى مستوى عالٍ من الاحتكاك. خطايا قديمة وأضرار أخرى تمّ طرحها على البساط وقد فضلت إريكا لو انصرفت للاختفاء تحت

لحافها، لكن، مرة أخرى، اعترضتها تربيتها الحسنة، مهدِّدة إياها بسبابتها ومرغِمة إياها على التصرف بطريقة متحضرة وسط ميدان المعركة.

في الوقت الذي ذهب فيه باتريك إلى العمل، رمقت الباب بلهفة. لم يخفِ ارتياحه من إمكانية اللجوء إلى المفوضية، وللحظة أغرَتْها فكرة التأكُّد من صلابة الوعد الذي قطعه على نفسه بأن يلازم البيت إنْ طلبت هي منه ذلك، إلا أنها أدركت بأن الأمر سيكون تعسفاً من جانبها، ولأنها زوجة لطيفة مخلصة لوَّحت له بيدها عبر النافذة عند مغادرته.

كان البيت كبيراً، لكن ليس بما يكفي كي لا ينقلب الاضطراب العام إلى فوضى. لقد أخرجت بعض ألعاب التسلية الجماعية للطفلين بحيث كانت حروف هجاء السكرابل (Scrabble) مبعثرة في كلّ مكان من الصالون، متراكمة مع بيوت المونوبولي (Monopoly) وأوراق اللعب. انحنت بمشقّة لجمع البيادق الصغيرة، ومحاولة إعادة شيء من النظام إلى الغرفة. صار تبادل الكلمات في الشرفة المقصورة بين كوني وبريتا محتدماً أكثر فأكثر، وشرعت تُدرك لماذا كان الطفلان لا يفوقانهما تأدباً. بحضور والدَيْن يتصرفان مثل صبيين في الخامسة من العمر لم يكن من السهل تعلم احترام الآخرين وممتلكاتهم. ليت هذا اليوم ينقضي سريعاً! ما إن يتوقف المطر عن الانهمار سوف تطرد أسرة فلود. وإن تعارض ذلك مع التربية الحسنة وحُسن الضيافة، يجب على المرء أن يكون هو القديسة بريجيتا شخصياً كي لا ينفجر إنْ هُم آثروا البقاء لوقت أطول.

سقطت القطرة التي أفاضت الكأس أثناء الغذاء. بقدمين متورمتين وألمٍ موجع أسفل الظهر، ظلت واقفة خلف الفرن طول ساعة لإعداد وجبة غذاء تليق في الآن معاً بشهية كوني المفترسة

وأذواق الطفلين الصعبة، وقد اعتبرت أنها نجحت في ذلك إلى حدٍّ ما. فَتِيتُ معكرونة مصحوباً بنقانق مقلية، كان من المتوقع أن يستحسنه الجميع، لكنها أخطأت على نحوٍ فادح.

- مقرف، أكره النقانق المطبوخة، هذا مثير للاشمئزاز.

أبعدت ليزا الصحن بشكل ظاهر وصالبت ذراعيها.

- خسارة، لأن هذا هو المتوفر اليوم. كان صوت إريكا صارماً.

- لكني جائععة، أريد طعاماً غيره.

- إما هذا أو لا شيء. إذا كنت لا تحبين النقائق المطبوخة، ما عليك سوى أكل المعكرونة بالكاتشاب. أجبرت إريكا نفسها لتبدو وديعة، بينما كان جوفها يغلي.

- المعكرونة مثيرة للاشمئزاز! أريد غيرها. ماماااا!

- أليس لديك شيء آخر تقدمينه لها، يا إريكا؟

داعبت بريتا خدّ ابنتها الأنّانة وتلقت منها ابتسامة شكر. متيقنة من النصر، تهلّل وجهها، وناشدت إريكا بنظرة منها، لكن الحدود قد تمّ تجاوزها. إنها الحرب الآن.

- ليس لدي سوى ذلك. إما تأكلين ما في صحنك، وإما لا تأكلين شيئاً.

- أرجوك إريكا، ألا ترين أنك قاسية بعض الشيء؟ كوْني، اشرح لها كيف نتصرف في البيت، وسياستنا الخاصة بالتربية. إننا لا نجبر طفلينا على أيّ شيء. ذلك يعيق نموهما. إذا أرادت ليزا شيئاً آخر، بالنسبة لنا، من البداهة أن تحصل عليه. أقصد، بأنها شخص كامل الكيان لها كلّ الحق في التعبير مثلنا نحن. وماذا ستقولين لو تمّ إرغامك على أكل أشياء لا تحبينها؟ لا أعتقد أنك ستقبلين ذلك.

قالت بريتا موعظتها بصوت العالمة النفسية الذي لها فشعرت إريكا أنّ الكيل قد طفح. بهدوء يجمد الأوصال، تناولت صحن الصبية، رفعته فوق رأس بريتا ثم أفرغته. حينما سالت المعكرونة والصلصة على شعرها وتسرَّبت إلى داخل قميصها، قطع الذهول سيل الكلمات في منتصف جملة لم تكتمل.

بعد ذلك بعشر دقائق، كانوا قد انصرفوا. وعلى الأرجح كي لا يعودوا أبداً. من الآن فصاعداً سوف تكون على القائمة السوداء الخاصة بهذا الفرع من العائلة، لكن حتى لو توفّرت لها إرادة العالم بأسره، لم يكن بمستطاعها القول إنها نادمة على فعلها كما لم تكن تشعر بالخزي، حتى لو تمّ وصف سلوكها بالصبياني على أكبر تقدير. إنه إحساس رائع، أن تتحرَّر من مكبوتات هذين اليومين السابقَين، ولم تراودها بكلّ تأكيد النية في الاعتذار عن ذلك.

كانت تفكر في قضاء بقية النهار مستلقية على أريكة، مستأنسة بكتاب وأول فنجان شاي في الصيف. فجأة، بدت لها الحياة أكثر إشعاعاً

ومع أن شرفة المقصورة الزجاجية لم تكن واسعة، فإن النباتات التي كانت تنمو فيها قد تضاهي الحدائق الغنّاء. كل زهرة قد استُثمِرت بحنوٍّ انطلاقاً من بذرة أو فسيلة، وبفضل القيظ، كان الجو مَدارياً تقريباً. في مكان منها كان ألبير ثيرنبلاد يزرع بعض الخضروات ولا شيء كان يمكن مقارنته بجَنْيِه لحبات الطماطم والقرع الصيفي والبصل الخاصة به، بل كان هناك أيضاً بعض البطيخ والعنب.

كانت الفيلا تقع على طريق دينغل، في المدخل الجنوبي لفيالباكا، إنها صغيرة، مجاورة لأخرى، لكنها كانت وظيفية. تبدو

شرفتها المقصورة مثل جزيرة رائعة من الخضرة وسط مغروسات المالكين الآخرين المتواضعة.

حينما يكون هنا بين أغراسه إذاك فقط لا يفتقد بيت طفولته الذي شبَّ بين أحضانه وفيه أنشأ موئلاً يضمّه وزوجته وابنته. لقد رحلتا الواحدة بعد الأخرى، وفي عزلته كان الوجع يزداد باطّراد إلى أن جاء اليوم الذي أدرك فيه أنّ عليه توديع البيت وكلّ الذكريات المحفورة على جدرانه.

بالتأكيد إن البيت الحالي لا يتمتع بشخصية البيت القديم الذي أحبه كثيراً، ولكن بفضل ذلك المظهر المحايد صار الوجع أخفّ وطأة من ذي قبل. في الوقت الراهن يستوطن البيت القديم دواخله مثل هدير صامت ودائم، متواري.

حينما اختفت مونا ظنَّ أن لِينْيا وهو سيموتان من الحسرة والحزن. كانت زوجته عليلة مسبقاً، لكنها بدت أكثر مقاومة ممّا كان يعتقد. لقد تصبَّرت عشرة أعوام إضافية كي لا تتركه وحيداً مع الحزن، إنه متأكد من ذلك. كل يوم، كانت تصارع لتبقى على قيد حياة لم تعُد فيها سوى شبح لنفسها.

كانت مونا ضياء حياتها. كانت قد حلّت عندما فقدا معاً الأمل في إنجاب أيّ طفل، ولم يرزقا بغيرها. كل الحب الذي كانا قادرَين على منحه ترسَّخ في الكائن المرح والمشعّ والذي كانت ضحكته تقدح جمرات صغيرة في صدرهما. فأن تختفي هكذا فحسب، فذلك كان يبدو له غير معقول. في تلك الفترة، كان يرى من العادي أن تكفّ الشمس عن اللمعان، وأن تنزل السماء بكل ثقلها على كاهله، لكن لا شيء من ذلك حدث. واصلت الحياة سيرها كما المعتاد خارج بيتهما الذي أصابه فَقْد عظيم. كان الناس يضحكون، يعيشون ويعملون، لكن مونا لم تعد هناك.

لأمد طويل، جعلهما الأمل يعيشان. ربما كانت موجودة في مكان ما. ربما اختارت الاختفاء وهي تعيش حياتها من دونهما. وفي الآن نفسه فقد كانا يعرفان الحقيقة هما معاً. كانت الفتاة الأخرى قد اختفت قبلها بقليل، ولأنها مصادفة كبيرة على نحوٍ مفرط فلم يستطيعا الانخداع بالأمر. ثم إنّ مونا، لم تكن لتسبب لهما ذلك الألم عن عمد. كانت فتاة لطيفة ومحبوبة سعت دائماً للعناية بهما.

اليوم الذي توفيت فيه لينيا، توصّل بالدليل النهائي على أنّ مونا قد رحلت عن هذه الأرض. المرض والحزن كانا قد أوهنا زوجته المحبوبة، وذلك اليوم حينما رآها هناك على الفراش، فقد علم أن الوقت كان قد حان بالنسبة لها من أجل مغادرته. بعد ساعات من السهر عليها، أمسكت بقوة يده للمرة الأخيرة، ثم علت وجهها ابتسامة. الضوء الذي أنار عيني لينيا كان ضوءاً لم يره منذ عشر سنوات. ليس منذ المرة الأخيرة التي شاهدت فيها مونا. لقد حدّقت بنظرها في مكانٍ ما خلفه وأسلمت الروح. عندها كان متأكداً من ذلك. لقد ماتت لينيا وهي سعيدة لأنها ابنتها كانت في استقبالها عند أقصى الممر. بطريقة ما، كان ذلك يسهّل من تحمل الوحدة، أحب شخصين إلى قلبه هما الآن مجتمعان معاً. ويستطيع اللحاق بهما قريباً. كان يستعجل حلول ذلك اليوم، لكن في انتظار ذلك، كان من الواجب عليه أن يحيا حياته بأفضل ما يستطيع. إنّ الرب لا يغفر لمن ينسحبون ولم يكن يجرؤ على المغامرة بمكانه في السماء، إلى جانب لينيا ومونا.

انتزعه طَرقٌ على الباب من أفكاره الكئيبة. نهض بمشقة وهو يتكئ على عصاه مرَّ بين الأغراس، عبر الرواق وفتح باب الدخول. كان يقف هناك رجل شاب وقور، يتأهب لطرق الباب من جديد.

- ألبير ثيرنبلاد؟

- أجل، أنا هو، لكنني لست في حاجة إلى شيء، إن كنت تودّ بَيعي شيئاً.
ابتسم الرجل.
- لا، أنا لا أبيع شيئاً. اسمي باتريك هيدشتروم وأنتسب للشرطة. كنت أودّ التحدّث معك قليلاً
لم يقل ألبير شيئاً وابتعد كي يتيح له الدخول. صاحَبَه إلى الشرفة المقصورة وأشار إلى الأريكة. لم يسأل عمّا أتى به إلى هناك. لم يكن ذلك ضرورياً كان ينتظر هذه الزيارة منذ أكثر من عشرين سنة.
- مغروساتك رائعة. لك يدٌ ماهرة في العناية بالنباتات حسب ما أرى، قال باتريك بضحكة عصبية قليلاً ما.
لم يقُل ألبير شيئاً، لكنه ألقى نظرة وديعة على باتريك. أدرك أنه لم يكن بالخبر الذي يسهل الإنباء به، لكن على محقّق الشرطة الماثل أمامه أن يطمئن، بعد كلّ تلك السنوات من الانتظار، فأن يعلم في آخر المطاف كان أمراً محموداً. إن أوقات الحداد تمّت سلفاً.
- أي نعم، إني أودّ إخبارك بأننا عثرنا على ابنتك.
نَحْنَحَ باتريك، وتكلم من جديد:
- لقد عثرنا على ابنتك ونستطيع التأكيد بأنها تعرّضت للقتل.
هزّ ألبير رأسه ببساطة. في الوقت نفسه، شعر بالسكينة تغمر روحه. وأخيراً يستطيع الاهتمام براحة مونا. ويكون لها قبر يخشع إليه. سوف يدفنها إلى جانب لينيا.
- أين عثرتم عليها؟
- في فجوة الملك؟
- فجوة الملك؟ غضّن ألبير جبينه. كيف تمّ ولم يعثروا عليها

قبل ذلك الأوان؟ هناك الكثير من الحشود التي تعبُر ذلك المكان.

أخبره باتريك هيدشتروم عن السائحة الألمانية المقتولة وقال له بأنهم ربما عثروا على سيف أيضاً. إنهم يعتقدون بأنه قد تمّ وضع مونا وسيف خلال الليل، وبأنهما مكثتا في موضع آخر طول كل تلك السنين.

لم يكن ألبير يحلّ بالمدينة إلا لماماً، حيث إنه لم يسمع بمقتل الشابة الألمانية خلافاً لسكان فيالباكا أول إحساس انتابه حينما علم بما حدث لها كان ألماً فظيعاً هزّه من الأعماق. في مكان ما سوف يعيش شخص ما الجحيم نفسه الذي خبراه، هو ولينيا. في مكان ما، هناك أب وأم لن يريا أبداً ابنتهما. وهذا أرخى بظلاله على الخبر المتعلق بمونا كان على أحسن حال، مقارنة بوالدَيْ الفتاة الميتة. بالنسبة له، سنح الوقت للألم بأنْ يخفّ ويندثر. أما بالنسبة لهما، عكس ذلك، فإن عليهما عيش سنوات كثيرة من العذاب، وشعر بانقباض في قلبه.

- هل تمّ التعرُّف على من قام بذلك؟

- للأسف لا، لكننا سوف نفعل كل شيء لمعرفة ذلك.

- هل تعلمون إنْ كان الفاعل هو الشخص نفسه؟

أطرق الشرطي.

- لا، إننا لا نعلم حتى هذا، لكن كل شيء يشير إلى ذلك. هناك بعض أوجه الشبه، هذا كل ما أستطيع قوله الآن.

ألقى باتريك بنظرة مهمومة نحو الرجل العجوز الماثل أمامه.

- هل يمكنني مناداة شخص ما؟ شخص يستطيع القدوم لمرافقتكم؟

- لا، ليس هناك أحد. كانت ابتسامته وديعة وأبوية.

- هل تريد أن أنادي على القس؟

- لا، شكراً، لست بحاجة إلى قس. لا تهتم لذلك، لقد عشتُ هذا اليوم آلاف المرات ذهنياً. أريد فحسب أن أظلّ هنا بهدوءٍ بين مغروساتي وأن أفكّر. لا أفتقد أي شيء. تصور، مع أنني عجوز، فأنا صلب.

من جديد، الابتسامة الوديعة ذاتها. وضع يده على يد باتريك كما لو كان هو من يواسيه. وربما كان الحال كذلك.

- لو تفضّلت حقاً، أودّ أن أطلعك على بعض الصور لمونا وأن أحدّثك عنها قليلاً كي تدرك حقاً كيف كانت.

ومن دون تردّد، هزّ باتريك رأسه وانصرف ألبير وهو يعرج للبحث عن الألبومات القديمة. خلال ساعة تقريباً، عرض عليه صوراً وتحدّث عن ابنته. كانت تلك واحدة من أجمل اللحظات منذ أمدٍ طويل وقد أدرك بأنه كان عليه أن يسمح لنفسه مراراً بهذا النوع من الاقتحام للذكريات.

على عتبة الباب، قبل انصراف باتريك، دسَّ في يده إحدى الصور. كانت لمونا في عيد ميلادها الخامس، أمامها حلوى كبيرة بخمس شمعات وابتسامة ملء شدقيها. كانت لطيفة بخصلات شعر شقراء وعينين تشعّ منهما بهجة الحياة. كان من المهم بالنسبة له أن تنطبع هذه الصور في بؤبؤ عين كلّ عنصر من رجال الشرطة عند بحثهم عن قاتل ابنته.

بعد انصراف المفتّش، عاد للجلوس في الشرفة. أغمض عينيه واستنشق أريج الأزهار الطيب. أخذته غفوة نوم رأى في الحلم نفقاً طويلاً حيث كانت تنتظره لينيا ومونا على هيئة ظلال. شعر وكأنهما تلوّحان إليه بإشارات من اليد.

انفتح باب مكتبه بعنف. هرعت سولفيغ داخل الحجرة، ومن

خلفها، شاهد ليبني قادمة تركض، ملوّحة بيديها بحركة معبّرة عن العجز.

- دنيء! أيها الدنيء الملعون!

لاشعورياً، صغّر خده وهو يسمع الكلمات المنتقاة. دائماً ما يزعجه كثيراً أن يعبّر الناس عن مشاعرهم بطريقة فظّة، ولم يكن يتسامح مع مثل هذه اللغة.

- ماذا هناك؟ اهدئي يا سولفيغ الآن وتوقفي عن الكلام معي على ذلك النحو.

فات الأوان، أدرك أن اللهجة الجارحة التي كانت تَرِدُ عليه بكل سلاسة كانت تزيد من فورة سولفيغ. حيث بدت مستعدّة للانقضاض عليه وخنقه فأخذ الحيطة باللجوء خلف المكتب.

- عليّ أن أهدأ! تقول أنه عليّ أن أهدأ، يا فصيلة المنافق الأبله! لست سوى خصية متهدّلة!

لاحظ أنها تنتشي بمشاهدته يفزع عند كل كلمة سباب. وشحب وجه ليبني أكثر، ثم خفضت سولفيغ صوتها شيئاً ما، لكن بأن أضافت إليه لمسة من الخبث.

- ماذا جرى، يا غابرييل؟ لماذا يبدو أنك محرج جداً؟ فيما مضى، كنت تحبّ أن أهمس في أذنك بكلمات بذيئة، ولذلك كان يشتدّ إنعاظك. هل تتذكر يا غابرييل؟

- ليس هناك من سبب لإحياء تلك الحكايات القديمة. هل تؤاخذينني عن شيء مخصوص أم أنك بكل بساطة سكرانة ومزعجة مثل العادة؟

- إن كنت أؤاخذك عن شيء؟ هل تستهزئ من خلقتي؟ أخبرك أني نزلت إلى فيالباكا وهل تدري؟ لقد وجدوا مونا وسيف.

فزع غابرييل وارتسم الذهول على محيَّاه.

- وجدوا الفتاتين؟ أين تمّ ذلك؟

أكبَّت سولفيغ على المكتب، مستندة إلى يديها، حيث إن وجهها لم يكن بعيداً عن وجه غابرييل سوى ببضعة سنتيمترات.

- في فجوة الملك. صحبة فتاة ألمانية مقتولة. ويعتقدون أن القاتل هو نفسه. الخزي لك غابرييل هولت! الخزي لك أنت من أخبرتَ عن أخيك، لحمك ودمك. هو الذي تحمَّل الذنب في نظر الناس بينما لم يكن هناك أدنى دليل ضده. كل تلك الأصابع التي تشير له والهمس من وراء ظهره، ذلك ما سبَّب نهايته. إلا أنك كنت ربما تعوّل على ذلك، أن ينتهي الأمر على ذلك النحو. كنت تعلم أنه هشّ، بأنه ضعيف. لم يتحمل العار وانتحر ولا يفاجئني أنّ ذلك هو ما كنت تأمله بحقّ حينما طلبت الشرطة. لم تتحمل أبداً كون إفراييم يحبّه أكثر منك.

ضغطت سولفيغ مرات عديدة على صدره بإصبع صلب حيث تراجع مع كل ضربة. كان ظهره مسنداً إلى حافة النافذة مسبقاً ولم يكن بمقدوره الابتعاد أكثر. حاول بنظراته أن يشير إلى ليني بفعل شيء ما للخروج من تلك الوضعية المزعجة، لكن كما العادة، لم تفعل سوى أن ظلت متسمرة في مكانها، تحملق بعينيها.

- جوهانس الذي لي كان محبوباً دائماً أكثر منك، كان الجميع يحبه، ولم تتحمل ذلك، أليس كذلك؟ حتى عندما حرمه من الإرث، فإن إفراييم استمر في تفضيل جوهانس. أنت حصلت على المزرعة والمال، لكن لم تنجح أبداً في الحصول على حبّ أبيك. ولو أنك أنت من كان يدير المزرعة بينما كان جوهانس يلهو. ثم حينما انتزع منك خطيبتك، كانت تلك هي القطرة التي أفاضت الكأس، أليس كذلك؟ في تلك الفترة شرعت تكنُّ له الحقد، إيهِ، يا غابرييل؟ في

تلك الفترة شرعت تحقد على أخيك؟ أجل، بالطبع، ربما كان في ذلك ظلم، لكنه لا يخول لك الحق في صنع ما فعلت. لقد حطّمت حياة جوهانس، وحياتي وحياة أطفالي أيضاً تعتقد أني لا أعلم ما يفعله الولدان؟ وهذا ذنبك أنت، يا غابرييل هولت. أخيراً سوف يرى الناس أن جوهانس لم يقترف ما اتّهم به طول كل تلك السنين. أخيراً سوف يكون باستطاعتنا أن نرفع رؤوسنا، الولدان وأنا

وبدا أخيراً أنّ الغضب قد سكن، وحلَّت مكانه الدموع. لم يكن غابرييل يعرف ما الأسوأ منهما خلال لحظة، رأى في غضبتها صورة وجيزة لسولفيغ القديمة. ملكة الجمال الفاتنة التي كان يفتخر بأنها خطيبته، قبل أن يقدِم أخوه على انتزاعها منه، جرياً على عادته في الحصول على كلّ ما يريده. عندما حلَّت الدموع مكان الغضب، استفرغت سولفيغ مثل بالون مثقوب ثم رأى من جديد الخرقة الآدمية السمينة والمهملة التي كانت تقضي وقتها في الحسرة على نفسها

- ليكن مأواك جهنم، يا غابرييل هولت، رفقة أبيك!

غمغمت بالكلمات واختفت إثر ذلك بمثل السرعة التي حلّت بها. وبقي كلّ من غابرييل وليبني. بالنسبة له، كان يشعر كما لو أن قنبلة يدوية انفجرت في وجهه. تهاوى على كرسي المكتب وألقى نظرة خرساء نحو زوجته. وعبَّرت عيونهما عن تفهم متبادل. عظام بالية طفت على السطح، وهما يعلمان معاً ما يعنيه ذلك.

بحماس وثقة، تجند مارتن للسعي إلى معرفة هوية تانيا شميدت، الاسم المسجّل على جواز السفر. كانت ليز قد أحضرت لهم كل أغراض صديقتها، وقام بفحصٍ دقيق لحقيبة الظهر. كان جواز سفرها موجوداً في قعرها كان يبدو بأنه حديث العهد ويحمل القليل من الأختام. وفي الحقيقة، أختام الرحلة بين ألمانيا والسويد

وحسب. ربما لم تغادر أبداً حدود ألمانيا من ذي قبل أو أنها استخرجت جواز سفر جديد.

كانت صورة الهوية جيدة على نحوٍ مثير، وحدَّث نفسه بأنّ مظهرها كان يبدو ودوداً، وإنْ كان عادياً نوعاً ما عينان عسليتان وشعر كستنائي متوسط الطول. قامتها متر وخمسة وسبعين. قوام عادي، حسب الصيغة الملتبسة المتداولة.

باستثناء ذلك، لم تكشف حقيبة الظهر عن شيء مهم. ملابس بديلة، كتب للجيب متهدلة، حاجيات الحمام وأكياس حلوى فارغة. عموماً، لا شيء شخصي، وقد اعتبر ذلك غريباً بعض الشيء. إنّ المرء يحمل معه على الأقل صورة لأسرته أو لرفيقه، أو دفتراً للعناوين. كانوا قد عثروا على حقيبة يد قرب الجثة. وأكدت ليز بأن تانيا كانت تتوفر على حقيبة يد حمراء. من المرجح أنها احتفظت بحاجياتها الشخصية هناك. على كل حال، لم تعُد توجد بداخلها. هل تعلق الأمر بسرقة؟ أم إن القاتل أخذها من باب الذكرى؟ كان قد شاهد على قناة ديسكوفري في برامج حول القتلة بالجملة أنّ هؤلاء كانوا يحتفظون في الغالب بحاجيات كانت في ملكية ضحاياهم بصفتها جزءاً من الطقوس.

استعاد مارتن رباطة جأشه. لا شيء يدلّ إلى حدّ الآن على أنهم بصدد قاتل بالجملة. من الأفضل له أن لا يركب هذه الموجة.

أخذ يُدَوِّن ما يجب عليه فعله. أولاً، الاتصال بالشرطة الألمانية، لأنّ مكالمة تورد بيدرسن قاطعته إذاك. ثم يجب عليه أن يتحدث بتفصيل إلى ليز، وأخيراً سيطلب من غوسطا الذهاب إلى المصطاف من أجل طرح بعض الأسئلة. التأكُّد ممّا إذا كانت تانيا قد تحدَّثت إلى أحدٍ ما، لكن من الأفضل لو قام باتريك بتكليف غوسطا بهذه المهمة. باتريك هو مَن له سلطة توجيه الأوامر لغوسطا، وليس

هو. وكانت الأشياء لتسير على نحوٍ مرن لو اتّبع الناس البروتوكول بحذافيره.

من جديد طلب رقم الشرطة الألمانية وهذه المرّة تمّت المكالمة. من المبالغ فيه القول إن المحادثة جرت بسهولة، لكن حينما وضع السماعة كان متأكداً بما يكفي من أنه نجح في التفوّه بكلّ المعطيات المهمة على نحو سليم. تعهدوا بأنْ يُعيدوا الاتصال به ما إن تتوفر لديهم معلومات إضافية. على كلّ حال، هذا ظنّ مارتن بأنه فهمه. وإذا تطلّب الأمر أن تكون لديه اتصالات كثيرة بالزملاء الألمان فإنه سوف يكون بلا شك مرغماً على الاستنجاد بمترجم.

باعتبار الوقت المطلوب للحصول على تلك المعلومات من الخارج، فقد كان يتحسّر بمرارة نظراً إلى أنه لا يتوفر على ربط جيد بشبكة الإنترنت هنا في المكتب، مثلما لديه في البيت. ومن أجل تفادي ما يسمّى القرصنة، فإنّ المفوضية لا تتوفر على خطّ الاشتراك الرقمي غير المتماثل، ADSL. وعد نفسه بأن يُجري بحثاً من بيته حول تانيا شميدت في الدليل الألماني، آملاً أن يجده على الخطّ، لكن إنْ لم تخُنه الذاكرة، إنّ اسم شميدت من الأسماء العائلية الألمانية الأكثر شهرة، وحظوظه كانت ضئيلة.

في انتظار المعلومات من ألمانيا التي تسمح له بالتقدّم، كان بإمكانه أيضاً التصدي للمهمة الموالية. كانت ليز قد مدَّته برقم هاتفها المحمول وكان يريد التأكُّد من أنها لا تزال هناك. رسمياً، لم يكن ملزماً عليها البقاء، لكنها تعهّدت بأنْ لا تنصرف قبل انصرام يومين أو ثلاثة أيام.

لعلّ رحلتها فقدت كلّ بريقها حسب الشهادة التي أدلت بها لباتريك، صارت الفتاتان قريبتين من بعضهما في ظرف قصير. والآن تجد نفسها وحيدة داخل خيمة في مصطاف بفيالباكا، بعد مقتل

رفيقتها المؤقتة في الرحلة. ربما كانت في خطر بدورها؟ وكان ذلك سيناريو لم يفكر فيه مارتن من قبل. من الأفضل أن يخبر باتريك بذلك ما إن يعود. من الممكن تصوّر أنّ القاتل شاهد الفتاتين في المصطاف ولسببٍ أو لآخر ركز عليهما، لكن في هذه الحال، كيف يمكن تفسير وجود بقايا عظام مونا وسيف؟ مونا ومن المحتمل سيف، صحَّح على الفور. لا ينبغي أبداً اعتبار شيء على أنه أكيد وهو بالكاد كذلك، أحد المتدخلين في مدرسة الشرطة قال ذلك، وتلك أطروحة يسعى مارتن إلى اتّباعها في مهنته.

بعد إمعان النظر، لم يكن يعتقد بأنّ ليز كانت في خطر. مرة أخرى، إنهم يتعاملون مع ما يحتمل وقوعه، وكلّ شيء يحمل على الاعتقاد أنّ وحده الاختيار المؤسف لرفيقة الرحلة تلك هو ما أقحمها في كل ذلك.

رغم التخوُّف الذي شعر به من ذي قبل، قرَّر أخذ زمام الأمور والسعي إلى جرّ غوسطا إلى العمل الملموس. اخترق الممرّ إلى غاية مكتبه.

- غوسطا، هل تسمح لي بمقاطعتك؟

وهو لا يزال منبهراً بإنجازه، كان غوسطا يتحدث عبر الهاتف، وبعد ضبطه في حالة تلبُّس، أغلق السماعة على الفور.

- نعم؟

- التمس باتريك منّا القيام بجولة عبر مخيَّم سالفيك. عليّ ملاقاة رفيقة الضحية في رحلتها. وأنت، يبدو أنّ عليك طرح بعض الأسئلة على المصطافين؟

غمغم غوسطا ما يكفيه، لكنه لم يجادل في التوزيع المزعوم للمهام من طرف باتريك. حمل سترته وسار في خطى مارتن حتى بلغا السيارة. وتحوّل المطر الشديد إلى رذاذ خفيف، وصار الهواء

نقياً ومنعشاً. ويشعر المرء أن أسابيع الغبار والحرارة قد وَلَّتْ مع قدوم المطر وبدا كل شيء نظيفاً على غير العادة.

- آمل فحسب أن يكون هذا المطر مؤقتاً، وإلا يجب أن أقول وداعاً للغولف.

همهم غوسطا في السيارة، وهو متجهم، وأدرك مارتن أن زميله كان هو الوحيد الذي لا يستحسن انقطاعاً طفيفاً للحرارة الصيفية.

- طيب، أنا أعتبر هذا لطيفاً بالأحرى. هذه الحرارة الملعونة كادت تقضي عليّ. فكّر في صديقة باتريك. إنه لأمر مضجرٌ بالطبع أن أكون حاملاً حتى الحلق في عزّ الصيف. سيكون من الصعب عليّ تحمل الأمر، هذا أمر أكيد.

كان مارتن يثرثر، وهو يعلم بأن غوسطا كان يميل بطبعه إلى أن يكون رفيقاً كدراً حينما لا يكون مدار الحديث هو الغولف. وبما أن معلومات مارتن في ذلك المضمار كانت تقتصر على معرفة أنّ الكرة بيضاء ومستديرة وبأنّ لاعبي الغولف يتميزون بسروال المهرج ذي المربعات، فقد استعدّ إلى تبادل الحديث مع نفسه. لذلك فهو لم يأخذ في الاعتبار تعليق غوسطا بادئ الأمر.

- صغيرنا أيضاً ولد بداية شهر أغسطس، كان صيفاً شديد الحرارة، مثل هذا الصيف.

- لديك طفل يا غوسطا؟ لم أكن أعلم بذلك.

نقَّب مارتن بين ذكرياته عمّا كان يعرفه عن أسرة غوسطا. زوجته كانت قد توفيت قبل بضع سنوات، لكنه لا يتذكر أي طفل. وهو مندهش، التفت صوب غوسطا. لم يصادف زميله نظرته، كان يحدق في يديه المستريحتين على ركبتيه. وإنْ لم يظهر عليه بأنه مُدْرِكٌ لذلك، فقد كان يُدَوِّرُ خاتم الخطوبة الذهبي الذي كان لا يزال يتزيّن به. بدا أنه لم يسمع سؤال مارتن. استرسل بصوت واهن:

- زاد وزن ماجبريت بثلاثين كيلوغراماً أصبحت مثل حوت ضخم. هي كذلك لم تعُد قادرة على الحركة بسبب الحرارة. وفي النهاية، كانت تلازم الظلّ الوقت كله وهي تلهث. كنت أحضر لها حفنات الماء، دون توقّف، لكن كان ذلك أشبه بمَن يسقي ناقة، كانت ظمآنة طول الوقت.

ضحك، ضحكة عجيبة مكتومة، رقيقة نوعاً ما، وأدرك مارتن أن غوسطا غاص في دهاليز الذكريات بحيث أنه كان يكلّم نفسه في حقيقة الأمر. ثم تابع:

- كان الطفل كاملاً عند ولادته. كبير وجميل، أجل. صورتي طبق الأصل، حسب ما قالوا، لكن بعد ذلك كل شيء حدث بسرعة. كان غوسطا يدوّر خاتمه بتوتر شديد. كنتُ معهما هناك في حجرة الولادة حينما توقف عن التنفس. وكانت تلك بداية المعركة. كان الناس يهرعون من كلّ صوب، ثم انتزعوه منا ثم عندما رأيناه مجدداً، كان في تابوته. كانت مراسيم الدفن جميلة جداً. بعد ذلك، لم تعد لنا رغبة في إنجاب طفل آخر. خشينا أن يحدث ذلك من جديد. ما كنا لنقوى على تحمل ذلك، ماجبريت وأنا واكتفينا الواحد بالآخر.

فزع غوسطا كما لو أنه كان يصحو من إغفاءة شطح. ألقى بنظرة مثقلة بالعتاب نحو مارتن، كما لو كان ذنبه هو أنْ ركضت به خيل الكلام.

- اسمع، لا أريد أن نتحدث عن ذلك. وأنتم، لا حاجة لأن تعلّقوا على الأمر أيضاً خلال أوقات الاستراحة. لقد مضى الآن على ذلك أربعون سنة، ولم يعُد من شأن أيّ كان.

أومأ مارتن برأسه. لم يستطع منع نفسه من الرَّبت بضربة خفيفة

على كتف غوسطا. دمدم العجوز، إلا أنّ مارتن أحسّ مع ذلك أنه في تلك اللحظة انعقدت صلة رفيقة بينهما، في مكانٍ لم يشهد من قبل سوى افتقاد الاحترام المتبادل. ربما لم يكن غوسطا هو أحسن شرطيٍّ تخرّج من المهنة، لكن ذلك لا يعني أنه يفتقد للتجربة.

شعرا بالارتياح لمّا بلغا المصطاف. قد يبدو الصمت ثقيلاً بعد بوح عظيم بالأسرار، والدقائق الخمس الأخيرة كانت محمَّلة بها.

انطلق غوسطا إلى وجهته، والحزن بادٍ عليه، يستفسر المصطافين واحداً تلو الآخر. سأل مارتن عن مكان خيمة ليبز، وتلك التي عثر عليها كانت صغيرة. كانت محبوسة بين خيمتين كبيرتين، وكانت تبدو أصغر بالمقارنة. من جهة، كانت هناك أسرة ومعها أطفال صغار يمرحون ويلعبون بصخب ومن جهة أخرى شخص ضخم بالأحرى يحتسي بيرة تحت مظلة. نظروا جميعهم إلى مارتن باستغراب.

نادى بهدوء. انفتحت السَّحّابة وبرز رأس أشقر.

ساعتان بعد ذلك انصرف مارتن وغوسطا من دون أن يعلما أيّ شيء إضافي. لم تستطع ليبز إعطاء معلومات إضافة إلى ما أخبرت باتريك به مسبقاً في المركز والمصطافون الآخرون لم يلاحظوا شيئاً ذي بال بخصوص تانيا أو ليبز.

لكن شيئاً ما كان يدغدغ مارتن. لقد شاهد تفصيلاً كان عليه تسجيله. بحثَ بشكلٍ محموم بين انطباعات المصطاف المرئية، لكن العنصر ظلّ منفلتا. نقرَ على المقود وهو مغتاظ كان عليه الإقرار بصرف ذهنه عن الأمر.

تمَّت العودة وسط صمت مطبق.

كان باتريك يأمل أن يصير مثل ألبير ثيرنبلاد عندما يشيخ. ليس

وحيداً بالطبع، ولكن جميلاً مثله. لم ينهزم ألبير بعد وفاة زوجته، وهذا ما يحدث مراراً للرجال الكبار في السن حينما يجدون أنفسهم لوحدهم. لا، كان أنيق الملبس بقميص وصدار، شعره الأبيض ولحيته كانا مقصوصَين بعناية. رغم صعوباته في المشي، كان يتحرك بكرامة، مرفوع الرأس، وبالنظر إلى القليل الذي رآه من البيت، فقد كان نظيفاً ومعتنى به. الطريقة التي تفاعل بها مع الخبر الذي سمعه لتوه كانت مثيرة للإعجاب أيضاً. الظاهر أنه تصالح مع قدره وكان يعيش بأفضل ما في وسعه.

صور مونا التي عرضها ألبير على باتريك خلّفت فيه رجّة قوية. مثل مرات عديدة من ذي قبل، أدرك أنه كان من السهل جداً اختزال ضحايا الجرائم إلى رقم ضمن إحصائيات، أو أن تلصق بهم علامة، «المدعي بالحق المدني» أو «الضحية». العبارات نفسها دائماً، سواء تعلّق الأمر بضحية سرقة أو، كما هو الحال الآن، بجريمة قتل. كان ألبير محقاً حينما عرض عليه الصور. إذ سمح له ذلك بتتبع مونا منذ كانت وليدة إلى أن صارت تلك الفتاة الشابة المرحة والطاهرة التي كانت إبان اختفائها.

لكن كانت هناك فتاة أخرى يجب عليه الاستعلام عنها كان يعرف المنطقة بما يكفي ليدرك أن الإشاعات قد تكاثرت مسبقاً وأنها كانت تخترق المدينة الصغيرة كالبرق. من الأفضل استباق هذه الشائعات والذهاب لرؤية والدة سيف لانتان ما دامت قد تزوجت من جديد، أو تزوجت باختصار. بعد بضعة أبحاث، استخرج اسمها الجديد، ستروير، وعلمَ أنّ هناك منزلاً صيفياً باسم غون ولارس ستروير يقع في نورا هامنغانان بفيالباكا. كان يبدو له اسم ستروير مألوفاً، لكنه لم يتوصل إلى تحديد موقعه.

من حظّه أنه وجد مكاناً في موقف السيارات أسفل مطعم

الحمَّامات ثم اجتاز المائة متر الأخيرة مشياً على قدميه. في فصل الصيف، تكون حركة المرور في اتجاه واحدٍ بنورا هامنغاتان، لكنه في مساره القصير ذاك، صادف ثلاثة حمقى الظاهر أنهم كانوا يجهلون قراءة علامات الإشارة والذين أرغموه على أن يلتصق بالحائط الحجري حينما كانوا في مواجهة السيارات القادمة من الاتجاه المعاكس. آه لأولئك الأشخاص الذين يركبون السيارات الرباعية، إنهم لا يُحتملون! هذا علاوة على أنهم قادمون على الأرجح من ستوكهولم حيث هذا النوع من المركبات الصالحة لكل الطرقات لا معنى له قطعاً.

كان يودّ إخراج شارته وأن يلقّنهم القانون، لكنه تراجع عن ذلك. لو كان عليهم تخصيص وقتهم من أجل تعليم آداب السلوك الأولية للسياح، فإنهم لن يقوموا إلّا بذلك فحسب.

عندما وصل إلى العنوان المناسب، منزل أبيض ذو نجارة زرقاء يقع على يسار الدرب، قبالة أكواخ الصيادين الحمراء التي تعطي لفيالباكا مظهرها المميّز ذاك، وجد مالكي المنزل وهما منهمكان في إنزال بعض الحقائب الثقيلة من سيارة فولفو V70 ذهبية اللون. وللتدقيق أكثر، رجل متقدم في العمر، بسترة ذات أزرار مزدوجة كان يُخرج لوحده الحقائب، وهو يلهث بصوت عالٍ، بينما كانت إلى جانبه امرأة قصيرة القامة، مطلية بالمساحيق، مفرطة في حركاتها. كانت بشرتهما ملفوحة هما الاثنان، ما لم نقل أنهما كانا مدبوغان، ولو لم يكن فصل الصيف مشمساً كل ذلك الحدّ، فإنّ باتريك كان سيظنّ أنّ الأمر يتعلق بعطلة في الخارج، لكن هذه السنة، فمن الممكن أن جُزُر فيالباكا منحتهما تلك اللفحة أيضاً.

دنا منهما وتردَّد لحظة قبل أن ينحنح لإثارة انتباههما. استدارا نحوه.

- نعم؟ كان صوت غون ستروير بالغ الحدة شيئاً ما وانتبه باتريك إلى ملمح الخسَّة في وجهه.

- اسمي باتريك هيدشتروم، أنتسب للشرطة. أودّ الحديث إليكما بعض الوقت.

- وأخيراً! كم طال الوقت!

لوّحت بيديها ذات الأظافر الحمر ورفعت عينيها نحو السماء.

- لا أفهم ما الذي يصنعوه بأموال دافعي الضرائب! أمضينا الصيف كله في إخباركم بأنّ الناس يركنون مركباتهم في المكان المخصَّص لنا بالموقف دون أن نحصل على أيّ ردٍّ منكم. إن هذا شطط! حسناً، إذن، هكذا سوف تتصدّون أخيراً للأمر؟ لقد أدينا غالياً ثمن هذا المنزل ونظنّ أننا نحن مَن عليه استعمال مكاننا في الموقف، لكن ربما نحن نطلب الكثير!

ثبَّتت يديها على وركيها وحدَّقت في عيني باتريك مباشرة. خلفها، كان يبدو على زوجها أنه يتمنى الاختفاء في جوف الأرض. الظاهر أنه لم يكن يعتبر كلّ الأمر بأنه يدعو للتذمر بذلك القدر.

- أنا متأسف، لستُ هنا من أجل مخالفة وقوف السيارات، لكن قبل كلّ شيء، يجب بداية أن أسألكما: هل اسمك العائلي قبل الزواج هو لانتان، وهل لديك بنت باسْم سيف؟

صمتت غون فوراً ووضعت يدها على فمها. كان ذلك كافياً بصفته إجابة. بادر زوجها إلى استعادة رباطة الجأش وأشار إلى باب المدخل الذي ظل مفتوحاً. وكي لا يخاطر بترك الحقائب في الشارع، أمسك باتريك بحقيبتين وساعد لارس ستروير في حملهما إلى داخل البيت، بينما كانت غون تسبقهما

وأخذوا أماكنهم في غرفة الجلوس، جلس الزوج جنباً إلى جنب على الأريكة واختار باتريك كرسياً متكأ كانت غون متمسكة

بلارس، لكن حركاته المواسية كانت تبدو ميكانيكية بما يكفي، كما لو أنه لا يصنع سوى ما يتطلبه الموقف منه.

- ما الذي حدث؟ ماذا علمتم؟ مضى على ذلك أكثر من عشرين سنة، كيف تسنى لكم العثور على شيء بعد كل هذا الأمد الطويل؟ كان الهلع يجعل غون تتكلم بدون انقطاع.

- أودّ التأكيد أننا لسنا متيقنين بعد، لكن من المرجح أننا عثرنا على سيف.

وضعت غون يدها على حنجرتها وهذه المرة بدت بكماء.

- ما زلنا ننتظر تحديد الهوية من طرف الطبيب الشرعي، واصل باتريك، لكن كلّ شيء يدعو للاعتقاد بأنّ الأمر يتعلق بسيف.

لكن كيف، أين. ؟ تلعثمت الأسئلة في فمها. الأسئلة نفسها، بالطبع، التي طرحها والد مونا

- تم العثور على امرأة شابة في فجوة الملك. في المكان عينه، تمّ العثور على مونا ثيرنبلاد، وسيف، على الأرجح.

شرح، مثلما فعل ذلك مع ألبير ثيرنبلاد، بأنّ الضحيتان تمّ وضعهما هناك، وبأن الشرطة تعمل جاهدة الآن للكشف عن الذي استطاع اقتراف جرائم القتل هذه.

ألصقت غون وجهها بصدر زوجها، لكن باتريك لاحظ أنها تبكي من دون أن تذرف دموعاً. وكان لديه انطباع بأنّ إظهارها للحزن الغرض منه جزئياً إثارة الإعجاب، لكن ظلّ ذلك انطباعاً ملتبساً.

حينما استعادت السيطرة على نفسها، أخرجت مرآة جيب صغيرة من حقيبة اليد التي لها وتحقّقت من زينتها قبل أن تسأل:

- ما الذي سيقع الآن؟ متى يمكننا تسلُّم جثمان صغيرتي سيف المسكينة؟

ودون انتظار للجواب، التفتت صوب زوجها:

- يجب أن ننظم مراسم دفنٍ حقيقية لغاليتي المسكينة، يا لارس. يمكن أن نحصل على استقبال صغير بعد ذلك في قاعة حفلات Grand Hôtel، بل وربما عشاء حقيقي. تظنّ أننا نستطيع دعوة.

ذكرت اسم أحد نجوم الحياة الاقتصادية المحلية. كان باتريك يعلم أنه مالك أحد المنازل الواقعة أسفل الشارع.

واصلت غون:

- لقد صادفت زوجته في متجر إيفا وقالت لي إنه يجب علينا أن نلتقي بأيّ ثمن. أعتقد أنه سوف يسعدهم الحضور.

نازعت نبرة إثارة صوتها بينما أومأ زوجها بحاجبيه علامة على السخط. فجأة عرف باتريك أين سمع باسمهما في السابق. لارس ستروير كان هو مؤسس إحدى أكبر مجموعات التصنيع الغذائي في السويد، لكنه تقاعد الآن، وتمّ بيع المجموعة إلى أجانب. طبيعي أن يتوفرا على منزل بذلك الموقع المميز. فالرجل كان يساوي الملايين. لقد شهدت أم سيف ارتقاء اجتماعياً لطيفاً منذ السبعينيات حينما كانت تعيش صيفاً وشتاء داخل كوخ صغير صحبة ابنتها وحفيدتها.

- أرجوك، سوف نهتم بالأمور العملية فيما بعد. تحتاجين أولاً إلى بعض الوقت من أجل تقبُّل هذه الأخبار.

وجَّه لها نظرة مليئة بالعتاب. خفضت بصرها وتذكَّرت دورها بصفتها أماً مكلومة.

نظر باتريك إلى ما حوله في الحجرة، ورغم خبره الكئيب، أحسّ بضحكة تصعد حلقه. كان البيت عبارة عن محاكاة ساخرة لما

يوجد داخل بيوت المصطافين التي اعتادت إريكا على السخرية منها. كانت الغرفة بأكملها مرتبة مثل مقصورة سفينة، بموضوعات بحرية، خرائط بحرية على الجدران، مصباح - منارة، ستائر برسومات من الأصداف، بل ودفة قيادة قديمة وقد تمّ تحويلها إلى منضدة. مثالٌ صارخ للحكمة القائلة بأنّ المال والذوق الرفيع لا يلتقيان بالضرورة.

- كنت أودّ لو تحدثيني قليلاً عن سيف. لقد عدتُ للتو من عند والد مونا، وعرض عليّ صوراً تعود إلى طفولة مونا هل أستطيع ربما أن أرى أيضاً صوراً لابنتك؟

بخلاف ألبير الذي أضاء وجهه للقدرة على الكلام عن أغلى ما كان يملك في الكون، فإن غون كانت تترنح على الأريكة من شدّة الحرج.

- طيب، لا أدري فيمَ قد يفيد ذلك. لقد طرحوا كثيراً من الأسئلة حينما اختفت سيف، ولعلّ كل ذلك ما زال موجوداً في موضعٍ ما ضمن الأوراق القديمة.

- بالطبع، ولكن أقصد من الناحية الشخصية أكثر. كيف كانت، ماذا كانت تحب، ماذا كانت مشاريعها؟ هذا النوع من الأشياء.

- مشاريعها - حسناً، لم يكن لديها خيارات كثيرة. ذلك الألماني نفخ بطنها حينما كانت في ربيعها السابع عشر، ونتيجة ذلك أخرجتها من المدرسة، لم يكن ذلك سوى مضيعة للوقت على أيّ حال. كان قد فات الأوان، ولم يكن في نيتي الاهتمام بصغيرها، فذلك كان أمراً موثوقا ومؤكّداً.

كان في نبرتها احتقار وفكر باتريك في سريرته لما رأى النظرات التي يصوبها لارس نحو زوجته أنه لم يتبق الشيء الكثير من تلك

الصورة التي تكونت لديه عنها حينما تزوجا. كان التعب والخضوع باديان على وجهه المحفور بتجاعيد الخيبة. الظاهر أيضاً أن زواجهما كان في مرحلة لم تعُد فيها غون تعتني إلا قليلاً بإخفاء شخصيتها الحقيقية. ربما في البداية كان الأمر يتعلق بالنسبة إلى لارس بحب حقيقي، لكن باتريك كان ليراهن على أن غون انجذبت خصوصاً بالملايين في الحساب البنكي.

- طفلتها، أجل، أين هي اليوم؟ حنى باتريك ظهره، يحرّكه الفضول لسماع الجواب.

مرة أخرى دموع التماسيح.

بعد اختفاء سيف، لم أعُد أستطيع الاهتمام بالصغيرة لوحدي. ليست الرغبة هي ما كان ينقصني، لكن كانت لدي بعض المشاكل المالية في تلك الفترة، طيب، والسهر على صبية صغيرة لم يكن ممكناً وعليه أصلحت الوضع قدر ما استطعت وأرسلتها إلى ألمانيا، عند والدها. نعم، طيب، ذلك لم يرق له كثيراً أن يجد نفسه أمام التكفّل بصغيرة على ذلك النحو فجأة، لكنه كان مضطراً للقبول، فهو أب الطفلة بعد كل شيء، كانت لديّ وثائق تثبت ذلك.

- إذن هي تقيم اليوم في ألمانيا؟

انبثقت فكرة صغيرة في ذهن باتريك. هل ممكن أن. لا، فذلك أمر لن يصدق بتاتاً

- لا، لقد ماتت.

اندثرت فكرة باتريك بالسرعة نفسها التي انبثقت بها.

- ماتت؟

- أجل، صدمتها سيارة حينما كانت في الخامسة من عمرها. والألماني لم يكلّف نفسه ولو مكالمة هاتفية. توصلت فحسب برسالة

يقول فيها بأن ماتيلدا ماتت. لم يطلب مني حتى الذهاب لحضور الجنازة، يا للعار! حفيدتي ولم أحضر حتى مراسِم دفنها.

كان صوتها يرجف من السخط.

كما لم يُجِب أبداً عن الرسائل التي كتبتها حينما كانت الصغيرة لا تزال على قيد الحياة. ألا ترى أنّ ذلك كان أقل شيء يقوم به لمساعدة جدة الحفيدة المسكينة يتيمة الأم؟ مهما يكن، أنا التي سهرتُ على أن تجد صغيرته ما يسدُّ رمقها وملابس تسترها في عاميها الأولين. وعلى ماذا حصلت جزاء كل ذلك؟

أخذت غون تفقد أعصابها نظراً إلى كلّ الظلم الذي عانت منه، ولم تهدأ إلّا عندما وضع لارس يده على كتفها وضمّها بلطف وحزم، يستحثّها على أن تهدّئ من روعها.

امتنع باتريك عن الإجابة. كان يعلم أن جوابه لن يكون مرحباً به. لماذا كان على أب الطفلة أن يبعث لها بالمال؟ ألا تدرك سخافة طلبها؟ الظاهر أنها لا تفعل ما دام خدّاها المدبوغان قد احمرّا من شدة الغيظ، ولو أن حفيدتها ماتت منذ أكثر من عشرين عاماً.

قام بمحاولة أخيرة لمعرفة شيء شخصي عن سيف.

- أليس لديكم صور فوتوغرافية؟

- طيب، لم يسبق لي أن أخذت لها صوراً بالتحديد، لكني سوف أرى ما قد أصادفه.

ابتعدت وتركت باتريك لوحده في حجرة الجلوس مع لارس. لم يتفوّها بشيء طول المدة، ثم أخذ لارس الكلمة بصوت خافت جداً كي لا تسمعه غون.

- إنّ غون ليست عديمة المشاعر مثلما يبدو، بل لديها بعض المزايا الطيبة أيضاً.

هو ذاك، خمن باتريك. كان كلام لارس يشبه تماماً من يدافع عن مجنون، لكنه كان يقوم لا شك بما يستطيع لتبرير كونه تزوج بها. لا بد أنه يكبر غون بعشرين سنة كاملة وليس من الشذوذ افتراض أن اختياره كان جسدياً بالأساس. من جهة أخرى، أقرَّ باتريك بأنّ عمله جعله مفرطاً في صلافته. ربما تعلق الأمر بحب حقيقي، من يدري؟

عادت غون، ولم تكن محمّلة بألبومات سميكة من الصور شأن ألبير ثيرنبلاد، وإنما بصورة صغيرة واحدة بالأسود والأبيض ناولتها لباتريك. كانت تمثل سيف مراهقة تبدو وكأنها مكرهة على حمل طفلتها الرضيعة بين ذراعيها، لكن خلافاً لصورة مونا، لا ترتسم أية فرحة على وجهها.

- طيب، الآن يجب أن نستعيد قليلاً ألفتنا بالمكان. إننا عدنا للتو من بْروفونْس، بنت لارس تقيم هناك. من الطريقة التي نطقت بها غون كلمة «بنت»، أدرك باتريك أنه لم تكن هناك من مشاعر ود تجمعها وربيبتها.

وبما أنّ حضوره لم يبدُ مرغوباً فيه، فقد التمس الانصراف.

- وشكراً على إعارتي الصورة. أتعهد لكم بإعادتها في حالة جيدة.

قامت غون بحركة عارضة من يدها، ثم تذكرت دورها وشنَّجت وجهها مكشرة.

- أخبِروني ما إن تحصلوا على تأكيد. كم أودّ أن أستطيع في النهاية دفن صغيرتي سيف.

- بالطبع، سوف أتصل بكما ما إن أتوفر على جديد.

كانت نبرته موجزة بلا طائل، لكن كل هذا العرض كان يجعله بحقّ في وضعٍ غير مريح.

حينما كان في الخارج بنورا هامغاتان، أفرغت السماء مياهها فوق رأسه. ظلّ جامداً للحظة وترك الطوفان يغسل الإحساس باللزوجة الذي خلفته زيارته لآل ستروير. الآن هو في حاجة للعودة إلى البيت، وضمّ إريكا بين ذراعيه والإحساس بالحياة تنبض حينما يضع يده على بطنها كان في حاجة للإحساس بأنّ العالم لم يكن بتلك القسوة والخبث مثلما يظهر بهما بعض الأحيان.

صيف 1979

بدا لها أنها موجودة هناك منذ شهور، لكنها كانت تعرف بأنّ الأمر لم يستغرق كلّ تلك المدة. ورغم ذلك كلّ ساعة أمضتها في الظلام كانت أشبه بحياة كاملة.

أكثر ممّا ينبغي من الوقت للتفكير. أكثر ممّا ينبغي من الوقت للإحساس بالألم وهو ينخر كل عصب. أكثر ممّا ينبغي من الوقت للتفكير في كل ما فقدته. أو ما سوف تفقده.

هي تدرك الآن بأنها لن تخرج من هنا. لا أحد يستطيع وضع نهاية لمثل ذلك الألم. ورغم ذلك لم يسبق لها أن شعرت بيدين أكثر نعومة من يدي الرجل. لم تداعبها أبداً يد بمثل ذلك القدر من الحب، وهي تستزيد منه. ليس ذلك التّماس المقيت والمؤلم، وإنما ذلك الذي يعقبه. لو عرفت مثل هذه اللمسة من ذي قبل، لكان كل شيء مختلفاً، هي تعرف ذلك منذ الآن فصاعداً. كان إحساسها حينما ينقل يديه عبر جسمها إحساساً شديد النقاء والطهارة إلى حدّ أنه كان يتوغل في أعماق نفسها، إلى موضع لم ينجح أحد في الوصول إليه حتى ذلك الحين.

في الظلام، بات يمثل كل شيء بالنسبة لها. لم ينبس بأية

كلمة وكان يشط بها الخيال في نبرة صوته. صوت أبوي، رؤوم. لكن عندما كان يحُلّ الألم، كانت تكرهه. عندها تودّ لو تستطيع قتله. لو كانت في حال يسمح بفعل ذلك.

وجده روبير في المَخْزَن. إنهما يعرفان بعضهما جيداً وهو يعلم بأن جوهان يتوارى هناك حينما يريد التفكير بسلام. لمّا وجد البيت خالياً، ذهب إلى هناك مباشرة وبالفعل وجد أخاه، جالساً على الأرض، ركبتاه مرفوعتان وذراعاه مضمومتان حول ساقيه.

كان الاختلاف بينهما شديداً إلى حدّ أن روبير كان يصعب عليه فهم كيف أمكنهما أن يكونا أخوين في الحقيقة. من جهته، كان يفتخر بأنه لم يخصِّص ولو دقيقة واحدة من حياته للتفكير في نتائج أفعاله، ولا حتى في السعي لتوقُّعها. كان يتصرف، وبعد ذلك ليحدث ما يحدث. ومَن طال عمره لسوف يرى، كان ذلك هو شعاره، الأشياء لا تنقاد وراء التأثير، وإذن لماذا القلق؟ في كل الأحوال، فإن الحياة تخدع المرء بطريقة أو بأخرى، هذا منطق الأشياء، نقطة ختام.

أما جوهان، خلافاً لذلك، فقد كان رزيناً بإفراط، ولم يكُن ذلك يعود عليه بأيّ منفعة. في لحظات تبصُّره النادرة، كان روبير يشعر بذرة ندم من كون أخيه اختار السير على نهجه السيئ، لكن من جهة أخرى، ربما كانت الأمور أحسن على ذلك النحو. وإلا فإن جوهان كان سيتعرض لخيبة أمل فقط. لقد كانا ولدا جوهانس

هولت، وكما لو أنّ لعنة مسلّطة على هذا الفرع العاهر من العائلة. لم يكن هناك بصيص من الأمل كي ينجح أحدهما في أي شيء مهما كان، وبالتالي لا طائل من المحاولة.

لن يقرّ بذلك، ولو تحت التعذيب، لكنه يحبّ أخاه أكثر من أي شيء في الدنيا، وقد انقبض قلبه حينما تبيَّن مَيْسَم جوهان في عتمة المخزن. كان يبدو غارقاً بآلاف الأميال في أفكاره وكان روبير يميز جيداً الحزن المخيم عليه. كان الأمر أشبه بسحابة من الكآبة تهجم أحياناً على جوهان وتحبسه في مكان مظلم ومرعب، طول أسابيع. لم يشهد روبير أخاه على ذلك الحال على امتداد الصيف كله، لكنه الآن يشعر بذلك حسياً بتجاوزه لعتبة الباب.

- جوهان؟

ما أحار إليه جواباً تقدّم روبير أبعد في العتمة يخطو على رؤوس الأصابع. جثا إلى جانب أخيه ووضع يده على كتفه.

- جوهان، جئت مرة أخرى لتختبئ هنا؟

اكتفى أخوه الأصغر بأن أومأ برأسه فحسب. حينما التفت صوب روبير، اندهش هذا الأخير لما رأى وجهه وقد انتفخ من شدة البكاء. مزّقته الحيرة.

- ماذا هناك، يا جوهان؟ ماذا حدث؟

- بابا.

وغرقت بقية كلامه في النشيج وقد سعى روبير جاهداً لسماعه.

- بابا، كيف ذاك، ماذا تقصد بكلامك يا جوهان؟

استمد أنفاساً عميقة كي يسكن، ثم أجاب:

- سوف يعلم الجميع الآن أنه لم تكن لبابا يدٌ في اختفاء تلك الفتاتين. أتدري، سوف يفهم الناس بأنه لم يكن هو الفاعل.

- ما هذا الهذيان؟
هزّ روبير أخاه جوهان، لكنه أحس بقلبه يركض في صدره.
- لقد نزلت ماما إلى المدينة، وعلمت أنهم وجدوا فتاة مقتولة، وفي الوقت نفسه، عثروا على الفتاتين اللتين اختفتا هل فهمت؟ لقد تمّ قتل فتاة الآن. هنا، هذه المرة، لن يجرؤ أحدٌ مهما يكن على القول بأن والدنا هو من صنع ذلك.

انفجر جوهان بما يشبه ضحكاً هستيرياً لم يستطع روبير حتى تلك اللحظة استيعاب ما كان يقوله. منذ اليوم الذي عثر فيه على أبيه في الحظيرة، بأنشوطة حول العنق، وهو يحلم بسماع هذه الكلمات التي يلفظها جوهان الآن.

- أنت لا تستخف بي على الأقل؟ حذار، وإلا حطمت بقبضتي وجهك!

شدَّ قبضته، لكن جوهان واصل ضحكه بهستيرية وكانت الدموع تنهمر دائماً أدرك روبير هذه المرة أنها دموع فرح. التفت جوهان وضمَّه بين ذراعيه، بقوة بحيث صعب عليه التنفس، وحينما أدرك أخيراً بأن أخاه كان صادقاً، ضمّه روبير هو الآخر بكلّ ما أوتي من قوة.

وأخيراً سوف تتمّ تبرئة أبيهما، وسوف يتسنى لأمهما ولهما المشي ورؤوسهم مرفوعة، دون سماع ألسنة السوء وهي تجري بالنميمة من خلفهم. سوف تعضّ تلك المثرثرات السخيفات أصابع الندم. بعد أربع وعشرين سنة من إشاعة الأكاذيب الحمقاء عن أسرتهم، جاء دورهن الآن للشعور بالخزي.

- أين هي، ماما؟
تخلَّص من حضن جوهان واستفسر بنظرة منه، أخذ هذا الأخير يقهقه بشكل يخرج عن السيطرة ويتمتم من بين نوبات الضحك.

- ماذا تقول؟ اهدأ وتكلَّم بشكل سويّ. قلت لك، أين هي ماما؟

- إنها عند العم غابرييل.

اكفهرَّ روبير.

- ما الذي ذهبتْ تفعله عند ذلك اللقيط؟

- من أجل أن تفضح حقيقة أفعاله، أظنّ ذلك. لم أرها من قبل بكل ذلك الغضب. لقد قالت بأنها ستعرج إلى القصر الريفي حتى تخبر غابرييل برأيها فيه. أعتقد أنه أمضى ربع ساعة صعبة. كان عليك مشاهدتها، أمرٌ لا يصدق. كانت منكوشة بالكامل، أقول لك، لم ينقصها سوى الدخان المنبعث من الأذنين.

صورة أمهما بشعرها المبعثر وسحابة الدخان الخارجة من الأذنين جعلت روبير يضحك أيضاً. منذ أمدٍ بعيد، كان يراها مثل ظلٍّ يزحف وهي تتمتم، وكان من الصعب عليه تخيُّلها وهي في سَورة الغضب.

- كم كنت أودّ رؤية وجه غابرييل. وهل تتخيل العمة ليني؟

قام جوهان بتقليد ناجح لها، بصوتها الحاد جداً، والحيرة بادية عليها ويداها الملتويتان بجانب صدرها: «يا عزيزتي سولفيغ، ماذا جرى لك، ما هذه الطريقة في الكلام؟»

بعد أن جرفتهما نوبة ضحك، تدحرج الأخَوان على الأرض.

- قلْ لي، هل يحدث لك أن تفكّر في الوالد؟

أعادهما سؤال جوهان إلى مقام الجِدّ وظلّ روبير صامتاً للحظة قبل أن يجيب:

- أجل، بالتأكيد أن ذلك يحدث لي، لكن يصعب عليّ نسيان منظر وجهه ذلك اليوم. لحُسن حظك أنك لم تره. وأنت، هل تفكر في الأمر؟

سمعتْ باتريك يهزّ مظلة على الدرج واستندت إلى مرفقيها بمشقة كي تنهض من على الأريكة وتذهب لاستقباله.

- أهلاً؟

كانت نبرة باتريك متردّدة ثم جالَ بنظره من حوله. لم يكن يتوقع بالطبع أن يكون البيت بمثل ذلك الهدوء. في الواقع، كان على إريكا أن تعاتبه قليلاً لأنه لم يتّصل بها طول النهار، إلا أنها كانت مسرورة جداً بعودته إلى البيت حيث لم تشرع في الشكوى. كانت تعلم أيضاً بأنه من الممكن الاتصال به دائماً عبر المحمول ولم يخالجها الشك بتاتاً بأنه كان يفكر بها آلاف المرات أثناء النهار. هكذا كانت تسري بينهما الثقة، وكان من المذهل أن يستطيعا الاعتماد على ذلك. قال هامساً:

- أين ذهبوا، كوني والعصابة؟

- لقد حظيت بريتا بصحن من النقانق المطبوخة والمعكرونة على الرأس، ثم إنه لم تعُد لهم رغبة في البقاء. إنّ الناس جاحدون مهما يكن، ألا تعتقد ذلك؟

كانت تستمتع بمنظر باتريك الحائر.

- لقد أخذتُ زمام المبادرة فحسب. مهما يكن، هناك حدود يجب احترامها. أعتقد أننا لن نتوصل بدعوة من هذا الفرع من العائلة لمائة عام المقبلة، لكني لست نادمة على ذلك. وأنت؟

- أوه، لا، بالتأكيد لا هل أقدمتِ فعلاً على ذلك؟ أفرغت صحناً على رأسها؟

- أقسم لك على ذلك. كلّ تربيتي السليمة ذهبت أدراج الرياح. لن أكون من أهل الجنة.

- ما ألذّك، لكنك قطعة صغيرة من الجنة أنتِ، وإذن لستِ في حاجة إليها.

داعبها بلَذْغِه لعنُقها، هناك تحديداً حيث يعلم أنها تشعر بالدغدغة، فدفعته وهي تضحك.

- سأحضر شوكولاتة ساخنة، وتخبريني بالمواجهة العظمى.

أمسك باتريك بيدها واصطحبها إلى المطبخ، حيث ساعدها على الجلوس.

- يبدو أنكَ متعبٌ، قالت. كيف تسير الأمور؟

خلط الشوكولاتة الفورية مع الحليب ثم زفر.

- تباً، إنها سائرة، لكن لا أكثر. لحسن الحظ أنه كان لدى الفنيين الوقت من أجل تمشيط كل شيء في مكان الجريمة قبل هطول المطر. لو وجدناهم اليوم بدل مساء البارحة، لما تبقى لدينا الشيء الكثير ليستحق الفحص. شكراً لك أيضاً على الوثائق التي استخرجتها. لقد أفادني ذلك حقاً.

جلس قبالتها بانتظار أن تسخن الشوكولاتة.

- وأنتِ والطفل، كيف هي أحوالكما معاً؟

- نحن بألف خير. لاعب كرة قدم المستقبل الصغير يحدث الهرج كما العادة، لكني استمتعت بنهارٍ رائع بعد انصراف كوني وبريتا ربما كان ذلك ما ينقصني للظفر بالراحة والقراءة قليلاً - إنها عصابة أبناء عمومة مخبولين تماماً.

- هل تريدين أن أسعى للبقاء بالبيت غداً؟ ربما أستطيع القيام ببعض العمل هنا، هكذا على الأقل أظلّ بالقرب منكما.

- إنك لطيف، لكني بألف خير، بكلّ صدق. من المهم أكثر أن تخصّص وقتك بالكامل للعثور على القاتل الآن، قبل أن يفتر مسار البحث. سوف ترى، عمّا قريب سأطلب أن تكون على أقل من متر واحد مني.

ابتسمت وربتت على يده. واسترسلت:

- ثم لديّ إحساس أننا سوف نشهد هستيريا جماعية. لقد توصلت بالكثير من المكالمات خلال النهار، بعض الناس يحاولون استدراج بعض المعلومات منّي حول تحقيقكم - ولا أقول شيئاً بالطبع، ما دمتُ لا أعلم شيئاً الظاهر أنّ مكتب السياحة توصّل بالعديد من الإلغاءات، وجزء كبير من أصحاب قوارب الترفيه قد أقلعوا بحثاً عن ملجأ في موانئ أخرى. وعليه، إذا لم يسبق لكم الشعور بضغوطات القطاع السياحي، فإنه جدير بكم الاستعداد لذلك.

أومأ باتريك برأسه. هذا بالضبط ما كان يخشاه. سوف تعمّ الهستيريا وتتضخم إلى أن يتمكنوا من القبض على أحدٍ ما بالنسبة إلى مدينة صغيرة مثل فيالباكا تعيش من السياحة، فتلك كارثة. تذكر شهر يوليو قبل سنوات خلت حيث وقعت أربع عمليات اغتصاب قبل الوصول إلى إيقاف المجرم. فضّل السياح الهجرة إلى المنتجعَين المجاورين، **غريبستاد** أو **سترومستاد**، كما أن أصحاب متاجر القرية تضرروا السنة بأكملها أما الجريمة فستؤدي إلى وضعية أسوأ بكثير. لحسن الحظ، أن رئيسه هو من يعود إليه تدبير هذا النوع من المسائل. كان يترك بسخاء لميلبرغ جميع الاتصالات الهاتفية من هذا القبيل.

فرك باتريك جذر أنفه، صداع الشقيقة الموجعة في الطريق إليه. كان على أهبة تناول مسكّن حينما تذكّر بأنه لم يأكل شيئاً طول النهار. الأكل كان إحدى خطاياه المغتفرة، لم يكن يحرم نفسه منه أبداً، وتشهد على ذلك بداية رخاوة حول الخصر. لم ينجح في تذكُّر أنه نسي يوماً وجبة، وبدرجة أقل وجبتين، كان متعباً جداً للقدرة على إعداد شيء دسم، ثم صنع لنفسه قطع خبزٍ مدهون بالجبن ومعجون السمك الذي نقعه في الشوكولاتة الساخنة. وكما جَرت

العادة عبرت إريكا عن شيء من التقزُّز لما رأت هذه البدعة في تذوق الطعام، لكن بالنسبة إلى باتريك كان ذلك خارقاً على الإطلاق. بعدما أكل ثلاث قطع، لم يعُد وجع الرأس سوى ذكرى سيئة.

- ماذا لو دعونا دانْ وصديقته نهاية هذا الأسبوع؟ يمكننا أن نحضّر مشويات.

قبّضت إريكا أنفها وبدا على محيّاها الفتور.

- مهما يكن، إنك لم تسنحي لـ **ماريا** بأدنى فرصة. كم مرة كان لك لقاء معها؟ اثنتان؟

- أجل، أجل، أعلم ذلك، لكنها شديدة. بحثت إريكا عن الكلمة المناسبة. إنها لا تبلغ سوى إحدى وعشرين سنة.

- ليس لها يد في ذلك. إذا كانت فتية، أقصد. أنا متفق معك بأنها تبدو بلهاء في بعض الأوقات، لكن مَن يدري، ربما هي خجولة فحسب؟ وبالنسبة إلى دانْ فإنه يستحق أن نقوم بمجهود صغير. أقصد أنه اختارها مهما يكن. بعد طلاقه من **بِيرْنِيلا**، من الطبيعي أن يلتقي بشخص ما.

- أرى أنك متسامح على نحو كبير فجأة، قالت إريكا بنبرة متذمرة، لكنها اضطرت إلى الإقرار بأن باتريك كان مُحِقاً. ما الذي وقع حتى صرتَ حليماً؟

- إني كنت حليماً دائماً عندما يتعلق الأمر بصبايا في ربيعهن الحادي والعشرين. إنّ لهن الكثير من المزايا العجيبة.

- أي نعم، مثل ماذا؟ قالت إريكا قبل أن تدرك بأن باتريك كان يستخفّ بها. كُفَّ. طيب، اتفقنا، أنت على حق. بالطبع سوف ندعو دان ومراهِقَته.

- إيه يا هذه!

- أجل، طيب، دان وماريا. سوف يكون ذلك لطيفاً، أنا

متأكدة. أستطيع إخراج بيت الدمى الذي كان لبنت أخي، هكذا سوف تجد ما تنشغل به، بينما نحن الكبار، ننهمك في الأكل.

- إريكا.

- سوف أكفُّ. أجد صعوبة في منع نفسي من ذلك، هذا كل ما في الأمر. كأنما بي عَرَّة.

- أيتها الفتاة الشقية، أقبِلي بالأحرى إلى هنا وعانقيني.

قولاً وفعلاً، وتعانقا معاً على الأريكة. إنه بفضل ذلك كان ينجح في مقابلة الوجه المظلم للإنسانية في عمله. إريكا والرضيع، فكرة أنه يستطيع ربما المساهمة، ولو بقدر قليل، في جعل العالم أكثر أماناً بالنسبة إلى الطفل الساكن بطن إريكا والذي كان يشعر بأن ضربات قدمه تصدّ يده الموضوعة على البشرة المشدودة.

في الخارج، هبطت الريح في الوقت نفسه والغروب، وتحوَّل لون السماء من الرمادي إلى الوردي الملتهب. غداً، على الأرجح سوف تعود الشمس.

بدت توقعات باتريك بشأن الشمس صائبة. في اليوم الموالي، كان الحال كما لو أنه لم تسقط من قبل ولا قطرة مطر واحدة، وحوالي منتصف النهار كان الزّفت يغلي. كان مارتن يتصبب عرقاً وإن كان يلبس فقط نطاقاً من ماركة بيرمودا وقميصاً قصيراً (Tee-shirt)، وأصبح ذلك أشبه بحالة طبيعية. بدت له برودة الأمس مجرد حلم فحسب.

كان مارتن متردداً فيما يخصّ الخطوة التي يجب اتّباعها في عمله. كان باتريك بصحبة ميلبرغ في مكتبه، ولم يسمح الوقت لمارتن برؤيته. قد تتصل به الشرطة الألمانية في أية لحظة وكان يخشى أن يفوته أمرٌ ما بسبب هفواته في الألمانية. الأفضل أن يشرع

منذ الآن في البحث عن شخص قد يصلح مترجماً في حديث ثلاثي، لكن ممّن سيطلب العون؟ إلى حدّ الآن، استنجدوا بمترجمين محلَّفين يتكلمون اللغات البلطيقية، والروسية والبولونية، من أجل حلّ مشاكل السيارات المسروقة المتوجهة إلى هذه البلدان، لكن لم يسبق لهم أبداً أن كانوا في حاجة إلى مساعدة تخص اللغة الألمانية. أخرج دليل الهاتف وتصفحه عشوائياً إلى حدّ ما، غير متيقن ممّا يبحث عنه. هناك زاوية ولَّدت لديه فكرة. بالنظر إلى عدد السياح الألمان الذين يفدون إلى فيالباكا كل عام، فإن مكتب السياحة يتوفر بالضرورة على واحدٍ من موظفيه يُجيد اللغة الألمانية. وهو متحمّس، طلب الرقم وجاءه صوت امرأة لطيف على الطرف الآخر من الخط.

- مكتب السياحة بفيالباكا، نهار سعيد. بِيًّا على الخط.

- نهارك سعيد، مارتن مولان من مخفر تانمشيد. كنت أودّ أن أعرف هل لديكم شخص يتقن الألمانية؟

- نعم، أتصور أن ذلك الشخص هو أنا لماذا؟

بدا الصوت لطيفاً أكثر فأكثر مع كل ثانية تمرّ وقد اتَّبع مارتن غريزته.

- هل يمكنني القدوم للحديث معكِ قليلاً هل لديك متسع من الوقت؟

- بالتأكيد. سأنصرف لتناول الغداء بعد نصف ساعة من الآن. لو أنك تنطلق على الفور، نستطيع تناول الطعام معاً بمقهى Le Ponton.

- هذا ممتاز. نلتقي بعد نصف ساعة من الآن إذن.

أقفل مارتن السماعة وهو في غاية الابتهاج. لم يكن متأكداً كثيراً من هذه النزوة التي اعترته، لكنه وجد أنّ صوتها كان ودوداً جداً.

بعد ذلك بنصف ساعة، وما إن أوقف سيارته أمام محل بيع العقاقير العامة، وبينما كان يشقّ طريقه وسط المصطافين في ساحة إنغريد بيرغمان، شعر بفتور يكتنف حماسه. هذا ليس موعداً غرامياً، إنها قضية بوليسية، حدَّث نفسه، لكنه سوف يكون محبطاً بدون شك لو اكتشف أن بِيّا مكتب السياحة تزن مائتي كيلوغرام ولها أسنان أرنب.

صعد إلى الشرفة، وبحث عنها بنظره. بطاولة في أقصى المكان، لوَّحت له فتاة تلبس قميصاً أزرق، ويلفّ عنقها وشاح تزينه شارة مكتب السياحة. أفلت زفرة تنمّ عن الارتياح، تلاها شعور بالنصر لأن توقعه كان صائباً كانت بيا جميلة حدَّ الالتهام. لها عينان واسعتان بنيتان، شعر كستنائي مجعد، وابتسامة جذلى بها ميسما خدادٍ ساحران. سوف يكون غداء لطيفاً، مغايراً تماماً لابتلاع سلطة بالمعجنات الباردة برفقة هيدشتروم في مطبخ المركز. لم يكن لديه من مأخذ على هيدشتروم، لكن لا يستطيع المرء وصفه بمثال للجمال!

- مارتن مولان.

- بيا لوفستيد.

بعد التخلص من مقدمات التعارف، طلب كلّ منهما حساء السمك.

- نحن محظوظان. فهذا الأسبوع يتم تقديم سمك الرِّنْك المملَّح.

لاحظت أن مارتن لم يفهم مقصدها.

- كريستيان هيلبرغ، طباخ السنة للعام 2001. إنه من هنا، من فيالباكا. سوف ترى عندما تتذوق حساءه. منتهى الروعة.

كانت تقوم بإيماءات كبيرة وهي تتحدث، وأخذ مارتن ينظر

إليها بافتتان. كانت بيا مختلفة جداً عن الفتيات التي كان يرى بصفة عامة، ولهذا السبب كان من اللطيف أن يجد نفسه هنا معها. وقد اضطر إلى تذكّر بأنه لم يكن غداء خاصاً، وإنما غداء عمل وبأنه كان لديه ما يلتمسه منها.

- أعترف بأننا لا نتوصل كل يوم بمكالمات من الشرطة. أظنّ أنّ الأمر يخص جثث صدع الملك؟

تمّ توجيه السؤال مثل ملاحظة موجزة، لا تشوبها أدنى رغبة في الإثارة، وقد أكد مارتن قولها بإيماءة من رأسه.

- أجل، صحيح. كانت الفتاة سائحة ألمانية، تعرفون. تعرفين ذلك مسبقاً لا ريب، وسوف نحتاج للمساعدة فيما يخص اللغة. هل تعتقدين أن ذلك ضمن اختصاصاتك؟

- لقد أمضيتُ عامين من الدراسة في ألمانيا، أظنّ أنه ليس هناك إشكال.

جاء الحساء، وبعد أن تذوقه، لم يكن بمقدور مارتن إلا أن يوافق حكم بيا. منتهى الروعة بالفعل. صنع ما في وسعه لتذوقه بلا ضجيج، لكن تعيَّن عليه التخلي عن ذلك. كان يأمل بأنه قد سبق لها مشاهدة فيلم **زُوزو الإعصار**. «الحساء، إنه يُلْعق بضجيج، وإلا فإنه لا يمكن أن نعرف بأنه حساء».

كانت نسمة تهب من خلال الموائد بين الفينة والأخرى منعشة الجو لبضع ثوانٍ. وحدّقا بنظرهما هما الاثنان في سفينة تقليدية بشراع واحد تتقدم بعناء، وكل أشرعتها مرفوعة. لم يكن هناك ما يكفي من الريح للأشرعة اليوم، بحيث إن أغلبيتها كانت تعمل بالمحرك.

- أمر غريب.

توقفت بيا وشربت ملعقة أخرى من الحساء قبل أن تواصل:

- تلك الفتاة الألمانية، تانيا، هذا هو اسمها؟ جاءت عندنا إلى مكتب السياحة منذ حوالي أسبوع لمساعدتها على ترجمة مقالات صحافية.

إثر ذلك نبّه اهتمام مارتن.

وما كانت طبيعة تلك المقالات؟

تقارير عن الفتاتين اللتين عُثر عليهما وهي في الوقت نفسه. عن اختفائهما. مقالات قديمة كانت قد صوّرت نسخاً لها، من المكتبة، أعتقد.

جراء ذلك، أسقط مارتن ملعقته في الصحن.

- هل أعلنت عن السبب؟

لا، لم تقل شيئاً. كما أني لم أسألها بدوري. في الحقيقة، ليس من الوارد أن نقوم بهذا النوع من الأشياء أثناء ساعات العمل، وإنما في منتصف النهار، إذ كان السياح قد ذهبوا جميعاً نحو الصخور للسباحة، وكان الجو هادئاً جداً. ثم إنّ ذلك بدا لي مهماً جداً بحيث أشفقت عليها. هل لذلك علاقة بجريمة القتل؟ كان عليّ ربما الاتصال لإخبار.

بدا أنها حائرة وأسرع مارتن إلى تهدئتها. ولسبب غريب، كان يزعجه أن تشعر بالإحراج بسببه.

- لا، لم يكن بمقدورك معرفة ذلك. لكن جميل أنك أَخْبَرْتِ بذلك الآن.

واصلا تناول الغداء بالحديث عن مواضيع أكثر متعة، وانتهت استراحة بيّا للغداء بسرعة. وكان عليها أن تلتحق على عجلٍ بالكوخ البحري حيث مقرّ مكتب السياحة، كي تسمح لزميلتها للانصراف قصد تناول الغداء بدورها. وقبل أن ينبس ببنت شفة، كانت قد اختفت، بعد أن قالت «وداعاً» بأسرع ما يكون. كاد أن يسألها إن

كان بإمكانهما اللقاء من جديد، دون أن ينجح في التعبير عن السؤال. عاد إلى سيارته مزمجراً، ساخطاً على حاله، لكن في طريق العودة إلى تانمشيد مالت أفكاره نحو ما قالته بيا. هكذا، التمست تانيا أن تترجم لها مقالات عن الفتاتين المختفيتين. لماذا كانت تهتم بهما؟ من كانت؟ ما الصلة غير المرئية التي تجمعهن، هي، سيف ومونا؟

كانت الحياة جميلة، بل كانت الحياة جميلة جداً لم يتوصل إلى تذكر متى كان الهواء بكلّ ذلك النقاء، والروائح بكلّ تلك القوة والألوان بكلّ ذلك الوهج. كانت الحياة جميلة بحقّ.

أمعن ميلبرغ النظر في هيدشتروم. شاب وسيم وشرطي جيد. أجل، ربما ما كان ليعبِّر عن ذلك بتلك الكلمات فيما قبل، لكنه الآن ينتهز الفرصة. من المهم أن يشعر المساعدون بأنهم محل استحسان. إن الرئيس الجيد هو من يقوم بالنقد والمدح بالصرامة ذاتها. لقد قرأ ذلك في مكان ما. ربما كان سخياً بإفراط شيئاً ما في النقد إلى هذا الحين، إنه يود الإقرار بذلك الآن حيث يرى الأمور بوضوح، لكنها أشياء يمكن للمرء تداركها دوماً

- كيف يسير التحقيق؟

عرض عليه هيدشتروم الخطوط العريضة لِما تمّ إنجازه.

- ممتاز، ممتاز. أومأ ميلبرغ برأسه بمودة. أجل، لقد توصلت اليوم بمكالمات مزعجة. إنهم يُلحُّون دائماً على أن يتمّ حلّ هذه القضية بسرعة للحدّ من الآثار السلبية على السياحة، مثلما قالوا ذلك عن حق، لكن لا تتأثر بذلك، هيدشتروم، لقد طمأنتهم شخصياً بأن واحداً من أفضل عناصرنا يعمل صباح مساء للقبض على الفاعل. وبالتالي، أنت، عليك أن تواصل طريقك، حافظ على كفاءاتك وأنا سوف أهتم بالشخصيات المحلية المؤثرة.

ألقى نحوه هيدشتروم نظرة مستغربة ردَّ عليها ميلبرغ بابتسامة عريضة بصفة العلاوة. أي نعم، لو أن هذا الولد عَلِمَ ما.

أخذت مناقشة الوضع مع ميلبرغ ساعة كاملة وحينما عاد إلى مكتبه سعى باتريك لملاقاة مارتن، لكنه لم يعثر عليه في أيّ مكان. انتهز الفرصة كي ينصرف لاقتناء سندويش مغلف بالسيلوفان من عند هيدميرس والذي ابتلعه بسرعة مع فنجان قهوة بمطبخ المفوضية. كان قد انتهى لتوه حينما سمع وقع خطوات مارتن في الممر، أشار إليه بيده ليلحق به إلى مكتبه.

- هل لاحظت شيئاً غير عادي في ميلبرغ هذه الأيام؟ سأله باتريك للبدء.

- باستثناء أنه لم يعُد يشتكي أو ينتقد، وأنه أصبح يبتسم كل الوقت، وأنه فقد وزنه، وأنه تخلى عن ملابسه التي تعود للثمانينيات وانتقل إلى التسعينيات - لا شيء، أجاب مارتن بابتسامة تؤكد سخرية كلامه.

- إنّ كل هذا لأمر مريب! في نهاية المطاف، لا أشكو من ذلك، لكن مهما يكن، إنه لا يقترب من التحقيق، واليوم أغدق عليّ بالمديح حتى خجلت من ذلك. هناك أمر ما يـ.

أومأ باتريك برأسه، لكنهما تركا على ذلك الحال أفكارهما حول بيرتيل ميلبرغ الجديد، إذ يعلمان أن هناك قضايا أكثر استعجالاً ينبغي التصدي لها. بالنسبة إلى بعض الأمور، من الأفضل للمرء أن يبتهج فحسب، وأن لا يشغل باله بها.

حكى مارتن عن زيارته العقيمة للمخيم وبأنهم لم يجنوا شيئاً إضافياً من ليز. وحينما أخبره بما قالته بيا عن تانيا، بأنها تقدّمت كي تحصل على ترجمة مقالات عن مونا وسيف، أصاخ باتريك السمع.

- كنت أعلم أنّ هنالك علاقة! لكن أية علاقة؟ حكَّ رأسه.
- ماذا قال الوالدان البارحة؟

كانت الصورتان الاثنتان التي أعطاها ألبير وغون لباتريك موضوعتَين على الطاولة. أخذهما وناولهما لمارتن. وصف لقاءه مع كلٍّ من والد مونا ووالدة سيف، ولم يستطع إخفاء نفوره من هذه الأخيرة.

- مهما يكن، من الأكيد أنهم شعروا بارتياح كبير بالعثور عليهما. تصور ذلك العذاب، أن يقضوا كل تلك السنوات دون معرفة المكان حيث كانتا. إنّ مَن عاشوا ذلك يقولون أنّ الحيرة أسوأ من أيّ شيء آخر.

- أجل، الآن ينبغي أن نأمل فحسب تأكيد بيدرسن أنّ الهيكل العظمي الثاني يعود بحق لسِيفْ لانتان، وإلا سوف نكون أشبه بمغفلين عادا بخفيّ حنين.

- صحيح، لكني متيقن من أننا نستطيع دون مشاكل الانطلاق من هذه الفرضية. ليس هناك شيء بعد عن تحليل التربة المتبقية على العظام؟

- لا، للأسف. والسؤال هو معرفة ما قد يمنحنا ذلك من معلومات. إذ من الممكن أنه قد تمّ دفنهما في أيّ مكان، وحتى لو عرفنا أي نوع من التربة هو، فإنّ ذلك سوف يكون أشبه بمن يبحث عن إبرة في كومة قش.

- أنا، أضع رجائي في الحمض النووي. ما إن نقبض على متّهم، يكفي أن نقارن حمضه النووي بما لدينا وسنعرف في الحين إذا ما كان الأمر يتعلق بالشخص نفسه.

- المعضلة، هي العثور على الشخص المقصود.

تدبرا ذلك في صمتٍ للحظة إلى أن قطع مارتن الكآبة بقيامه.

- لا، إننا لا نسير نحو أي شيء هكذا. ينبغي العودة إلى العمل الآن.

وترك باتريك قلقاً جداً خلف مكتبه.

كان جو العشاء متوتراً وثقيلاً. لا شيء يخرج عن المعتاد في حدّ ذاته منذ أن أقامت ليندا هنا، لكن اليوم كان الجو ثقيلاً صراحة. اكتفى أخوها فحسب بأنْ أطلعها باختصار على زيارة سولفيغ لأبيهما، ولم تكن لديه رغبة للتوسع في الأمر. ولم يمنع ذلك ليندا من تحفيزه.

- وعليه فالعم جوهانس ليس هو من قتل الفتاتين. لعل بابا يشعر وكأنه خراء، أقصد أن يشي بأخيه بينما ندرك الآن أنه كان بريئاً.

- اصمتي، لا تتحدثي عن أشياء تجهلينها.

أجفل كلّ ما كان حول المائدة. من النادر، بل لم يحدث أبداً أن رفع جاكوب صوته. حتى ليندا شعرت للحظة بالفزع، لكنها استعادت رباطة جأشها ثم واصلت بحزم أكبر:

- ثم لماذا اعتقد بابا بأن الفاعل كان هو العم جوهانس؟ لا أحد يقول لي شيئاً أبداً.

تردّد جاكوب لحظة، لكنه أدرك بأنها لن توقف أسئلتها، وقرَّر أن يستجيب لفضولها. جزئياً على الأقل.

- لقد شاهد بابا إحدى الفتاتين في سيارة جوهانس، الليلة التي اختفت فيها عن الأنظار.

- وكيف يُعقل أن بابا كان موجوداً على الطريق، في عزّ الليل؟

- لقد جاء لرؤيتي بالمستشفى وقرَّر أن يعود إلى البيت بدل أن يقضي الليلة هناك.

- هذا كل شيء؟ هذا كل ما وقع؟ لهذا السبب وشى أبي بجوهانس؟ أقصد، ألا يمكن أن تكون هناك تفسيرات أخرى، ربما تمكّن من أخذها معه في توصيلة، أليس كذلك؟

- ربما، لكن جوهانس أنكر حتى رؤيته للفتاة تلك الليلة وأكَّد بأنه كان ببيته مستغرقاً في النوم بفراشه.

- وجدّي، ماذا قال؟ ألم يغضب حينما وشى غابريل بجوهانس لدى الشرطة؟

كانت ليندا مشدوهة. لقد ولدت بعد اختفاء الفتاتين ولم تكن تعرف عن الحكاية سوى الفتات الذي خُبِّرت به. لا أحد أراد أن يقول لها ما وقع فعلاً وتقريباً كل ما كان يحكيه لها أخوها كان جديداً بالنسبة لها. أجاب جاكوب بخَنين فيه ازدراء:

- إذا كان جدك غاضباً؟ أجل، يمكن قول الأمر على ذلك النحو عدا أنه تلك الأيام كان يرقد في المستشفى لإنقاذ حياتي، وكان غاضباً لأن بابا تصرّف بتلك الطريقة.

كان الصغيران قد غادرا المائدة. وإلا لكانت عيونهما أشرقت لسماع كيف أنَّ جدهم الأكبر قد أنقذ حياة أبيهم. لقد سمعوا تلك الحكاية مرات ومرات، ولم يملّاها أبداً.

واصل جاكوب:

- لقد كان غاضباً على نحوٍ ظاهر إلى حدّ أنه فكر في إعادة صياغة الوصية وتعيين جوهانس بصفته الوريث الوحيد، لكن الوقت لم يمهله. مات جوهانس قبل ذلك. لو لم يمت، لكنا أقمنا في بيت الحارس الغابوي عوض سولفيغ وولديها.

- لكن لماذا كان بابا يكره جوهانس بشدة، لقد كان أخوه، مهما يكن؟

- هذا، إنه أمر لا علم لي به حقاً لم يسبق أبداً أن كان بابا

مستفيضاً في الموضوع، لكن جدي حكى بعض الأشياء التي قد تفسّر الأمر دون شك. جدتي ماتت عند وضعها جوهانس وبعد ذلك أخذ جدي ولديه حينما كان يجوب الساحل الغربي ويقيم قداسه ومواعظه. حكى لي جدي أنه أدرك مبكراً بأنَّ كلًّا من جوهانس وغابرييل كانت لهما موهبة منح الشفاء وبعد كل قدَّاس كان يجعلهما يعملان على شفاء معطوبين ومرضى من بين المؤمنين.

- كان بابا يقوم بذلك؟ أقصد، كان يشفي الناس؟ هل لا يزال يعرف القيام بذلك؟

ظلت ليندا فاغرة فاهها من شدة الذهول. انفتح باب قطعة جديدة من تاريخ أسرتها وبالكاد كانت تجرؤ على التنفس خشية من أن ينغلق جاكوب على نفسه ويرفض مشاركتهم سرّه. كانت تعلم أن جدها وهو كانت تجمعهما وشائج متميزة، خصوصاً لما تبين أن النخاع العظمي للجدّ مناسبٌ لعملية زرع على جاكوب، الذي كان مصاباً باللوكيميا، لكنها كانت تجهل أنّ الجدّ حكى له كلّ تلك الأشياء. بالطبع كانت تعلم أن الناس ينادون على الجدّ باسم الواعظ، كما أنها سمعت إشاعات مفادُها أنّ ثروته ناجمة عن احتيال، لكنها اعتبرت أنّ كل تلك الحكايات عن إفراييم هي أقاويل مبالغ فيها. كانت صغيرة جداً حينما مات، بحيث لم يكن بالنسبة لها سوى عجوز متزمِّت في صور العائلة.

لاحت عن جاكوب بادرة ابتسامة حينما فكر في أبيه كمعالِج للمرضى والمعطوبين.

- لا، أشك أنه لا يزال يجيد فعل ذلك. وأعتقد أنه أضمر كلّ ذلك. وحسب ما كان يحكيه جدي، يحدث مراراً أن يفقد المرء الصلة بالموهبة عند سنّ البلوغ. يمكن أن يستعيدها، لكن ذلك ليس سهلاً أظن أنّ لا جوهانس ولا غابرييل ظلا يتمتعان بهذه القدرة

حينما اجتازا المراهقة. إنْ كان بابا يكره جوهانس إلى ذلك الحدّ، فلا شك بسبب أنهما كانا مختلفَيْن من حيث المزاج. جوهانس كان زير نساء حقيقي، وسيماً جداً، يطفح بالجاذبية، لكنه كان لا يعبأ بالمسؤولية على نحوٍ ميئوس منه. كانا قد حصلا معاً على مبلغ ضخم من المال لمّا كان الجد على قيد الحياة، لكن لم يتطلب الأمر من جوهانس سوى بضع سنوات لتبديد ماله. وجرّاء ذلك ثارت ثائرة جدي وقام بكتابة وصية ينصّ فيها على أنّ كل شيء تقريباً سيؤول إلى غابرييل، بينما فيما قبل كانت ثروته منذورة لأن توزّع بالتساوي عليهما، لكن كما قلت ذلك، لو عمَّر أطول من ذلك بقليل، لتيسَّر له من الوقت من أجل تغيير موقفه مرة أخرى.

- لكن حصلت هناك بالضرورة أمور أكثر من ذلك، لا يمكن لبابا أن يكره جوهانس إلى ذلك الحد فقط لأنه كان أكثر منه جمالاً وأكثر سحراً! لا أحد يشي بأخيه عند الشرطة لهذا السبب!

- بالطبع لا، أعتقد أن النقطة التي أفاضت الكأس تمثّلت في أنّ جوهانس انتزع من بابا خطيبته.

- ماذا؟ بابا كان مع سولفيغ؟ يا للبدينة!

- ألم يسبق لك مشاهدة صور سولفيغ تعود لتلك الفترة؟ كانت منتهى الجمال، أيقونة حقيقية، وكانت هي وبابا مخطوبين. ثم ذات يوم جاءت لتقول ببساطة أنها مغرمة بجوهانس وتفضّل الزواج منه. أعتقد أن ذلك حطَّم بابا تماماً. تعرفين إلى أيّ حد يكره بابا الفوضى والمآسي.

- أجل، لعل ذلك أفقده صوابه إلى أقصى حد.

غادر جاكوب المائدة للدلالة على أنّ الحديث قد انتهى.

- يكفي اليوم هذا القدر من الأسرار العائلية، لكنك تدركين الآن لماذا العلاقات مكهربة بين بابا وسولفيغ.

قهقهت ليندا.

- كنت على استعداد لتقديم أي شيء من أجل أن أصير جرذاً صغيراً يقبع في زاوية حينما جاءت لتوبيخ بابا. يا لذلك السيرك الذي أقامته!

- أجل، السيرك هي الكلمة المناسبة بلا ريب، قال جاكوب مفرجاً عن ابتسامة، لكن حاولي الظهور بموقفٍ جدّيّ أكثر حينما تلاقين بابا، كوني لطيفة. يصعب عليّ تصور استحسانه للجانب الفكاهي في كل ذلك.

- أجل، أجل، سوف أكون فتاة لطيفة.

وضعت صحنها في مغسل الأواني، شكرت ماريتا على العشاء، وصعدت إلى غرفتها. كانت تلك المرة الأولى منذ أمدٍ بعيد التي ضحكت فيها صحبة جاكوب. في إمكانه أن يصير ودوداً حينما يريد، خمنت ليندا، وهي تغض النظر بمهارة عن حقيقة أنها بدورها لم تكن بأفضل حالٍ على نحوٍ خاص هذه السنوات الأخيرة.

رفعت السماعة محاولة الاتصال بجوهان. وقد اندهشت لما انتبهت إلى أنها منشغلة فعلاً بمعرفة كيف هو حاله.

كانت ليبني تخاف الظلام. خوفاً رهيباً. رغم كل الأمسيات التي أمضتها بالمنزل في غياب غابرييل، فإنها لم تتعود على الأمر أبداً. قبل هذا، كانت تصاحبها ليندا على الأقل، وقبل ذلك جاكوب أيضاً، لكن هي الآن وحيدة تماماً. كانت تعلم أن غابرييل كان مرغماً على السفر، إلا أنها لم تكن تستطيع كبح الشعور بالمرارة. تلك لم تكن الحياة التي حلمت بها حينما تزوجت لأجل المزرعة والمال. ليس لأن المال كان مهماً في حدّ ذاته بذلك القدر، بل إن

الأمان هو ما جذبها الأمان المتمثّل في الجانب المملّ في شخصية غابرييل والأمان بامتلاك حساب دسمٍ في البنك. لقد أرادت حياة مختلفة عن حياة أمها.

حينما كانت طفلة، عاشت في ظلّ رعب نوبات الأب المدمن على شرب الخمر. لقد أرهب الأسرة بأكملها وجعل من أطفاله كائنات متعطشة للحب وللحنان. من بين ثلاثتهم، لم تبقَ سوى هي الآن، فأخوها وأختها استسلما للظلام الذي كانا يحملانه بداخلهما كانت هي الطفل الأوسط، ضعيفة ولا تشعر بالأمان، تنقصها القوة الكافية للتخلص من قلقها، الذي كانت تدعه فحسب يخمد تحت الرماد سنة بعد أخرى.

لم يسبق أبداً أن كان انعدام الأمان ملموساً بمثل ذلك القدر إلا حينما كانت تتجول ليلاً عبر الغرف الساكنة. عندها يرتسم في ذهنها من جديد وبوضوح كبير الرائحة النَّتِنة والمداعبات السِّرية في ليالي طفولتها

بزواجها من غابرييل، اعتقدت بحقّ أنها عثرت على المفتاح الذي سيفتح العلبة المظلمة القابعة بين جوانحها، لكنها لم تكن بلهاء. كانت تعلم أنها لم تكن سوى تعويض عزاء. امرأة ارتبط بها بدلاً عن تلك التي كان يرغب فيها أكثر من أي شيء آخر، لكن لا يهم ذلك كثيراً. من ناحية معينة، فقد كان الأمر أكثر سهولة هكذا. لا مشاعر قد يضطرب لها السطح الساكن. هناك فقط ترقُّب كئيب في متتالية لا نهائية من الأيام التي تضاف إلى الأيام. خمَّنت أنّ ذلك كلّ ما كانت تأمله.

خمس وثلاثون سنة بعد ذلك، أدركتْ مقدار غلطتها ليس هناك ما هو أفظع من الوحدة في حياة الأزواج، وكان هذا ما حصلت عليه حينما قالت «نعم»، موافقة على غابرييل. لقد عاشا

حيوات متوازية. سهرا على المزرعة، ربّيا أطفالهما وخاضا في أحوال المطر والطقس الجميل لانعدام مواضيع أخرى للحديث.

كانت هي الوحيدة التي تعلم أنّ بداخل غابرييل يوجد رجل آخر مغايرٌ لذلك الذي يظهره يومياً في حضرة مَن يحيط به. لقد راقبته على مرّ السنين، ودرَسَته خفية وتعلّمت بتؤدة معرفة الرجل الذي كان بالإمكان له أن يَصيره. كانت مندهشة للزخم الذي كان ذلك الأمر يبعثه فيها. كان ذلك مطموراً بعمق في دخيلته بحيث إنه من المؤكد أنه لم يكن يعلم به هو نفسه، لكن خلف الواجهة المضجِرة والمتحكّم فيها يوجد رجل شغوف. كانت ترى الكثير من الغضب المتراكم، لكن لا ريب أنّ لديه ما يجود به من الحب بالقدر نفسه، لو أنها استطاعت فقط إخراجه إلى النور.

حتى حينما كان جاكوب مريضاً، كانا عاجزَين عن الالتحام، وظلا جنباً إلى جنب بجانب ما ظنّا أنه فراش موته، لكن دون أن ينجحا في مواساة كل منهما للآخر. وقد شعرت مراراً بأن غابرييل كان يفضّل عدم وجودها هناك.

إن تحفظ غابرييل يعزى في قسم كبير منه إلى أبيه. كان إفرايم هولت رجلاً مؤثراً وكل الذي كانوا على اتصال به يصطفون بالضرورة ضمن أحد الفريقين: أصدقاء أو أعداء، لا أحد كان يظلّ غير مبالٍ في حضرة الواعظ. وكانت ليبني تُدرك إلى أيّ مدى كان من الصعب أن ينشأ المرء في ظلّ رجل مماثل. كان ولداه مختلفان الواحد عن الآخر. ظلّ جوهانس طفلاً كبيراً طول حياته القصيرة، طالب ملذّات يأخذ ما يريد ولا يتوقف أبداً لوقت طويل بما يكفي كي يرى آثار الفوضى التي خلّفها وراءه. واختار غابرييل الاتجاه المعاكس. كانت تدرك مقدار الخزي الذي يشعر به إزاء والده وجوهانس، وحركاتهما الفضفاضة، وبقدرتهما على الإشعاع مثل

فنار في كلّ الاتجاهات. من جهته كان يريد التواري عن الأنظار كي يبرز بوضوح للمحيطين به أن لا شيء يجمعه بأبيه. كان غابرييل يسعى وراء الاحترام والنظام والعدل قبل كلّ شيء. لم يكن يتكلم عن طفولته التي قضاها متنقلاً عبر الجبال والوديان مع إفراييم وجوهانس. ورغم كلّ شيء، كانت على علم ببعض الجوانب وكانت تعرف كم كان مهماً بالنسبة إلى زوجها إخفاء هذا الجزء من ماضيه، الذي كان لا يناسب جيداً الصورة التي أراد أن يقدمها عن نفسه. كان إفراييم قد أنقذ حياة جاكوب وتولَّد عن هذا الأمر مشاعر متضاربة لدى غابرييل، إذ إن فرحته بالعثور على وسيلة للانتصار على المرض تمّ التشويش عليها بكون المنقِذ كان هو أبوه، الفارس صاحب الدرع اللامع، وليس هو، كان مستعداً للتضحية بكل شيء مقابل أن يكون بطلاً في نظر ابنه.

صوت منبعث من الخارج قطع على لييني أحلامها المستيقظة، وبمؤخّر عينها لحظت ظلاً ثم اثنين يعبُران الحديقة خلسة. تملَّكها الخوف من جديد. تلمَّست بيدها لتناول الهاتف، وكان لديها من الوقت ما يكفي كي يدبّ في أوصالها رعبٌ حقيقيّ قبل العثور عليه في مكانه فوق الشاحن. وبأصابعها المرتعشة طلبت رقم غابرييل. فجأة تهشَّم زجاج نافذة فصرخَت لمّا رأت حجراً يسقط فوق البلاط وسط وابلٍ من قطع الزجاج المكسورة وتلاه حجرٌ آخر كسر زجاج النافذة الأخرى، فهرعت وهي تنتحب صوب السلم كي تصعد إلى فوق وتغلق على نفسها بالمفتاح في الحمام. وهي مجهدة، انتظرت سماع صوت غابرييل عبر الجهاز، لكنها لم تظفر سوى بالنداء الرتيب للمجيب الآلي، وقد انتبهت إلى الهلع الذي يملأ صوتها حينما تركت رسالة مشوشة. وجسدها يرتعد بكامله، ظلَّت جالسة على الأرض وذراعاها ملتصقتان حول ركبتيها، مترقبة الأصوات

الآتية من الجانب الآخر من الباب. كان الصمت يخيِّم على كل شيء الآن، لكنها لم تجسر على أن تحرِّك ولو إصبعها الصغير.

أيقظ رنين الهاتف إريكا. نظرت إلى الساعة. العاشرة والنصف صباحاً. لقد اضطرت للعودة إلى النوم بعد أن قضت نصف ليلتها وهي تتصبب عرقاً بعدما جفا جنبها عن الفراش، دون أن تعثر على الوضع المريح.

- آلو، كان صوتها يغلب عليه النعاس.

- أهلاً إريكا، المعذرة، هل أيقظتك؟

- أجل، لكن لا بأس يا آنا، المفروض أن لا ألازم الفراش حتى هذه الساعة، في كل الأحوال.

- بلى، بلى، استمتعي بالنوم قدر ما استطعت، بعد هذا، لن تذوقي له طعماً بكثرة. كيف هي حالك؟

انتهزت إريكا الفرصة كي تبثّ شكواها قليلاً عن محن الحمل لأختها التي كانت تعلم جيداً عمَّ تتكلم لأنها رُزقت هي نفسها بطفلين.

- يا لمسكينتي. عزاؤك الوحيد هو أننا نعرف بأنّ ذلك لن يدوم إلى الأبد. كيف تسير الأمور مع باتريك في البيت؟ ألا تفرطان في الغضب من بعضكما؟ أما أنا، فأتذكر بأنه كانت تغمرني الرغبة في أن يَدَعني وشأني خلال الأسابيع الأخيرة.

- أجل، صحيح، كدت أفقد صوابي، أقرّ بذلك، تعلمين بأني لم أعترض حينما كان مضطراً للعودة إلى العمل بسبب جريمة القتل تلك.

- جريمة قتل؟ ما الذي وقع؟

تحدَّثت إريكا عن الشابة الألمانية التي تمّ قتلها وعن الفتاتين الأخريين اللتين عُثر عليهما.

- لكن هذا مرعب!

حدثت خشخشة على الخط.

- أين أنتم الآن؟ هل كل شيء على ما يرام على متن المركب؟

- أجل، ممتاز. **إيما** وأدريان يحبان ذلك. عمّا قريب سوف يصبحان ملاَّحَين ماهرين لو تركت **غوستاف** يتكفل بالأمر.

- غوستاف، أجل. كيف تجري الأمور بينكما؟ هل هو مؤهَّل بما يكفي لتعريفه على الأسرة قريباً؟

- تصوري أنّه من أجل ذلك أحدثك الآن. نحن الآن بسترومستاد، وكنّا نفكر في مواصلة الطريق نحو الجنوب. أخبريني بصراحة إنْ كان لا يروقك، وإلا فقد كانت لدينا النية للانعطاف عبر فيالباكا غداً والقدوم لرؤيتكما. سوف ننام على متن المركب، ولن نزعجكما أخبريني إنْ كان ذلك يمثِّل لك أي مشكلة، لكن لدي رغبة شديدة لرؤية بطنك المنتفخ.

- لا تشغلي نفسك بأمري، سوف تسعدني رؤيتكم أيّما سعادة! على كل حال، غداً سوف يحضر دان ورفيقته، وسوف نأكل المشويات، وما علينا إلّا أن نضيف شيئاً من اللحم إلى المشواة.

- جميل، إذن سوف أرى أخيراً الحمل الذي اختاره الذئب.

- انصتي إليّ، إن باتريك يطلب مني دون توقف أن أكون لطيفة، ولا يجب أن تشرعي بدورك في فعل ذلك أيضاً.

- أجل، أعرف ذلك، لكن مهما يكن فذلك يتطلب استعداداً معيَّناً يجب أن نستخبر عن الموسيقى التي يعشقها الشبان في هذه الآونة وعن الملابس الرائجة وعمّا إذا كان في الإمكان وضع أحمر الشفاه البرَّاق العطِر أو ما إذا كان ذلك مبتذل تماماً. هذا ما سوف

نقوم به: أنت تتكفلين بمشاهدة MTV، وأنا سأشتري مجلة خاصة بالمشاهير لإلقاء نظرة على صفحات الموضة. وStarlet، لا تزال موجودة، أليس كذلك؟ سوف تكون مواتية أيضاً.

كانت إريكا تمسك ببطنها من شدة الضحك.

- توقفي، سوف أموت من الضحك. ثم من الأفضل لك ملازمة الصمت إلى أن نرى غوستاف، ربما كان رجلاً تافهاً!

- طيب، تافهاً ليست على الأرجح هي الكلمة التي قد أصف بها غوستاف.

انتبهت إريكا إلى أنّ مزحتها قد صدَمَت آنا مهما كان الأمر، أختها حساسة!

- يجب أن تعلمي بأني أشعر بالسعادة لأن رجلاً مثل غوستاف تنازل ونظر ناحيتي، مع أني مطلَّقة وكل شيء. بينما كل الخيارات متاحة له وسط بنات المجتمع الراقي ورغم ذلك فإنه فضَّلني أنا، وأعتقد أن ذلك يقول الشيء الكثير عنه. أنا أول امرأة يرافقها لا يوجد اسمها ضمن دليل النبلاء، كما أني لا أشكو حقيقة ممّا آلَ إليه مصيري.

إريكا بدورها كانت ترى أن ذلك يقول الشيء الكثير عنه أيضاً، لكن للأسف ليس بالمعنى نفسه الذي تفهمه أختها. لم تتمتع آنا أبداً بالكثير من الذكاء فيما يخصّ التعامل مع الرجال وكانت الطريقة التي تتحدث بها عن غوستاف تُقلقها شيئاً ما. وقرَّرت إريكا أن لا تحكم عليه قبل أن تراه، وتمنَّت أن تكون مخاوفها لا أساس لها من الصحة.

ثم أردفت بمرح:

- متى ستكونون هنا؟

- حوالي الرابعة، هل يناسبك ذلك؟

- إنه يناسبني، ممتاز.
- إلى الغد إذن، قبلاتي، إلى اللقاء.

بعد أن أغلقت السماعة، شعرت إريكا بالانزعاج. هناك بعض الافتعال في صوت آنا يقودها إلى التساؤل عن مدى علاقتها الحقيقية بغوستاف سليل آل كلينت العجيب هذا.

كانت سعيدة جداً حينما انفصلت آنا عن لوكا ماكسويل، والد الطفلين، بل إن آنا شرعت في دراسة تاريخ الفن، حلمها الأبدي، بل كانت لديها الجرأة للعثور على عمل نصف يومي في قاعة المبيعات بستوكهولم. هناك التقت غوستاف. كان سليل طبقة النبلاء السويدية العريقة ويمضي أوقاته في تسيير الأملاك العائلية بـ هالسينغلاند، والتي أهداها ذات يوم غوستاف فازا شخصياً إلى سلفه. كانت عائلته تتردد على العائلة الملكية، وإذا تعذَّر على والده الحضور، فإن غوستاف بنفسه هو مَن كان يتلقى الدعوة للمشاركة في خرجة الملك السنوية للصيد. وقد أخبرت آنا بصيغة رسمية أختها إريكا التي كثيراً ما رأت أبناء مجتمع ستوكهولم الراقي الكسالى ممّا جعلها تشعر بشيء من الحيرة. لم يسبق لها مقابلة غوستاف أبداً، وربما كان يختلف تماماً عن الورثة الأثرياء، الذين يسمحون لأنفسهم بالتصرف مثل الخنازير في العلب الليلية بالمدينة، في ظلّ واجهة المال والألقاب التي يتمتعون بها. غداً سوف تحسم في أمرها. ودرءاً لسوء الحظ صالبت أصبعيها حتى يكون غوستاف من صنف مغاير. لم يكن هناك شخص آخر تتمنى له السعادة والاستقرار أكثر من آنا.

شغَّلت المروحة وتساءلت كيف ستقضي يومها. لقد شرحت لها المُوَلِّدة بأنّ الأوسيتوسين، الهرمون الذي يفرزه الجهاز العضوي عندما تَحين لحظة الولادة، يبعث لدى النساء الحوامل غرائز قوية

لبناء العش. وذلك يفسر لماذا خصَّصت إريكا وقتها بجنون، في الأسابيع الأخيرة، لفرز وترقيم وتصنيف كل شيء تقريباً بالبيت، كما لو أن الأمر مسألة حياة أو موت. كانت تركِّز على أنّ كل شيء ينبغي أن يكون جاهزاً قبل مقدم الوليد، والآن هي تدنو من مرحلة لم يتبقَّ لها فيها الكثير ممّا يجب ترتيبه. الخزانات مصففة، وحجرة الطفل مرتبة، والأواني الفضية ملمعة. الشيء الوحيد المتبقي هو القضاء على فوضى القبو. قولاً وفعلاً، وهي تلهث، نهضت وتأبَّطت المروحة تماماً. من الأفضل أن تسرع قبل أن يأتي باتريك ويباغتها وهي متلبّسة بالجرم المشهود.

منح نفسه خمس دقائق من الاستراحة كي يلتهم مثلجه بالخارج تحت الشمس أمام المفوضية، حينما أطلّ غوسطا برأسه من إحدى النوافذ المفتوحة منادياً عليه.

- باتريك، هناك مكالمة هاتفية، أعتقد أن عليك الردّ عليها.

لعق بشدة ما تبقى من مثلجه Magnum ثم دخل. في انتظار مَن يوجد على الطرف الآخر من الخط، كان مندهشاً شيئاً ما. بعد محادثة وجيزة والتي خربش أثناءها بعض الملاحظات، أقفل السماعة وقال لغوسطا:

- شخص ما يستمتع بكسر نوافذ منزل غابرييل هولت. سوف ترافقني، نذهب كي نلقي نظرة؟

بدا غوسطا مندهشاً لأن باتريك التمس ذلك منه هو وليس من مارتن، لكنه أذعن.

في وقت لاحق، بينما كانا يصعدان ممرّ الدخول، لم يستطيعا كبح رغبتهما في الشهيق من شدة الحسد. كانت إقامة غابرييل هولت عبارة عن قصر فخم. كان يلمع مثل لؤلؤة بيضاء وسط الخضرة

وشجيرات جار الماء التي تحفّ الممر كانت تنحني للريح باحترام. وحدَّث باتريك نفسه بأن إفرايم هولت كان واعظاً ماهراً بدرجة كبيرة حتى حاز ملكية مثل هذه.

بل حتى طقطقة الحصى تحت أقدامهما حينما تقدَّما إلى حيث الدرج كان فيها بعضٌ من الترف وكان باتريك متلهفاً لرؤية داخل المنزل.

غابرييل هولت هو مَن فتح الباب شخصياً. مسح باتريك وغابرييل أقدامهما على الماشطة قبل ولوج البهو.

وهو يتكلم، تقدَّمهما غابرييل صوب غرفة رحبة جميلة بها نوافذ عالية تتيح دخول الشمس بوفرة. هناك امرأة تجلس على أريكة بيضاء بوجه تعلوه الحيرة، ثم نهضت لتحيَّتهما.

- ليني هولت، شكراً على مجيئكما بهذه السرعة.

جلست، أومأ غابرييل بحركة نحو الأريكة المقابلة. شعر غوسطا وباتريك بأنهما لا يليقان بالمقام، لأنّ كلاهما لم يتكبد عناء ارتداء لباس أنيق خاصة للتوجّه إلى العمل، كانا بأقمصة قصيرة، على الأقل باتريك كان يلبس قميصاً قصيراً مقبولاً، أما غوسطا فكان يرتدي قميصاً ذا أنسجة اصطناعية، يزينه رسم بأخضر النعناع، يعطيه مظهراً مبتذلاً جداً، وكان الفرق صارخاً لا سيما مقارنة مع الفستان المخيط من الكتان الخام الذي تلبسه ليني والبدلة بربطة العنق التي لغابرييل. خمَّن باتريك أنه يرشح عرقاً، وكان يتمنى على غابرييل بأن لا يكون مضطراً للتجول وهو بذلك اللباس طول الوقت في حرِّ الصيف، لكن من ناحية أخرى، كان يصعب عليه تمثّله بلباس أكثر استرخاء. لم يكن يبدو عليه أنه يعرق في بدلته بلون أزرق بحري. بينما كان العرق يغمر باتريك لمجرد التفكير في ارتداء شيء مماثل في تلك الفترة من السنة.

- لقد حكى لنا زوجك باختصار ما جرى، لكن ربما تستطيعين الاستفاضة قليلاً؟

وجَّه باتريك ابتسامة مطمئنة إلى ليني وهو يُخرج مفكرة ملاحظاته وقلم حبر. ثم انتظر.

- طيب، إذن، لم يكن هناك أحد غيري في البيت مساء البارحة. غالباً ما يكون غابرييل مسافراً وأقضي الكثير من الليالي لوحدي.

لاحظ باتريك بعض الحزن في صوتها وتساءل إنْ كان غابرييل هولت قد انتبه بدوره لذلك. استرسلت:

- أعرف أنّ تلك حماقة، لكني أخاف الظلام بشكلٍ رهيب. عموماً، أحبس نفسي بين غرفتين حينما أكون لوحدي، غرفتي وغرفة التلفزيون التي تفضي الواحدة منهما إلى الأخرى.

انتبه باتريك إلى أنها تقول «غرفتي» ولم يمنع نفسه من التفكير أنه من المؤسف جداً أن شخصان متزوجان لا ينامان إلى جانب بعضهما حتى. هذا لن يحدث لهما أبداً، إريكا وهو.

- كنت على وشك الاتصال بغابرييل عندما رأيت شيئاً يتحرك في الخارج. وفي الثانية التي أعقبت ذلك، تطايرت شظايا إحدى نوافذ الجهة الصغرى، يسار الجهة حيث كنت واقفة. وقد أمكنني للحظة من الوقت رؤية أنه كان حجراً كبيراً، ثم آخر هشَّم زجاج النافذة الأخرى. بعد ذلك سمعت فقط صوت ركض وتبيَّنت ظلَّين يختفيان في اتجاه الغابة.

دوَّن باتريك بعض الكلمات الرئيسة. لم يفتح غوسطا فمه منذ وصولهما، ما عدا من أجل ذكر اسمه حينما قدَّم نفسه. استفسره باتريك بنظرة منه كي يرى إن كان هناك مِن شيء يريد توضيحه، لكنه

ظلّ صامتاً يتفحص أظفاره بتفصيل. كان عليَّ أن أخضِرَ معي أيضاً سطلاً من الثلج.

- هل لديكم أدنى فكرة عن أيّ مبرِّر ممكن؟

انطلق الجواب من قِبَل غابرييل وبدا أنه يسابق ليني:

- لا، ليس أكثر من جشع قديم جداً. منذ البداية، لم يستسغ الناس جيداً أن تعود لنا المِلْكية، إنهم ينظرون إلينا شزراً وعلى مرّ السنوات، كان علينا تحمُّل بعض الحوادث من طرف السكارى. شقاوة صبيان وكان الأمر سيقف عند هذا الحدّ هذه المرة أيضاً، لكن زوجتي ألحَّت على إخبار الشرطة.

صوَّب نظرة استياء نحو ليني التي أظهرت للمرة الأولى بأنها من لحم ودم وردَّت عليه بنظرة حانقة. وبدا أنّ حركة التحدي تلك قدحت شعلة بداخلها، ومن دون أن تنظر إلى زوجها قالت لباتريك بهدوء:

- أرى من اللازم أن تحدِّث روبير وجوهان هولت، ابنا أخ زوجي، كي تسألهما عن مكان وجودهما البارحة مساء.

- ليني، هذا لا جدوى منه حقيقة!

- لم تكن هنا مساء البارحة، وأنت لا تعرف تأثير ذلك، حجارة تتطاير من حولك، وتحطّم النوافذ. كان من المحتمل أن أصاب بأذى. وأنت تدرك مثلي أن هذين الصعلوكين هما مَن كانا هنا!

- ليني، لقد اتفقنا على. كان يتكلم وفكّاه منقبضان وكانت عضلاته مشدودة إلى أقصى حدّ.

- لقد اتفقت مع نفسك!

التفتت نحو باتريك تحفِّزُها جرأتها الخاصة غير المعتادة شيئاً ما وتابعت اندفاعها:

- صحيح أني لم أرهما، لكني مستعدة للقسم بأنهما جوهان وروبير. لقد جاءت أمهما سولفيغ إلى هنا نهاراً وتصرفت بطريقة غير لائقة صراحة، وهذان الاثنان هما صعلوكان صغيران حقيقيان، ثم. أجل، إنك تعرف ذلك مثلي، أتصوَّر أنك تعاملت معهما مراراً.

كانت تشير في اتجاه باتريك وغوسطا اللذان لم يكن في وسعهما إلا الموافقة بإيماءة من الرأس. لقد واجها بالفعل الأخوين الصعلوكين بانتظام مخيف، منذ أن كانا يافعين جداً.

نظرت ليني إلى غابرييل شزراً للتحقُّق ممّا إذا كان سيجرؤ على مجادلتها، لكنه اكتفى بهزّ كتفيه باستسلام كما لو أنه يلمِّح لنفض يديه من الموضوع.

- وما السبب في تلك المماحكة مع الأم؟ سألها باتريك.

- أوه، إنها شخص ليس في حاجة إلى سبب بحق، لقد كانت دائماً تكرهنا. إنّ ما جعلها تفقد صوابها أمس هو خبر العثور على الفتاتين في فجوة الملك. ونظراً إلى ضعف مؤهلاتها الفكرية استخلصت أنّ ذلك كان هو الدليل على أنّ زوجها جوهانس قد اتهم ظلماً، وقد رمَت ذلك على كاهل غابرييل.

زاد الانفعال من شدّة صوتها، وكفّها مرفوعة نحو الأعلى أشارت إلى زوجها الذي بدا أنه ابتعد ذهنياً عن الحديث.

- أجل، لقد اطّلعتُ على الملفات القديمة التي تعود إلى الفترة التي اختفت أثناءها الفتاتان، ولاحظت أنك بلّغت عن أخيك لدى الشرطة بصفته مشتبهاً فيه. هل بإمكانك أن تخبرني بالمزيد عن ذلك؟

أرعدت ملامح وجه غابرييل على نحوٍ بالكاد كان مرئياً، علامة صغيرة جداً على أن السؤال أحرجه، لكن صوته بدا هادئاً.

- حدث ذلك منذ سنوات بلا عدّ. إنْ سألتني عمّا إذا كنت

أصرُّ على القول بأن أخي هو فعلاً مَن رأيته صحبة سيف لانتان، إذن فالجواب سيكون «نعم». كنت قد ذهبت لزيارة ابني بمستشفى **أودفالا** حيث كان يعاني من اللوكيميا في تلك الآونة وكنت عائداً إلى البيت. على طريق بْراكْ صادفت سيارة أخي. واعتبرت ذلك مستغرَباً بعض الشيء، أن يكون على الطريق في منتصف الليل، وقد نظرت بإمعان. على مقعد الراكب رأيت الفتاة، رأسها مسندٌ إلى كتف أخي، يخال المرء أنها كانت نائمة.

- كيف عرفت حينذاك بأنها سيف لانتان؟

- لم أكن أعرف ذلك، لكني تعرَّفت عليها ما إن رأيتُ الصورة في الجريدة. إلّا أني أودّ التأكيد على أنه لم يسبق لي أبداً التصريح بأن أخي هو مَن قتلهما، كما لم أنعته أبداً بالسفاح مثلما يسعى الناس للترويج لذلك، كل ما فعلت هو أني أخبرت بمشاهدته مع الفتاة، وهذا شيء اعتبرته من واجبي بصفتي مواطناً، ولم تكن له أي صلة بصراعٍ مفترض بيننا، ولا بأيّ انتقام، مثلما يدّعي البعض. لقد صرَّحتُ بما شاهدته، وتركت للشرطة استخلاص النتائج. والظاهر أنهم لم يعثروا على أدلة تدين جوهانس، إلى حدّ أن حديثنا هذا يبدو لي غير ذي جدوى تماماً

- لكن ما الذي اعتقدته أنت؟ نظر باتريك إلى غابرييل بفضول. كان يصعب عليه فهم أن يكون المرء حريصاً إلى حدّ التبليغ عن أخيه.

- لا أعتقد شيئاً، أؤمن بالوقائع.

- لكنك كنت تعرف أخاك حق المعرفة؟ هل تظنّ أنه كان قادراً على القتل؟

- لم تكن تجمع بيني وأخي الكثير من القواسم المشتركة، أحياناً كنت أستغرب كوننا نحمل الجينات نفسها لشدّة ما كنّا

مختلفين. تسألني إن كنتُ أعتقد بأنه قادر على اقتراف جريمة قتل؟ باعد غابرييل ما بين ذراعيه. لا علم لي بذلك. لم أكن أعرف أخي بما يكفي للجواب عن هذا السؤال. ثم إنه يبدو سؤالاً لا طائل من ورائه نظراً إلى المسار الذي اتّخذته الأحداث، أليس كذلك؟

بعد هذا القول، اعتبر أن النقاش قد انتهى، ثم نهض من مكانه.

التقط باتريك وغوسطا هذه الإشارة السمجة بعض الشيء، وانسحبا

- ما رأيك في ذلك؟ نذهب لاستفسار الصعلوكين عن مكان وجودهما مساء البارحة؟

كان السؤال شكلياً صرفاً، إذ إن باتريك سلك مسبقاً الاتجاه نحو منزل جوهان وروبير دون انتظاره جواب غوسطا.

أثار أعصابه تراخي زميله أثناء الحديث، ماذا عساه يفعل لخضّ هذا المحارب العجوز؟ صحيح أنه لن يطول به المطاف للحصول على التقاعد، لكنه الآن لا يزال قيد الخدمة، والمفروض أن يقوم بعمله.

- طيب، ما رأيك في كل ذلك؟ كان الغيظ بادياً على صوت باتريك.

- أعتقد أني لا أعرف أي خيار هو الأسوأ. إما أننا نتعامل مع سفاح قتل على الأقل ثلاث فتيات خلال عشرين سنة، لكن لا نملك أية فكرة عمّن يكون. أو فإن جوهانس كان فعلاً هو مَن قام بتعذيب وقتل سيف لانتان ومونا والآن هناك من يقلّده. فيما يخصّ الفرضية الأولى، ربما يجب علينا مراجعة سجلات السجون. هل هناك مَن ظلّ محبوساً طول هذه المدة الزمنية الفاصلة بين اختفاء كلّ من سيف لانتان ومونا، ومقتل الألمانية؟ هذا قد يفسر الانقطاع الحاصل.

كانت نبرة غوسطا نبرة المستغرق في التفكير، نظر إليه باتريك مندهشاً. لم يكن العجوز مشوَّش الذهن مثلما اعتقد.

- سوف يكون من السهل التحقُّق من ذلك. ليسوا بكثرة في السويد أولئك الذين ظلوا مسجونين طول عشرين سنة، ستتكفل بالأمر حينما نعود إلى المركز؟

أومأ غوسطا برأسه واكتفى بعدَها بمشاهدة منظر الطبيعة عبر النافذة الجانبية.

كانت الطريق المؤدية إلى مسكن الحارس الغابوي، وهو مسكنٌ قديم، في حالة متردية جداً. عبر الأجواء كانت المسافة قصيرة بين إقامة غابرييل ولييني وكوخ سولفيغ الصغير وابنيها، لكنها بدت لا نهاية لها من حيث مستوى العيش. كان الميدان يشبه في كل شيء مستودعاً للمتلاشيات. علاوة على خليط من الركام، كانت هناك ثلاث هياكل لسيارات في مراحل مختلفة من التَّلف مركونة كما اتفق. من الواضح أنّ أفراد هذه الأسرة كانوا عاجزين عن التخلص من أيّ شيء. شكّ باتريك بأنه إن نبش قليلاً سيعثر أيضاً على العديد من الأشياء المسروقة من بيوت الناحية، لكنهما لم يَقْدِما من أجل ذلك. يجب ترتيب الأولويات.

وهو يلبس بدلة عمل متسخة زرقاء رمادية تلاشى لونها، خرج روبير من المستودع حيث كان يرمم خردة. كانت يداه ملطَّختان بالسُّخام والظاهر أنه حكَّ وجهه. وهو مقبِلٌ نحوهما، مسح يديه بخرقة بالية.

- ما الذي جئتم تقترفونه هنا؟ إذا كان من أجل التفتيش، أريد أن أرى التفويض بذلك قبل أي شيء.

كانت النبرة متهكِّمة. ذلك لأنه كانت بينهم معرفة قديمة منذ سنوات بلا عدّ. رفع باتريك يده بحركة مهدئة:

- الهدوء. لسنا هنا من أجل تفتيش أي شيء كان. نودّ فقط أن ندردش بعض الوقت.

نظر إليهما روبير بحذرٍ، لكنه أومأ برأسه.

كما نودّ أن ندردش مع أخيك أيضاً. أهو هنا؟

على مضض، أومأ روبير برأسه مجدداً ونهق في اتجاه المنزل.

- جوهان، الشرطة في زيارتنا. إنهم يريدون الدردشة معك!

- ربما نستطيع الدخول للجلوس؟

دون انتظار الجواب دلف باتريك نحو الباب وغوسطا في عقبه، ولم يكن أمام روبير من خيارٍ سوى المشي في إثرهما. لم يتجشّم عناء خلع بدلة العمل أو غسل يديه. منذ عمليات إنزال سابقة عند الفجر هنا، يعرف باتريك أنّ الوسخ جزء لا يتجزأ من كلّ ما في البيت. ذات يوم، فيما مضى، لا شك أن الكوخ كان لطيفاً، رغم ضيقه، لكن سنوات من التقصير جعلت كل شيء يبدو اليوم عرضة للإهمال. كان ورق الجدران بنياً وكدراً، الشرائط مقتلعة وتغمرها البقع. وعلاوة على الوساخة، كان المرء يشعر وكأنّ طبقة رقيقة من الشَّحم تغطي كل شيء.

أومأ المفتشان بالرأس نحو سولفيغ التي كانت تعبث بألبوماتها على طاولة المطبخ مقوّسة الأرجل. خصلات شعرها الكستنائي تتدلى بجدائل حزينة وحينما أبعدت طُرَّة الشعر عن عينيها بحركة عصبية، صارت أصابعها دسمة كلياً. لا شعوريا، مسح باتريك يده على قميصه قبل أن يجلس بطرف ردفيه على أحد الكراسي الخشبية البسيطة. خرج جوهان، متجهم السحنة، من حجرة صغيرة وتهاوى إلى جانب أخيه وأمه على الأريكة. بتأمّلهما على ذلك النحو، رأى باتريك بسرعة الشَّبه بينهما. جمال سولفيغ القديم يستمر مثل رجع الصدى على وجه كلٍّ من الولدين. لقد سمع باتريك بأن جوهانس

كان رجلاً وسيماً ولو أنّ ولداه استقاما بظهرهما، لكانا بمثل وسامته تقريباً. في الوقت الحاضر، كان بُدُو رخاوة يطفو على شخصهما، ما يشبه انبعاثاً دبقاً بعض الشيء. مخادعان، ستكون بلا ريب هي الكلمة المناسبة. في حدود إمكان وسم وجه بالمخادع، فإن هذا الوصف يناسب على الأقل روبير. وباتريك ما زال لديه بعض الأمل بالنسبة إلى جوهان. حينما كانا يصادفان بعضهما في قضايا متعلقة بالشرطة، فإن الأخ الأصغر كان يترك الانطباع دوماً بأنه يقلّ صلابة عن أخيه. في بعض الأحيان، استطاع باتريك أن يستشف ازدواجية في شخصه، حيرة تتصل بالحياة التي اختارها منجرفاً وراء أخيه روبير من المؤسف أن روبير يمارس عليه كل ذلك التأثير، لكان جوهان مختلفاً تماماً، لكن الحال كما هي عليه.

- ما الذي جئتم تقترفونه هنا؟ طرح جوهان السؤال نفسه الذي سدَّده أخوه.

- نودّ معرفة ما كنتما تصنعانه مساء البارحة. ألم تكونا بالصدفة في بيت عمّكما وزوجه تستمتعان بقذف الحجارة؟

- لا، ولماذا سنفعل ذلك. لقد مكثنا بالبيت الليل كله البارحة، أليس كذلك، ماما؟

التفتا معاً نحو سولفيغ وأومأت موافقة برأسها كانت قد أغلقت الألبومات مؤقتاً وتستمع باهتمام للحديث بين ولديها ورجُلَي الشرطة.

- أجل، لقد كانا معاً هنا البارحة. كنا نشاهد التلفاز جميعاً. سهرة عائلية، كانت ممتعة جداً

لم تكلف نفسها مشقّة إخفاء سخريتها

- وعليه فإن روبير وجوهان لم يخرجا لحظة قصيرة؟ لنفترض حوالي العاشرة؟

- لا، لم يخرجا دقيقة واحدة. لم يذهبا حتى إلى المرحاض، لو أسعفتني الذاكرة.

دائماً اللهجة الساخرة ذاتها ولم يحرِم ولداها نفسيهما من الضحك باستهزاء.

- هكذا إذن، شخصٌ ما كسر لهم النوافذ ليلة أمس؟ أفترض أنهم ارتعبوا هناك؟ وتحوّل الاستهزاء إلى قهقهة صريحة.

- طيب، زوجة عمكما فقط. غابرييل لم يكن هناك بالأمس، كانت ليني وحدها بالبيت.

علَت الخيبة وجوههم. لقد تمنوا بالتأكيد إدخال الفزع على قلب الزوجين ولم يخطر على بالهم أن يكون غابرييل غائباً

- لقد سمعتُ بأنكِ، بدورِكِ، يا سولفيغ، قمتِ بزيارة صغيرة لهم بالقصر الريفي أمس. يبدو أنه كانت هناك تهديدات. هل لديك من تعليق حول ذلك؟

- أي نعم، ادّعيا أني قمت بتهديدهما؟ قالت سولفيغ بتهكُّم، لكني لم أقل شيئاً إلا وله ما يبرره. إن غابرييل هو من أبلغ عن زوجي بصفته القاتل. إن غابرييل هو من قتله، كما لو أنه هو من شنقه بكل تأكيد.

ارتعدت عضلة بوجه روبير حينما سمع ذكر الطريقة التي مات بها أباه، وتذكّر باتريك بأنه قرأ أن روبير هو مَن عثر على أبيه بعد انتحاره.

واصلت سولفيغ خطبتها:

- كان غابرييل يكره جوهانس دائماً. كان يحسده منذ أن كانا صبيَّين. كان جوهانس كلّ ما لم يَكُنْه غابرييل، وكان يعرف ذلك. كان إفراييم يفضل دوماً جوهانس وأستطيع تفهُّم ذلك. أجل، أعرف أنه لا ينبغي التمييز بين الأبناء - أومأت برأسها اتجاه ابنيها

الجالسين جانبها على الأريكة -لكن غابرييل كان بارداً مثل سمكة بينما جوهانس كان يشعّ حيوية. وأنا في وضعٍ جيد لمعرفة ذلك، كنت خطيبة لواحد ثم زوجة للثاني. كان من المستحيل إثارة الرغبة لدى غابرييل. كان وقوراً على الدوام إلى أقصى حدّ وكان يريد الانتظار حتى نصبح زوجين. كان هذا يشدّ أعصابي. ثم شرع أخوه يحوم حولي وهنا كان الأمر مختلفاً. يداه تلك كانتا تستطيعان أن تكونا في أيّ موضع في الوقت معاً، وكان يُشعل النار فيك لمجرد النظر إليك.

صوَّتت ونظرت أمامها دون أن تبصر شيئاً، كما لو كانت تعيش من جديد ليالي شبابها الساخنة.

- يا للعهر، اصمتي، ماما!

كان التقزُّز بادياً بوضوح على وجه كلّ من الأخوين. لم تكن لديهما رغبة في سماع الماضي الغرامي لأمهما. عنَّت لباتريك رؤيا سولفيغ عارية، وجسدها البدين يتمايل بشهوانية، وطرف بعينيه للتخلّص منها.

وعليه حينما سمعتُ بأنهم عثروا على تلك الفتاة المقتولة وسيف، ومونا في وقت معاً، ذهبتُ لأصارحه بحقيقة عيوبه. لقد دمَّر حياتنا، جوهانس وأنا والولدين، عن حسدٍ وحقدٍ، والآن فإن الحقيقة ستتضح للعيان أخيراً. سوف يشعرون بالخزي ويدركون أنهم أنصتوا للأخ السيئ، وأتمنى أن يحترق غابرييل في الجحيم بسبب خطاياه!

كانت في حالة السّعار ذاتها التي انتابتها أمس الأول، وضع جوهان يده على ذراعها في الآن معاً لتهدئتها ولتحذيرها.

- طيب، مهما كان السبب، لا يمكن أن نهدّد الناس هكذا! ثم ليس لدينا الحق أيضاً لرمي الحجارة على النوافذ!

- صوَّب باتريك أصبعه نحو روبير وجوهان، مشيراً إلى أنه لا يصدِّق ولو للحظة شهادة أمهما التي تحدَّثت عن سهرة تلفزيونية عائلية. كانا يعرفان أنه يعرف وهو كان يحذِّرهما على هذا النحو بأنه سوف يضعهما تحت مراقبته، ولم يفعلا سوى الغمغمة بإجابة. بينما كان وجه سولفيغ لا يزال محمراً من شدة الغضب، وقد تجاهلت تحذير ابنها لها:

- ثم إن غابرييل ليس هو وحده مَن عليه الشعور بالخزي! متى سوف نتلقى اعتذار الشرطة؟ إنكم لم تكفوا عن القدوم إلى هنا لإحداث الفوضى بالمزرعة، والبحث عن جوهانس للاستجواب، لقد كنتم تصنعون كل شيء لدفعه نحو الموت. ربما حان الوقت الآن لتقديم اعتذاراتكم؟

للمرة الثانية كان غوسطا هو مَن بادر إلى أخذ الكلمة:

- قبل أن يُحَدَّد بدقة ما وقع لأولئك الفتيات، لن يقدِّم أيٌّ كان اعتذارات عن أي شيء كان. وإلى أن نشهد نهاية هذه القصة، أحبذ أن تتصرفي على نحو لائق، يا سولفيغ!

بدا وكأنّ صرامة صوت غوسطا نابعة من مكانٍ غير متوقع. لاحقاً، على متن السيارة، سأل باتريك وهو مندهش تماماً:

- هل تعرفان بعضكما، سولفيغ وأنت؟

- معرفة، كلمة مبالغ فيها، غمغم غوسطا. هي مِن سن أخي الأصغر وكانت تأتي مراراً إلى بيتنا حينما كنت غلاماً لمّا صارت مراهقة، أضحى الجميع يعرف سولفيغ. كانت أجمل فتاة في الناحية، أقسم على ذلك، وإنه صعب علينا تقبّل الأمر عندما نراها اليوم. أجل، يا للأسف. كم إن الحياة كانت قاسية جداً معها ومع ابنيها. ولا أستطيع حتى تأييدها والقول إن جوهانس مات وهو بريء. يا للقرف، إننا لا نعلم شيئاً على الإطلاق!

هزَّ رأسه بندم، ثم من شدة إحباطه ضرب فخذه بقبضته. خُيِّل لباتريك أنه يرى دُبّاً يستيقظ من سبات طويل.

- سوف تراجع السجون إذن، عند العودة؟

- أجل، سبق وقلتُ ذلك، أجل! لم أخرف إلى حدّ عدم فهم أمرٍ من المرة الأولى التي يوجه فيها إليّ. اللعنة إذن، أن يتلقى المرء أوامره من طفل بالكاد خرج من المهد. نظر غوسطا بحزن أمامه.

وهو متعب، حدَّث باتريك نفسه بأنه لا تزال هناك الكثير من الطريق يجب قطعها.

لما اقترب يوم السبت، أخذت إريكا تبتهج لكونها سوف تحظى بوجود باتريك في البيت من جديد. لقد وعد بالاستفادة من عطلته لنهاية الأسبوع وهما الآن في طريقهما إلى صخور الأرخبيل على متن قاربهما الخشبي. لقد كانا محظوظين بالعثور على قارب يطابق تقريباً ذلك الذي كان يمتلكه تُورْ والد إريكا. لم تكن تتخيل الحصول على واحد آخر مثله. لم تنجذب أبداً نحو القوارب الشراعية بالخصوص، وإن كانت قد تابعت بعض الدروس. إن قارباً مزوّد بمحرك داخلي بلاستيكي سيتقدم بكل تأكيد بسرعة كبيرة، لكن مَن الذي كان مسرعاً إلى ذلك الحدّ؟

صوت المحرك كان يذكِّرها بطفولتها. في صغرها، نامت مراراً في المربع الضيق، يهدهدها الطَّرْق المنوم الصادر عن المحرك. بصفة عامة، كانت تفضِّل الذهاب للجلوس في المقدمة المرتفعة، أمام النوافذ الزجاجية، لكن في حالتها الراهنة التي تقلّ رشاقة لم تجرؤ على فعل ذلك وجلست على أحد المقاعد خلف النوافذ الواقية. كان باتريك يمسك الدَّفة، خصلات شعره الكستنائي تذروها الريح، والابتسامة لا تفارق وجهه. كانا قد انطلقا باكراً للوصول قبل

المصطافين وكان الهواء عذباً وصافياً. دفقات صغيرة من الرذاذ كانت تغمر المركب بانتظام وكان في إمكان إريكا الإحساس بمذاق الهواء المالح. كان يصعب عليها تصور أنها تحمل في أحشائها مخلوقاً صغيراً سوف يجلس بعد بضع سنوات في مؤخرة المركب، إلى جانب باتريك، مزوّد بسترة نجاة برتقالية ثقيلة ذات طوق عالٍ، مثلما كانت تفعل هي صحبة والدها مراراً وتكراراً.

أخذت عيناها تؤلمانها لتذكُّر أبيها الذي لن يأتي أبداً من أجل لقاء حفيده أو حفيدته. أمها بدورها أيضاً، لكن ما دامت هذه الأخيرة كانت تبقى دائماً على مسافة من ابنتيها الاثنتين، فإن إريكا لم تكن ترى بوضوح كيف لأحفاد أن يوقظوا فيها مشاعر الجدّة العاطفية. لا سيما أنها كانت دوماً تمتاز بصلابة غير طبيعية حينما كانت تلتقي ولدا آنا مكتفية بضمّهما بين ذراعيها على نحوٍ أرعن لما كانت المناسبة والمحيط يتطلبان ذلك. وانبثقت المرارة داخل إريكا من جديد إلا أنها كبحتها. في هنيهات التشاؤم تلك، كانت تخشى أن تبدو الأمومة مزعجة لها مثلما كانت بالنسبة إلى إلزي. أن تتحول فجأة إلى أمها الباردة والمتعذّر القرب منها. كان النصف المنطقي من دماغها يقول إن من السخافة التفكير بالمثل، لكن الخوف لم يكن يعرف المنطق. من جهة أخرى، كانت آنا أماً رؤوماً على إيما وأدريان وحضنهما الدافئ، وإذن، ما المانع من أن تصير إريكا بدورها كذلك؟ كانت تسعى إلى إحكام عقلها بذلك. على كل حال، فقد اختارت الأب المناسب لطفلها، خمنت وهي تنظر إلى باتريك. هدوءه وثقته كانا يعادلان تقلّبها الخاص مثلما لم يستطع أيّ أحد فعله من قبل. سوف يكون أباً عظيماً

نزلا في خليج صغير محمي وبسطا مناشف الاستحمام على البلاطات الصخرية السلسة. لقد افتقدت ذلك، حينما كانت تقيم في

ستوكهولم، كان الأرخبيل هناك مختلفاً جداً. بكل أشجاره ونباتاته، كان فيه شيء من الفوضى والغمور. حديقة مغمورة، كان سكان الساحل الغربي يسخرون منها. ومقارنة معه، فإن أرخبيلهم كان خالصاً في بساطته. كان حجر الغرانيت الوردي والرمادي يعكس تلألؤ الماء ويبرز وسط سماء خالية من الغيوم في تناغم يقطع الأنفاس. كانت أزهار الشقوق الصغيرة هي النبات الوحيد، وفي هذا الكون القاحل كان يبدو جمالها بأكمله. أغمضت إريكا عينيها وشعرت بنفسها تنزلق في نوم مريح على صوت تلاطم الماء والمركب الذي كان يرتطم بلطف مع المرساة.

عندما أيقظها باتريك بلطف، لم تعرف أولاً أيّ مكان كانت فيه. بهرتها قوة الشمس بضع ثوانٍ، وكان باتريك مثل ظلٍّ فوقها. وبعد أن استعادت رشدها، أدركت أنها نامت مدة ساعتين وفكرت أن فنجان قهوة سوف يكون موضع ترحيب.

تناولا القهوة في فناجين كبيرة، صحبة خبز ملفوف بنكهة القرفة. كان ذلك أفضل مكان لوجبة خفيفة، واستمتعا بهذه الهنيهة. لم تستطع إريكا الإحجام عن الخوض في موضوع النقاش المحرّم:

- كيف تسير الأمور فعلاً؟

- بين بين. خطوة نحو الأمام خطوتان إلى الوراء.

كانت إجابات باتريك مقتضبة. الظاهر أنه كان يحرص على أنّ لا يجتاح الشرّ الذي يغمر عمله السكينة المشمسة، لكن فضول إريكا كان متّقداً بشدة وسعت إلى أن تطّلِع على المزيد.

- والمقالات التي عثرتُ عليها، هل أفادتك؟ هل تعتقد أن كل ذلك له علاقة بعائلة هولت؟ أم أن من سوء حظ جوهانس هولت ببساطة أن وجد نفسه عالقاً بذلك؟

زفر باتريك وهو يقبض على الكوب بين يديه.

- لو كنتُ أعلم ذلك. كل عائلة هولت تبدو لي عشّ دبابير ومن الأفضل أن لا أخوض في العلاقات القائمة بينهم. هناك شيء يدعو للريبة، لكني لا أعرف إن كانت له علاقة بجرائم القتل. ربما صحيح أنني لا أودّ الإقرار بأن الشرطة قد أخطأت وبأنهم دفعوا بريئاً إلى وضع حدٍّ لحياته. أقول هذا، وشهادة غابرييل كانت المسلك الوحيد المناسب في تلك الحقبة، بعد اختفاء الفتاتين. وعلى الرغم من ذلك، لا يمكن التركيز عليهما فحسب، ينبغي أن نوسِّع البحث، لكني أفضِّل أن لا أتحدث في ذلك. في هذه اللحظة، أشعر أني على الخصوص بحاجة إلى الانفصال عن كلّ ما يتصل بالقضية، والتفكير في شيء آخر.

أومأت إريكا برأسها.

- أعِدُ بأن لا أعود إلى طرح الأسئلة. هل تريد منه المزيد؟

تناول الخبز دون تردُّد. وأمضيا معاً مزيداً من الوقت الممتع على الجزيرة الصغيرة، في القراءة تحت الشمس قبل أن تزف ساعة العودة وتحضير المشويات. في اللحظة الأخيرة، قررا أن يدعوا أيضاً والد باتريك وزوجته، بحيث دون حساب الأطفال، سوف يجب إطعام ثمانية أشخاص كبار.

كان غابرييل لا يزال يتخبط من الحيرة نهاية الأسبوع، بينما كان المفروض فيه أن يرتاح وأن لا يعمل. المشكل هو أنه لم يكن يعلم ما يجب فعله عندما لا يعمل. كان العمل هو حياته. لم تكن له أية هواية: قضاء الوقت مع زوجته، لم يكن ذلك بالأمر الذي يثير اهتمامه، وكان ولداه مستقلان عنه، ولو أنّ وضع ليندا كان قابلاً للنقاش، بحيث كلٌّ يغلق على نفسه في مكتبه مراراً، ويستغرق في

المحاسبة. الأرقام، ذلك ما كان يحبّه في الحياة. خلافاً لبني البشر بحساسيتهم وانعدام عقلانيتهم المضجِرة، كانت الأرقام تتبع قواعد ثابتة. كان في استطاعته دوماً أن يثق فيها وكان يشعر بنفسه مرتاحاً في عالمه. ليس مطلوباً أن يكون المرء عبقرياً بغية مأتى هذا التعطّش للترتيب والنظام، كان غابرييل نفسه يعزوه إلى طفولته الفوضوية، لكنه لم يكن يعتبر أنّ في ذلك ما يدعو للقلق. لقد أدى ذلك وظيفته وأفاده جيداً، وبالتالي فإنّ أصل هذه الحاجة ليست ذات أهمية كبيرة، بل ليس لها أدنى أهمية.

كان يسعى لأن يبعد عن ذهنه التيه في الطرقات في عهد الواعظ، لكن حينما كان يُعيد التفكير في طفولته، كانت تنبثق صورة أبيه دائماً هكذا. شخصية مخيفة وبلا وجه تملأ أيامهم هم المصابين بالهستيريا، الذين يصرخون ويهذرون. رجال ونساء يسعون إلى لمسهما، جوهانس وهو. يريدون التشبث بهما بأياديهم ذات المخالب حتى يخففوا من الألم الجسدي أو النفسي الذي كان يعذبهم. الذين كان يعتقدون أنه وأخوه كانا يمتلكان الاستجابة لأدعيتهم. قناة مباشرة مع الله.

لقد أحبّ جوهانس تلك السنوات. إذ شبَّ في ظلّ اهتمام الجمهور واندفع إلى الأمام طوعاً. أحياناً باغته غابرييل متلبساً بالجرم المشهود، وهو يتأمل يديه بانبهار، في الليل حينما كانا يرقدان، وكأنه يسعى لرؤية المصدر الذي تأتي منه تلك المعجزات الخارقة.

وبينما شعر غابرييل بامتنان عظيم حينما توقفت تلك الموهبة، فإن جوهانس أصابه اليأس. لم يكن ينجح في التكيف مع فكرة أنه لم يعُد الآن سوى طفلٍ عادي، ليس لديه ميزة خاصة، مثله مثل أي كان. بكى وتوسل إلى الواعظ من أجل مساعدته على استعادة

الموهبة، لكن أباهما شرح على نحوٍ جافّ أن تلك الحياة انتهت الآن، وأن حياة أخرى ستبدأ وبأن للرَّب في خلقه شؤون.

حينما انتقلوا للإقامة بالقصر الريفي الصغير قرب فيالباكا، صار الواعظ في نظر ابنه غابرييل هو إفراييم، وليس أباً، وقد أحبّ هذه الحياة الجديدة منذ اللحظة الأولى. ليس لأنه كان قريباً جداً من أبيه - إذ كان جوهانس دائماً هو المفضّل واستمر في كونه كذلك - وإنما لأنه عثر أخيراً على موئل. مكان حيث يقيم وحوله ينظّم حياته. حيث هناك مواعيد ينبغي احترامها مدرسة يرتادها وقد أحب المزرعة أيضاً وكان يحلم بالقدرة على تسييرها يوماً ما. كان يعرف بأنه سوف يصير مديراً أفضل من إفراييم وجوهانس، وفي الليل، كان يدعو بأن لا يجني أبوه جريرة منح المزرعة لابنه المفضّل حينما يكبران. كان لا يعير اهتماماً لأن يظفر جوهانس بالحب كله والعناية كلها، لو فقط يحصل هو، غابرييل على المزرعة.

تمّت الاستجابة لدعواته، لكن ليس بالطريقة التي تخيّلها. في عالمه الخيالي، كان جوهانس دائماً هناك. وعقب موته فحسب، أدرك غابرييل مقدار حاجته إلى أخيه المتهور ذاك، للقلق حياله والاستياء منه، لكنه لم يستطع التصرف على نحوٍ مغاير. على الرغم من ذلك التمس من ليني أن تكتم ارتيابهما في كون روبير وجوهان رشقا نوافذهما بالحجارة. إنّ ذلك باغته هو بنفسه. هل أخذ يفقد حس القانون والنظام أم أحسّ لاشعورياً بأنه مسؤول عن مصير أسرة أخيه؟ لم يكن يعلم ذلك، لكن بعدئذٍ كان ممتناً لليني على اختيارها معارضته وإخبار الشرطة بكلّ شيء، وهذا أمرٌ فاجأه كذلك. في نظره كانت زوجته مجرد دمية مفكَّكة الأوصال متذمرة أكثر ممّا هي مخلوق بشري، يمتلك إرادة خاصة، وكان مذهولاً من فظاظة لهجتها ومن التحدّي الذي لمحه في عينيها. إنّ ذلك يحيّره. مع كلّ ما

حصل هذا الأسبوع، خطر على باله أن النظام حوله كان ينهار. بالنسبة إلى إنسان كان يمقت التغيير، فتلك كانت رؤية مخيفة للمستقبل. وانغمس غابرييل بمزيد من العمق في عالم الأرقام.

وصل أول المدعوين في الساعة المحددة. لارس وزوجته بيتان كانا هناك عند الساعة الرابعة بالتمام، مع الزهور وقنينة خمر. كان أب باتريك طويل القامة غليظ البطن بينما زوجته كانت دحداحة مستديرة ململمة مثلها مثل كرة. إلا أنّ الاستدارات كانت تليق به، والتجاعيد حول عينيه تشهد على أنه لم يبخل يوماً بابتساماته. كانت إريكا تعرف أنه يسهل على باتريك التآلف مع بيتان قدر ما يشق عليه ذلك حيال أمه نفسها الشديدة الصرامة والحدة. كان الطلاق عسيراً، لكن مع الوقت، لم تنشأ علاقة بين لارس وكرستينا، لكن على الأقل جمع بينهما ما يشبه معاهدة للسلام، بل يحدث أن يلتقيا معاً في بعض المناسبات، لكن رغم ذلك يبقى أن أبسط شيء هو دعوتهما على انفراد.

بعد مرور ربع ساعة، حضر دان وماريا. وما إن همّا بالجلوس في الحديقة وإلقاء التحية على لارس وبيتان حتى سمعت إريكا صرخات إيما في المرتقى. انصرفت إلى استقبال آنا وطفليها واستطاعت أخيراً الترحيب برفيق أختها الجديد.

- يوم سعيد، لقد سررت بالتعرف عليك أخيراً!

مدَّت يدها مصافِحَة غوستاف آف كلينت. وكأنما حدث ما يؤكّد أحكامها المسبقة منذ الانطباع الأول، فلقد كان يشبه بالضبط باقي متأنّقي المجتمع المخملي الذين يرتادون أحياء ستاربلان الراقية بستوكهولم. شعر كستنائي، ذو قصة قصيرة مائلة، وممشَّط إلى الخلف. قميصٌ وسروال من أسلوب مريح مخادع - كانت إريكا

تعرف ثمنه تقريباً - والبلوفر الضروري المعقود حول الكتفين. وقد ضغطت على نفسها كي لا تتسرع كثيراً في الحكم عليه. وما إن فتح فمه حتى كانت تستفرغ عليه، داخلياً، كل ازدرائها له مسبقاً. وللحظة، تساءلت بِحَيْرة عن ما إذا كان ذلك غيرة خالصة تجعلها تُخرج مخالبها كلّما تعلق الأمر بأولائك الذين ولدوا وفي أفواههم ملاعق من ذهب. كانت تأمل صادقة بأنّ الحال لم تكن كذلك.

- كيف هي حال صغير خالته؟ هل أنت لطيف مع أمك؟

صوّتت آنا ووضعت أذنها على بطن إريكا لسماع الإجابة، ضحكت ثم ضمّت بين ذراعيها إريكا وباتريك. وذهبوا للالتحاق بالآخرين في الحديقة حيث تمَّ التعارف. تمكّن الأطفال أخيراً من أن يمرحوا بالركض على اليابسة، بينما كان البالغون يشربون كأساً من النبيذ أو الكوكا بالنسبة إلى إريكا. ومثلما هي الحال دوماً تحلَّق الرجال حول المشواة لاستعراض جانبهم الذكوري، في حين كانت النسوة يتبادلن أطراف الحديث من جهتهن. لم تستوعب إريكا أبداً هذه الظاهرة. رجال عادة ما يصرّحون بأنهم يجهلون تماماً طريقة طهي قطعة لحم في مقلاة يصيرون مبدعين بارعين عندما يتعلق الأمر بشواء قطعة لحم على المشواة كما يجب! كان بالإمكان على أقصى تقدير تكليف النسوة بالخضروات والصلصات، وهي تهتم أيضاً بإحضار الجعة.

- يا إلهي! كم إنّ مقامكم جميل هنا!

كانت ماريا قد شارفت مسبقاً على كأسها الثاني من النبيذ، بينما لم تكَد شفاه الآخرين تلامس كؤوسهم.

- شكراً، أجل، إننا نستمتع هنا

كان يصعب على إريكا أن تظهر أكثر من موقف متأدّب حيال رفيقة دان. لم تنجح في فهم ما الذي يجده فيها، خاصة بالمقارنة مع

برميلا، زوجته السابقة، لكنها كانت تدرك أن ذلك من إحدى غرائب الرجال التي لا تتوصل النساء إلى فهمها. الشيء الوحيد الذي كان في استطاعتها استخلاصه من ذلك، هو أنه لم يختر ماريا من أجل براعتها في الحديث. الظاهر أنها أيقظت غريزة الأمومة عند بيتان التي أولتها الكثير من العناية، مما سنح لآنا وإريكا بالكلام قليلاً

- إنه وسيم، أليس كذلك؟ هل تدركين أن رجلاً مثل هذا يهتم بي؟

ألقت آنا نظرة إعجاب صوب غوستاف. نظرت إريكا إلى أختها الصغيرة اللطيفة وتساءلت كيف أنّ شخصاً مثل آنا يفقد الثقة فيها إلى ذلك الحد. فيما مضى كانت قوية، مستقلة ومتحررة، لكن حطمها سوء المعاملة الذي عانت منه خلال سنواتها مع لوكا. وقد تحاملت على نفسها لكبح الرغبة في أن تهزّها نظرت إلى إيما وأدريان اللذان كانا يركضان مثل المجانين في الحديقة وكان لغزاً بالنسبة لها أن أختها لم تشعر بالفخر والرضى عن النفس بمشاهدة الطفلين الرائعين اللذين ولدتهما ورعتهما. وعلى الرغم من كل ما عاشاه خلال حياتهما القصيرة فقد كانا مسرورين وصلبين. وهذا، كان فقط بفضل آنا.

- لم تسنح لي الفرصة بعد للتحادث معه، لكنه يبدو لطيفاً سوف أقدم لك تقريراً مفصلاً عندما أعمق معرفتي به. الظاهر أن الأمور تمت على أحسن ما يرام جرّاء بقائكما محبوسين معاً على متن ذلك الشراعي الصغير، أفترض أن تلك علامة طيبة.

بدت لها ابتسامتها جامدة ومفتعلة.

- لم يكن صغيراً إلى ذلك الحدّ، ضحكت آنا. لقد استعار مركباً من طراز Najad 400 من صديق له قد يتّسع لفوج مشاة.

انقطع حبل حديثهما حينما وضعت المشويات على المائدة.

أخذ الرجال أنفاسهم وجلسوا للأكل، وهم راضون عن أنفسهم لقيامهم بصيد الماموث في صيغته الحديثة.

- هكذا إذن تثرثرن يا فتيات؟

أحاط دان بذراعه ماريا واندسّت بالقرب منه وهي تهدل. اكتسى عناقهما صبغة حارة بكلّ صراحة، ومع أن سنوات عديدة قد مضت منذ أن كانت إريكا ودان معاً، فإنها لم تستحسن في واقع الأمر منظر قبلاتهما الغرامية. وبدا غوستاف بدوره مستاءً من ذلك، لكن لم يفت إريكا ملاحظة أنه كان يغتنم الفرصة للغوص بناظره شزراً إلى عمق قوارة قميص ماريا.

- لا تفرط في الصلصة، لستَ مرغماً على إغراق شريحة اللحم هكذا، راعِ قلبك، تَعْلمُ أنه ينبغي لك مراقبة وزنك.

- ماذا دهاك، أنا قوي مثلي مثل حصان! هذه ليست سوى عضلة، صرخ والد باتريك وهو يخبط بطنه. وقد قالت لي إريكا بأنها تستعمل زيت الزيتون، وهذا جيد للصحة. هكذا مكتوب في كل مكان، زيت الزيتون جيد للقلب.

كبحت إريكا الرغبة في التنبيه إلى أنّ عشرة سنتيلترات تتجاوز بكثير المقدار الذي يعتبر صحياً. لقد سبق لهم أن تحادثوا أكثر من مرة وقد صار لارس بارعاً جداً في استيعابه فحسب لنصائح الحمية الغذائية التي تناسبه. كان الأكل هو بهجة حياته الكبرى وكان ينظر إلى كلّ محاولة تسعى لأن تفرض عليه قيوداً بأنها مسٌّ بشخصه. لقد أذعنت بيتان منذ أمدٍ بعيد، لكن مع ذلك كانت تحاول أن تصرح خفية برأيها في عاداته الغذائية. كل محاولاتها لجعله يتبع الحمية باءت بالفشل لأنه كان يأكل خلسة ما إن تُدِر له ظهرها. بعد ذلك كانت تبدو على وجهه ملامح الدهشة حيال وزنه الذي لم يكن يعرف انخفاضاً بينما هو، كما يقول، لا يقضم أكثر ما يفعل أرنب.

كانت ماريا قد كفَّت عن استكشاف فم دان بلسانها، وهي تنظر الآن بافتتان صوب غوستاف.

- هل تعرف E-Type؟ سألت. أتدري، إنه واحد من فرقة فيكي، أخبرني دان أنك تتردّد على العائلة الملكية. وقلتُ في قرارة نفسي إنك على الأرجح صادفت هذا الشخص، إنه رهيب!

بدا غوستاف مذهولاً من أن يعتبر المرء التعارف مع E-Type أفضل من التعارف مع الملك، لكنه تمالك نفسه وأجاب ماريا باقتضاب:

- أنا أكبر سناً من الأميرة فكتوريا بعض الشيء، لكن أخي الأصغر يعرفها جيداً، ومارتن إريكسون أيضاً.

- مَن مارتن إريكسون ذاك؟ قالت ماريا، والحيرة بادية عليها.

زفر غوستاف بعمق، لكنه مع ذلك أذعن للجواب بعد وقفة قصيرة:

- E-Type.

- آه هكذا إذن، ممتاز.

ضحكت وبدا أنها معجبة بشدة. يا إلهي، خمّنت إريكا، هل تبلغ على الأقل تلك السنوات الإحدى والعشرين المزعومة؟ يخال المرء أنها تبلغ السابعة عشرة، لكنها، بالطبع، كانت جذابة، حتى إريكا كان عليها الإقرار بذلك. نظرت بحزن إلى مفاتنها المتهدِّلة ولاحظت أنّ الفترة التي كانت فيها الحلمتان منتصبتين نحو السماء مثل حلمتَي ماريا قد انتهت بدون شك.

على الأرجح لم تكن تلك وليمتهما الأكثر نجاحاً. لقد بذلت إريكا وباتريك ما في وسعهما لإغناء الحديث، لكن بدا وكأن دان وغوستاف قادمان من كوكبين مختلفين، وماريا أفرطت في الشرب في وقت قصير، وكان عليها أن تذهب للاستفراغ في المرحاض.

الوحيد الذي حافظ على لياقته هو لارس، الذي كان يلتهم باجتهاد كل البقايا، متفادياً على نحو رائع نظرات بيتان القاتلة.

مع حلول الساعة الثامنة كان الجميع قد غادر، ووجد باتريك وإريكا نفسيهما وحيدين مع الأواني.

قررا غسلها فيما بعد وجلسا مستريحين وفي اليد كأس نبيذ.

- يا له ما ألذه، كم أحببت شرب قليل من النبيذ، ألقت إريكا نظرة عابسة نحو كأس الكوكا.

- أجل، بعد وليمة مثل هذه، أتفهَّم حاجتك له. تبّاً، ماذا دهانا لجمع جماعة متنافرة مثل تلك، إلامَ كنا نرمي؟

ضحك وهو يومئ برأسه.

- هل تعرف E-Type؟

اصطنع باتريك الغنج قائلاً وهو يحاكي صوت ماريا، ولم تتمالك إريكا نفسها من القهقهة.

- يا إلهي، هذا ممتاز، واصل بصوت عالٍ مصطنع، ولم تجد إريكا بداً من فسح المجال للضحك المتصاعد فيها.

- تقول ماما لا بأس في أن أكون بلهاء بعض الشيء ما دمت جميلة فحسب!

أحنى رأسه بدلال وكانت إريكا تلهث ممسكة ببطنها.

- توقف، لم أعد أحتمل ذلك، ألستَ أنت من نصحني بأن أكون لطيفة؟

أجل، أجل، أعرف ذلك، من الصعب أن لا يهزأ بها المرء. استعاد جديته. قولي، ما رأيك في غوستاف؟ لا يبدو أنه شديد الودّ، هل تعتقدين صادقة بأنه يناسب آنا؟

توقف ضحك إريكا دفعة واحدة، ثم عبست.

- لا، إني قلقة جداً. لعلّ أي شيء أفضل من رجل يضرب

زوجته، هذا ما قد يراود فكرنا، وهو أمرٌ صحيح، لكنني كنت ببساطة. تردّدت ولملمت كلماتها كنت آمل ببساطة في أفضل من ذلك لآنا لعلك رأيتَ سحنته حينما كان الأطفال يصرخون ويركضون في كل الأنحاء، أراهن أنه يوافق على رؤية الأطفال شريطة أن لا يسمعهم. وذاك خلاف ما ينبغي لآنا. سوف تكون في حاجة إلى شخص لطيف، ودود، ومحبوب. شخص يجعلها تشعر أنها بخير. مهما قالت، أرى جيداً أنّ الحال ليست كذلك الآن، لكنها تقول ذلك بنفسها، بأنها لا تستحق أكثر من ذلك.

قبالتهما كانت الشمس تسير إلى المغيب مثل كرة نار وسط البحر، وهذه المرة، انفسدت متعة السَّمر. حيرتها حيال أختها كانت تثقل كاهل إريكا وكانت تبدو لها المسؤولية أحياناً كبيرة جداً بحيث تكاد تأخذ بنَفَسها وإذا كان يهجس في قلبها كل ذلك القدر من الهم حيال أختها، كيف سوف تتسنى لها القدرة أيضاً على تحمل مسؤولية حياة صغيرة أخرى؟

أسندت رأسها إلى كتف باتريك وتركت الشفق يكسوهما.

ابتدأ يوم الاثنين بأخبار سارَّة. عادت أنيكا من عطلتها، تلوح عليها السُّمرة وتبدو شهية. مرتاحة جداً بعدما شبعت من اللهو في الفراش وشرب الكثير من الخمر، أخذت مكانها في مكتب الاستقبال وصوّبت ابتسامة مشرقة نحو باتريك. في العادة، كان يمقت أيام الاثنين في الصباح، لكنه لما رأى أنيكا بدا له بسرعة أنه سيكون من السهل جداً تحمل النهار. كانت تمثل نوعاً ما المحور الذي يدور حوله ما تبقى من المفوضية. كانت تنظم، تناقش، تصرخ وتشجع، حسب الحاجة. كيفما كان المشكل، فإن المرء يكون موقناً من أن يجد عندها الكلمة الراجحة والمواسية. حتى ميلبرغ أخذ

يحترمها ولم يعُد يسمح لنفسه بوضع يديه على ردفيها والنظرات المحملقة التي كانت عملة رائجة حينما كان قد التحق بمكتبه.

كان باتريك هناك منذ ساعة فقط، حينما جاءت أنيكا تطرق بابه، بوجهٍ واجم.

- باتريك، لدي هنا زوجان يريدان الإبلاغ عن اختفاء ابنتهما.

نظرا إلى بعضهما وأدرك كل واحد ما يخطر ببال الآخر.

أدخلتهما أنيكا، وأشارت لهما إلى الأريكتين قبالة مكتب باتريك. بوجه تلتهمه الحيرة، قدّما نفسيهما بصفتهما بُو وكيرستين مولر.

- ابنتنا جيني لم تعُد إلى البيت البارحة مساء.

كان المتحدث هو الأب، رجل قصير القامة مكتنز الجسم يقارب الأربعين. أثناء كلامه كان يعبث بعصبية بسرواله دون الساقين، البرمودا، المرقَّط، وناظره مثبت على المكتب. الظاهر أن الحقيقة الملموسة بوجوده في المفوضية منهمك في الإبلاغ عن اختفاء ابنتهما كأنها قد بثّت الرعب فيهما خنق الانفعال صوته، فتبعته زوجته، القصيرة القامة والململمة هي أيضاً

- إننا نقيم بمخيم غريبستاد وكان من المفروض أن تذهب جيني إلى فيالباكا حوالي الساعة السابعة صحبة رفيقاتها. كن سيخرجن إلى حيث لا أدري، وقد تعهدت لنا جيني بالعودة عند الساعة الواحدة، إذ اتفقن مع شخص كي يعيدهن، وللذهاب إلى هناك، كان عليهن ركوب الحافلة.

صار صوتها أجشَّ واضطرت للتوقف لصعوبة قدرتها على المواصلة:

- حينما لم نشهد عودتها، قلقنا حيال ذلك. طرقنا باب إحدى الفتيات التي ذهبت رفقتها، أيقظناها من النوم هي ووالديها. أخبرتنا

بأن جيني لم تأتِ في الموعد إلى موقف الحافلة وقد اعتقدن أنها تخلت عن الفكرة. أدركنا أن أمراً جللاً قد وقع. ما كانت جيني لتتصرف هكذا أبداً. إنها الابنة الوحيدة. لقد كانت تراعي دوماً إخبارنا إذا كانت سوف تتأخر في المجيء. ما الذي يا ترى قد وقع؟ لقد تناهى إلى علمنا خبر الفتاة التي عثروا عليها في فجوة الملك. هل تظن أنها. هنا انكسر صوتها وأجهشت ببكاء يائس. ومن أجل مواساتها حضنها زوجها بذراعه، لكن الدموع غمرت عينيه هو أيضاً

كان باتريك حائراً. حائراً للغاية، لكنه حاول أن لا يُظهر من ذلك شيئاً.

لا أعتقد أن هناك ما يدعو لمثل هذه المقارنات في الوقت الراهن.

يا للعهر، كم أنا صارم، حدَّث نفسه، لكن كان يصعب عليه تدبير هذا النوع من الحالات. وبينما كانت حنجرته تنقبض شفقة حيال قلق هؤلاء الناس، لم يكن مسموحاً له بالرضوخ لذلك، ودفاعه الوحيد كان يتمثل في تأدبه الإداري الشديد.

– هيَّا نبدأ ببعض المعطيات عن ابنتكما. اسمها جيني إذاً. كم تبلغ من العمر؟

– سبع عشرة سنة. تشارف على الثماني عشرة سنة.

كانت كيرستين تبكي دائماً ووجهها مسند إلى قميص زوجها. بحيث أنه هو من قدَّم الأجوبة. وعن سؤال حول ما إذا كانت لديهما صورة حديثة العهد لها، مسحت أم جيني وجهها بمنديل ورقي وأخرجت من حقيبة يدها صورة مدرسية بالألوان.

تناول باتريك الصورة برفق وفحصها. مراهقة نموذجية، مع زيادة مفرطة في مساحيق الزينة وتعبير من العينين متمرد بعض الشيء، ابتسم للوالدين وحاول أن يبدو واثقاً.

- فتاة حلوة، أتصور أنكما فخوران بها.

أومأ كل منهما برأسه، بحرارة، وعلت ابتسامة صغيرة محيَّا كيرستين.

- إنها فتاة طيبة، لكن، من البديهي، أن يمتاز المراهقون بشدّة المِراس. لم تكن لديها رغبة في المجيء معنا لقضاء العطلة هذه السنة، على الرغم من أننا نسافر بالسيارة المقطورة كل صيف منذ كانت صبية، توسَّلنا إليها، قلنا لها بأنها قد يكون على الأرجح آخر صيف نقوم فيه بشيء مشترك، فوافقت.

حينما انتبهت كيرستين لما كانت تقوله، انهارت مجدداً، وداعب زوجها شعرها بيدٍ مواسية.

- إنكم تأخذون الأمر على محمل الجد، أليس كذلك؟ لقد سمعنا أن الشرطة تنتظر دائماً انقضاء أربع وعشرين ساعة قبل مباشرة الأبحاث، لكن ينبغي تصديقنا حينما نقول إن أمراً ما قد وقع، وإلا لكانت أخبرتنا بذلك، ليست من النوع الذي يترك أهله يتخبط من الحيرة هكذا.

من جديد، حاول باتريك أن يبدو هادئاً قدر المستطاع، لكن في قرارة نفسه كانت الأفكار تنطلق في كل الاتجاهات. تراءت له صورة جسد تانيا العاري في فجوة الملك، وصعب عليه طردها.

- إننا لا ننتظر أربعاً وعشرين ساعة أبداً. هذا يحدث في الأفلام الأميركية، لكن قبل أي شيء، ينبغي لكما الكفّ عن القلق. حتى لو صدّقت كلامكما حينما تقولان بأن جيني فتاة عاقلة جداً، فقد سبق لي الوقوف على مثل هذه الأمور. أن تصادفن شخصاً ما، يغفل عن الوقت، ويغفل عن المكان الذي يوجد فيه، ينسيه أن بابا وماما قلقان بالبيت، ليس في هذا ما يخرج عن المعتاد. سنشرع في البحث منذ الآن. اتركا رقماً نتصل بكما عَبْره عند أنيكا في

الاستقبال عند مغادرتكما. سأتصل بكما فور حدوث أي مستجد. وأخبرانا إن توصلتما بمعلومات أو إذا انتهى بها المطاف للعودة، سيكون ذلك لطفاً منكما. سوف يسوى الأمر في نهاية المطاف، ولسَوف تريان ذلك.

حينما غادرا، تساءل باتريك مع نفسه عمّا إذا لم يكن قد أفرط في تقديم التعهدات. كان يشعر بإحساس مؤلم في جوفه لم يكن يبشِّر بأي خير. نظر إلى صور جيني التي تركاها له. يا ليتها تكون قد ذهبت فحسب لتفرّج عن نفسها قليلاً!

نهض منصرفاً لرؤية مارتن في مكتبه. كان من الأفضل مباشرة الأبحاث على الفور.

صيف 1979

الألم والظلام جعلا الوقت ينساب على صورة ضباب خالٍ من الأحلام. نهار أو ليل، حياة أو موت، ليس لذلك أية أهمية، بل حتى وقْع الخطوات فوقها والتيقُّن من الألم الذي سوف يليها لا يستطيعان دفع الواقع لاختراق هذا العشّ المظلم. صوت العظام التي يتمّ تهشيمها يمتزج بصراخ شخص ما يتعرض للتعذيب، ربما صراخها هي، لم تكن تميِّز ذلك جيداً.

أشدّ ما يصعب تحمّله هو العزلة. الغياب التام لكلّ نأمة، وحركة، ولكلّ ملامسة على جلدها. لم يسبق لها أبداً تصور أن غياب الملامسة الآدمية قد تكون مرعِبة بذلك القدر. كان يتحدى كل ألم. كان يخترق نفسها مثل سكين ويولِّد نوبات من الرُّعاش تهزّ كامل جسدها.

رائحة الغريب أصبحت مألوفة الآن. ليست نتنة. ليست كما لو أنها تخيلت رائحة الضغينة، بل على العكس، كانت طرية وحبلى ببشائر الصيف والحرارة. صارت أكثر جلاء بفضل تميزها عن الروائح المتمة والرطبة التي كانت تملأ باستمرار منخريها، التي كانت تحيط بها مثل غطاء مبلَّل، وتقضم قطعة فقطعة آخر بقايا من تلك التي كانت قبل أن تجد نفسها هنا. لذلك السبب كانت تستنشق

بشراهة الأبخرة الساخنة التي تفوح حينما يُقدِم الغريب نحوها. إنّ القدرة على استنشاق، خلال هنيهات قليلة، طيب الحياة التي تستمرّ فوق، في مكان ما، كانت تستحق الألم الذي وجب الخضوع له. في الوقت نفسه، كان ذلك يوقظ فيها أحاسيس صارخة بالفقد. لم تعُد ذلك الشخص الذي كانته، وهي تفتقد ذلك الشخص الذي لن تصيره أبداً. كان وداعاً مؤلماً، ضرورياً كي تبقى على قيد الحياة.

وإلّا، فإنّ ما كان يشغلها أكثر هنا هو التفكير في طفلتها. طول حياتها القصيرة بأكملها، عاتبتها على كونها وُلِدت، لكن الآن، في اللحظة الأخيرة، تدرك أن طفلتها كانت هبة من السماء. ذكرى الذراعين المرنين حول عنقها، أو العينين الوسيمتين اللتين نظرتا إليها، الباحثة بنهمٍ عن شيء لم تنجح في منحها إياه، تطاردها الآن في رؤى بالألوان. كانت ترى نصب عينيها كل تفصيل صغير من طفلتها. كل نقطة نمش، كل شعرة، السنبلة الصغيرة المتدلية على القفا، هي بالضبط تلك التي لديها. عاهدت الله بصدق. إن أفلتت من هذا السجن، سوف تعيد للصغيرة كل ثانية من حبّ الأم الذي لم تحظَ به. إن...

- لا تخرجي وأنتِ بهذا اللباس!
- أخرج باللباس الذي أحب، هذا ليس من شأنك!

تحدَّت ميلاني أباها بنظرتها، وتحداها بدوره. كان موضوع جدالهما هو نفسه دائماً: الملابس أو قلة الملابس، التي كانت ترتديها للخروج.

أكيد أنّ الملابس التي اختارتها مقترة في القماش وميلاني مجبرة على الإقرار بذلك، لكنها كانت تجد أنها لطيفة، ورفيقاتها كنّ يلبسن بالضبط مثلها. إنها تبلغ الآن السابعة عشرة، لم تعُد صبية، وما تلبسه لا يعنيها إلّا هي. نظرت بازدراء إلى أبيها، الذي صار عنقه محمراً من شدة الغضب. يا للعهر، كم هو مرعب أن يشيخ المرء ويصير أبلهاً. سرواله الـ Adidas القصير اللامع تجاوزته الموضة منذ زمان وقميصه المخطّط ذو الأكمام القصيرة المبتذل انتهت صلاحيته. وكرشه المتدلي، نتيجة الإفراط في رقاقات البطاطس قبالة التلفزيون، يهدِّد بنزع بعض الأزرار. وتتويجاً للكل، نعلين بشعين من البلاستيك. كانت تشعر بالخزي جراء الظهور بصحبته وتمقت البقاء في هذا المصيف السَّخيف، الصيف بأكمله، علاوة على ذلك.

حينما كانت صبية، أحبت قضاء العطل في السيارة المقطورة بالمصطاف. كان هنالك دوماً الكثير من الأطفال لتلعب معهم وكانوا يستطيعون العوم والركض بحرية، لكن الآن كان لديها رفاقها في الديار بـ جونكوبينغ والأنكى من ذلك كله هو أنها كانت مرغمة على هجر تُوب. وما دامت لم تلبث هناك لحماية مصالحها، فمن المؤكد أنه سيقدم على ارتكاب الحماقات مع تلك السخيفة ما التي تلازمه دوماً مثلها مثل شريط لاصق، وإذا ما حدث ذلك، فقد عاهدت نفسها بصدق على أن تكره والديها أبد الدهر.

كان من التفاهة أن تظلّ محبوسة هكذا في مخيم بغريبستاد، ولتتويج كلّ ذلك فإنهما يعاملانها كما لو أنها في سن الخامسة. لم يكن لديها حتى الحق في اختيار طريقة لباسها بنفسها أعادت رأسها إلى الخلف في حركة تحدٍّ وعدَّلت الصُّدْرة التي لم تكن أكبر بكثير من حمالة نهدين بيكيني. سروال الجينز القصير جداً يلاصق ردفيها، في الحقيقة لم يكن لطيفاً جداً، لكن النظرات التي كان يثيرها لدى الذكور تستحق الانزعاج. أما المنتهى، فهما حذاءان لهما مداس بديل عريض، الذي يضيف على الأقل عشرة سنتيمترات إلى طولها ذي المتر وستين.

– ما دمنا نؤدي عنك المأوى والمأكل، فنحن مَن يقرِّر والآن سوف تعبِّرين عن لطفك بـ.

– طُرِق الباب وتفرَّصت ميلاني هذه الهدنة ثم ذهبت لفتحه. وجدت نفسها قبالة رجل أسمر حيًّا الخامسة والثلاثين، استقامت على نحوٍ آلي نافخة صدرها. إنه أكبر من سنّها بكثير على الأرجح، لكن يبدو أنه لطيف، وهذا قد يغيظ عجوزها دوماً

– اسمي باتريك هيدشتروم، أنتسب إلى الشرطة. هل أستطيع الدخول لبعض الوقت؟ إن الأمر يخصّ جيني.

بالكاد ابتعدت ميلاني عن المدخل قليلاً، كي تفسح له المجال وكان مضطراً للانضغاط لصق جسدها العاري تقريباً للتمكن من الدخول.

بعد أن تمّ التعارف، جلسوا حول الطاولة الصغيرة.

- هل ينبغي أن أحضر زوجتي كذلك؟ إنها في الشاطئ.

- لا، لن يكون ذلك ضرورياً، ميلاني هي التي أودّ أن أتبادل معها بضع كلمات. مثلما تعلمان ذلك على الأرجح، لقد بلّغ بو وكيرستين مولر عن اختفاء ابنتهما جيني، وصرّحوا بأنه كان لديكم موعد للذهاب إلى فيالباكا أمس، هل صحيح؟

- خفية، جذبت الصدرة لإبراز الشقّ العاري، وبلّلت شفتيها قبل أن تجيب. شرطي، إنّ ذلك جذاب للغاية!

- أجل، كان من المفترض أن نلتقي عند موقف الحافلة حوالي الساعة السابعة لركوب حافلة السابعة وعشر دقائق. كنا قد التقينا فتياناً من تانوم ستراند، وقرّرنا الذهاب للتحقّق ممّا إذا جدَّ جديد في فيالباكا، لم يكن لدينا مشاريع محددة.

- لكن جيني لم تأتِ أبداً؟

- لا، لقد وجدت ذلك غريباً. إننا لا نعرف بعضنا جيداً، لكن كانت تبدو جدية بما فيه الكفاية بصفتها أنثى وقد تفاجأت لكونها لم تأتِ. لا أستطيع القول بأني كنت محبطة بشكل خاص، فهي على الخصوص التي كانت تلازمني ولم يكن يعني لي شيء أن أمكث لوحدي مع مايك وفريد، فتيان تانوم ستراند.

- ولكن، ميلاني!

ردَّت بعين يتطاير منها الشرر على نظرة أبيها التي كانت تستشيط غضباً

- ماذا، هل الذنب ذنبي إنْ وجدتها سخيفة. لا دخل لي إن هي اختفت. في كل الأحوال، لقد اختفت من أجل العودة إلى الديار بـ **كارلستاد**. كانت تتحدث عن شخص التقت به، وفي رأيي من الأفضل لها أن تتخلى عن هذه العطلة السخيفة في السيارة المقطورة والذهاب للحاق به.

- لا يذهب فكرك بأيّ حال إلى القيام بأمر مماثل! توب هذا.

اضطر باتريك لقطع الجدال بين الأب والبنت وقام بحركة بسيطة من يده كي يلفت الانتباه. سكتا، لحسن الحظ.

- إذاً ليست لديك أدنى فكرة عن المبرر الذي لم تأتِ بسببه؟

- لا، ولا أدنى فكرة.

- هل تعلمين إنْ كانت تلتقي شخصاً آخر هنا في المصطاف؟ شخصاً قد أسرَّت إليه بأمر ما؟

وكأنما عن غير قصد، لامست ميلاني بساقها العارية باتريك وابتهجت لمّا رأته قد فزع. كم إن الرجال بدائيين. لا يهم سنهم، لا يشغل بالهم سوى فكرة واحدة، يكفي معرفة ذلك للسيطرة عليهم. لامست ساقه مرة أخرى وكانت شاهدة على العرق وهو آخذ في اللمعان على شفته العليا، لكن صحيح أن الجو حارٌّ جداً داخل المقطورة.

تركته في حيص بيص قليلاً قبل أن تجيب.

- هناك شخص أشبه بالمعتوه كانت تلاقيه هنا كلّ صيف منذ أن كانت صغيرة. أبله حقيقي، ذاك الشخص، لكنها لم تكُن بدورها مهضومة على وجه أخص، إذاً أفترض أنهما كانا يتفاهمان جيداً، معاً.

- هل تعرفين ما اسمه؟ أين أستطيع العثور عليه، ربما؟

– يمتلك والداه مقطورة على بُعد صَفَّين من هنا. إنها ذات الإفريز المخطَّط بالبني والأبيض، ومجموعة أصص مِسك البَرِّ موضوعة أمامها.

شكر باتريك ميلاني على تعاونها، والوجنتان ملتهبتان، سلك طريقاً أمامها.

حاولت أن تتخذ وضعاً مغرياً عند الباب وهي تودّعه. استأنف والدها لازمته، صمَّت آذانها عنه، على أي حال، لا شيء ممّا كان يقوله يستحق أن يُنصت له.

انصرف باتريك مسرعاً، وهو يرشح عرقاً ليس فقط بسبب الحرارة الجاثمة. لقد كان الخروج من المقطورة الصغيرة الضيقة بمثابة الخلاص ومواجهة ضوضاء الخارج. لقد شعر وكأنه مغتصب أطفال حينما ألصقت الفتاة نهديها الصغيرين بوجهه مباشرة. وحينما شرعت تلامسه بقدمها لم يعرف أين سيهرب بجلده، لشدة ما كان ذلك مُحرِجاً. لم يكن يكسوها من الثياب الشيء الكثير. تقريباً ما يعادل منديلاً تمّ تقسيمه على سائر البدن. وفي لحظة إشراق خاطفة، أدرك أنه بعد مضي سبع عشرة سنة فإن ابنته هي من سوف يلبس على ذلك النحو طامحة للظفر برجال أكبر منها سنّاً. أخذته الرعشة من هذه الخاطرة، وتمنى أن يكون المولود ذكراً. إنه يعرف على الأقل كيف يتصرف المراهقون. كان مفعول هذه الفتاة عليه مثله مثل كائن فضائي، نظراً لأطنان مساحيق التجميل، وحليها الضخمة البرّاقة. لم ينثنِ عن ملاحظة أنها تضع حلقة في سرَّتها. ربما صار من الطراز القديم، إلا أنه لم يعتبر الأمر بالتأكيد جذّاباً بأي حال من الأحوال. وخلافاً لذلك كان يفكِّر في مخاطر التعفّن وندوب خبيثة. كان لا يزال يحفظ الذكرى المتقدة لتأنيب أمّه له حينما عاد إلى البيت بقرط

في الأذن، رغم أنه كان في سن التاسعة عشرة. اضطر إلى نزعه على الفور، ولم يجرؤ أبداً على الذهاب أبعد من ذلك.

تاه أول الأمر بين المقطورات التي اصطفت تلامس بعضها البعض تقريباً. كيف يمكن للناس قضاء عطلتهم عن طيبِ خاطر وهم متكدسون مثل السردين؟ من ناحية أخرى كان يتفهم أن الأمر صار بالنسبة إلى الكثيرين منهم أسلوب حياة. إنّ ما كان يجذبهم بالتحديد هو رفقة باقي المصطافين الذين يعودون كل سنة. بعض المقطورات لم يعُد في إمكانها حمل هذا الاسم لفرط ما أضيف إليها من الستائر في كل الجوانب وتحوّلت إلى مساكن صغيرة دائمة تلبث في المكان نفسه من سنة إلى أخرى.

انتهى باتريك إلى العثور على المقطورة التي وصفتها ميلاني ورأى فتى يافعاً، طويلاً وضامراً، يملأ وجهه حبّ الشباب، جالساً على عتبة الباب. أشفق عليه لمّا رأى بقع طفح جلدي بيضاء وحمراء من الظاهر أنه لم يقاوم حكّها، والمؤكد أنه سيحتفظ منها بندوب.

كانت الشمس تبهره ممّا اضطره لأن يستظلّ بيده. لقد بقيت نظاراته الشمسية في المكتب.

- أهلاً، أنا أنتمي إلى الشرطة. لقد حادثت توّاً ميلاني هناك، أخبرتني أنك تعرف جيني مولر، أصحيح؟

اكتفى الفتى بأنْ أومأ برأسه دون النبس بشيء. جلس باتريك على العشب بجواره، ورأى أنه خلافاً للوليتا تلك التي تبعد ببضع مقطورات من حيث هو، فإن هذا الفتى بدا مغتماً على نحوٍ جدّي.

- اسمي باتريك هيدشتروم، وأنت؟

- بير.

رفع باتريك حاجبيه ليظهر أنه ينتظر أكثر من ذلك.

- بير تورسون.

كان منشغلاً يقتلع العشب ملء قبضات يد كاملة، بتوتر وعناد. ودون أن يرفع عينيه نحوه، أضاف:

- الذنب ذنبي إنْ كان قد حدث لها شيء.

أجفل باتريك:

- كيف ذلك؟

- بسببي تأخرَتْ عن الحافلة. إننا نلتقي هنا كلّ صيف منذ أنْ كنّا صغاراً وقد استمتعنا دوماً معاً، لكن منذ أن التقت تلك المدَّعية اللئيمة، ميلاني، فقد أضحت أكثر جفاء، ميلاني هنا، ميلاني هناك، ميلاني قالت كذا، وهلمّ جراً. قبل ذلك الحين، كنت أستطيع الحديث عن أمور جدية مع جيني، عن أشياء ذات أهمية، بينما الآن، اقتصر الأمر على مساحيق التجميل والملابس وهذا الصنف من السخافات، بل لم تجرؤ حتى على إخبار ميلاني بعلاقتنا، إذ الظاهر أنّ ميلاني تعتبرني قبيحاً.

كان يقتلع العشب بسرعة أكبر فأكبر. تشكلت حوله تدريجياً مساحة صغيرة من التراب. رائحة الشواء كانت تطفو ثقيلة فوق رأس كلٍّ منهما. شعر باتريك بصراخ بطنه.

- هكذا هنَّ المراهقات. إنه لأمر عابر، أؤكد لك. وينتهي المطاف بهن أن يصرن لطيفات المعشر. ابتسم باتريك ثم استعاد جديته، لكن كيف أن الذنب ذنبك؟ هل تعرف مكانها؟ يجب أن تفهم بأن أبواها قلقان جداً بشأنها

- حرَّك بير يده علامة على النفي.

- ليس لدي أية فكرة عن المكان الذي قد توجد فيه، أعرف فقط أنها تعرَّضت لمكروه عظيم من هذه الطريق أو تلك. لم يسبق أن تتغيب هكذا أبداً. وبما أنه كان عليها طلب توصيلة.

- توصيلة؟ للذهاب إلى أي مكان؟ متى أخذت توصيلة؟

- لهذا السبب الذنب ذنبي. كان بير يبالغ في نطقه عند التحدُّث إلى باتريك كما لو كان يكلم طفلاً. لقد طفقتُ أزعجها بالتحديد عندما حان موعد انصرافها لملاقاة ميلاني عند الحافلة. طفح بي الكيل من كوني الرفيق الطيب فقط عندما لا تكون هذه الساقطة ميلاني على علم بالأمر. لقد انقضضت على جيني لأخبرها برأيي في ذلك الشأن. أحزنها ذلك إلا أنها لم تخالفني الرأي، لقد تقبَّلت كل شيء دون جدال. بعد مرور بعض الوقت، قالت فحسب إنها تخلَّفت عن الحافلة، وبأنها ستكون مضطرة لطلب توصيلة إلى فيالباكا، ثم انصرفَتْ.

رفع بير عينيه عن المربع المقتلع منه العشب ونظر إلى باتريك. ارتعشت شفته السفلى قليلاً، ولحظ باتريك أنه كان يقاوم بشكلٍ محموم من أجل تفادي الشعور بالمهانة من الانخراط في نوبة بكاء هنا وسط جميع المصطافين.

- لهذا السبب الذنب ذنبي. لو أني لم أشرع في لَوْمها من أجل شيء لا أهمية له في نهاية المطاف، لتوفر لها الوقت لركوب الحافلة ولما حدث أي شيء. لعلها وقعت بين يدي مريض عقلي داعر وهي تطلب توصيلة، وهذا بسببي أنا.

ارتقى صوته مقاماً أعلى ثم انقطع كما أنه كان في طريقه إلى التحول. حرَّك باتريك رأسه بقوة.

- هذا ليس ذنبك. كما لا نعلم إن حدث شيء من أي نوع كان. هذا ما نسعى إلى تحديده. بعد كل شيء، ربما أخذت لنفسها وقتاً ممتعاً ولن تتأخر في الظهور من جديد.

كانت نبرته تصبو إلى أن تكون مطمئنة، لكن باتريك كان يسمع مقدار زيفها. كان يعرف أن الحيرة التي يرى في عيني الفتى بادية أيضاً في عينيه. داخل مقطورتهما على بعد مائة متر فحسب من هناك

يقيم آل مولر الذين ينتظرون ابنتهم. بشعور متجمد حدَّث باتريك نفسه بأن بير قد يكون على حق، وبأنهم على الأرجح ينتظرون بلا جدوى. أحدٌ ما أخذ جيني في توصيلة، أحدٌ لم تكن نواياه طيبة.

بينما كان جاكوب وزوجته في العمل والأطفال عند مربيتهما، كانت ليندا تنتظر جوهان. هي المرة الأولى التي سيران فيها بعضيهما داخل المبنى الرئيس للمزرعة بدل علية التبن في الحظيرة وكانت ليندا تجد ذلك مثيراً. أن تعرف بأن يلتقيا خفية تحت سقف بيت أخيها كان يزيد من متعة موعدهما عند رؤية سحنة جوهان حينما دخل، أدركت أن العودة إلى هذا البيت توقظ فيه مشاعر مغايرة تماماً.

لم يعد إلى هناك منذ أن كان عليها مغادرة المكان بعد وفاة جوهانس. بخطى وئيدة، قام جوهان بجولة في البيت، لغرفة الجلوس، للمطبخ، بل وللمراحيض. كان الأمر وكأنه يريد امتصاص كل تفصيل. أشياء كثيرة تغيرت. لقد أصلح جاكوب وصبغ، والبيت لم يعد مثلما كان في ذكرياته. كانت ليندا تسير في أعقابه.

- مرَّ أمدٌ بعيد لم تأتِ إلى هنا.

أومأ جوهان برأسه ومرَّر يده على حافة الموقد في غرفة الجلوس.

- مرّت خمس وعشرون سنة. لم أتجاوز سن الخامسة في تلك الفترة. لقد قام جاكوب بالكثير من الأشغال هنا، أليس كذلك؟

- أجل، كما تعلم، إنه يريد أن يكون كل شيء في منتهى الكمال. تراه طول الوقت منهمكاً في الترميم والإصلاح. يجب أن يكون كل شيء نقياً.

لم يحر جوهان جواباً وكأنه كان يعيش في عالم آخر. تملَّك ليندا الندم على دعوتها له. لقد تصورت فحسب لحظة يلهوان فيها

على السرير وليس رحلة عبر ذكريات الطفولة الحزينة. فضلت عدم التفكير في هذا الوجه من شخصية جوهان، في مشاعر وعيشة لا تعنيها. لقد بدا أنه مسحور بها بشدة، تقريباً حد العبادة، وتأكيد هذا العشق هو ما شاءت رؤيته، وليس الرجل البالغ المستغرق في التفكير، المجتر للذكريات، الذي يجوب أرجاء البيت.

جذبته من ذراعه، ارتجف كما لو خرج من حلم.

- نصعد؟ حجرتي تقع أسفل السقيفة.

تبعها جوهان طوعاً على الدرج. مرَّا بالطابق الأول، لكن حينما شرعت ليندا تصعد السلم الحاد المؤدي إلى العلِّية، تخلَّف جوهان. هنا كانت حجرتهما، روبير وهو إذن، وحجرة أبويهما توجد هناك أيضاً

- انتظري، سوف أعود. هناك أمرٌ أودّ التأكُّد منه. لم يعِر اهتماماً لاعتراض ليندا، ثم فتح بيدٍ مرتجفة أول باب في الممر، باب غرفته حينما كان صبياً صغيراً، لكن الآن كانت ملابس ولُعَب ويليام مبعثرة في كل مكان، جلس فوق السرير وحاول تذكُّر الحجرة التي كانت له. بعد هنيهة، نهض وانتقل إلى الحجرة المجاورة التي كانت لروبير. لقد شهدت أكبر تغيير. غادرها على الفور تقريباً جذبه طرف الممر الأقصى مثلما يفعل المغناطيس. ليالي كثيرة مشى فيها على السَّجّاد الذي وضعته أمه هناك ليفتح الباب الأبيض ويندس في فراش أبويه. هناك كان يستطيع النوم بأمان، من دون كوابيس ولا وحوش تحت السرير. كان يفضل الالتصاق بوالده والنوم بالقرب منه. لاحظ أن جاكوب وماريتا حافظا على السرير القديم الفخم، هذه الحجرة من أقل ما تمّ تغييره.

أحسَّ بالدموع تحرق أسفل جفنيه، كبحها قبل العودة نحو ليندا، لم يكن يرغب بالظهور في حضرتها بذلك القدر من القهر.

- هل شارفت على الانتهاء من تدقيقاتك؟ ليس هناك ما يستوجب السرقة، إنْ كان ذلك ما تعتقده.

اكتسى صوتها نبرة بغيضة لم يعهدها فيه من قبل أبداً. قدح الغضب فيه مثل الشرارة. هبَّت فكرة كلّ ما كان يجب أن يكون على الشرارة وأمسك ذراع ليندا بِغِلْظَة.

- ما هذا الهراء؟ هذا ما تظنينه، أني أتحقق ممّا إذا كان هناك ما يجب اختلاسه؟ أنت، إنك مخبولة صراحة. تذكري أنني أقمتُ هنا قبل أخيك، ولو لم يكن هنالك أبوك الحقير لظلت المزرعة في ملكيتنا على الدوام، لذلك، اخرسي، هل تفهمين!

خلال ثانية لبثت ليندا فاغرة فمها من شدة الصدمة أمام تحول جوهان اللطيف في العادة، ثم خلَّصت ذراعها بشدة ولفظت في وجهه:

- يا هذا! ليس ذنب أبي إنْ كان أبوك مقامراً تعرض للإفلاس. ومهما صنع أبي، فليس ذنبه كذلك إذا كان أبوك جباناً أقدم على الانتحار. كان اختياره أن هجركم، ولا يمكنك أن تلقي باللائمة في ذلك على أبي.

تشكَّلت بقع بيضاء في مجال رؤيته من شدة الغيظ. أحكم قبضتيه. بدت ليندا نحيفة وهشّة بحيث حدَّث نفسه أنه قد يقصفها قسمين، لكنه أرغم نفسه على التنفس بعمق حتى يهدأ روعه. بصوت غريب له صرير قال:

- هناك الكثير من الأشياء التي أستطيع وأريد تحميل غابرييل وزرها. إنّ أباك خرَّب حياتنا بدافع الحسد المحض. لقد حكت ماما كل شيء، بأن الجميع كانوا يحبون بابا، ويعتبرون غابرييل مفسداً للبهجة بشكلٍ لا يُطاق، وهو لم يحتمل هذا الأمر، لكن ماما

صعدت أمس إلى القصر كي تفضح حقيقة أفعاله. للأسف لم تستطع أن توجِّه له صفعة، لكني أتصور أنها أنِفَت من لمسه.

قهقهت ليندا بسخرية.

– في فترة ما كان يفي بالمطلوب على كلّ حال، إنّ التفكير فيه مع أمك الوسخة يُشعرني بالغثيان، لكن ماذا تراك فاعل، جرت الأمور هكذا إلى أن قالت في قرارة نفسها بأن ابتزاز مال أبيك أسهل منه مع أبي. وهكذا استبدلت رجلاً برجل. وهل تعرف بما تسمى النساء من هذا النوع؟ بالعاهرات!

تطاير زبد شدقها على وجه جوهان حينما تلفَّظت ليندا، التي كانت تضاهيه طولاً، بتلك الكلمات. ولأنه كان يخشى العجز عن ضبط نفسه، تراجع جوهان إلى الخلف بتؤدة نحو السُّلَّم. وأكثر من أي شيء آخر، ودَّ لو أنه أطبق بيديه على عنق ليندا النحيف، والضغط عليه، من أجل إخراسها فقط، لكنه عوض ذلك هرب بجلده.

نظراً إلى ارتباكها من مشاهدتها الوضع يفلت من بين يديها فجأة ولغضبها جراء عجزها عن جعل الغلبة لها، انحنت ليندا على الدرابزين وصرخت في إثره:

– انصرِف أيها الفاشل الأحمق، على أيّ حال، إنك لا تليق سوى لشيء واحد، بل حتى ذلك لم تكن كفؤا له بخاصة.

ختمت بإشارة من الوسطى في الهواء، لكنه كان يوشك على تجاوز الباب ولم يرَ من ذلك شيئاً.

ببطء خفضت أصبعها، وبسرعة تغير المزاج المعروف عند الشباب، ندمت سلفاً على ما بدر منها، لكن ذلك مردّه أيضاً لأنه جعلها تدخل في سورة غضب ملعونة!

عندما وصل الفاكس المرسَل من ألمانيا، كان مارتن قد وضع السماعة لتوه بعدما تحدث إلى باتريك. إن العلم بكون جيني قد تمّ نقلها على الأرجح في توصيلة لم يكن بالأمر الذي من شأنه أن يحسن الأوضاع. أي شخص كان بإمكانه جعلها تركب سيارته، وفي الوقت الحاضر، لم يكن في مقدورهم سوى انتظار أن يكون أحد ما قد شاهد شيئاً ما. كانت الصحافة قد ضيقت الخناق على ميلبرغ، ومع التغطية الإعلامية التي بالتأكيد سيلقاها الخبر، كان مارتن يأمل أن يظهر شخص ما تسنى له رؤية جيني وهي تركب سيارة معينة. بقليل من الحظ، قد ينجحوا في فرز الذهب من كتلة المكالمات المخادعة، مكالمات المعتوهين والناس الذين ينتهزون الفرصة للتشهير بعدوّ.

أحضرت له أنيكا الفاكس، موجز ومختصر. قرأ إلى حدٍّ ما الجمل القليلة وفهم أنهم عثروا على زوج سابق لتانيا، وهو في الوقت الحالي أقرب فرد في أسرتها. وقد تفاجأ مارتن من كون تانيا، اليافعة جداً، مطلقة سلفاً، لكن هذا هو المعطى، بالمداد الأسود على الصفحة البيضاء. بعد لحظة من التردُّد، واستشارة سريعة مع باتريك، ركَّب رقم مكتب السياحة بفيالباكا، وابتسم لاإراديا عند سماعه صوت بيا في الجهة الثانية من الخط.

- أهلاً، هذا مارتن مولان.

الصمت الذي تلا ذلك استمر ثانية زائدة عن الحدّ.

- مفوضية شرطة تانمشيد.

كان غاضباً من اضطراره لتدقيق من يكون. من جهته، يستطيع تحديد قياس قدم بيا إذا ما طلب منه ذلك لهذا السبب أو ذاك.

- نعم، أهلاً، المعذرة. أنا عديمة الفعالية في تذكر الأسماء،

الأمور أحسن فيما يخص الوجوه. لحسن الحظ بالنظر إلى العمل الذي أقوم به. ماذا يسعني فعله لأجلك اليوم؟

بمَ سوف أبدأ، حدَّث مارتن نفسه، لكنه تذكر سبب مكالمته وتمالك نفسه على الفور.

- عليّ إجراء مكالمة مهمة مع ألمانيا ولا أجرؤ على الوثوق بعلاماتي الهزيلة في اللغة الألمانية. هل يمكنك المشاركة في مكالمة ثلاثية للقيام بدور المترجم؟

جاء الردّ بسرعة:

- لا مشكلة. عليّ فقط أن ألتمس من زميلتي الاهتمام بالوكالة أثناء هذا الوقت.

سمعها تحادث شخصاً ما في الخلفية.

- حُلَّت المسألة. كيف يتم الأمر؟ سوف تكلمني من جديد، أليس كذلك؟

- أجل، سوف أكلمك من جديد، البثي قرب الهاتف، لن يستغرق ذلك سوى بضعة دقائق.

وبالضبط بعد أربع دقائق من ذلك، كان يحدِّث بيتر شميدت، زوج تانيا السابق، وبيا على الخط في الوقت نفسه. من باب الحيطة، بدأ بتقديم تعازيه واعتذر عن اضطراره لإزعاجه في مثل هذه الظروف المحزنة. كانت الشرطة الألمانية قد أخبرته مسبقاً بموت زوجته السابقة، حيث لم يكن مارتن مدعواً لفعل ذلك، إلا أنه لم يكن مع ذلك مرتاحاً للاتصال بعد هذا الوقت القصير من إعلان موتها. كان ذلك أحد المظاهر الأكثر صعوبة في عمله ولحسن الحظ هو حدث نادر جداً في يومياته البوليسية.

- ماذا تعرف عن رحلة تانيا إلى السويد؟

ترجمة بيا السؤال بيُسر إلى الألمانية، ثم جواب بيتر إلى السويدية.

- لا شيء. للأسف لم ننفصل بطريقة ودية، بحيث بعد الطلاق لم نحدث بعضنا بتاتاً، لكن إبَّان زواجنا لم تذكر أبداً بأنها كانت تريد الذهاب إلى السويد. كانت تفضّل قضاء عطل في التَّشَمُّس، بأسبانيا أو اليونان. إن تفكيري ذهب بالأحرى إلى اعتبار السويد بالنسبة لها بلد مفرط البرودة.

- بارد، هو ذاك، خمن مارتن وهو يشاهد عبر النافذة الأبخرة المتصاعدة من الإسفلت الحارق. أجل، أجل، ودببة بيضاء يتجولون في الأزقة، بما أنك أتيت على ذكر ذلك. واصل:

- إذن لم يسبق لها أبداً أن قالت بأن لديها أمر ما عليها قضاؤه في السويد، أو شخص ما للقائه؟ لا شيء عن مكان اسمه فيالباكا؟

كان جواب بيتر بالنفي مرة أخرى، ولم يجد مارتن أي شيء إضافي للاستفهام حوله. ما زال دائماً لا يعرف لأي غرض جاءت تانيا إلى السويد. سؤال أخير بدر إلى ذهنه في الوقت الذي كان يهم بتوجيه الشكر وإقفال السماعة:

- هل هناك شخص آخر نستطيع استفساره؟ لقد أشارت الشرطة الألمانية إليك بصفتك القريب الوحيد، لكن هناك على الأرجح صديقة أو. ؟

- تستطيع الاتصال بأبيها. إنه يقيم بالنمسا. لا شك في أن الشرطة لم تعثر عليه هنا في السِّجلاَّت لذلك السبب. تمهل، لدي رقم هاتفه في مكان ما.

تناهى إلى مارتن صوت بيتر وهو يقلب وينقل أشياء. بعد انصرام بعض الوقت، أقفل راجعاً. تابعت بيا الترجمة ونطقت بوضوح جلي التي كان يتلوها.

- لست متيقناً من أنه يستطيع بدوره إخباركم بأيّ شيء يذكر. منذ عامين، بعد طلاقنا بقليل، وقع صدام حقيقي بينه وبين تانيا، لم يرد إخباري بالسبب، ولا أعتقد أنهما حادثا بعضهما منذ ذلك الحين، لكن كل شيء وارد. بلِّغه تحيتي.

لم يثمر الحوار الشيء الكثير، لكن مارتن شكره على تعاونه وأخبره أنه سوف يتصل به من جديد إن كانت لديه أسئلة إضافية. ظلت بيا على الخط وسألته إن كان يودُّ الاتصال بوالد تانيا على الفور، وفي هذه الحال تستطيع المساعدة في الترجمة.

دوَّت رنَّات الهاتف، لكن في فراغ. الظاهر أن لا أحد كان موجوداً بالبيت. إشارة زوج تانيا السابق إلى خصام بينها وبين أبيها أثار فضول باتريك رغم ذلك. بأي خصوص قد ينشب خصام بين أب وابنته بكل تلك الحدة بحيث ينقطع الاتصال تماماً بينهما، هل لذلك علاقة برحلة تانيا إلى فيالباكا واهتمامها باختفاء الفتاتين؟

غارق في تأملاته، غفل مارتن عن بيا التي كانت لا تزال على الخط، فشكرها على نحو مباغت على تعاونها. كانت موافقة للمساعدة في الاتصال بوالد تانيا في اليوم الموالي.

وهو يجترّ أفكاره، نظر مارتن مطولاً إلى صورة تانيا في المشرحة. ما الذي جاءت تانيا تبحث عنه في فيالباكا، وماذا وجدت؟

بتؤدة وهي تتمايل، تقدَّمت إريكا على طول الأرصفة الصغيرة العائمة. كان من النادر جداً أن ترى أماكن شاغرة بالنسبة إلى المراكب في هذه الفترة من السنة. في العادة، كانت المراكب الشراعية ترسو مثنى مثنى، بل أحياناً ثلاث مراكب رأساً لرأس، لكن مقتل تانيا قد فرَّج بين الصفوف ودفع العديد من أصحاب المراكب

الترفيهية للجوء إلى مرافئ أخرى. كانت إريكا تأمل بحرارة أن يغلق باتريك وزملاءه هذا التحقيق سريعاً، وإن الشتاء سوف يكون قاسياً بالنسبة إلى الذين يرفعون أرقام معاملاتهم خلال أشهر الصيف.

اختار كل من آنا وغوستاف رغم ذلك العوم ضد التيار والبقاء بضعة أيام إضافية بفيالباكا. حينما أبصرت إريكا الزورق الشراعي، أدركت لماذا فشلت في إقناعهما بالمجيء للنوم بالبيت. كان رائعاً. أبيض ناصعاً بجسر من خشب السّاج، وكبيراً بما يكفي لاستيعاب أسرتين أخريين، كان ينتصب عند طرف الرصيف العائم.

لوحت آنا بيد مسرورة وهي ترى أختها تدنو وساعدتها في الصعود على متن الزورق. كانت إريكا تلهث فقدمت لها آنا على الفور كأساً كبيرة من الكوكا المثلجة.

- صحيح أننا نسأم من ذلك حينما يدنو أوان الولادة.

رفعت إريكا ناظريها صوب السماء.

- إنك لا تتصورين إلى أي حدّ، لكنني أفترض أن الطبيعة تجعلنا نفقد الصبر على الولادة. لو لم تكن هذه الحرارة اللعينة علاوة على كل شيء.

مسحت جبينها بمنديل، لكنها شعرت فور ذلك بحبات عرق جديدة وهي تتكون وتسيل على طول صدغيها.

- عزيزتي، المسكينة. ابتسمت آنا بحنو.

خرج غوستاف من حجرة الطعام المشتركة وحيًّا إريكا بأدب. كان يرتدي لباساً يضاهي في أناقته لباسه في المرة الأخيرة وكانت أسنانه البيض تلمع ملء وجهه الملوَّح سمرة. خاطب آنا بنبرة استياء:

- إنك لم تفرّغي بعد مائدة الإفطار في الأسفل. لقد نبهتك

رغم ذلك إلى توفير الحد الأدنى من النظام على متن المركب. هذا ضروري إنْ نحن أردنا أن تسير الأمور كما يرام.

- أوه، المعذرة، سأهتم بالأمر على الفور.

اختفت البسمة من وجه آنا. مطرقة، دلفت إلى داخل حجرة الطعام. جلس غوستاف إلى جانب إريكا، ممسكاً بيده جعة مثلجة.

- إن الحياة تغدو لا تطاق إنْ لم نحافظ على النظام التام، خاصة بوجود الأطفال، وإلا فلن نخرج من هذه الورطة.

تساءلت إريكا عن سبب إحجامه عن إفراغ مائدة الإفطار بنفسه، إن كان الأمر مهماً بكل تلك الدرجة. وبعد كل شيء فهو ماهر بكلّ عمل يدوي.

كان الجو متوتراً بعض الشيء، وأدركت إريكا أن هوة سحيقة كانت تُحْفَر، وهي ناجمة عن أصولهما وتربيتهما المختلفة. وجدت نفسها مضطرة لكسر حاجز الصمت.

- هذا مركبٌ رائع بكلّ صدق.

- أجل، إنه في منتهى الجمال. كان غوستاف مزهواً بنفسه. لقد أعارني صديقٌ إياه، لكن ذلك ولّد عندي الرغبة للإقدام على شراء واحد مثله.

عمَّ الصمت من جديد. استحسنت إريكا عودة آنا. جلست قرب غوستاف. وضعت كأسها. زوى غوستاف ما بين عينيه من شدة الضيق.

- حبذا لو أنك لا تضعين الكأس هناك بالتحديد. ذلك يخلف آثاراً على الخشب.

- المعذرة.

كان صوت آنا مرهفاً خاضعاً. استردَّت الكأس بهِمَّة. عدل غوستاف بنظره من الأم إلى ابنتها.

- **إيما**، لا ينبغي لك العبث بالشراع. سبق وقلت لك ذلك. هيًّا انصرفي من هناك.

صمَّت طفلة آنا أذنيها وتجاهلته تماماً، هي التي لم تبلغ سوى أربع سنوات. كان غوستاف على وشك القيام حينما وثبت آنا.

- سوف آخذها. لعلها لم تسمعك.

صرخت الطفلة غضباً من إبعادها وشرعت بعد ذلك في العبوس عندما أرجعتها آنا بين الكبار.

- إنك معتوه.

استهدفت إيما قصبة ساق غوستاف بغية ركله. تبسَّمت إريكا خفية. أمسك غوستاف بالطفلة من ذراعها لتأنيبها. وشهدت إريكا شرارة وقد اندلعت في عيني آنا. خلَّصت يد غوستاف وجذبت إيما نحوها.

- لا تلمسها.

رفع يديه إشارة إلى التهدئة.

- اعذريني، لكنّ طفليك طامّة كبرى. الواجب أن يضطلع أحد بتلقينهما الأدب.

- إن طفليَّ يتمتعان بتربية تامة، شكراً. وأنا أهتم برعايتهما شخصياً. هيَّا، سوف نذهب لشراء المثلَّجات الآن.

أومأت برأسها صوب إريكا التي فرحت كثيراً للظفر بأختها وولديها لفسحة من الوقت بعيداً عن السيِّد الطاووس. وضعا أدريان في العربة المدفوعة الصغيرة، وأخذت إيما تنطّ أمامهما بابتهاج.

- أخبريني بصراحة، هل تظنين بأني أفرط في المبالغة؟ بعد كل شيء، لقد أمسكها فحسب من ذراعها. أقصد، أعرف أنّ لوكا جعلني أفرط في الحرص على حماية الطفلين.

حضنت إريكا أختها بذراعها.

- لا أرى أنك مفرطة في الحماية. شخصياً، أعتبر أنّ لدى ابنتك تقدير ممتاز للناس، وكان عليك أن تدعيها تركله بقدمها.

- ها هنا، مَن يبالغ هو أنت. في نهاية المطاف، لم يكن الأمر مخيفاً إلى تلك الدرجة، أقصد طريقته في الانفعال. عندما لا يكون المرء معتاداً على الأطفال، من الطبيعي أن ينفعل قليلاً

زفرت إريكا. للحظة اعتقدَتْ أن أختها سوف تبين أخيراً عن شيء من الشجاعة وتستلزم أن تتم معاملتها هي وطفليها بشكلٍ حسن، إلا أن لوكا أنجز مسبقاً عمله الهدَّام.

- كيف تسير الأمور بالنسبة إلى الحضانة؟

بدا على آنا أول الأمر أنها تريد تجاهل السؤال، لكنها أجابت بعد ذلك بصوت مهموس:

- بأسوأ ما يكون، لقد قرر لوكا اللجوء إلى كلّ الضربات الموجعة التي يجيدها، ولأنني تعرفت على غوستاف فذلك يزيد من هياجه.

- لكن ليس لديه أي سند قوي! أقصد، ما الذي قد يدَّعيه للبرهنة على أنك أمّ غير صالحة؟ إن كان هناك مِن شخص يمتلك الأسباب المعقولة لحرمان الطرف الثاني من الحضانة فهو أنت!

- أجل، لكن يبدو على لوكا أنه يؤمن بأنه لو وجد أقصى قدرٍ ممكن من الحجج، ستكون هناك بالضرورة من بينها حجة واحدة صائبة.

- والبلاغ الذي تقدَّمت به ضده، بخصوص إساءة معاملة الأطفال؟ ذلك سوف يكون وزنه أكبر من كلّ ما قد يختلقه، أليس كذلك؟

- لم تحرْ آنا جواباً. عبرت خاطرة غير سارة ذهن إريكا.

- إنك لم تقدّمي أبداً أي بلاغ، هو ذاك؟ لقد كذبتِ عليَّ وأنت

تحدِّقين في عينَيَّ. كنت تدَّعين أنك سوف تتقدمين بشكوى، لكنك لم تفعلي ذلك أبداً.

لم تجرؤ أختها على مواجهة نظرتها.

- لكن أجيبي، اللعنة! هو ذاك؟ أنا على صواب؟

غدا صوت آنا جافّاً.

- أجل، أنت محقّة، أختاه الكبرى العزيزة. ليس عليك توبيخي. لم تكوني مكاني، كما أنك لا تعلمين ماذا يعني أن يعيش المرء دوماً في الخوف ممّا قد لا يستطيع فعله. لو تقدَّمتُ بشكوى لطاردني حتى النهاية. قلتُ في قرارة نفسي أنه سوف يتركنا في سلام إن أحجمتُ عن الذهاب عند الشرطة. ويبدو أن ذلك كان فعَّالاً، أليس كذلك؟

- أجل، إلى ذلك الحين، لكن الآن، لم يعُد ذلك يجدي نفعاً. يا للقرف، في نهاية الأمر، آنا، يجب أن تتعلّمي النظر أبعد من أرنبة أنفك!

- سهل بالنسبة لك قول ذلك! أنت الماثلة هنا بكلّ أمان، مع رفيق يعبدك والذي لن يمَسَّكِ أبداً بسوء، أنت التي تدَّخرين الكثير من المال في المصرف منذ كتابك عن أليكس. الكلام سهل حقاً بالنسبة لك! إنك لم تعرفي ماذا يعني أن يكون المرء وحيداً بوجود طفلين، وأن يكدح كلّ يوم حتى يوفّر لهما الطعام والكسوة. كل شيء يتم دائماً على أحسن ما يرام بالنسبة لك. ولا تظني أني لم أنتبه لنظرتك المتعالية إلى غوستاف. تخالين نفسك تعرفين كل شيء، لكن يا للقرف، أنت لا تفقهين شيئاً!

لم تَدَعْ آنا أدنى فرصة لإريكا كي تردّ على هجومها، انطلقت مهرولة تقريباً نحو الساحة، برفقة أدريان في العربة المدفوعة وممسكة

إيما من يدها بصرامة. في الرصيف، لبثت إريكا بغصّة في الحلق متسائلة كيف حدث أن انجرفت الأمور إلى هذا القدر. لم تقصد أية إساءة. الشيء الوحيد الذي أرادته، هو أن تظفر آنا بالحياة التي تستحق.

قبّل جاكوب أمه وأهوى بيده إلى أبيه في مصافحة رسمية. كانت علاقتهما دائماً بهذا المثل. جافية وحسنة أكثر منها علاقة حامية وودية. كان من المثير للاستغراب النظر إلى أبيه بصفته غريباً، لكنه الوصف المناسب الأفضل. طبعاً، لقد أخبروه كيف أن أباه سهر بجانبه في المستشفى ليل نهار، صحبة أمه، لكن جاكوب لا يحتفظ من ذلك سوى بذكرى مبهمة، وكأنها ضبابية، وهذا لم يقرّب بينهما أكثر. لقد كان أقرب إلى إفراييم، الذي كان ينظر إليه باعتباره أباً أكثر منه جداً. منذ أن أنقذ إفراييم حياته عندما وهبه نخاعاً عظمياً، أضحى الرجل مغموراً بهالة البطل في عيني جاكوب.

- ألا تعمل اليوم؟

بدت أمه قلقة مثل العادة. وكان جاكوب يتساءل ما هي الأخطار التي تراها محدقة به في كل زاوية من زوايا الشوارع. لقد عاشت حياتها بأكملها كما لو كانت تقوم بلعبة التوازن على شفير هاوية.

- خطر ببالي أن أذهب اليوم متأخراً بعض الشيء. والعمل أكثر مساءً. كنت أود في البدء الاطمئنان على أخباركم. لقد سمعت حديثاً عن نوافذ مكسورة. ماما، لماذا لم تتصلي بي أنا، بدل بابا! كان في إمكاني الحضور هنا في لمح البصر.

تبسّمت ليني بحبّ.

- فضّلتُ أن لا أشغل بالك. الانفعالات لا تليق بعافيتك.

لم يردّ عليها، بل تبسَّم فحسب بوداعة، ابتسامة خفِيفة. وضعت يدها على يده.

- إني أعرف، أعرف، لكن دعني أتصرف على طريقتي، إنّ القرد العجوز لا يحتاج لتعلم تقليد الحركات.

- لست عجوزاً يا ماما، إنك لا تزالين صبية حقيقية. علَتْ حمرة وجهها، وكانت سعيدة جداً بذلك. لم تكن هذه الحوارت المتبادلة بينهما بالأمر الجديد، وقد كان يهبها إياها عن طيبة خاطر، ذلك لأنها لم تستمتع كثيراً خلال كل تلك السنوات مع أبيه، إذ لم تكمن قوة غابرييل في المجاملات.

نحنح غابرييل من على أريكته لنفاد صبره، ونهض.

- طيِّب، الآن، إن الشرطة ذهبت على كلّ حال عند الحقيرين ابنَي عمك، وبقليل من الحظ، سوف يأخذان حذرهما لبعض الوقت. هل لديك لحظة لإلقاء نظرة على الحسابات؟

طبع جاكوب قبلة على يد أمه، أومأ رأسه وتبع والده داخل المكتب. لقد دأب غابرييل منذ سنوات عديدة على تعليم ولده شؤون الضيعة، وتأهيله لا يزال متواصلاً دائماً. كان يودّ الاطمئنان على أن يكون جاكوب قادراً، في اليوم الموعود، على تسلُّم المشعل. لحسن الحظ، كان لدى جاكوب استعداد فطري لتدبير ضيعة فلاحية وكان يحسن أيضاً التصرف بالنسبة إلى المَهام الإدارية والعملية.

بعد أن لبثا مكبَّين معاً على الدفاتر بعض الوقت، تمطى جاكوب وقال:

- كنت أقصد الصعود لأرى قليلاً حجرة جدّي، منذ أمد طويل لم أزرها.

- همم، ماذا، أجل، هيَّا. كان غابرييل يقيم بعيداً في عالم الأرقام.

ارتقى جاكوب السلم بالطابق الأول، وتوجّه بتؤدة نحو الباب المؤدي إلى الجناح الأيسر من القصر. هناك عاش الجد إفراييم إلى وفاته، وفيه أمضى جاكوب ساعات كثيرة في طفولته.

دخل. لم يُلْمَسْ أي شيء. لقد طلب جاكوب من والديه أن لا ينقلا أو يبدِّلا شيئاً في هذا الجزء من البيت وقد احتَرَما أمنيته، وهما على وعي تام بالصلة الفريدة التي ربطته بإفراييم.

كانت الغرف تشهد عن بعض العظمة، ذات جو ذكوري ودافئ. لقد كانت تتميز بجلاء عن الترتيب الساطع لبقية القصر. بالنسبة إلى جاكوب كان الأمر أشبه بدخول عالم آخر.

قعد على الأريكة الجلدية قبالة إحدى النوافذ ووضع قدميه على طاولة خفيضة. هكذا كان يجلس إفراييم حينما كان يأتي جاكوب لزيارته. من جهته، كان يظلّ دائماً مقرفصاً على البلاط قبالته مثل جرو، منصتاً في حالٍ تشبه الخشوع إلى حكايات زمان.

وكانت حكايات التجمعات الإنجيلية تستهويه. كان إفراييم يصف بكثير من الإيحاء النشوة المرتسمة على وجوه الناس، وتركيزهم التام على الواعظ وولديه. كان إفراييم صاحب صوت جهوري، ولم يستغرب جاكوب أبداً من كونه يتمتع بكلّ ذلك القدر من السحر. أفضل شيء بالنسبة له هو حينما كان يتحدث الجدّ عن المعجزات التي كان يقوم بها كلّ من غابرييل وجوهانس. كان كلّ يوم يحمل معه معجزة، وكان ذلك عجيباً على الإطلاق بالنسبة إلى جاكوب. لم يفهم لماذا لم يكن أبوه يرغب أبداً بالحديث عن هذه الفترة من حياته، أجل، لماذا كان يبدو عليه الإحساس بالخزي منها حتى؟! أن يمتلك القدرة على الإبراء والتخفيف من آلام المرضى وإعادة العافية للمعطوبين. أي كدرٍ انتابهما في اليوم الذي انتزعت منهما هذه الهبة! حسب إفراييم اختفت بين عشية وضحاها، لم

يكترث غابرييل للأمر بينما بلغ اليأس من جوهانس مبلغه. كان يتضرع إلى الله ليلاً من أجل أن يردّها إليه، وما إن كان يبصر حيواناً جريحاً حتى يهرع إليه محاولاً أن يُعيد إليه قدرته التي فقدها.

لم يستوعب جاكوب أبداً لماذا كان إفراييم يضحك على نحوٍ عجيب وهو يتحدث عن هذه الفترة. لعلها كانت خيبة أمل عظيمة بالنسبة إلى جوهانس، والمفروض في رجل مثل الواعظ يتمتع بكل ذلك القُرب من الله أن يتفهم ذلك، لكن جاكوب كان يبجِّل جدَّه ولم يشكِّك أبداً في ما كان يقول ولا في طريقة قوله ذلك. في نظره، كان جده معصوماً من الخطأ. لقد أنقذ حياته، طبعاً ليس بوضع يده، ولكن بأن وهب جاكوب جسمه، وهكذا نفخ فيه روحاً جديدة.

لكن تمثل الشيء الاستثنائي بشدة في العبارات التي كان يختم بها إفراييم حكاياته دائماً بعد صمت مسرحي، كان يحدق مباشرة في عيني حفيده ويقول:

– وأنت يا جاكوب، تمتلك أيضاً الهبة بداخلك. في موضع ما، بعيداً، هناك بالداخل، إنها تنتظر للظهور في واضحة النهار.

كان جاكوب يحب هذه الكلمات.

لم ينجح أبداً، لكن الجد كان يقول إن القوة تكمن هناك، وذلك كان يكفيه. أثناء مرضه، حاول أن يغمض عينيه ويستحضرها، ليستطيع إبراء نفسه بنفسه، لكن حينما كان يغضي جفنيه، لم يكن يرى سوى الظلمات، هي نفسها التي تضيّق عليه في الوقت الحاضر في مِلْزَمَة من حديد.

ربما كان سيجد الطريق الصحيح لو عمَّر الجد طويلاً. لقد علَّم غابرييل وجوهانس، وإذن ما الذي كان سيعجزه عن تعليمه هو أيضاً؟

صرخة طائر قوية بالخارج جذبته من رؤاه. ضيق الظلام من

جديد على قلبه، وتساءل إن كان ذلك قد يصل إلى حدّ جعله يتوقف عن النبض. في الآونة الأخيرة، أصبحت السوداوية أكثر تواردأ وكثافة من أي وقت مضى.

رفع رجليه مجدداً على الأريكة وأحاط ركبتيه بذراعيه. ليت أن إفراييم كان هنا فحسب. لكان ساعد في العثور على النور الذي يشافي.

– منطلقنا فرضية أن جيني مولر لم تختفِ عن طيبِ خاطر. نودّ الحصول على مساعدة العموم ونلتمس منكم عاجلاً أن تخبرونا إذا كنتم قد رأيتموها، وخاصة داخل سيارة أو قرب سيارة. حسب المعطيات المتوفرة لدينا، الراجح أنها قامت بطلب توصيلة نحو فيالباكا كلّ الملاحظات بهذا الصدد هي من الأهمية الكبرى بمكان.

حدَّق باتريك بصرامة في عيني كلّ واحد من الصحافيين مباشرة. وفي الآن معاً قامت أنيكا بتوزيع صورة جيني، وسوف تسهر على أن تتوصّل بها كل الصحف من أجل نشرها. لا يجري الأمر على هذه الحال دوماً، لكن في هذه المرحلة يمكن للصحافة أن تعود عليهم بفائدة كبيرة جداً

وقد كانت مفاجأة كبيرة بالنسبة إلى باتريك أن عهد إليه ميلبرغ بتسيير الندوة الصحافية التي نظمت على عجل، وظلّ هو بنفسه متوارياً في قاعة الاجتماعات الصغيرة بالمفوضية، وراقب باتريك الذي كان في الواجهة.

أيدٍ كثيرة كانت مرفوعة.

– هل لاختفاء جيني علاقة بمقتل تانيا شميدت؟ هل وجدت الشرطة شيئاً يربط جريمة القتل هذه بجثَّتي مونا ثيرنبلاد وسيف لانتان؟

تنحنح باتريك.

- أولاً، لم يتأكد بعد التحقق من هوية سيف، إذن، سوف أستحسن إن أنتم عدلتم عن التطرُّق لذلك في مقالاتكم. فيما يخص الباقي، لا أستطيع التعليق عن ما قمنا باستنباطه من عدمه، نظراً إلى أسباب تقنية تتصل بالتحقيق.

غمغم الصحافيون استياءً من كونهم يصطدمون مرة أخرى ودائماً بالأسباب التقنية المرتبطة بالتحقيق، لكنهم ألحوا رغم ذلك في سؤاله.

- لقد شرع السياح في هجر فيالباكا هل هم محقون في القلق على أمنهم؟

- لا سبب يدعو للقلق. إننا نعمل على قدم وساق من أجل حلّ هذه القضايا، لكن في الوقت الراهن، أولويتنا هي العثور على جيني مولر. هذا كلّ ما أستطيع قوله لكم. أشكركم.

غادر القاعة وسط احتجاج الصحافيين، ورأى بمؤخر عينه أن ميلبرغ تريث فيها. ليت هذا الأرعن لا يتفوه بالحماقات الآن.

انصرف لملاقاة مارتن وجلس على حافة مكتبه.

- هذا أشبه بمن يُدخل يده في جُحر الأفاعي، أقسم على ذلك.

- إلّا أنه في هذا الوقت، قد نجني منهم بعض النفع.

- أجل، هناك بالضرورة شخص شاهد جيني وهي تركب سيارة، إن كانت بالفعل قد طلبت توصيلة مثلما قال ذلك الشاب. بالنظر إلى حركة المرور الضاجّة تلك على طريق غريبستاد. سيكون من قبيل المعجزات أن لا ينتبه أحد لأي شيء.

- لقد سبق لنا وشهدنا أموراً أغرب من ذلك، زفر مارتن.

- ألم تنجح بعدُ في الاتصال بوالد تانيا؟

- لم أكرِّر المحاولة. كنتُ أنوي القيام بذلك هذا المساء، على الأرجح هو موجود في العمل.

- أجل، أنت على صواب. هل تعلم إنْ كان غوسطا قد تحقَّق من السجون؟

- أجل، إنه أمر لا يصدَّق، لكنه فعل ذلك. لا شيء. لا أحد ظلَّ مسجوناً طول تلك المدة إلى حدّ الآن، لكن ذلك لم يكن بالمسلك الجدّي في الحقيقة. أقصد، يستطيع المرء ذبح الملك، وفي كل الأحوال، يجد نفسه خارج الأسوار بعد مرور بضعة أعوام لحسن السلوك، ويستطيع الحصول على رخصة بعد انقضاء بضعة أسابيع فقط. من شدة توتره، رمى مارتن بقلمه الحبر فوق المكتب.

- هيَّا، لا تكن مستهتراً، إنك لا تزال فتياً جداً على مثل هذه الأمور، بعد مرور عشر سنوات في الخدمة، بإمكانك البدء في الشعور بالمرارة، وإلى أن يحين ذلك الموعد، واصل التعامل بصفتك ساذج، وكن واثقاً في النظام المعمول به.

- نعم، أيها الجدُّ.

أدى مارتن تحية عسكرية متكاسلة ونهض باتريك وهو يضحك.

- ثم إننا لا نستطيع الانطلاق من أن لاختفاء جيني علاقة بجرائم قتل فيالباكا. يجب أن تطلب من غوسطا التحقق ممّا إذا تمّ إطلاق سراح مغتصِب ما هذه الأيام. اطلبْ منه التحقق من كل أولئك الذين تمَّ الحُكم عليهم بتهمة الاغتصاب، العنف المتفاقم ضد نساءٍ وهذا النوع من الجرائم، شخص قد يكون معروفاً بتحركاته في المنطقة.

- الفكرة جيدة، لكن قد يكون الفاعل أيضاً شخصاً قادماً من مكان آخر، سائحاً ما.

- صحيح، لكن يجب علينا البدء من مكانٍ ما وهذه بداية تساوي أخرى.

أطلت أنيكا برأسها.

- أعتذر عن إزعاجكما سادتي، لكن لديك المختبر على الخط، يا باتريك، هل أوصلك بالمكالمة هنا أم تفضِّل الردّ عليها من مكتبك؟

- أوصليها إلى مكتبي، لكن امنحيني ثلاثين ثانية للوصول إلى هناك.

أخذ قلبه يخفق بسرعة كبيرة. انتظار مكالمة من المختبر المركزي كانت أشبه قليلاً بانتظار بابا نويل. إذ لا يعلم المرء أبداً أي مفاجأة قد تخبئها رزمه.

عشر دقائق بعد ذلك قفل راجعاً إلى مكتب مارتن، لكنه لبث عند عتبة الباب.

- لقد توصلنا للتو بتأكيد أن الهيكل العظمي الثاني يعود بحقّ إلى سيف لانتان، مثلما هو متوقع. وتمّ الانتهاء من تحليل التربة. قد نضع اليد على شيء صلب هاهنا.

- انحنى مارتن إلى الأمام، وكله آذان صاغية، وضمَّ يديه.

- لا تدعني أتحرَّق على الجمر. ماذا وجدوا؟

- أولاً، إنها الفصيلة نفسها من التربة الموجودة على جسد تانيا، على اللحاف الذي وضعت فيه وعلى العظام. هذا يبيِّن أنه في وقتٍ ما على الأقل وُجِدَتا معاً في المكان عينه. ثم لقد قاموا بفرز سماد من التربة يستعمله المزارعون فقط، بل إنهم نجحوا في العثور على الصنف واسم المصنِّع في المتجر. وتتويجاً لكلّ ذلك - إنه لا يُباع إلّا أنّ المصنِّع يبيعه مباشرة وهو ليس من الأصناف الموجودة دائماً في الأسواق. يجب أن تتصل بهم على وجه السرعة، التمس

منهم إخراج لوائح الزبائن الذين اشتروا هذا المنتَج، وسوف نستطيع التقدم أخيراً. خذْ، هذا اسم السماد واسم المصنِّع. المفروض أن يوجد الرقم في صفحات الدليل الصفراء.

لوَّح مارتن بيده لطمأنته.

- سوف أهتم بالأمر. سوف أخبرك ما إن أتوصل باللوائح.

- ممتاز. نقَرَ بخفة على دعامة الباب.

- هاك، لقد خطر ببالي.

كان باتريك قد انطلق مسبقاً وسط الممر ثم دار على عقبيه حينما تناهى إليه صوت مارتن.

- نعم؟

- هل قالوا شيئاً عن الحمض النووي؟

- إنهم ما زالوا يعملون عليه. إنّ المختبر المركزي هو الذي يُجري هذه التحاليل، والظاهر أن هناك ازدحام كبير على هذا النوع من الاختبارات. إنه موسم الاغتصابات، أنت تفهم.

صدر عن مارتن زفرة تنمّ عن الاحباط. إنه يفهم جيداً. لقد كانت واحدة من فوائد شهور فصل الشتاء، حيث إنّ الكثير من المغتصِبين كانوا يعتبرون أنّ الجو شديد البرودة في الخارج بحيث لا يزيلون سراويلهم، بينما في فصل الصيف، لا شيء يمنعهم من ذلك.

عاد باتريك إلى مكتبه وهو يدندن. وأخيراً لديهم دليل، وإن كان ضعيفاً، فإنهم يمتلكون على الأقل شيئاً ملموساً للتقدم إلى الأمام.

اشترى إرنست لنفسه نقانق هوت - دوغ ساخنة بالهريسة في ساحة فيالباكا. جلس على أحد المقاعد المطلة على البحر وراقب بعين حذرة النوارس التي تحلق حوله. لو سنحت لها الفرصة،

لسرقت منه النقانق، ولم يفارقها بعينيه ولو ثانية واحدة. يا لها من جرذان طائرة قذرة. لما كان طفلاً، كان يستمتع بربط خيط إلى سمكة وهو يمسك بقوة طرف الخيط الأقصى. وما إن يبتلع النورس السمكة بكل ثقة، كان إرنست يحصل على طائرة ورقية حيَّة، تحلق حوله، وهي مرعوبة تماماً. ومن حيله الأخرى المفضلة سرقة النبيذ المصنَّع من قبل أبيه بالبيت ويغمس فيه فتات الخبز الذي يرمي به للنوارس. دائماً كان يكاد يموت من شدة الضحك برؤيتها مترنحة تماماً تحلِّق بأجنحة متمايلة. لم يعُد يتجاسر على هذا النوع من الحماقات، وإن كانت لا تزال تحدوه الرغبة في ذلك. طيور جشعة ملعونة، هذا ما كانت عليه هذه المخلوقات.

أبصر وجهاً مألوفاً. غابرييل هولت في سيارته الـ BMW يتوقف عند حافة الرصيف أمام الكشك Relay. انتصب إرنست فوق مقعده. لقد كان يطَّلع على أخبار التحقيق حول جرائم قتل الفتيات، من غيظه جرَّاء إبعاده عنه، وقد كان على علم بشهادة غابرييل ضد أخيه. خطر بباله أنه ربما، ربما فحسب، هناك أشياء أخرى قد يستخلصها من هذا المتغطرس السخيف. وحدها فكرة الضيعة بكل الأراضي التي كان يمتلكها غابرييل هولت كانت تُسيل لعابه من الحسد ولسوف يشعر بتحسُّن إنْ استطاع مضايقته بعض الشيء. وإنْ حالفه القليل من الحظّ للوصول إلى شيء جديد في التحقيق، وإخراس فم ذلك السخيف هيدشتروم، سوف يكون ذلك بمثابة مكافأة فاجرة.

رمى ما فضل من نقانق الهوت دوغ في حاوية القمامة الأقرب إليه وانصرف غير مبالٍ صوب سيارة غابرييل. كانت الـ BMW الفضية تشعّ تحت الشمس ولم يستطع كبح تمرير يد حسودٍ على طول السقف. اللعنة إذن، إن سيارة مثل هذه هي ما يحتاجه. جذب يده

بقوة عندما خرج غابرييل من الكشك، وهو يحمل جريدة. نظر إلى إرنست بحذر، وهو متكئ بتلك الطريقة على باب الراكب.

- المعذرة، لكن هذه سيارتي.

- بالفعل، أجل. إرنست لوندغرين، من مفوضية شرطة تانمشيد.

حمَّل إرنست في نبرته ما أوسعه من الوقاحة. من الأحسن بثّ الاحترام منذ البداية. زفر غابرييل.

- ماذا هناك الآن؟ هل ارتكب روبير وجوهان حماقات أخرى؟

قهقه إرنست.

- على الأرجح، إن صحَّت معرفتي بهذين النذلين، لكن حتى هذه اللحظة لم يتم إخباري أي شيء يذكر. لا، لدي بعض الأسئلة بخصوص تلك النسوة التي عثرنا عليهن في فجوة الملك. أومأ برأسه صوب السلم الخشبي الذي يصعد إليه على طول الجدار الصخري.

- ما الذي تظن أن بإمكاني إخبارك به في هذا الصدد؟ مهما يكن، إن الأمر لا يتعلق مرة أخرى بتلك الحكاية القديمة المتصلة بأخي؟ لقد سبق وأن أجبت عن أسئلة واحدٍ من زملائك. مرّ الآن على ذلك أمد طويل، وأحداث الأيام الأخيرة تقدّم الدليل بصدق أنه لم يكن لجوهانس دخلٌ في الأمر بتاتاً! انظر إلى هذا!

بسط غابرييل الجريدة التي ظلَّت عالقة تحت إبطه ولوَّح بها أمام إرنست. وعلى صدر الصفحة الأولى صورة لجيني مولر، إلى جانب صورة هوية مضببة تعود لتانيا شميدت. وكان العنوان، بالطبع، جذاباً

- هل تودّ القول إن أخي خرج من قبره ليقوم بهذا؟ ارتعد صوت غابرييل من شدّة الانفعال. كم من الوقت تقصدون هدره بالنبش في أسرتي بينما الجاني الحقيقي يجوب الشوارع؟ الشيء

الوحيد الذي تمتلكون ضدنا هو شهادة أدليتُ بها منذ أكثر من عشرين سنة. صحيح أنني كنت متأكداً من نفسي ذلك الحين، لكن ماذا تريدون؟ كان الوقت ليلاً، وكنت عائداً من مرقد ابني المحتضر وربما قد أخطأتُ بكل بساطة.

لفَّ حول السيارة بخطى ساخطة، توقَّف أمام بوابة السائق وشغَّل جهاز التحكُّم عن بُعد للإغلاق المركزي. وقبل أن يركب السيارة، رمى إرنست بكلمات مسهبة متوترة أخيرة.

- إنْ استمرّ الأمر، سوف أتصل بمحامينا. لقد طفح بي الكيل من رؤية الناس يلوون أعناقهم من شدّة النظر إليّ منذ أن عثرتم على الفتيات، وليست لديّ نية في ترككم لتأجيج الإشاعات من جديد عن أسرتي، فقط لأنه ليس لديكم شيء أفضل من ذلك للقيام به.

صفق غابرييل البوَّابة وانطلق بسرعة جنونية. صعد **غالارباكن** بسرعة فائقة حيث اضطر الراجلون إلى الالتصاق بالحيطان.

قَهْقَهَ إرنست. ربما يمتلك غابرييل هولت المال، لكن بصفته شرطياً، فإن إرنست كان يمتلك السلطة لخلق الفوضى في عالمه الصغير المفضل. وبغتة بدت له الحياة أفضل بكثير.

- إننا نواجه أزمة تخصّ المقاطعة بأكملها. حدَّق **ستيغ ثولان**، الرجل القوي ببلدية فيالباكا، في عيني ميلبرغ مباشرة، لكن لم يبدُ على هذا الأخير أنه تأثَّر بشكل خاص.

- أجل، لقد سبق وقلت لك ذلك مثلما لكلّ الذين اتصلوا هاتفياً، إننا نعمل الدوام بكامله على هذا التحقيق.

- إنني أتلقى عشرات المكالمات كل يوم من طرف التجار، وهم قلقون، وإني أتفهم قلقهم. هل رأيت المخيمات والموانئ في هذه الناحية؟ إنّ هذا لا يخصّ فقط التجار بفيالباكا، وهذا في حدّ

ذاته مزعج بما فيه الكفاية. باختفاء الفتاة الأخرى، فإنّ السياح هجروا المناطق المجاورة أيضاً. غريبستاد، هامبورغسوند، كاميرسفيك، بل حتى سترومستاد، جميعها بدأت تصلها مضاعفات ذلك. أريد أن أعرف ماذا تعملون بالملموس لتسوية الوضع؟

ظهرت الآن تجاعيد الانزعاج على جبين ستيغ ثولان المميَّز، الذي كان عادة ما ترتسم عليه ابتسامة Colgate. كان هو أول ممثل للبلدية منذ أكثر من عشر سنوات، وكانت له أيضاً سمعة زير نساء حقيقي. كان ميلبرغ مرغماً على الإقرار بميل النساء إلى السقوط في حبال سحره. يجب الاعتراف أن ستيغ ثولان كان وسيماً على نحو خاص بالنظر إلى سنه، بفضل سحر شعرٍ وقع المشيب على سواده الخمسيني المؤتلف مع عينين زرقاوين ذاعرتين.

أظهر ميلبرغ ابتسامة مطمئنة.

- إنك تعلم مثلي، يا ستيغ، أنني لا أستطيع التطرّق لتفاصيل عملنا في هذا التحقيق، لكن يجب أن تثق في كلامي حينما أقول إننا نستنفر كل مواردنا للعثور على ابنة مولر وعلى مَن اقترف هذه الجرائم الشنيعة.

- لكن هل لديكم فعلياً القدرة للإشراف على تحقيق من هذا الحجم؟ ألا يجب أن تطلبوا الدعم من. لا أدري، من غوتبورغ، مثلاً؟

كان العرق يلمع على صدغَي ستيغ المائلين إلى الرمادي، وكانت أرضيته السياسية تنبني على درجة إرضاء التجار، والانزعاج الذي أبانوا عنه في الأيام الأخيرة لا يبشّر بخير فيما يخص الانتخابات المقبلة. كان يشعر بأنه مدلَّل في دهاليز السلطة، وكان يعلم أنّ غزواته النسائية تُمليها شهرته السياسية، في جانبها الأكبر.

علَت التجاعيد جبين ميلبرغ أيضاً والذي لم يكن مميَّزاً بالمثل.

- لسنا بحاجة لمساعدة في هذه القضية على الإطلاق. أستطيع أن أؤكد لك ذلك. وينبغي عليّ قول إني لا أستحسن التشكيك في مقدرتنا على هذا النحو. لم يسبق أن سجّلت شكاوى ضد طريقتنا في العمل ولا أرى أيّ سبب في أن يتمّ التصريح بمثل هذا النقد الذي لا أساس له في هذه المرحلة من التحقيق.

وبفضل معرفته الجيدة ببَني جلدته، التي كانت مُجدية له في منعرجات السياسة، أدرك ستيغ ثولان أنّ الوقت قد حان للتراجع. ليس من مصلحته جعل الشرطة المحلية خصماً له، وأخذ نَفَساً عميقاً قبل أن يصرّح:

- أجل، لا شك أنه من السابق لأوانه طرح هذا النوع من الأسئلة. من البديهي أنكم تحظون بثقتنا الكاملة، لكن أشدِّد رغم ذلك على أنه من الضروري حلّ هذه القضية بأسرع ما يمكن!

أومأ ميلبرغ برأسه فقط على سبيل الردّ، وبعد عبارات الشكر المعتادة، سارع رجل البلدية القوي إلى مغادرة المفوضية.

نظرت إلى نفسها بعينٍ متفحصة في المرآة العمودية التي قَبِل والداها أخيراً تثبيتها في المقطورة من أجل وضع حدٍّ لإلحاحها ليست سيئة، لكن إذا نقص الوزن كيلوغرامين فسيكون ذلك أفضل. أضمرت ميلاني بطنها حتى تتيقن. أي نعم، وفي الحال يبدو ذلك أفضل. لم تكن ترغب في رؤية أوقية من الدهون وقرّرت أنه بالنسبة إلى الأسابيع المقبلة لن تأكل سوى تفاحة عند الغذاء. ولتقُل أمها ما شاءت، وسوف تتخلى عن أيِّ شيء مقابل أن لا تصير بدينة ومقززة مثلها.

بعد أن سوَّت تبّانها السترينغ للمرة الأخيرة، أمسكت حقيبة الشاطئ ومنشفة الاستحمام وكانت تتأهب للخروج حينما طُرِق

الباب. من المؤكّد أنهم الرفاق جاءوا يقترحون عليها مصاحبتهم للعوم. فتحت الباب. في الثانية التي أعقبت ذلك، تمَّ دفعها بقوة إلى الخلف حيث اصطدم عصعصها بالطاولة الصغيرة. حجبت غشاوة عينيها من شدّة الألم وانقطع نفَسها. هرع رجل وبحثت في ذاكرتها إن كانت قد رأته من ذي قبل. بدا لها مألوفاً على نحوٍ ملتبس، لكن الصدمة والألم جعلا أفكارها مضبّبة. ومع ذلك خطرت ببالها فكرة على الفور، تلك المتعلقة بـ جيني واختفائها أنهى الذعر ما تبقّى لديها من صفاء ذهن، ثم تهاوت على الأرض، بلا مقاومة.

لم تعترض ميلاني حينما جذبها من ذراعها ودفعها نحو السرير، لكن عندما شرع في نزع حمالة صدرها، مدَّها الرعب بالقوة فضربت بقدمها صوب ما بين فخذي الرجل. أخطأت هدفها وضربت الفخذ، وجاء الردّ على الفور. استقرت لكمة أسفل ظهرها في المكان عينه الذي لامستها فيه الطاولة ومن جديد انقطع نفَسُها. خرَّت فوق السرير واستسلمت. أمام قوة الرجل، أحسَّت بأنها تافهة ولا حول لها، وغدا تفكيرها الوحيد هو البقاء على قيد الحياة. استعدَّت للموت. نظراً إلى الطريقة التي كانت متأكّدة الآن بأن جيني ماتت جرَّاءها

حدث ضجيج والتفت الرجل بينما كان قد أنزل لتوه شريط البيكيني. وقبل أن يسعفه الوقت للقيام بردّ فعل، هوى شيء ما على رأسه، وبصخب سقط على ركبتيه. وقبل أن تغرق في غيبوبة، رأت ميلاني ذلك الأجلف الضخم بير، وبيده عصا بيسبول.

- يا للقرف، كان يجب أن أتعرف عليه!

تململ مارتن من شدة إحباطه ولوَّح بيديه صوب الرجل المغلول

الذي كان مدفوعاً إلى الباب الخلفي لسيارة الشرطة.

- كيف كنتَ تستطيع التعرف عليه؟ لقد زاد وزنه بما لا يقل عن عشرين كيلوغراماً خلف القضبان ثم إنه صار أصهباً. ما كانت أمه نفسها لتتعرف عليه. ومع هذا لقد رأيت وجهه في صورة فقط.

حاول باتريك تهدئة مارتن قدر الإمكان، لكن كان يشعر أنه يكلِّم أصماً كانا قبالة مقطورة ميلاني وأبويها، وقد تجمَّع حولهما رهط من الفضوليين. لقد تمّ نقل ميلاني مسبقاً إلى مستشفى أودفالا في سيارة إسعاف. استطاع باتريك الاتصال بوالديها في المركز التجاري بـ سفينسوند، وقد ذهبا إلى المستشفى وهما لا يزالان تحت تأثير الصدمة.

- لقد كان أمام ناظري، يا باتريك، بل أظن أني أومأت إليه برأسي. لعله ضحك منا ملء شدقيه حينما انصرفنا. علاوة على ذلك، إنّ خيمته وثقت بالضبط جانب خيمة تانيا وليبز. يا للقرف الملعون، يتوجب منع أن يكون المرء غبياً إلى هذا الحدّ!

خبط جبينه للتشديد على كلامه وشعر بالجزع يتعاظم ويكبر في صدره. إنّ لعبة «لَوْ» الشيطانية قد أخذت تضايقه مسبقاً. لو أنه تعرّف على مارتين فريسك، لكانت جيني الآن صحبة والديها. لو كذا، لو ذاك.

كان باتريك يعلم تماماً ما يعتمل في ذهن مارتن، لكنه لم يعرف أيّ من الكلمات يجب استعمالها للتخفيف من ذلك العذاب. لو كان مكانه فإنه على الأرجح سيفكر بالطريقة ذاتها، وإن كان يعلم أنّ هذا النوع من العتاب لا موجب له. كان من شبه المستحيل التعرُّف على المغتصب الموقوف بسبب أربع عمليات اغتصاب جرت خمس سنوات من ذي قبل. في تلك الفترة، لم يكن مارتين فريسك يبلغ سوى سبع عشرة سنة، مراهقٌ أسمر ونحيف استعمل سكيناً لإرغام

ضحاياه على الخضوع لنزواته. الآن هو عملاق ذو شعر أصهب وقد كان جلياً أنه يعتبر قوته كافية لجعله متحكّماً في الوضع. وخمّن باتريك أيضاً أنّ المنشطات، التي يسهل الحصول عليها في سجون البلاد، كان لها دور في تحوُّل هيئة مارتين، ولعلها لا تهدِّئ بالتأكيد من عدوانيته الفطرية، وخلافاً لذلك، فهي تجعل من جمرات مشتعلة بالكاد، ناراً مستعرة.

أشار مارتن إلى الشاب المنزعج الذي ظلّ بمنأى عن قلب الأحداث وكان يقضم أظفاره بتوتر. كان القلق مرسوماً على وجهه بحروف بارزة. الظاهر أنه لم يكن يعرف هل سيتمّ اعتباره بطلاً أم مجرماً من قبل ذراع العدالة. أومأ باتريك برأسه لمارتن كي يتبعه، واقترب من الشاب المَكْروب.

- بير تورسون، أليس كذلك؟

أومأ برأسه.

قدم باتريك شرحاً لمارتن.

- إنه رفيق جيني مولر. هو مَن أخبرني بأنه كان عليها أخذ توصيلة إلى فيالباكا

التفت باتريك مجدداً نحو بير.

- ما قمت به للتو يعدّ مأثرة. كيف عرفتَ أن ميلاني كانت تتعرض للاغتصاب؟

حدَّق بير في الأرض.

- أحبّ مراقبة الناس الذين يأتون إلى هنا. ذاك، لقد انتبهت إليه حالما نصب خيمته، ذلك اليوم. شيء ما في طريقة تبجُّحه أمام الفتيات الصغيرات. لعله كان يعتبر نفسه ظريفاً بذراعي الغوريلا اللتين له. لقد رأيت الطريقة التي كان يحدق بها إلى الفتيات. خاصة حينما لا تلبسن الشيء الكثير.

- واليوم؟ لنفاد صبره، كان مارتن يحاول مساعدته للوصول إلى صلب الموضوع.

مسترخي العينين دائماً، واصل بير:

- لاحظت أنه رأى والديْ ميلاني ينصرفان ثم لبث ينتظر لبعض الوقت.

- كم استغرق ذلك؟ سأله باتريك.

فكّر بير.

- على الأرجح خمس دقائق. ثم توجَّه، بخطى ثابتة، حسب رأيي، نحو مقطورة ميلاني، ثم ظننتُ أنه ربما سوف يحاول مغازلتها، لكن حينما فتحت الباب، ارتمى عليها، عندها قلت لنفسي اللعنة، لعله هو مَن قام بإخفاء جيني. ذهبت لإحضار عصا البيسبول، كان الأطفال قد لعبوا مباراة للتو، وهويت بها على رأسه.

هنا كان مضطراً للتوقف واستعادة أنفاسه، وللمرة الأولى رفع ناظره وحدَّق في باتريك ومارتن. شاهدا شفته السفلى ترتعد.

- هل سأجد نفسي في ورطة بسبب ذلك؟ أقصد، لأنني صرعته؟

هدّأ باتريك من روعه واضعاً يده على كتفه.

- أظن أنّ باستطاعتي التعهُّد لك أنه لن تكون هناك تبعات بالنسبة لك. ينبغي أن تستوعب ما أقوله لك جيداً، بالطبع نحن لا نشجِّع الناس على التصرف على هذا النحو، لكن الحقيقة هي أنه لو أنك لم تتدخل، لأسعفه الوقت في اغتصاب ميلاني.

جعل الارتياح بير ينهار تماماً، لكنه استقام بسرعة وقال:

- هل يمكن أن يكون هو الذي. بالنسبة إلى جيني، أقصد.

- لم يستطع حتى النطق بالكلمات وكان باتريك يفتقد للعبارات المطمْئِنة.

- لا أدري. هل لاحظت إنْ كان ينظر إلى جيني بهذه الطريقة؟

فكرَّ بير بشكل محموم، لكنه هزَّ رأسه أخيراً.

- لا أدري. أقصد، ربما فعل ذلك، كان يحدّق في كل الفتيات اللواتي يعبرن أمامه، لكني لا أستطيع القول إنه كان ينظر إليها، هي، على وجه الخصوص.

شكراً بير واستودعاه والديه اللذين كان الغمّ يأكلهما بشأنه. ثم سلكا طريق المفوضية. هناك، خلف القضبان، يوجد ربما ذاك الذي كانا يبحثان عنه بكلّ ذلك القدر من اليأس. ودون أن يفطنا لكونهما يأتيان الحركة نفسها، كان باتريك ومارتن يُصالبان أصابعهما تماماً درءاً لسوء الحظ وليكون الأمر مثلما يأملان.

في غرفة الاستنطاق، كان الجو مكهرباً. كان هاجس جيني مولر يجعلهما متوترين معاً في اندفاعهما المحموم لاستخراج الحقيقة من مارتين فريسك، لكنهما كانا يعرفان أيضاً أنّ بعض الأشياء لا تأتي كرهاً. كان باتريك يشرف على الاستنطاق، ولم يستغرب أحد حينما دعا مارتن لحضوره. بعد إنهاء الإجراء الإلزامي المتّصل بالمعطيات الشخصية، التاريخ، والساعة، المضمنة في مسجل الصوت، شرعا في عملهما.

- أنت موقوف من أجل محاولة اغتصاب ميلاني جوهانسون، هل لديك تعليق؟

- اللعنة، أجل!

كان مارتين يجلس بتكاسل وهو مرتمٍ إلى الخلف على الكرسي، بينما إحدى عضلات ذراعه الضخمة مستلقية على المتكأ.

كان يلبس لباس الصيف، قميص بلا أكمام وسروال قصير، أقلّ ما يمكن من اللباس لعرض أقصى ما يمكن من العضلات. شعره المصبوغ كان طويلاً بإفراط، ولم تكن قُصَّة مُقَدِّمِه تتوقف عن السقوط على عينيه.

- لم أقُم بشيء لم تُرِد هي أن أفعله، وإن قالت غير ذلك فهي كاذبة! كنا قد تواعدنا بعد انصراف والديها للتسوق، وكنا قد بدأنا للتو في الاستمتاع حينما جاء ذلك الأبله بعصاه البيسبول. بالمناسبة، أريد تقديم شكوى عن تعرُّضي للعنف. ليس عليكم سوى تدوين ذلك في دفتريكما، هناك. وأشار إلى مفكرة الجيب أمام باتريك ومارتن، ثم قهقه.

- سوف نتطرق لذلك فيما بعد، الآن يتعلق الأمر باتهامات موجَّهة ضدك أنت.

كانت لهجة باتريك المقتضبة تحتوي كلّ الاحتقار الذي يوقظه فيه الرجل. في عالمه، كان يُعَدُّ الرجال الذين يتصدون للفتيات من أسوأ طينة، في الدَّرَك الأسفل.

هز مارتين كتفيه كما لو أنه لا يكترث لذلك كلياً. سنوات السجن علَّمته جيداً. في آخر مرة وُجِد فيها أمام باتريك، كان مراهقاً في سن السابعة عشرة، نحيفاً، وغير واثق من نفسه كثيراً، والذي كان يقر بكلّ ما لديه ويعترف بعمليات الاغتصاب الأربع في الحال تقريباً. الآن لقد تعلَّم من الكبار، وتحوُّله الجسدي كان يتفق ملياً مع تحوله الذهني. ما ظلّ على حاله، على العكس، كان هو حقده على النساء وطريقته في التصدي لهن. حسب ما لديهم من معلومات، تجلى ذلك في عمليات اغتصاب عنيفة، وليس في جرائم قتل، لكن ما كان يؤرق باتريك، هو أن يكون السجن قد أحدث من الأذى أكثر ما يمكنهم تخيله. هل تجاوز مارتين فريسك الخط من مغتصب إلى

قاتل؟ في هذه الحال، أين توجد جيني مولر وأية علاقة هنالك بين مقتل مونا وسيف؟ بل في الفترة التي تمّ فيها قتلهما، لم يكن مارتين فريسك قد ولد بعد!

زفر باتريك ثم واصل الاستنطاق.

- لنقل إننا نصدّقك. يبقى مع ذلك أن هناك مصادفة كبيرة تسبب لنا المتاعب، كونك موجود في مصطاف غريبستاد حينما اختفت فتاة تسمى جيني مولر وكنت موجوداً بمصطاف سالفيك بفيالباكا عندما اختفت سائحة ألمانية، والتي عُثر عليها مقتولة، بل إن خيمتك كانت بالضبط جنب خيمة تانيا شميدت وصديقتها هذا أمر محيِّر بعض الشيء، في نظرنا

شحب لون مارتين بصورة واضحة.

- لا، لا تهزآ بي، لا دخل لي في ذلك.

- لكن تعلم عن أي فتاة نتحدث؟

على مضض أجاب:

- أجل، بالطبع، لقد رأيت السحاقيتين في الخيمة بجانب خيمتي، لكن اللواطيتان لم تثيرا أبداً شهوتي، ثم كانتا كبيرتين جداً كي تناسبا هواي. لكلٍّ منهما وجه سيدة.

استحضر باتريك وجه تانيا على صورة الهوية، ربما لا يميزه شيء، لكنه لطيف جداً، وكظم اندفاعه لرمي مفكرته على وجه مارتين. كانت نظرته قاسية حينما حدَّق في الرجل الماثل أمامه.

- وجيني مولر إذن؟ سبع عشرة سنة، جذابة، شقراء. تماماً ما يناسب هواك، أم لا؟

أخذت حبيبات من العرق تغزو جبين مارتين. كانت له عينان صغيرتان تطرفان بانتظام حينما يصبح متوتراً والآن، إنه يطرف بجفنيه على نحوٍ محموم.

- لا دخل، لا دخل لي في هذا. اللعنة، لم أمَسَسْها، أقسم على ذلك!

لوَّح بذراعيه في الهواء بحركة يفترض أنها إشارة إلى أنه بريء، ورغماً عنه، شعر باتريك بأنه سمع نغمة حقيقة في صوته. سلوكه حينما كانا يتحدثان عن تانيا وجيني كان مخالفاً تماماً لذاك الذي أتاه عندما سألاه عن ميلاني. بمؤخر عينه رأى أن مارتن كان يبدو متردداً بدوره.

- طيب، أنا مستعد للإقرار بأنّ فتاة اليوم ربما لم تكن موافقة تماماً، لكن يجب الوثوق فيّ، بالنسبة إلى الأخريين، ليست لدي أدنى فكرة عمّا تتحدثان عنه، أقسم على ذلك!

كان الذعر جلياً في صوت مارتين، وبعد أن تبادلا الرأي بالنظرات، قرَّر مارتن وباتريك وضع حدٍّ للاستنطاق. للأسف، كانا يصدِّقان كلام مارتين. وهذا يعني أنّ هناك في مكان آخر شخص ما يعتقل جيني مولر، إنْ لم تكن قد ماتت سلفاً وتعهُّد باتريك الذي قطعه لألبير ثيرنبلاد بالعثور على قاتل ابنته بدا فجأة من الصعب جداً، جداً الوفاء به.

كان غوسطا مذعوراً. كما لو أن طرفاً من جسده انتعش على حين غرة، بعد أن كان مخدراً منذ أمد طويل. ملأه عمله باللامبالاة خلال مدة طويلة بحيث أصبح من المستغرب الإحساس بشيء من الالتزام. طرق بلطف باب باتريك.

- هل يمكنني الدخول؟

- كيف؟ أجل، بالتأكيد. رفع باتريك عينيه بذهول عن طاولة عمله.

دخل غوسطا، والحرج ظاهر عليه، وجلس على مقعد الزوار. لم يقل شيئاً، وبعد انقضاء وقت طويل جاء باتريك لنجدته.

- طيب، كنت تودّ إخباري بشيء؟

نحنح غوسطا جرعة من حلقه وتفحَّص بدقة يديه على ركبتيه.

- لقد توصلت باللائحة أمس.

- أية لائحة؟ رفع باتريك حاجبيه.

- المتعلقة بمغتصبي الناحية الذين أفرج عنهم من السجن. لم يكن هناك سوى اسمان، من ضمنهما اسم مارتين فريسك.

- ولهذا السبب تبدو مُتجهِّم الوجه؟

رفع غوسطا ناظريه. وحلّ الذعر من جديد، مثل كرة ضخمة صلبة في بطنه.

- لم أقم بعملي. كنت أنوي التحقق من الأسماء، أين كانوا، ماذا كانوا يفعلون، الذهاب لرؤيتهم وتبادل الحديث معهم، لكني تكاسلت. هذه الحقيقة الحقة، يا هيدشتروم، لقد هدرت الوقت. والآن.

لم يجبه باتريك وانتظر التتمة بتمعن.

- الآن، لم يبق لي سوى الاعتراف بأنه لو قمت بعملي فإنّ هذه الصبية اليوم ربما لم تكن لتتعرض لهذا الهجوم، ويتمّ اغتصابها تقريباً، ولكنّا طرحنا الأسئلة حول جيني يوماً من قبل. من يدري، ربما سيشكل فارقاً بين الحياة والموت بالنسبة لها. أمس ربما كانت حية، واليوم ربما هي ميتة. وهذا لأنني لبثت قاعداً على مؤخرتي ولم أقُم بعملي! ضرب فخذه بقبضة يده للتشديد على كلامه.

لزم باتريك لحظة صمت، ثم انحنى على المكتب وشبك بين أصابع يديه. كانت نبرة صوته واثقة، ليست معاتبة مثلما ترقَّبها غوسطا. رفع عينيه، مندهشاً.

- صحيح أنّ عملك لا يكون في المستوى المطلوب أحياناً، يا غوسطا، هذا نعرفه نحن الاثنين، لكن ليس من شأني التحدُّث معك في هذا الشأن، الرئيس مَن عليه تدبير ذلك. فيما يخص مارتين فريسك وأمر عدم التحقق منه أمس، يمكنك نسيان ذلك. أولاً، لم تكن لتعثر عليه أبداً في المصطاف بتلك السرعة، كان سيتطلب منك ذلك يومان أو ثلاثة أيام. ثانياً، أظن، للأسف، أنه ليس هو من اختطف جيني مولر.

- لكني كنت أعتقد أنّ ذلك مثبت عملياً. نظر غوسطا إلى باتريك، متحيراً.

- أجل، هذا ما اعتقدته بدوري. لستُ متأكداً تماماً، لكن لا أنا ولا مارتن، لم يكن لدينا ذلك الانطباع أثناء الاستنطاق.

- اللعنة إذن! أنعم غوسطا النظر في الخبر، في صمت. لم يفارقه الذعر كلياً رغم ذلك. هل هناك شيء أستطيع فعله؟

- مثلما قلتُ، لسنا متأكدين تماماً، لقد أخذنا عينة من دم مارتين فريسك والتي سوف تحدِّد بصفة نهائية هل هو الرجل الذي يهمّنا أم لا لقد ذهبت العينة سلفاً إلى المختبر، وشرحنا لهم أن الأمر مستعجل، لكن سيكون من الجيد إن ضغطت عليهم قليلاً. إن كان هو، خلافاً للمتوقع، فإنّ كل ساعة ستكون لها أهميتها بالنسبة إلى ابنة مولر.

- اعتمد عليّ، سوف أهتم بالأمر. سوف أشدّ عليهم بأسناني مثل كلب بيتبول.

ابتسم باتريك لهذا المجاز. إنْ كان عليه تشبيه غوسطا بكلب، لكان على الأرجح كلب صيد عجوزٍ متعب.

في حماسته للقيام بالعمل على أحسن وجه، نطَّ غوسطا من على الكرسي وخرج من الحجرة كما لو أنّ النار كانت مشتعلة في

مؤخرته. كاد يطير من شدة الارتياح لكونه لم يقترف الغلطة الكبيرة التي ظنّ نفسه قد أتاها. وتعهّد لنفسه بأنْ يعمل بجدٍّ أكثر ممّا لم يفعل أبداً انطلاقاً من الآن، ربما لساعات إضافية هذا المساء! آه، لا، صحيح، لقد حجز في ملعب الغولف مساراً على الساعة الخامسة. يا له، يستطيع القيام بها في يوم آخر، تلك الساعات الإضافية!

كانت تكره أن ترغَمَ على ولوج الوسخ والفوضى. كان ذلك أشبه بدخول عالم مغاير. بحذر، تخطّت صحفاً قديمة وأكياساً للقمامة والله أعلم أي شيء آخر.

– سولفيغ؟

لا جواب. شدّت إلى جسدها حقيبة يدها ودلفت إلى داخل الردهة أبعد ما يكون. هاهي. الاشمئزاز يغمرها تماماً. إنها تكره هذه المرأة أكثر من كرهها لأي شخص فيما سلف، حتى أبوها نفسه. وفي الآن معاً، كانت بحاجة إليها. كان هذا الهاجس يستدعي دوماً لديها نوعاً من الغثيان.

– أضاءت ابتسامة وجه سولفيغ حينما رأت ليني.

– حسناً، حسناً، ماذا أرى؟ حريصة على المواعيد كالعادة. قد يعول عليك المرء بكلّ صدق، يا ليني. أغلقت الألبوم الذي كان يشغلها وأشارت إلى ليني بالجلوس.

– أفضّل أن أعطيك إياه في الحال، أنا مستعجلة قليلاً

– هيّا يا ليني، أنت تعرفين قواعد اللعبة. في البدء، نحتسي فنجان قهوة، دون استعجال، ثم ننتقل إلى التسوية. سوف يكون من الفظاظة أن لا أقدّم مشروباً حينما يحلّ عليّ ضيف من أكابر الناس لزيارتي.

كان التهكم يقطُر من صوتها. كانت ليبني حكيمة بما يكفي لتعترض. هذه الرقصة المخيفة، لقد رقصناها مرات ومرات على مدى الأعوام. نفضت الغبار عن جانب من الأريكة ولم تستطع كبح تكشيرة امتعاض وهي تهمّ بالجلوس. حين عودتها إلى بيتها بعد زيارة لهذا المكان، كانت تشعر دائماً بأنها متّسخة لساعات طوال.

نهضت سولفيغ بمشقّة ورتّبت ألبوماتها بعناية. أخرجت فنجانين مشقَّقين وكان على ليبني مقاومة الإقدام على مسح فنجانها. ثم أحضرت قطع من كعكة الغريبة جافة ومتكسرة، ودعتها سولفيغ إلى تناولها. أخذت قطعة صغيرة من البسكويت وتضرَّعت في داخلها أن تنتهي الزيارة بسرعة.

- صحيح أننا نستمتع مليّاً، إيهِ؟

غمست سولفيغ بتلذّذ بسكويتها في القهوة المسخّنة ونظرت بمكرٍ صوب ليبني التي كان جوابها الصمت.

- من يصدق أن واحدة منا تسكن قصراً ريفياً والثانية زريبة عفنة، بينما نحن هنا مثل صديقتين قديمتين، أليس صحيحاً يا ليبني؟

تغاضت ليبني وهي تحدّث نفسها بأنّ الإهانة ستنتهي عمّا قريب. وإلى المرة المقبلة، شدّت يداها تحت المائدة وتذكرت السبب الذي جعلها عُرضة لذلك، مرة وأخرى.

- هل تعلمين ما يشغلني يا ليبني؟ تتحدث سولفيغ وفمها ملآن وكان فتات من البسكويت يسقط على المائدة. هو أنك تبعثين لنا رجال الشرطة. تعرفين، يا ليبني، كنت أعتقد أن بيننا اتفاق، أنت وأنا، لكن حينما تحضر الشرطة هنا وتدعي شيئاً بكلّ ذلك القدر من السخافة، فإني بالضرورة أتساءل مع نفسي. إذن، هكذا، يُزعَم أن ولديَّ كسرا زجاج نوافذ بيتك؟

- لم تستطِع ليبني سوى الإيماء برأسها.

- أرى أنني أستحق اعتذاراً عن ذلك، ألا تتفقين معي؟ حيث، وهذا ما شرحناه للبوليس، ظلّ الولدان هنا الليل كله. وبالتالي لم يستطيعا رمي الحجارة هناك في القصر الريفي.

أخذت سولفيغ جرعة من القهوة ولوَّحت بفنجانها صوب ليني.

- هيَّا، أنا أنتظر.

- أقدِّم لك اعتذاري. لعلي أخطأتُ.

كانت نظرتها تطفح بالتحدي حين التقت نظرة سولفيغ، لكن سُلفتها بدت راضية.

- طيب، هذا أمرٌ تمت تسويته. لم يكن صعباً بكل ذلك القدر؟ إذن، سوف نستطيع تسوية القضية الأخرى الصغيرة أيضاً؟

انحنت على المائدة وتمطَّقت بشفتيها. وضعت ليني على مضض حقيبة يدها على ركبتيها وأخرجت منها مظروفاً. أمسكت به سولفيغ بجشع وعدَّت على نحوٍ دقيق محتواه بأصابعها الدسمة.

- الحساب جيد. مثل العادة. أجل، دائماً أقول ذلك، أنت منضبطة بحقّ، يا ليني. أنت وغابرييل، منضبطان أنتما الاثنان.

وهي تشعر كأنها سنجاب يدور داخل عجلته إلى ما لا نهاية، نهضت ليني وتوجَّهت نحو الباب. وما إن كانت بالخارج حتى استنشقت بعمقٍ هواء الصيف العذب. وقبل أن تصفق الباب خلفها، صاحت سولفيغ:

- إنه لمن الممتع دائماً لقاؤك يا ليني. سنعاود الكرة الشهر المقبل، اتفقنا؟

تغاضت ليني عن ذلك وأجبرت نفسها على الاستنشاق بهدوء. أحياناً، تتساءل إنْ كان الرهان يستحق بصدقٍ كل ذلك.

ثم تذكَّرت نتن ريح والدها قريباً جداً من أذنها والسبب في

الحفاظ بأيّ ثمن على الحياة الآمنة التي خلقتها لنفسها بالتأكيد إنّ الأمر يستحق ذلك.

ما إن تجاوز الباب حتى لاحظ باتريك أنّ شيئاً لم يكن على ما يرام. كانت إريكا جالسة بالشرفة المقصورة، تدير له ظهرها، لكن كل شيء في هيئتها كان يدلّ على أن هناك خَطْباً ما. سيطرت عليه الحيرة للحظة قبل أن ينتبه إلى أنها كانت ستتصل به على المحمول إن كان هناك من مشكل مع الجنين.

- إريكا؟

التفتت نحوه ورأى أن عينيها كانتا محمرتان من شدة البكاء. في بضع خطوات، لحق بها وجلس بالقرب منها على الأريكة المصنوعة من الخيزران.

- لكن، حبيبتي، ماذا هناك؟

- لقد تشاجرتُ مع آنا.

- وما السبب هذه المرة؟

كان يعرف كلّ كبيرة وصغيرة في علاقتهما المعقدة والأسباب التي تؤدي بهما بلا توقف إلى طرق التصادم، لكن منذ أن انفصلت آنا عن لوكا، بدا أنهما وقّعتا على ما يشبه الهدنة المؤقتة.

- إنها لم تتقدم أبداً بشكوى ضد لوكا من أجل ما صنعه بإيما!

- اللعنة، أمرٌ لا يصدق!

- بلى، والآن بعد أنْ شرع لوكا في الإجراءات لحضانة الطفلين، كنت أعتقد أن هذه هي الورقة الرابحة عند آنا، لكن ليس لديها أي شيء ضده، بينما هو سوف ينسج ركاماً من الأكاذيب يُظهر من ورائها أنّ آنا ليست أماً صالحة.

- أجل، لكنه لا يمتلك أي دليل في هذا الاتجاه.

- لا، نحن نعلم ذلك، لكن تخيَّل أنه قد يرميها بما يكفي من القذارة إلى أن تصبح وسخة رغم كل شيء. أنت تعرف كم هو بارع في ذلك. ولن أستغرب بتاتاً إنْ نجح في تأليب القضاة عليها ووضع الجميع في جرابه. إنْ فقدت آنا الطفلين، سوف تجنُّ.

من يأسها، أسندت إريكا رأسها إلى كتف باتريك الذي أحاطها بذراعه وجذبها نحوه لتسكينها.

- لن نترك خيالنا يسرح هكذا. كان غباء من آنا عدم تقديمها شكوى، لكن على نحوٍ ما أستطيع تفهمها. لقد أظهر لوكا أكثر من مرة أنه ليس شخصاً مسالماً، ومن الطبيعي أن تخاف.

- أجل، أعتقد أنك مُحقّ، لكن الذي استفزني كثيراً، هو أنها كذبت عليّ كل هذا الوقت. الآن، بعد حدوث ذلك، أشعر أنني تعرضت للخيانة أيضاً كل مرة سألتها فيها أين وصلت الأمور، كانت تراوغ مدّعية أن الشرطة بستوكهولم لديها الكثير من العمل بحيث يلزمها وقت لا يصدَّق لفحص كل الشكاوى. أجل، أن تعرف مثلي جيداً ما كانت تقوله. ولم يكن ذلك سوى أكاذيب. وبطريقة غريبة تنجح دوماً في تحميلي مسؤولية ذلك. وشعرت إريكا بقدوم نوبة بكاء جديد.

- هيَّا، حبيبتي. اهدئي الآن. لا يجب على الوليد أن يشعر بأنه قادم إلى وادي الدموع.

لم تستطِع الامتناع عن الضحك قليلاً ومسحت عينيها بكُمِّها.

- انصتي إليّ الآن. أحياناً آنا وأنت، تجمعكما علاقة أمّ بطفلها أكثر منها علاقة بين أختين، وهذا ما يخدعكما بلا توقف. لقد تكفلتِ برعاية آنا بدل أمكما، وهي، الآن، تشعر بالحاجة إلى التحرر منك. هل تفهمين قصدي؟

- أجل، أعلم ذلك، قالت وهي تشهق، لكني أرى أنه من الظلم بكثير أن تتمّ معاقبتي من أجل رعايتي لها

- ألا تعتبرين نفسك ضحية، هاهنا؟ أبعد باتريك خصيلة شعر مِنْ على جبين إريكا. سوف تحلان ذلك مثلما دأبتما على حلّ كل شيء، وأرى أن هذه المرة أيضاً تستطيعين التحمُّل حتى تكونين أكثر سخاء. لن يكون ذلك سهلاً بالنسبة إلى آنا في هذه اللحظة. لوكا خصمٌ قوي، وبكل صراحة، أتفهم جيداً الرعب الذي ينتابها. فكِّري قليلاً في ذلك قبل التباكي على نفسك.

- تخلَّصت إريكا من ذراعَيْ باتريك ونظرت إليه بحاجبين مشمَّرين.

- أليس من المفروض أن تكون إلى جانبي؟

- أنا إلى جانبك دوماً، حبيبتي، دوماً

داعب شعرها وبدا فجأة أنه على بُعد آلاف الكيلومترات من هناك.

- المعذرة - أنا هنا أندب حظي - كيف تسير الأمور عندكم؟

- يا لها! لا تذكِّريني بذلك. اليوم، كان يوماً مقززاً بحق.

- لكن، ألا تستطيع البوح ببعض التفاصيل، زايَدَت عليه إريكا.

- بالضبط، لكن مثلما قلتُ، كان يوماً مقززاً. زفر بشدة، لكنه تمالك نفسه. ماذا لو قضينا سهرة لطيفة صغيرة لوحدنا؟ أشعر بأنّ ذلك سيريحنا معاً. سأسرع إلى بائع السمك لشراء بعض الأشياء، ما عليك سوى تحضير المائدة. ما رأيك؟

وافقت إريكا ورفعت رأسها من أجل قبلة. إنّ والد طفلها يمتلك بحق خصالاً حميدة.

- أحضر معك رقائق بطاطس مقلية والصلصة المكسيكية، كما

هو معلوم. يجب أن أنتهز الفرصة الآن بما أني بدينة على أي حال!
- تحت أمرك، أيها الرئيس!

لأنه منزعج، نقر مارتن بقلمه الحبر على الطاولة. كان تذمّره موجَّه إلى نفسه. أحداث الأمس جعلته ينسى تماماً الاتصال بوالد تانيا شميدت. إنّ هذا يستحق ركلة على المؤخرة. عذره الوحيد هو ظنه أنّ ذلك لم يعُد مهماً جداً بما أنهم ألقوا القبض عل مارتين فريسك. ولن ينجح في الاتصال به قبل حلول المساء، لكن لا شيء يمنع من المحاولة. نظر إلى الساعة. التاسعة. قرّر التحقُّق في البدء ممّا إذا كان السيد شميدت ببيته، قبل الاتصال بـ بيا ويلتمس منها القيام بدور المترجم.

سمع الجرس يرن، مرة، اثنتين، ثلاث، أربع وكان على أهبّة وضع السماعة حينما أجابه صوت طافح بالنعاس بعد الرنة الخامسة. محرَج من كونه أيقظه، نجح مارتن إلى حدٍّ ما في أن يشرح بالألمانية مَن يكون وبأنه سوف يعاود الاتصال به بعد هنيهة. كان محظوظاً حيث أجابت بيا على الفور في مكتب السياحة. وقد وافقت مرة أخرى على مساعدته وبضعة دقائق بعد ذلك كانا معاً على الخط وإياها.

- أودّ في البداية إن أقدِّم لك عبارات العزاء.

شكره الرجل بأدب على عنايته، لكن تناهى إلى مسمع مارتن بوضوح شديد الحزن الجاثم على المحادثة. تردّد بخصوص المسلك الذي سوف يسلكه. صوت بيا الناعم كان يترجم كلّ ما يقول، لكن في الوقت الذي كان يفكر فيه، لم تُسْمَع سوى أنفاسهما.

- هل تعرفون مَن فعل ذلك بابنتي؟

- كان الصوت يرتعد بخفّة ولم تكن بيا في حاجة إلى ترجمة ذلك. مهما يكن، فإن مارتن كان يفهم ذلك.

- ليس بعد، لكننا سوف نمسك به.

مثله مثل باتريك عندما كان بحضرة ألبير ثيرنبلاد، تساءل مارتن إنْ لم يكن قد أفرط في تقديم التعهدات، لكنه كان مضطراً فحسب للسعي إلى التخفيف من حزن الرجل بالطريقة الوحيدة التي كانت في وسعه.

- لقد تحدثنا إلى رفيقة تانيا في السفر وقالت بأن تانيا جاءت إلى فيالباكا لسبب محدّد. لقد طرحنا السؤال على زوجها السابق، لكنه لم يجد مبرراً لذلك قطعاً. هل لديكم فكرة؟

حبس مارتن أنفاسه. ساد صمت طويل، غير محتمل تقريباً. ثم أخذ والد تانيا يتكلم.

لمّا انتهى به الأمر إلى وضع السماعة، تساءل مارتن هل كان عليه بحق تصديق ما سمعه. كانت الحكاية مفرطة في غرابتها، لكن كان فيها برغم كلّ شيء مسحة جليّة من الحقيقة وكان بصدق ما فاه به والد تانيا. وبالضبط في الوقت الذي أغلق فيه السماعة بدوره، انتبه مارتن إلى أنّ بيا كانت لا تزال على الخط. سألته وهي متردّدة:

- هل علمتَ بما كنتَ تريده؟ أعتقد أني ترجمت كل شيء جيداً.

- أنا متأكد بأن كل شيء تمّ نقله على وجه الكمال. أي نعم، لقد علمتُ ما كنت أريده. أعرف أن لا حاجة لي بأن أقول لك ذلك، لكن.

- أعرف، لا يجب أن أخبر أحداً. أعدُ بأنْ أبقي فمي مغلقاً.

- هذا جميل. ثم إني كنت أظن.

- نعم؟

هل سمع جيداً، هل كانت تلك ذرة أمل في صوتها؟ لكن شجاعته خانته كما شعر أن الوقت غير مناسب.

- لا، لا شيء. سوف نتحدث في ذلك مرة أخرى.
- حسناً.

شعر وكأنه أدرك شيئاً من الإحباط في صوت بيا، لكن ثقته في نفسه كانت لا تزال في حالة سيئة جداً بعد قصة غرامه الفاشل الأخيرة كي يصدق أنه لا يتعلق بأوهام.

بعد أن شكر بيا وأغلق الهاتف، انزلقت خواطره مع ذلك في الحال نحو أشياء أكثر جدية. حرَّر بسرعة رؤوس الأقلام التي خطّها أثناء المكالمة وانصرف لرؤية باتريك في مكتبه وبيده النسخة. وأخيراً أصبح لديهما مَنْفَذ.

ظلاً معاً على تحفُّظهما حينما التقيا. كانت هي المرة الأولى منذ موعدهما الكارثي بالمزرعة وكل واحد منهما كان ينتظر أن يبادر الآخر بالخطوة الأولى نحو المصالحة. وبما أن جوهان هو الذي اتصل بها وبحيث كان ضمير ليندا يؤنبها بالنظر إلى دورها في الشجار، فقد أخذت الكلمة:

- أنصت إليّ، لقد تفوهتُ بالكثير من السخافات ذلك اليوم. أنا نادمة، لكن ذلك جعلني منزعجة جداً.

كانا يوجدان في مكان لقائهما المعتاد بعلّية التبن وكان ملمح جوهان الجانبي كما لو أنه قُدَّ من صخر لمَّا كانت ليندا تنظر إليه. ثم رأت قسماته تغدو ألطف.

- لا تبالي لذلك. أنا بدوري أفرطتُ بعض الشيء. ذلك فحسب لأن. تردّد وسعى لانتقاء الكلمات المناسبة. ذلك فحسب لأن الأمر كان صعباً بالعودة إلى المنزل، بكلّ الذكريات وتلك الأشياء. لم يكن لذلك علاقة تُذكَر بك.

وبحرصها الدائم على شيء من الحيطة في الحركات التي

تأتيها، جاءت ليندا والتصقَت خلفه، ثم أحاطته بذراعيها. كان لشجارهما هذا الجانب الإيجابي: أصبحت الآن تكنُّ له الاحترام. لقد اعتبرته دوماً مثل طفل، شخص لا يفارق حضن أمه وحذاء أخيه الأكبر، لكنه ذلك اليوم، شاهدت رجلاً أيضاً. كان ذلك يجتذبها. يجتذبها بقوة. كما أنها شاهدت مظهراً خطراً وهذا كذلك يجعله جذاباً أكثر. لقد كاد بالفعل أن يهجم عليها، لقد رأت ذلك في عينيه، والآن ما دامت جالسة وخدها لصق ظهره، جعلتها الذكرى ترتجّ. كان الأمر أشبه بالتحليق على مقربة من اللهب، بما يكفي للإحساس بحرارته، ولكن بما يكفي من الانضباط لئلا تحترق. إذا كان هناك من شخص يتحكم في هذا التوازن، فإنه بالتأكيد هي.

تركت يدها تتجول إلى الأمام. بِنَهَمٍ وتَطَلُّبٍ. كانت تستشعر دائماً نوعاً من المقاومة لديه، لكنها كانت على يقين تامّ بأنها هي من يمتلك السلطة في علاقتهما. علاقة تقوم قبل كل شيء على وشائج جسدية، وكانت تقدِّر أن في هذا المجال كان للنساء الغلبة، وهي على الأخص. وهذا امتياز تستغله في الوقت الراهن. برضى، انتبهت إلى أن نفَس جوهان كان في تسارع وأن مقاومته آخذة في الانهيار.

تنقلت ليندا من مكانها، وحينما تعانقت ألسنتهما علمت أنها خرجت منتصرة من النِّزال. وكانت مقيمة على وهمها لا تزال حينما أحسّت جوهان يمسك شعرها بيدٍ ثابتة ويجذب رأسها إلى الخلف ليستطيع النظر إليها من فوق، مباشرة إلى عينيها. وإذا كان الغرض هو جعلها تشعر بأنها ضعيفة وقابلة للعطب، فقد نجح الأمر. وللحظة رأت في عينيه البريق ذاته الذي لمحته أثناء شجارهما، ساءلت نفسها إنْ كان صوتها قد يحمل نداء استغاثة حتى البناية الرئيسة. على الأرجح لا

- كما تعلمين، ينبغي أن تكوني لطيفة معي. وإلا فإن عصفوراً صغيراً سيذهب ربما عند رجال الشرطة ويهمس لهم بما رأيتُ هنا ذلك اليوم.

شرقت عينا ليندا. وخرج صوتها مهموساً.

- لن تفعل ذلك؟ لقد وعدتني يا جوهان.

- حسب ما يتداوله الناس، إنّ وعداً يقطعه شخص من آل هولت لا يعني الشيء الكثير. ينبغي لك معرفة ذلك.

- لا يجب فعل ذلك، جوهان. أتوسّل إليك، تستطيع أن تطلب مني أي شيء.

- طيب، ذلك أنهم على حق، العلاقات العائلية هي الأقوى قبل كل شيء.

- أنت نفسك تقول بأنك لا تستوعب كيف أن أبي فعل ذلك بعمي جوهانس. وهل أنت مستعد لفعل الشيء نفسه؟

كان صوت ليندا متوسلاً. لقد تجاوزها الوضع كلياً، وهي حيرى، تساءلت كيف تسنّى لها الوقوع في مثل هذا الموقف من الضعف، بينما في البدء كانت تتحكم في الوضع!

-ولماذا لا أفعل ذلك؟ ربما نستطيع القول إنه القدر، الـ **كارْما**. الحلقة التي تنغلق نوعاً ما. وعلت محيا جوهان ابتسامة خبيثة، لكن ربما تسجلين هدفاً. لنقل إنني سأصمت، لكن لا تنسي أن ذلك قد يتغير في كل لحظة، ومن الأفضل لك أن تكوني لطيفة معي - حبيبتي.

داعب وجهها، وهو محافظ على قبضته المؤلمة. ثم دفع رأسها إلى الأسفل أكثر. لم تعترض. كان التوازن قد اختل نهائياً.

صيف 1979

أيقظها بكاء. طيّ الظلام، شق عليها تحديد موقع الصوت، لكنها زحفت بتؤدة إلى أن شعرت بنسيج وشيء ما يتحرك تحت أصابعها. الرزمة سوية الأرض، إنها فتاة، أخذت تصرخ من شدّة الهلع، لكنها أسكتتها بتردادها «صه» وهي تداعب شعرها. لقد كانت مؤهلة جيداً لمعرفة كيف أنّ الرعب يمزّق المرء قبل أن يحلّ مكانه استسلامٌ أصمّ.

كانت واعية بأنّ ذلك تصرُّف أناني، لكنها لم تستطع الامتناع عن الإحساس بالغبطة لكونها لم تعُد لوحدها قط. بدا لها وكأنها لم تنعم برفقة إنسان آخر منذ الأبد، لكن في الواقع فالأمر يتعلق ببضعة أيام فقط. كان من الصعب الحفاظ على مفهوم الزمن هنا في الظلمة. الزمن لم يعد موجوداً سوى هناك في الأعلى. في النور. هنا، كان بمثابة عدُوّ يجعلك حبيس الوعي بحياة غير محتملة.

بعد أن جفّت دموع الفتاة، تدفّق نهر الأسئلة. لم تكن لديها أجوبة. وبدل ذلك، حاولت أن تشرح أهمية الاستسلام، وعدم مقاومة الشرّ المظلم، لكن لم تكن للفتاة رغبة في الفهم. كانت تبكي وتسأل، تتوسل وتصلي لإله لم تؤمن هي نفسها به أبداً ولو لحظة واحدة، ربما باستثناء فترة قصيرة من طفولتها، لكن للمرة الأولى

أخذت تأمل في أنها أخطأت، في أنّ هناك إله موجود بحق. وإلا، كيف ستكون حياة الصغيرة، دون أمٍّ ودون إله ترجع إليهما؟ من أجل طفلتها استسلمت في السابق للخوف، وللغرق فيه، وبدأت الطريقة التي تقاوم بها الوافدة الجديدة تدفعها للغضب. مرة تلو أخرى كانت تسعى للشرح بأن ذلك لا يجدي نفعاً، لكن الفتاة لم تكن ترغب في سماعها. ولن تتأخر في أن تنقل إليها روحها القتالية، وسيعود إليها الأمل بسرعة وتصير واهنة.

تناهى إلى مسمعها انفتاح باب الفخ وخفقُ نعالٍ تقترب. دفعت بشدة الفتاة التي كانت قد أسندت رأسها إلى ركبتيها. ربما سيسعفها الحظ، ربما سيهاجم الأخرى بدلاً منها هي هذه المرة.

كان الصمت مطبقاً توقفت ثرثرة جيني التي كانت تملأ فضاء المقطورة بأكمله. كانا يجلسان إلى الطاولة الصغيرة الواحد قبالة الثاني، كلٌّ منغلق على نفسه في قوقعته. كلٌّ غارقٌ في عالم ذكرياته الخاص.

سبع عشرة سنة تمرّ أمام عيونهما أشبه بفيلم. أحسَّت كيرستين بين ذراعيها بثقل جسم جيني الصغير المولود الجديد، والذي كانت تضمّه لاشعورياً مثل مهد. كان الرضيع يكبر، ومع الوقت، مرَّ ذلك بسرعة. بسرعة مفرطة. لماذا هدروا في الآونة الأخيرة كل ذلك القدر من الوقت الثمين في المماحكة والمشاجرة؟ لو علمت ما كان سيحدث، ما كانت لتتفوه بكلمة سوء واحدة إلى جيني. جالسة هناك، والقلب مكسور، أقسمت إنْ عادت الأمور إلى مجراها، لن ترفع صوتها أبداً في وجه ابنتها.

كان بُو يُعَدُّ انعكاساً للفوضى التي تعمّها. في أيام معدودة فحسب، كبُرَ بعشر سنوات تقريباً وصار وجهه مستسلماً ومتغضّناً بالتجاعيد. كان على هذه الفترة أن تقرّب بينهما، وكان عليهما أن يؤازر الواحد منهما الآخر، لكن الرعب شلّ حركتهما.

كانت يداه تنتفضان بحركات غير إرادية وكان بو يضمّهما في

سعي منه لوقف الارتعاد، لكنه كان يفرجهما في الحال لإدراكه أنّ مَن يراه قد يعتقد بأنّه يصلي. لم يكن يرغب في اللجوء إلى القوى الخارقة. ذلك يرغمه على الاعتراف بما لم يكن قادراً على مواجهته. كان يتشبّث بالرجاء الذي لا طائل تحته من أن تكون ابنته قد ذهبت فحسب في مغامرة غير محسوبة العواقب، لكن في قرارة نفسه، يدرك أن الكثير من الوقت قد مرَّ ليكون ذلك محتمل الوقوع. جيني كانت محترسة جداً، حنونة جداً ممّا لا يجعلها تسبّب لهما عن قصد مثل هذا الهلع. لقد شهدا بالطبع أزمات، خاصة خلال السنتين الأخيرتين، لكنه برغم ذلك شعر دوماً بالاطمئنان لصلابة روابطهما. كان يعلم أنها تحبهما والردّ الوحيد الممكن على غيابها المطوَّل كان مرعباً. لقد حدث أمرٌ ما. شخصٌ ما ألحق الأذى بمحبوبتها جيني. قطع حبل الصمت. انهار صوته وكان مضطراً لأن يتنحنح قبل القدرة على الاسترسال.

- هل تريدين أن نتصل بالشرطة لمعرفة إن كان لديهم جديد؟

أومأت برأسها

- لقد سبق أن اتصلنا مرتين هذا اليوم. سوف يعملون على إخبارنا إن استجدَّ أي جديد.

- اللعنة، لا يمكننا أن نلبث على هذه الحال دون فعل أي شيء!

نهض بغتة فخبط رأسه برفٌ كان فوقه.

- يا للعهر، المكان مفرط الضيق هنا! لماذا أكرهناها على المجيء معنا إلى هذا المصطاف المهكوك، بينما لم تكن ترغب في ذلك! لو أننا تركناها فحسب مع رفاقها بدل إرغامها على المكوث محبوسة هنا معنا في هذه العلبة السخيفة!

أفرغ غيظه في الرفّ الذي خبط رأسه به. تركته كيرستين يفعل

ذلك، ولمّا تحول غضبه إلى بكاء، نهضت دون أن تنبس بكلمة وضمَّته بين ذراعيها. لبثا مُطرِقين طويلاً، طويلاً، وأخيراً جمعهما رعبهما وحِدادهما الذي استبقاه سلفاً، ولو أنهما كانا يحاولان التشبث بالأمل.

كانت كيرستين لا تزال تشعر بثقل الرضيع بين ذراعيها.

هذه المرة، كانت الشمس متوهِّجة بينما هو يصعد نورا هامنغتان. تردَّد للحظة أمام الباب، لكن الواجب غلبه وطرق بحزم مرتين. لم يفتح أحد. حاول مرة أخرى، بتصميم أكبر. دائماً لا جواب. بالطبع، كان عليه الاتصال هاتفياً قبل قدومه، لكنه تصرّف باندفاع حينما جاء مارتن يخبره بما حكاه أب تانيا. جال بنظره من حوله. كانت هناك امرأة منهمكة في الاهتمام بنباتاتها أمام البيت المجاور.

- المعذرة، ألا تعرفين أين هم آل ستروير؟ سيارتهم هناك، لذا حسِبتُ أنهم في بيتهم.

توقفت عن عملها وهزَّت رأسها.

- إنهم بالكوخ الخشبي. أشارت بمجرفة المشتل الصغيرة التي كانت تمسكها بيدها نحو أحد أكواخ الصيادين الحُمْر المطلة على البحر.

شكرها باتريك ونزل سلماً حجرياً صغيراً يؤدي إلى الكوخ الصغير. أبصر غون بلباس العوم من قطعتين ممدّدة على كرسي طويل فوق الرصيف، كانت تُشوى تحت الشمس. ولاحظ أن جسمها كان مسمرّاً شأن وجهها، ومُجعَّداً بالمثل. بعض الناس لم يكن لديهم في الظاهر أي اهتمام بخطر الإصابة بسرطان الجلد. تنحنح لجذب انتباهها.

- نهارك سعيد، أنا آسف على إزعاجك بهذا الشكل في عزّ النهار، لكني كنت أودّ التحدث إليك.

- اختار باتريك لهجته الرسمية، مثلما جرت العادة دوماً حينما يكون عليه إبلاغ أخبار غير سارة. كان عليه الاضطلاع بدوره كشرطي، نسيان الكائن الإنساني، كان ذلك هو الحلّ الوحيد حتى يستطيع بعد ذلك العودة إلى بيته والاستغراق في النوم.

- أجل، بالتأكيد. كان الجواب مثل سؤال. لحظة، سوف أذهب لأضع شيئاً من الثياب عليّ.

جلس باتريك عند طاولة منتظراً وسمح لنفسه خلال ثانية الاستمتاع بالمنظر. كان الميناء فارغاً أكثر ممّا جرت عليه العادة، لكن الضياء كان يشع والنوارس تتجول بصلف فوق الأرصفة بحثاً عن طعام. استغرق ذلك وقتاً، لكن غون خرجت أخيراً من الكوخ الصغير، لقد لبست سرولة وقميصَ بحّارة وكان لارس بمعيتها. حيَّا باتريك بسحنة حزينة وجلس عند المائدة مع زوجته.

- ما الذي حدث؟ هل أمسكتم بمن قتل سيف؟ كان صوت غون نافد الصبر.

- لا، لستُ هنا من أجل هذا. توقف باتريك ثم وزن كلماته. هذا الصباح تحدثنا إلى أب الفتاة الألمانية المقتولة.

من جديد وقفت. رفعت غون حاجبيها.

- نعم؟

نطق باتريك باسم والد تانيا ولم يخب ظنه من ردّة فعلها. لقد أجفلت وشقَّ عليها التنفس. نظر إليها لارس متحيراً، لأنه لم يكن على علم بما يكفي لفهم الصلة بين هذه الشخصيات.

- لكن، ذاك، إنه والد ماتيلدا. ماذا تقولان؟ ماتيلدا ماتت، أليس كذلك؟

كان من الصعب الكلام بكياسة، لكن إن أردنا النظر إلى الأمور ببرودة، فإنّ مهمته لا تتطلب أن يكون دبلوماسياً. وقرَّر باتريك أن يقول ببساطة دفعة واحدة كلّ ما يرتبط بذلك.

- لم تمُت. لقد كذب عليكما. حسب ما يقول، لقد وجد على ما يظهر أن طلبكم بالتعويض أصبح، كيف أقول ذلك، متعباً. لهذا السبب اختلق قصة مفادُها أنّ حفيدتكما ماتت في حادثة سير.

- لكن الفتاة التي ماتت هنا اسمها تانيا، وليس ماتيلدا؟ سأل لارس.

- الظاهر أنه انتهزها فرصة كي يغير اسمها أيضاً، لكن ليس هناك أدنى شك، تانيا هي حفيدتكما

هذه المرة، ظلت غون ستروير معقودة اللسان. ثم رأى باتريك أنّ الغليان آخذ في اجتياحها. حاول لارس أن يضع يده على كتفها لتهدئتها، لكنها تخلّصت من ذلك منتفضة.

- لكن مَن يظن نفسه، ذاك الصعلوك! لقد سمعت يا لارس، إنه مزهوّ بنفسه مهما كان! لقد كذب عليَّ، وقال إن حفيدتي ماتت، لحمي ودمي، بأنها ماتت! طول كلّ هذه الأعوام، كانت في كل عافيتها، بينما أنا كنت أظنّ أن عزيزتي المسكينة ماتت، ميتة فظيعة. وله الجرأة بادّعاء أنه فعل ذلك لكونه يعتبرني صعبة، سمعتَ يا لارس! فحسب لأنني كنتُ أطالب بحقي، وها أنا أصير صعبة!

مرة أخرى، حاول لارس تسكينها، لكنها انتفضت من جديد للتخلص من ذراعه. استشاطت غيظاً بحيث اجتمع الريق على جانبي شفتيها.

- سوف أُسمِعُه رأيي فيه، أنا! لديك رقم هاتفه، سيكون لطفاً أن تمدّني به، شكراً، وسوف يرى أيّ طينة من النساء أنا، هذا الجرماني اللقيط، وسيعرف رأيي في هذه القصة برمتها

في قرارة نفسه، تنفس باتريك بعمق. إنه يستطيع تفهّم أن تثور ثائرتها، لكنها كانت في نظره، لا تصيب تماماً الأمر الرئيس. تركها تنتفض بعض الوقت، ثم قال بهدوء:

- إني أتفهم صعوبة سماع ذلك، لكنها بحق حفيدتكما التي عثرنا عليها مقتولة منذ أسبوع. في الوقت نفسه مع سيف ومونا. وعليه أنا مضطرّ لسؤالكما: ألم يكن لكم أيّ اتصال بفتاة قالت إن اسمها تانيا شميدت؟ ألم تحاول الاتصال بكما بهذه الطريقة أو تلك؟

هززت غون رأسها بعنف، لكن لارس بدا مستغرقاً في التفكير. قال بتؤدة:

- لقد توصّلنا بعدة مكالمات هاتفية، شخصٌ ما كان يظلّ ساكتاً في الطرف الآخر من الخط. تذكرين ذلك، أليس كذلك، غون؟ حدث ذلك منذ أسبوعين، أو ثلاثة أسابيع، واعتقدنا أنّ شخصاً ما يعاكسنا. هل تظنُّ أنها كانت ربما. . ؟

- ذلك ممكن جداً. هزز باتريك رأسه. لقد باح لها والدها بكل شيء منذ سنتين، ولا شك أنها اعتبرت بأن بعد كل ذلك كان من الصعب الاتصال بكما. لقد ذهبت أيضاً إلى المكتبة بغية نسخ مقالات عن اختفاء والدتها، ونستطيع تخيّل أنها جاءت إلى هنا سعياً لمعرفة ما حلّ بها على التدقيق.

- يا لمهجة قلبي، المسكينة الصغيرة. أدركَت غون للتو المتوَقَّع منها والآن بدأت دموع التماسيح تنهمر أنهاراً. مَن كان يظنّ بأن عزيزتي الصغيرة كانت على قيد الحياة، بأنها كانت هنا، على مقربة منا! لو أننا استطعنا فحسب أن نلتقيها قبل. . لكن مَن الذي فعل هذا بي؟ في البدء سيف، ثم ماتيلدتي الصغيرة. بغتة هجمت عليها خاطرة. هل تعتقد أني معرضة للخطر؟ أنّ شخصاً ما يريد الوصول

إليّ؟ هل أنا بحاجة إلى حماية من الشرطة؟ كانت عينا غون تائهتان بين باتريك ولارس، حائرتان.

- لا أظن أن ذلك ضرورياً. لا نعتقد أن الجرائم تمتُّ إليك بأية صلة كانت، ولن أقلق إن كنتُ مكانك. لم يستطع باتريك مقاومة الفكرة المغرية: علاوة على ذلك، يبدو أنّ القاتل يركز اهتمامه على النسوة الشابات.

تحسّر في الحال ونهض للدلالة على أنّ الحوار انتهى.

- أنا متأسف جداً لأني نقلت لكما مثل هذه الأخبار، لكني سأكون ممتناً جداً لكما للاتصال بي إن تذكّرتما شيئاً. في البدء، سوف نتحقق من أمر المكالمات الهاتفية.

قبل الانصراف، ألقى بنظرة لهفى أخيرة نحو البحر. كانت غون ستروير تمثل الدليل الصارخ على أن الأشياء الجميلة لا تحدث فقط للذين يستحقونها.

- ماذا قالت؟

كان مارتن يرتشف قهوة برفقة باتريك في مطبخ المركز. وعلى جاري العادة، ظلت آلة صنع القهوة موصولة بالكهرباء لوقت طويل، لكنهم تعودوا على مذاق المُسَخَّن ثم ابتلعاها دون عناء.

- ليس من اللائق قول ذلك، لكن، تباً لها، يا لها من مغفلة. إن ما جعلها تثور أكثر، ليس هدر كل تلك السنوات من حياة حفيدتها، أو علمها بأنها قتلت. لا، إنها مغتاظة لأن والد الفتاة وجد طريقة ناجعة ليظفر بالتعويض بدلاً منها.

- هذا لا يصدق بحق.

وتأملا خسّة الكائن البشري في جوٍّ من الوهن. كان الصمت يعمّ المفوضية على نحوٍ ظاهر. لم يظهر ميلبرغ بعد، ويبدو أنه

يستمتع بصبيحة مغرقة في النوم، أما غوسطا وإرنست فقد ذهبا لمطاردة قراصنة الطريق. أو لقول ذلك بكلّ وضوح، فإنهما يستمتعان باستراحة قصيرة في مكانٍ ما بباحة للتوقف يحدوهما الأمل أن يتقدم القراصنة نحوهما ويلتمسان منهما أخذهم إلى حفرة السجن. «عمل وقائي» مثلما يقولان. كما أنهما ليسا على خطأ تماماً. على الأقل، موقف السيارات حيث يوجدان كان مُؤَمَّناً ما لبثا مقيمَيْن هناك.

– ما الذي تظنّ أنها جاءت تبحث عنه هنا؟ هل يمكن أنها لم ترد لعب دور المحققين والسعي لمعرفة ما حلَّ بوالدتها؟

هزز باتريك رأسه.

– لا ، لا أعتقد ذلك، لكن أستطيع تصوُّر أن تكون قد راودتها فكرة معرفة ما حدث. ربما أرادت أن تشهد بأم عينها آجلاً أو عاجلاً، كانت ستتصل على الأرجح بالجدّة، لكني أرى أن الوصف الذي قدمه عنها أبوها لم يكن مغرياً على نحوٍ خاص، وأتفهّم كونها كانت متردِّدة. حينما سنتوصل بكشوف المكالمات الهاتفية لآل ستروير، لن أكون مندهشاً عند الاكتشاف بأنّ المكالمات المذكورة قد تمّت من كشك تلفون بفيالباكا، ولم لا من كُشك المصطاف؟

– لكن كيف وقع أن عثر عليها بفرجة الملك في الوقت معاً صحبة رفات والدتها ومونا ثيرنبلاد؟

– جميع الاحتمالات واردة دون شك، لكن الشيء الوحيد الذي أستطيع تصوّره، هو أنها وجدت شيئاً ما، أو للدقة أكثر شخصاً ما كانت له صلة بطريقة أو بأخرى باختفاء والدتها ومونا.

– إذا كان الأمر كذلك، فهذا يقصي جوهانس بصفة أوتوماتيكية، قال مارتن. إنه في مأمن داخل قبر بمقبرة فيالباكا.

رفع باتريك ناظريه.

- ما أدرانا عن ذلك؟ هل نستطيع أن نكون متأكدين، بصفة مطلقة، أنه مات في الحقيقة؟

- هل تمزح؟ ضحك مارتن. لقد شنق نفسه سنة 1979 من الصعب أن يكون المرء ميتاً أكثر من ذلك.

دبَّ شيء من الإثارة في صوت باتريك.

- أعرف أنّ ذلك قد يبدو غير قابل للتصديق، لكن أنصت لهذا: تخيّل أن الشرطة قد أخذت تقترب بشدة من الوصول للحقيقة، وأن النار قد اقترب منه. إنه من آل هولت، وفي استطاعته تعبئة مبالغ مالية كبيرة، ولو من طريق والده. رشوة هنا، ورشوة هنا، بهذه الطريقة نكون أمام شهادة وفاة مزورة ونعش فارغ.

وأخذ مارتن يضحك مقهقهاً بصوت عالٍ.

- لعمري، إنك مخبول تماماً! إننا في فيالباكا ولسنا في شيكاغو العشرينيات! هل أنت متأكد بأنك لم تلبث طويلاً على رصيفهم، وأنك أصِبت بضربة شمس؟ إن ابنه هو مَن عثر عليه! كيف يعقل دفع طفل يبلغ ستة أعوام إلى قول مثل هذه الأكاذيب؟

- لا أدري، لكن في نيتي العثور عليه. هل تصطحبني؟

- إلى أين أنت ذاهب؟

رفع باتريك عينيه نحو السماء وقال بعناية مبالغ فيها

- التحدث قليلاً مع روبير.

- وكأننا لا ينقصنا الوقت بما فيه الكفاية، زفر مارتن وهو ينهض. عند الباب، تذكر شيئاً ما. والسّماد؟ كان في نيتي الاهتمام بذلك الآن قبل الغذاء.

- اطلب من أنيكا القيام بذلك، صاح باتريك من خلف كتفه.

توقف مارتن عند مكتب الاستقبال وترك كل المعلومات

الضرورية لدى أنيكا. كان الهدوء يعمّ مكتبها وقد ابتهجت لأنها ستقوم بشيء ملموس.

تساءل مارتن إنْ هما لا يهدران وقتاً ثميناً. بدت له فرضية باتريك مبالغٌ فيها بعض الشيء، مفرطة الغرابة لتستقيم على أرض الواقع، لكن هو الرئيس في هذه القضية.

اندفعت أنيكا نحو مهمتها. لقد شهدت بعض الأيام المحمومة، بما أنها هي التي قامت بتنسيق وتنظيم الحملات للعثور على جيني، لكن الهدوء عاد الآن، بعد ثلاثة أيام من الأبحاث غير المثمرة، وبما أن أغلب السياح قد غادروا المنطقة جراء أحداث الأسبوع الأخير، فإن غرفة تلقي المكالمات بالمفوضية كانت تسبح في صمت كئيب. حتى الصحافيين باتوا غير مبالين بالقضية وانصرفوا إلى حوادث متفرقة أخرى تشدّ الانتباه.

نظرت إلى قطعة الورقة التي دوَّنت عليها معلومات مارتن، ثم بحثت في دليل الهاتف. بعد أن تمّ التجول بها بين مختلف أقسام المقاولة، اهتدت أخيراً إلى اسم مدير المبيعات. طلب منها الانتظار، وبينما كانت الموسيقى الخلفية تتسرب إلى أذنها، شرعت تحلم بالأسبوع الذي قضته في اليونان، الذي يبدو الآن بعيداً إلى أبعد حدّ. عند عودتها، شعرت بالارتياح، وبأنها قوية وجميلة، لكن أخذتها بسرعة حمى المفوضية وانمحت آثار العطلة مسبقاً بحنين، كانت تستحضر شواطئ الرمال البيضاء، والماء الفيروزي وأطباق خلطة رائب الدزادزاكي الكبيرة. إن الأطعمة المتوسطية الخارقة جعلت وزنهما يزداد بكيلوغرامين، هي وزوجها، لكن لا بأس في ذلك. فهما يقبّلان استداراتهما بصفتها واقعاً تفرضه الحياة وهما يعيشان وسط لا مبالاة سعيدة بنصائح الحميات المبثوثة في

المجلات. حينما كان يضمّ الواحد منهما الآخر، فإن جسميهما يتناسبان تماماً ويصيران موجة كبيرة وحارّة من اللحم المتراقص. ولم يحرما نفسيهما من ذلك خلال أسبوع عطلتهما.

بغتة انقطعت ذكريات أنيكا بصوت ذكوري رخيم، ذو نبرة خاصة بمنطقة ليشكيل، في الجنوب الساحلي. يُحكى أن بعض متحذلقي ستوكهولم كانوا يقلّدون هذا النطق الخاص جداً بلفظ حرف الـ i، حيث يريدون التظاهر بأنهم أغنياء بما يكفي لامتلاك بيت ريفي على الساحل الغربي. لم تكن تعرف إلى أي حدٍّ يعتبر هذا القول صادقاً، لكن الحكاية كانت لذيذة.

قالت أنيكا ما كان يضيق به صدرها.

- أوه، هذا مثير، قال الرجل، تحقيق في جريمة قتل. طول ثلاثين سنة من العمل، إنها المرة الأولى التي أجدني فيها مفيداً لأمرٍ مثل هذا.

أنا سعيدة لإدخال البهجة على يومك، خمّنت أنيكا بحدّة، لكنها احتفظت بالتعليق لنفسها، ليست تلك اللحظة مواتية لكبح حماسه لمدِّها بالمعلومات. أحياناً، يكاد تعطّش رجل الشارع للإثارة يقارب الحالة المرضية المستفحلة.

- نحن بحاجة إلى أن تستخرج لنا لائحة بأسماء الزبائن الذين اشتروا سمادكم، الـ FZ-302.

- آخ، لن يكون ذلك بالأمر اليسير. لقد توقفنا عن ترويجه منذ العام 1985. كان منتَجاً ممتازاً، لكن التّقْنين الجديد الخاص بالبيئة جعلنا نوقف إنتاجه للأسف. زفر مدير المبيعات بشدّة كما لو كان يتحسر على كون هاجس الحفاظ على البيئة جاء ليضع نهاية لبيع نتاج كان رائجاً بقوة.

- لكن، أظن أنه لا يزال في حوزتكم وثيقة معينة، حاولت أنيكا.

- أجل، يجب أن أتحقَّق من ذلك لدى الإدارة. من المرجّح جداً أن يظل هناك شيء ما في الأرشيف القديم. إلى غاية عام 1987 كنا نعمل على أرشفة كل شيء يدوياً، لكن فيما بعد، تمت معالجة المعطيات معلوماتياً. ولا أعتقد أننا أتلفنا أي شيء.

- ألا تذكر، من باب الصدفة، من اشترى - تحققت من ورقتها - منتجكم الـ FZ-302 هنا في المنطقة؟

- أوه، لا، لقد مضى على ذلك وقت طويل، يصعب عليَّ تذكره هكذا من الوهلة الأولى، لقد جرت مياه كثيرة تحت الجسر منذ ذلك العهد.

- طيب، لم أكن أتصور بدوري أن الأمر سيكون بتلك السهولة. كم من الوقت يتطلب ذلك للعثور على تلك اللائحة؟

فكر لحظة.

- حسناً، إن مررتُ ناحية العاملات بالإدارة بطبقٍ من الحلوى وشيء من الإطراء، أظنّ أنكم ستتوصلون بذلك مع نهاية النهار أو على أقصى تقدير غداً في الصباح الباكر. هل هذا يناسبكم؟

كان ذلك أسرع ممّا كانت تتوقعه حينما ذكر الأرشيف القديم. شكرته. قدمت لمارتن ملخَّصاً للمكالمة وتركت المذكرة فوق المكتب.

- هيه، غوسطا؟

- نعم، إرنست.

- الحياة جميلة، بعد كلّ تقدير، أليس كذلك؟

كانا يجلسان إلى إحدى طاولات النزهة البرية في باحة

للاستراحة قرب تانمشيد. هما ليسا من الهواة في هذا المجال، بل كان لديهما بُعدُ نظر إذ مرَّا لأخذ ترموس القهوة من بيت إرنست وشراء كيس كبير من فطائر الحلوى بمخبزة تانمشيد. كان إرنست قد فتح أزرار قميص زيّه النظامي وعرَّض للشمس صدره الأبيض والناتئ العظام. بمؤخر عينه كان يرمق مجموعة من الفتيات في العشرينيات من العمر كنّ يمرحن بأصواتٍ صاخبة وضحكات عالية.

- هيا، اصمت، وزَرِّر قميصك. هل تدري ما سيقع إنْ مرَّ زميل من هنا؟ المفروض أن يبدو علينا أننا منهمكون في العمل.

كان العرق يرشح من غوسطا بزيّه النظامي الموحد. لم تكن لديه جرأة إرنست حتى يتجاهل مثله القواعد، ولم يكن يقوى على فتح قميصه.

- هيه، اتركني وشأني قليلاً إنهم منهمكون جميعاً في البحث عن «الفتاة» المختفية. الجميع لا يكترث بما نصنع.

اكفهرَّ وجه غوسطا

- اسمها جيني مولر وليس «الفتاة»، وكان من المفروض أن نكون معهم بدل التحديق في الفتيات مثل مغتصبي أطفال قدامى دُعَّار.

هزز رأسه في اتجاه الفتيات الكاسيات العاريات اللائي كنّ على بُعد طاولات معدودات منهما، وقد بدا من الصعب على إرنست أن يشيح عنهما بنظره.

- يا للعهر، كم أصبحت ورعاً. عادة لم تكن تتذمر حينما أنتشلك من العمل الوسخ. لا تقُل إنك أصبحت مؤمناً في آخر أيامك؟

التفت إرنست نحوه، وضُيِّقت عيناه وصارتا فتحتان مخيفتان. انكمش غوسطا على نفسه. ربما كان هذا النوع من التعليقات حماقة

منه. لقد شعر دائماً بشيء من الخوف من إرنست. إنه يذكره كثيراً بتلاميذ المدرسة الذين كانوا يترصّدون بعد نهاية الدروس. كانوا يستشعرون نقط ضعفه ويستغلون تفوقهم بوقاحة. لقد سبق لغوسطا أن شهد ما يحدث لأولئك الذين يعترضون على إرنست. تحسَّر على كلامه وغمغم فيما يشبه الردّ:

- واه، لقد تحاملتُ عليك، ذلك أني ببساطة أشفق على والديها، إنّ الصغيرة لا تبلغ سوى سبع عشرة سنة.

- على كل حال، في المفوضية لا يهتمون بمساعدتنا لهم. وميلبرغ لا يقوم بشيء سوى بالإطراء المغرِض على ذاك المغفل هيدشتروم، ولا يعرف السبب في ذلك، لهذا ليس في نيتي القيام بمجهود دون جدوى.

كان يتحدّث بنبرة قوية وحاقدة إلى حدّ أنه لفت أنظار الفتيات نحوهما. لم يجرؤ غوسطا على إسكاته، لكنه خفض صوته علَّ إرنست يحدو حدوه. لم يغامر بالإفصاح عن المقصِّر في عدم المشاركة في التحقيق. لقد سكت إرنست عمداً عن التقصير في الإخبار باختفاء تانيا.

- أنا أرى أنّ هيدشتروم يقوم بعملٍ جيد. مولان يعمل كذلك بجهد. يجب قول ذلك بكلّ صدق، أنا لم أساهم بالقدر الواجب عليَّ فعله.

- بدا أنّ إرنست لم يصدِّق ما تناهى إلى مسمعه.

- ما هذه الحماقات يا فليغار! هل تدَّعي أن هذين الغلامين اللذين لا يمتلكان ذرّة من تجربتنا قادران على إنجاز عملٍ أحسن من ذلك الذي نقوم به نحن؟ ماذا؟ هذا ما أنت تقصد قوله، يا لك من مغفل!

لو أن غوسطا تريث قليلاً قبل أن يتكلم، لتنبأ بوقع تعليقه على أنانية إرنست الجريحة. الآن عليه التراجع فوراً.

- طيب، ليس هذا ما قصدتُ إليه بالتدقيق، لقد قلتُ فحسب. لا، بالطبع هما لا يمتلكان تجربتنا، لم يتوصلا بعدُ إلى نتائج، إذن.

- بالضبط، أضاف إرنست، وهو راضٍ تماماً. لم يستطيعا البرهنة عن أي شيء بعد، إذن.

بعد أن ارتاح باله، استطاع غوسطا أن يتنفس الصعداء. وانمحت بسرعة رغبته في إظهار القليل من قوة الشخصية.

- طيب يا فليغار، ما رأيك في أن نشرب فنجان قهوة آخر؟

هزز غوسطا رأسه فحسب، لقد مرَّ أمدٌ طويل وهو يعيش وفق قانون المقاومة في حدها الأدنى بحيث صار ذلك جزءاً من طبعه.

نظر مارتن باستغراب إلى ما حوله حينما توقفا أمام المنزل الصغير. لم يسبق له أن ذهب عند سولفيغ وابنيها من قبل. وتأمل الفوضى العارمة بافتتان.

- كيف يستطيع المرء العيش على هذا النحو؟

تركا السيارة وباتريك مندهش:

- أجل، إن هذا يحيِّر عقلي. كم تتوق أصابعي لجعل شيء من النظام هنا.

طرقا الباب وسمع خفق نعالٍ زاحفة. كانت سولفيغ على الأرجح في مكانها المعتاد عند طاولة المطبخ، ولم تسرع إطلاقاً كي تفتح الباب.

- ماذا هناك أيضاً؟ ألا تستطيعون ترك الناس الشرفاء بسلام؟

تبادل مارتن وباتريك النظرات. كان كلام سولفيغ يتناقض وسجلّ السوابق الجنائية الطويل لكل واحد من أبنائها

- نودّ أن نتحدث إليك قليلاً، وإلى جوهان وروبير كذلك، إنْ كانا هنا.

- إنهما نائمان.

على مضض، أفسحت المجال ليدخلا لم يستطع مارتن إخفاء تكشيرة تنمّ عن امتعاض، زجره باتريك بمرفقه. أظهر الوقار على محيَّاه بسرعة ثم تبع باتريك وسولفيغ إلى المطبخ. تركَتْهما هناك وانصرفت لإيقاظ ابنيها، اللذان كانا ينامان، مثلما قالت بالضبط، في حجرتهما المشتركة.

- استيقِظا أيها الولدان، جاء رجلا شرطة مرة أخرى للتلصُّص على شيء ما لديهما بعض الأسئلة بحسب قولهما. هلُمَّا، هكذا نستطيع طردهما بأسرع ما يكون الطرد.

لم تبالِ البتة لمعرفة إن كان باتريك ومارتن يسمعان ما تقوله. رجعت بهدوء إلى المطبخ للجلوس بمكانها. والنوم لم يفارق جفونهما تماماً، قدم جوهان وروبير بلباسهما الداخلي.

- ما هذا الإلحاح؟ هل سوف يستمر إزعاجنا هكذا لمدة أطول؟

كان روبير هادئاً جداً على جري العادة. نظر إليهما جوهان بازدراء ومدَّ يده لتناول علبة السجائر من على الطاولة. أشعل واحدة وأخذ يرمي العلبة في الهواء بتوتر إلى أنْ صاح روبير في وجهه بالكف عن ذلك.

تساءل مارتن كيف سيتصدى باتريك لهذه المسألة الحسَّاسة. كان لديه اقتناع دائم بأنه منخرط في صراع ضدّ طواحين هواء.

- لدينا بعض الأسئلة حول موت زوجك.

نظرت سولفيغ وابنيها إلى باتريك باندهاش شديد.

- موت جوهانس؟ لماذا؟ لقد شنق نفسه وليس هناك شيء إضافي يُذكر، ما خلا أنّ أشخاصاً مثلكما هُم ما دفعه إلى ذلك.

متوتر، سعى روبير لإيقاف أمه، نظر إلى باتريك بعين غاضبة.

- عمَّ تبحث هنا؟ إنها محقة، أمي. لقد شنق نفسه، وهذا كلّ ما يجب قوله.

- نريد فقط أن يكون كل شيء واضحاً تمام الوضوح. هل أنت من وجده؟

حرَّك روبير رأسه بالإيجاب.

- أجل، هذا منظر سوف أحمله معي طول حياتي.

- هل تستطيع أن تقصّ علينا بالضبط ما حدث ذلك اليوم؟

- لا أفهم بصدقٍ لماذا، قال روبير، والوجوم بادٍ عليه.

- سوف أقدِّر لك ذلك إن فعلت، قال باتريك محاولاً استمالة لطفه. بعد لحظات من الانتظار هزز كتفيه لا مبالياً.

- طيب، إنْ كان من شأن هذا أن يثير شهوتك.

ومثله مثل أخيه، أشعل سيجارة وأخذ الدخان يجتاح المطبخ.

كنتُ قد عدتُ من المدرسة وخرجت إلى الساحة بغية اللعب. لاحظتُ أنّ باب الحظيرة كان مفتوحاً، حيَّرني ذلك وذهبتُ للتحقُّق. ومثلما هي الحال دوماً، كان المكان مظلماً بالداخل بما يكفي، وكان الضوء الوحيد هو ذاك الذي يخترق ألواح الجدران. كانت رائحة القش تنبعث من المكان.

بدا وكأن روبير اختفى في عالمه. ثم واصل، وهو حيران:

- كان هناك أمرٌ مريب. لا أستطيع وصف ذلك بحق، لكني شعرتُ بأن هناك شيئاً مختلفاً.

تأمل جوهان أخاه، ذاهب العقل. وخيِّل إلى مارتن وكأنها

المرة الأولى التي يسمع فيها الحكاية المفصَّلة لليوم الذي شنق فيه أباه نفسه.

- تقدَّمت أبعد من ذلك قليلاً، واصل روبير. كنتُ أتظاهر بأني أقتفي أثر الهنود الحُمْر. بهدوء توجهتُ صوب علية القش. هناك لاحظت وجود شيء ما على الأرض. دنوتُ. كان ذاك بابا، وفرحتُ كثيراً. خلتُ الأمر لهو وبأن عليَّ الاقتراب منه، وبأنه كان سينتصب واقفاً على رجليه ويشرع في دغدغتي أو أي شيء من هذا القبيل. ابتلع روبير ريقه، لكنه لم يكن يتحرك، لمسته قليلاً بقدمي، لكنه كان جامداً تماماً. ثم رأيتُ حبلاً حول عنقه، رفعتُ ناظري ولاحظتُ أن هناك طرف من الحبل حول العارضة.

كانت اليد الممسكة بالسيجارة ترتعش. ألقى مارتن بنظرة حذرة نحو باتريك لمعرفة كيف كان يتفاعل مع هذه الحكاية. بالنسبة له، لم يكن روبير يختلق شيئاً كان ألمه محسوساً بقوة حيث خيِّل لمارتن أنه يستطيع لمسه. لحظَ أنّ زميله يفكر في الشيء نفسه. سأله باتريك وقد تَثبَّط عزمه:

- ما صنعتَ بعد ذلك؟

نفخ روبير حلقة من دخان في الهواء ثم تابعها وهي تنمحي وتختفي.

- ذهبت لإخبار ماما، بالطبع، حضرت ورأت بأمّ عينها، صرخت إلى حدّ كادت معه تثقب طبلة أذني ثم نادت جدِّي.

أومأ باتريك مستغرباً:

- وليس الشرطة؟

- لا، اتصلت بإفراييم، قالت سولفيغ وهي تخدش مفرش الطاولة بتوتر. كان ذلك أول شيء تبادر إلى ذهني.

- لم تحضر الشرطة إلى هنا أبداً؟

- لا لقد اهتم إفراييم بكلّ شيء. اتصلَ بالدكتور هَمارستروم الذي كان يعمل طبيباً بالمنطقة في تلك الحقبة. جاء لفحص جوهانس ثم حرَّر شهادة حول سبب الوفاة، لا أعرف كيف يُسمى ذلك، ثم تكفَّل بحضور سيارة نقل الموتى.

- لكن، لم يحضر شرطي واحد؟ ألحَّ باتريك.

- لا، لقد قلت ذلك للتو. تكفَّل إفراييم بكلّ ذلك. من المؤكد أن الدكتور همارستروم أخبر الشرطة، لكن لم يحضر أحد إلى هنا على كل حال. ولماذا يفعلون ذلك؟ لقد كانت تلك حادثة انتحار.

لم يتكبَّد باتريك أدنى عناء ليشرح بأنه ينبغي استدعاء الشرطة إلى موقع الانتحار. الظاهر أن إفراييم والدكتور همارستروم قررا من تلقاء نفسهما عدم إخبار الشرطة قبل نقل الجثة. يبقى السؤال هو معرفة السبب. على أية حال، شعرا بأنهما لن يستطيعا التقصّي أبعد من ذلك، لكن خطرت فكرة لمارتن:

- ألم تشاهدا امرأة في هذه الناحية؟ عمرها خمس وعشرون سنة، سمراء، متوسطة الطول.

ضحك روبير. لم يعد هناك أثر البتة لنبرة الجِدّ التي كانت تطبع صوته من قبل.

بالنظر إلى عدد النساء اللواتي يعبرن هذا المكان، يجب أن تكون دقيقاً أكثر.

نظر إليهما جوهان بإمعان ثم قال لروبير:

- لقد شاهدتَ صورها. إنه يقصد بكلامه الفتاة في الجريدة. إنها الألمانية التي عثروا عليها رفقة الأخريين.

جاء ردّ فعل سولفيغ مدوّياً.

- ما هذه التلميحات السخيفة؟ لماذا تتصورون أنها جاءت إلى هنا؟ هل لديكم النية لتمريغ سمعتنا في الوحل مرة أخرى؟ في البدء

اتّهمتم جوهانس، والآن جئتم تضعون أسئلة تتهم ولداي. أخرجا من هنا! لا أريد أن أراكما أبداً! اغرُبا عن وجهي أيها السافلين!

نهضت ودحرتهما إلى الباب تماماً بجسمها المكتنز. ضحك روبير، لكن جوهان بدا مستغرقاً في خواطره.

لمّا عادت سولفيغ، منقطعة الأنفاس، بعد أن صفقت الباب خلفهما، رجع جوهان إلى الغرفة دون أن ينبس بكلمة. غطى رأسه بالملاءة متظاهراً بالنوم. كان في حاجة للتفكير.

دون إبداء أي سؤال، كان غوستاف موافقاً للإبحار بسرعة وتركها بسلام في المقدمة، وذراعاها ملتفّتان حول ركبتيها. لقد قبل اعتذارها بشهامة ووعد بأن يأخذهم، هي والطفلين، على متن المركب الشراعي الفخم إلى غاية سترومستاد، ومن هناك يستطيعون ركوب القطار للعودة إلى ستوكهولم. كانت آنا تشعر بأنها بائسة.

حياتها برمتها كانت عبارة عن فوضى عارمة. كلام إريكا الجارح جعل دموع الغضب تغمر عينيها، الغضب المشوب بالحزن المترتب عن صراعاتهما الأبدية. كان كل شيء معقداً مع إريكا. لم تستطع أبداً أن تكون أختها الكبرى فحسب، أن تدعمها وتشجّعها فقط. لا، من تلقاء نفسها تقمّصت دور الأم دون إدراك منها أنّ ذلك يعمّق حسرتها على أمٍّ كانت بذلك القدر من الجفاء.

وعلى الضدّ من إريكا، لم تعمد أبداً إلى لوم إلزي عن لامبالاتها إزاء ابنتيها على كلّ حال، ظنَّت دوماً أنها تعاملت مع هذا الأمر بحكمة، لكن بعد وفاة والديها اللذان لقيا حتفهما في حادثة سير، أدركت أنها كانت تأمل دائماً أن ترى إلزي وقد أصبحت لطيفة وعادت إلى رشدها بأن قبلت بدورها كأم. كان من شأن ذلك أن يسمح لإريكا بأن تكون أختاً فحسب، لكن موت أمهما جعلهما

تقعان في شرك شخصيتهما، ولم تعرف أيّ منهما التخلص منها. فترات من السّلم المضمر كانت تعقبها حروب مواقع، وفي كل مرة، كان جزء من نفسها يتمزَّق.

في الآن نفسه، كانت إريكا والطفلين هم كلّ ما تبقى لها الآن. حتى لو أنها لم ترد الإقرار بذلك أمام إريكا، وكانت ترى غوستاف مثلما هو، سطحي ومدلَّل. ورغم ذلك، لم تستطع مقاومة الإغراء، كان بلسماً للثقة في الذات أن تظهر رفقة رجل مثله. وهي ممسكة بذراعه، كانت تصير مرئية. كان الناس يتهامسون ويتساءلون مَن تكون، وكانت النسوة تنظر بعين الغبطة إلى ملابس الماركات الجميلة التي كان يغمرها غوستاف بها، بل حتى على الماء، كان أصحاب المراكب الترفيهية يلتفتون إعجاباً بالشراعي العجيب، وقد شعرت بفخرٍ سخيف جراء الاستلقاء على الجسر في وضعية استعراضية.

ومع ذلك، في لحظات الصفاء، كانت تشعر بالخزي لمَّا تدرك بأن الطفلين هما اللذان يؤديان ثمن حاجتها لتأكيد الذات. لقد تعرضا للقسوة بما يكفي طول سنوات مع والدهما، وحتى لو تسلحت بأكبر قدر من الإرادة، فإن آنا لا تستطيع التأكيد بأنّ غوستاف كان البديل الحسن. كان بارد المشاعر، تعوزه البراعة، ونافد الصبر مع الطفلين، وكانت تتردّد في تركه لوحده معهما.

أحياناً، كانت تأخذها الغيرة من إريكا بشدة حدَّ الشعور بالغثيان. بينما كانت هي في غمرة الصراع مع لوكا لأجل حضانة الطفلين، وكانت تجد صعوبة في تغطية نفقاتها، وتنسج علاقة غرامية جوفاء، كان يجب عليها التحلي بالصدق للإقرار بأن إريكا كانت تمتلك كل ما يجعل منها سيدة الحوامل. الرجل الذي اصطفته إريكا أباً لطفلها كان بالضبط هو النوع المناسب لآنا حتى تكون سعيدة، إلا أنها كانت ترفضه كل مرة نتيجة نزوع فطري إلى تدمير الذات. ثم

لأن إريكا لم تكن تعاني من أي ضائقة مالية ولكونها تتمتع بنوع من الشهرة، فذلك كان يؤجج العداوة بينهما ويُخرج عفاريت الغيرة من قمقمها. لم ترغب آنا في أن تكون بذلك القدر من الذِّلة، لكن كان يشقّ عليها مقاومة الإحساس بالمرارة حينما كانت ترى حياتها الشخصية مصطبغة باللون الرمادي حصرياً.

صيحات الطفلين المتوترة المتبوعة بصراخ غوستاف انتشلتها من إشفاقها على نفسها وعادت إلى الواقع. شدّت معطفها البحري على مقربة من جسمها وعادت إلى مؤخر المركب ممسكة على طوله بحبل الأمان. بعد أن هدّأت من روع الطفلين، تحاملت على نفسها وابتسمت في وجه غوستاف. ولو أنّ اللعبة كانت دنيئة، كان يجب اللعب بالأوراق المتوفرة.

مثل العديد من المرات السابقة في الآونة الأخيرة، كانت تتجول بغير هدى في البيت الكبير. كان غابرييل قد ذهب ثانية في رحلة أخرى من رحلات الأعمال الخاصة به وظلت لوحدها. ترك لقاؤها مع سولفيغ طعماً خبيثاً في الفم، وهجم عليها مرة أخرى حالة الظرف الميئوس منها. لن تكون حرة أبداً. لازمها عالم سولفيغ القذر والغريب مثل رائحة كريهة.

توقفت عند السلم المؤدي إلى طابق الجناح الأيسر. طابق إفراييم. لم تصعد إليه ليني منذ أن مات إفراييم. ولمّا كان على قيد الحياة، لم تكن تتردّد عليه كذلك. كان هذا دائماً مجال جاكوب، واستثناء، غابرييل. هناك، كان إفراييم يستقبل الرجال للاستماع إليهم، مثل سيد إقطاعي. في عالمه، لم تكن النساء غير ظلال، تتمثل وظيفتهن في إرضاء الرجال والسهر على خدمتهم.

بخطى مترددة، صعدت السّلم. توقفت أمام الباب، ثم فتحته

بحزم. كان كل شيء كما لو أنه مثبت في ذكريات. رائحة رجالية لا تزال تطفو في الحجرات الصامتة. هنا أمضى ابنها ساعات كثيرة من طفولته. لقد تحركت غيرتها بشدة. لا هي ولا غابرييل استطاعا مضاهاة المقارنة مع الجدّ إفراييم. بالنسبة إلى جاكوب، كانا من بني البشر، عاديين ومملين، بينما كان إفراييم يتمتع بمقام الآلهة. عندما توفي بغتة، كان أوّل رد فعل بدر من جاكوب هو الذهول. لم يكن من الممكن لإفراييم أن يغيب هكذا مهما كان، بين عشية وضحاها. كان قلعة محصنة، حقيقة دامغة راسخة.

كانت تشعر بالخزي من ذلك، لكن عند موته، كان الارتياح هو أول شعور انتابها. ما يشبه فرحة الانتصار من ملاحظة أن حموها لم يستطع قهر قوانين الطبيعة. لقد حدث أن ارتابت لبيني في ذلك أحياناً. حيث بدا أن الرجل موفق جداً في قدرته على التلاعب والتأثير في الرب نفسه.

كانت أريكته لا تزال بعد قبالة النافذة، تطلّ على الغابة. مثلها مثل جاكوب، لم تقدر على مقاومة إغراء الجلوس عليها، وخلال لحظة وجيزة، خُيِّل إليها أنها تشعر بروح إفراييم في الغرفة. وهي مستغرقة في التفكير، تركت أصابعها تذرع الرسومات على القماش.

لقد أثرت على جاكوب حكايات موهبة منح الشفاء التي كان يمتلكها غابرييل وجوهانس. لم يسبق لها أن أحبَّت ذلك. أحياناً كان يعود وعلى وجهه سيماءٌ أقرب إلى الوجد. كان ذلك يخيفها دوماً. عندها تحضنه بين ذراعيها، بقوة، وتشدّ رأس ولدها إليها إلى أن تشعر بأنه سكَنَ. وحينما كانت تدعه، كان كل شيء يرجع إلى مجراه العادي. إلى أن تحين المرة الموالية.

لكن الواعظ مات ودُفِن منذ أمد بعيد. لحسن الحظ.

- هل تعتقد فعلاً أنها متماسكة، نظريتك تلك؟ أن جوهانس لم يمت؟

- لا أدري، يا مارتن، لكن في هذه اللحظة، أنا مستعدّ للتشبث بأوّل قشة تقع عليها يدي. يجب أن تقرّ مهما كان بأنه من الغريب شيئاً ما أن الشرطة لم تتمكن أبداً من مشاهدة جوهانس في موقع الانتحار.

- أجل، بالتأكيد، لكن هذا قد يعني أنّ الطبيب ومتعهد الجنائز كانا متواطئين، قال مارتن.

- إن الأمر ليس بكلّ تلك الغرابة. تذكّر أن إفراييم كان رجلاً غنياً جداً. إنّ المال اشترى خدمات أكبر من هذا. كما لن أستغرب من أنهما بالأحرى يعرفان بعضهما جيداً. رجلان يُشار إليهما بالبَنان في القرية، والأكيد أنهما ينشطان بهمّة في الحياة الجمعوية، نادي لِيونْس، نادي المواطنة، وهذا النوع من الأشياء.

- لكن أن تنتقل الأمور من هذا إلى مساعدة شخص تحوم حوله الشكوك في جريمة قتل!

- ليس مشكوكاً في ضلوعه في جريمة قتل، بل في عملية اختطاف. حسب ما فهمتُ، كان إفراييم هولت أيضاً رجلاً بارعاً جداً. على الأرجح أقنعهم بأنّ جوهانس بريء، وأن الشرطة تريد القبض عليه وكانت تلك الطريقة الوحيدة لتخليصه.

- لكن، مهما يكن الأمر. هل تعتقد أنّ جوهانس هجر أسرته بتلك الطريقة؟ طفلان في سنّ الصبا؟

- لا تنسى كيف يتَّصِف جوهانس الفرد. لاعب قمار، رجلٌ يتبع دوماً قانون الكسل. الذي لم يكن يهتم كثيراً بالقواعد والالتزامات. إنْ كان هناك من شخص له استعداد كي ينفذ بجلده على حساب أسرته، فهو جوهانس بالتأكيد. إنه هو بالضبط!

ظلّ مارتن مرتاباً دوماً

- لكن أين تراه ذهب طول كل تلك السنوات إذن؟

نظر باتريك بانتباه إلى الاتجاهين قبل أن ينعطف يساراً نحو تانمشيد. قال:

- إنه في الخارج على الأرجح. جيوب بابا المليئة بالمال. يبدو أنك غير مقتنع كثيراً بصدق نظريتي؟

- لا، هذا أقلّ ما يجب قوله. ضحك مارتن. في رأيي، إنك تجانب الصواب تماماً، لكن من جهة أخرى إلى غاية الآن لا شيء في هذه القضية كان عادياً، وبالتالي لما لا؟

استعاد باتريك جديته.

- إني أرى جيني مولر أمامي طول الوقت. سجينة شخص ما يعرّضها للتعذيب بقدرٍ يفوق كل خيال. لأجلها أريد الخروج عن النهج المعتاد والتفكير بطريقة مختلفة. ليس في وسعنا أن نكون ملتزمين بالشكليات على جاري العادة. ليس لدينا الوقت الكافي لفعل ذلك، بل علينا توقُّع المستحيل. ممكن، بل من المرجح، أن ذلك ليس إلّا نزوة تافهة من قِبَلي، لكن ليس هناك ما يدلّني على العكس، ومن واجبي حيال الصغيرة مولر التحقق من ذلك، ولو جعلني ذلك أبدو معتوهاً بالكامل.

بات مارتن يفهم على نحوٍ أفضل منطق باتريك، بل إنه صار يميل إلى الإقرار بأنه كان محقاً على الأرجح.

- لكن كيف سوف تتمكن من فرض استخراج الجثة على أسسٍ بهذا القدر من الضبابية، وبأسرع وقت؟

تحلى باتريك بمظهر الواثق من نفسه كي يجيب:

- بالإصرار، يا مارتن، بالإصرار.

قطع جرس هاتفه المحمول حبل الحديث بينهما. أجاب

بكلمات متقطعة فحسب وكان مارتن يحاول التكهن بموضوع المخابرة. بعد دقيقة واحدة فقط، وضع باتريك الجهاز.

- مَن كان ذاك؟

- إنها أنيكا. لقد اتصل المختبر بخصوص عينة الحمض النووي الذي أخذناه من مارتين فريسك.

- نعم؟ حبس مارتن أنفاسه. كان يتمنى من أعماق قلبه أن يكونوا قد أخطئوا. وبأن قاتل تانيا هو مَن لديهم وراء القضبان.

- ذلك لا ينطبق عليه. المني الذي وجدناه على جثة تانيا ليس مصدره مارتين فريسك.

أدرك مارتن أنه كان قد حبس، أنفاسه، لذا زفر ببطء مستخرجاً الهواء المحبوس في رئتيه.

- تباً إذن، لكن تلك ليست مفاجأة بحق، أليس كذلك؟

- لا، لكننا عقدنا على ذلك بعض الأمل.

اقتطعا قسطاً من الصمت المتجهم للحظة. ثم أفلت باتريك زفرة مديدة، وكأنه يستجمع قواه قبل المهمة التي تنتصب أمامهما مثل جبل شاهق.

- طيب، لم يتبقَّ سوى الحصول على الترخيص باستخراج الجثة، ذاك في وقت قياسي.

تناول باتريك هاتفه المحمول وامتثل للأمر. يجب عليه أن يكون أكثر إقناعاً من أيّ وقت مضى من مساره المهني، بينما لم يكن متيقناً من نفسه أبداً، بل هو أبعد من ذلك بكثير.

كان مزاج إريكا في أسفل درجات الصفاء. جعلها انعدام النشاط تسير على غير هدي في أرجاء البيت، ملتقطة شيئاً هنا، ومرتِّبة شيئاً هنا. ما وقع بينها وبين آنا من شجارٍ ظلّ يعتمل في ذهنها

مثل بقية سُكْرٍ مزعجة ويحطّ من مزاجها أكثر. علاوة على ذلك، كانت تشفق على نفسها صحيح، إنها بمعنى ما وافقت على أن يعود باتريك إلى العمل، لكنها لم تعتقد أنه سوف ينشغل عنها بكل ذلك القدر. حتى حينما يكون بالبيت، فإن التحقيق كان يستحوذ على ذهنه بشكل دائم. ومهما تفهمت أهمية ما كان يقوم به، فإن صوتاً خسيساً صغيراً كان يأمل في قرارة نفسها بأنانية بأنّ عليه تركيز انتباهه عليها قليلاً أكثر.

اتصلت بـ دان، بقليل من الحظ قد يكون بمنزله ويسمح له وقته بالقدوم عندها لاحتساء فنجان قهوة. ردَّت ابنته البكر على الهاتف. أبوها خرج بالمركب صحبة ماريا. عجيب. الجميع مأخوذ بمشاغله بينما كانت لا تصنع شيئاً وهي تنقر بأصابعها على بطنها المتفخ.

رنّ الهاتف بالضبط بعدما أقفلته. ارتمت عليه بنهمٍ شديد حتى كادت تُسقطه من على الطاولة الصغيرة.

- إريكا فالك.

- نعم، آلو. إني أودّ الاتصال بباتريك هيدشتروم.

- إنه في العمل. هل أستطيع مساعدتك، أو أمدّك برقم هاتفه؟

تردَّد الرجل المتحدث على الطرف الآخر.

- كي أبوح لك بكل شيء، إن أمّ باتريك هي مَن أعطاني رقمكما، هناك علاقة تعارف قائمة بين أسرة كلّ منا منذ أمد بعيد وفي آخر مرة تحدثت فيها إلى كريستينا قالت لي بأنْ لا أتردد في مخابرة باتريك إنْ نحن مررنا عبر هذه الديار، وبما أننا وصلنا للتو إلى فيالباكا، زوجتي وأنا، قلت مع نفسي.

عبَرت فكرة نيِّرة طريقها إلى نفس إريكا. حلّ مشاكل انشغالها كان هنا، ماثلاً بالكامل، أمامها.

- لكن هلُمَّا لزيارتنا! سوف يعود باتريك عند الساعة الخامسة.

هكذا نحضّر له مفاجأة. وسوف يسعنا الوقت للتعارف أكثر. كنتما رفاق الطفولة، أليس كذلك؟

- طيب، سوف يكون ذلك رائعاً! أجل، لقد أمضينا الكثير من الوقت معاً حينما كنا في عمر الشباب. ولم نرَ بعضنا كثيراً منذ أن أصبحنا كباراً. هكذا هي الأمور دائماً. الوقت يجري بسرعة، ثم كَرْكَر في الضحك.

- وعليه، حان الوقت للتعويض عن ذلك. في أي ساعة يمكنك المجيء إلى هنا؟

سمعته يتبادل بعض الكلمات مع شخص ما.

- ليس في برنامجنا شيء محدد. هل نستطيع القدوم في الحال، إنْ لم يكن في ذلك أي إشكال؟

- لا، ولا أيّ مشكل، إلى اللقاء بعد حين إذن.

شعرت إريكا بالحماس يعود إليها جراء الاستبشار بالقطع مع الروتين. قدمت لهما وصفاً سريعاً للطريق وهرعت لإعداد القهوة. حينما رنّ جرس الباب، أدركت أنها لم تسأل من قبل عن اسميهما طيب، هكذا يمكنهم البدء بعبارات التعارف.

بعد مضي ثلاث ساعات كانت تشارف على البكاء. حاولت أن تطرف بعينيها واستنفرت كلّ ما ادّخرته من قوة لتُبدي على نفسها الاهتمام.

الجانب المهم في عملي هو تتبع تدفق الـ CDR. وكما قلتُ، CDR، اختصار لـ call data record (سجل بيانات الاتصال)، وتعني جمع التفاصيل عن الوقت الذي يمضيه المرء على الهاتف، وجهة المكالمات، وهلم جراً. حينما يتم تثمين السجل، تغدو مصدراً ثرياً للمعلومات حول سلوك زبائننا.

خيِّل إلى إريكا أنه يتحدث منذ الأزل. كان يورغن بيرنتسون لا

يكفّ عن الكلام ولشدّة ما كان مملاً فإن إريكا أوشكت على البكاء، وكانت زوجته تتعقبه من قرب. ليس لأنها تقوم بالنوع نفسه من الخطب غير المنتهية والتي لا طائل منها تماماً شأن زوجها، ولكن لأنها منذ وصولها فإنها لم تقل كلمة واحدة سوى اسمها.

حينما سمعت خفق نعال باتريك على الدرج، نهضت مسرعة من الأريكة متوجهة لاستقباله.

- لدينا زوار، همست.

- مَن يا ترى؟ همس هو أيضاً.

- واحد من رفاق طفولتك. يورغن بيرنتسون. وزوجته.

- أوه، لا، قولي بأنّ تلك مجرد نكتة. أفلتت منه أنَّة.

- للأسف، لا

- يا للقرف، كيف حظّ هنا؟

ولأنها شعرت بأنها متلبّسة بالخطأ، أقرّت له إزيكا:

- أنا من دعاهما. المفروض أنّ تلك كانت مفاجأة لك.

- ماذا صنعت؟ قال باتريك بصوتٍ عالٍ شيئاً ما ثم خفض صوته: لماذا دعوتهما؟

- كنتُ أشعر بالضجر. باعدت إريكا ما بين ذراعيها بحركة العاجز. قال بأنه صديق قديم لك من أيام الطفولة، لهذا اعتقدت أنك سوف تستمتع بذلك!

- هل لديك أدنى فكرة عن المرات التي أرغِمتُ فيها على اللعب معه حينما كنا صغاراً؟ ولم يكن على الإطلاق مضحكاً في تلك الفترة أكثر من اليوم.

أدركا أنهما أفرطا في المكوث طويلاً بالبهو بحيث بدا ذلك غير عادي ثم تنفسا بعمق هما الاثنان لاستجماع بعض القوة.

- ياهٍ، يا لها من مفاجأة، أهلاً!

تعجبت إريكا من مواهب باتريك الكوميدية. من جهتها، اكتفت برسم ابتسامة شاحبة على وجهها حينما قابلت من جديد يورغن ومادلين.

ساعة بعد ذلك، كانت مستعدة لبقر بطنها على طريقة الهارا كيري. كان باتريك متأخراً مقارنة معها واستطاع أن يُظهر نسبياً بأنه مهتم.

- إذن، هكذا، تمرون بالديار؟

- أجل، كنا نفكر في الصعود على طول الساحل. ذهبنا لزيارة صديقة دراسة قديمة لمادلين بـ سْمُوغْن ورفيق لي بـ لِيسْكِيل. أفضل ما في عالَمين. الاستمتاع بالعطلة وربط الصلة بصداقات قديمة في الآن نفسه.

نحى ذرة غبار خيالية من على سرواله وتبادل نظرة خاطفة مع زوجته قبل أن يلتفت نحو إريكا وباتريك. في الواقع لم يكن في حاجة لينبس بكلمة. كانا يعرفان ما سوف يقوله.

- الآن بعد أن رأينا كَمْ أن المكان لطيف هنا - ومتَّسع - فكرنا في أن نلتمس منكما إذا كان بالإمكان المبيت ليلة أو ليلتين؟ صحيح أنه من المستحيل عملياً العثور على غرفة بالفنادق.

وكلهما أمل كانا ينظران إلى باتريك وإريكا. ولم تكن إريكا في حاجة لقراءة الأفكار عن بُعد للشعور بالذبذبات الحانقة التي يبعثها باتريك إليها، لكن كرم الضيافة قانون طبيعي. ولم يكن هناك من وسيلة للتملص من ذلك.

- بالتأكيد، يمكنكما الإقامة بحجرة الضيوف.

- عظيم! سوف تريان، سنستمتع جداً معاً! أين وصلتُ بالمناسبة؟ أجل، حينما نجمع ما يكفي من المعلومات المستخرجة من الـ CDR لإجراء التحاليل الإحصائية، نقوم.

مرت السهرة وكأنما في ضباب. ومع ذلك، فقد تعلما الشيء الكثير عن تقنيات الاتصالات السلكية وغير السلكية.

الأجراس ترن. ولا جواب. وحده المجيب الآلي لهاتفها المحمول يردد: «أهلاً، هذه ليندا. اتركوا رسالة بعد سماع الصفير، وسوف أتصل بكم في أقرب وقت ممكن». لقد سبق لجوهان أن أودع أربعة رسائل ولم تتصل به بعد. وفي تردُّد، ركَّب رقم المزرعة. كان يأمل أن جاكوب في العمل. حالفه الحظ. إن ماريتا هي من ردَّ عليه.

- نهار سعيد، هل ليندا موجودة؟

- أجل، إنها في غرفتها. من المتصل؟

تردَّد مرة أخرى، لكن من المرجح أن لا تتعرف ماريتا على صوته، ولو أفصح عن اسمه.

- من طرف جوهان.

سمعها تضع السماعة وتصعد السلم. يستطيع تصور البيت من الداخل بوضوح كبير جداً الآن بما أنه رآه بعد كل تلك السنوات.

بعد مرور بعض الوقت، عادت ماريتا. الآن صار صوتها حذراً جداً.

- تقول إنها لا تريد التحدث إليك. هل يمكن أن أعرف بأيّ جوهان يتعلق الأمر؟

- شكراً، يجب أن أنصرف الآن. أسرع بإقفال السماعة.

مشاعر متضاربة كانت تمزِّقه. لم يسبق أبداً أن أحبَّ شخصاً مثل حبه لليندا. حينما كان يغمض عينيه، كان في استطاعته دائماً أن يختبر من جديد الإحساس بجسدها العاري. وفي الوقت نفسه، كان يكرهها. ردّة الفعل المتتالية بدأت عندما وصل بهما الأمر إلى

التعارك بالأيدي في المزرعة. الكراهية والرغبة في إيذائها كانتا من القوة حيث شقّ عليه التحكُّم فيهما. كيف يمكن لمثل هذه المشاعر المتضاربة التعايش؟

ربما كان أحمقاً حينما تخيل أن بينهما قاسم مشترك ما. إن الأمر يتعلق بأكثر من لعب بالنسبة لها. هو جالس على مقربة من الهاتف، شعر بأنه غبي وكان هذا الشعور يغذي الغضب المشتعل بداخله، لكن هناك شيء يستطيع القيام به لدفعها إلى اقتسام الشعور بالمهانة الذي يحسّ به بنفسه. سوف تندم لأنها اعتقدت بأن في إمكانها التعامل معه كيفما اتفق.

سوف يحكي ما رأى.

لم يتخيل باتريك أبداً أنه سوف يستطيع النظر إلى استخراج جثة وكأنه فترة استراحة مرحَّب بها، لكن بعد السهرة الشاقة وغير المنتهية لليوم الفائت، حتى ذلك بدا له على أنه متعة حقيقية.

كان ميلبرغ، مارتن وباتريك يتتبعان في صمت المشهد الرهيب الذي يجري أمامهم بمقبرة فيالباكا. في السابعة صباحاً، كانت درجة الحرارة لا تزال معتدلة، ولو أنّ الشمس طلعت منذ مدة. سيارات قليلة كانت تمر على الطريق قبالة المقبرة، وما خلا زقزقة العصافير، الضجيج الوحيد الذي كان يُسمع هو صوت المعاول تنقر التراب.

كانوا يعيشون تجربة جديدة هم الثلاثة. استخراج جثة حدثٌ نادر في يوميات الشرطي، وقد تساءلوا جميعهم كيف يجري ذلك عملياً هل يتمّ استقدام معول ميكانيكي صغير يزيل طبقات التراب وصولاً إلى النعش؟ أم هل يتمّ الاستنجاد بفريق من حفاري القبور المحترفين ينفذون يدوياً هذه المهمة المريعة؟ كان الخيار الثاني هو

الأقرب إلى الواقع. الأشخاص أنفسهم الذين يحفرون القبور أثناء الدفن يعملون الآن على استخراج الجثة. وأضراسهم مكزوزة، كانوا يغرسون معاولهم في التراب بانتظام، دون النبس بكلمة. ماذا كان في وسعهم قوله؟ التعليق على مباريات الكرة التي نقلها التلفزيون اليوم الفائت؟ مشواة نهاية الأسبوع. جدية اللحظة كانت ترمي عباءة من الصمت على عملهم الذي سوف يستمر إلى أن يتم إخراج النعش من استراحته.

- هل أنت متأكد ممّا تصنع، يا هيدشتروم؟

كان الغمّ بادياً على محيّا ميلبرغ وباتريك يشاطره حيرته. لقد استنفد كلّ قدراته على الإقناع - لقد طلبَ وهدَّد وتوسَّل - لجعل دواليب العدالة تدور بأسرع ما يكون بغية الحصول على الترخيص بفتح قبر جوهانس هولت، لكن الشك لم يكن بعدُ سوى إحساس، لا أكثر.

لم يكن باتريك رجلاً مؤمناً، لكن فكرة إزعاج سكون قبرٍ ما كانت تبلبله رغم كل شيء. كان هناك نوع من القداسة في السكينة التي تعمّ المقبرة، وكان يأمل أن يجد سبباً وجيهاً لإقدامه على إزعاج راحة الموتى.

- لقد اتصل بي ستيغ ثولان أمس من البلدية ولم يكن مسروراً جداً، هل تعلم ذلك؟ قال ميلبرغ. واحد من أولئك الذين تحرّشت بهم أمس عبر الهاتف اتصل به للإخبار بأنك كنت في حالة هذيان تامة. لقد تحدثت عن مؤامرة بين إفراييم هولت واثنين من الرجال الأشد احتراماً في فيالباكا. الظاهر أنك تكلمت عن رشى والله وحده أعلم عن أي شيء آخر. كان منزعجاً بشدة. إذا كان إفراييم قد مات، فإن الدكتور همارستروم حيٌّ يُرزق وصانع الجنازات كذلك، وإذا علم الناس أننا نتهم أبرياء، فإذن.

أفسح ميلبرغ ما بين ذراعيه. لم يكن في حاجة لإتمام جملته. باتريك يعرف العواقب. أولاً سوف يتعرض لأكبر توبيخ في حياته، ثم يصبر أضحوكة في المفوضية على مرّ الدهر.

بدا وكأن ميلبرغ كان يقرأ أفكاره.

- وعليه، من مصلحتك جداً أن تكون على صواب، هيدشتروم!

ثم أشار بإصبع غليظ إلى قبر جوهانس وهو يهتزّ من شدة القلق. تعاظم ركام التراب الآن، صار بارتفاع متر كامل، والتمع العرق على جبين أولئك الذين كانوا يحفرون. لعلهم غير بعيدين جداً الآن.

لم يكن مزاج ميلبرغ على ما يرام هذا الصباح مثلما كان الشأن في الأيام الأخيرة. ولم يبدُ أن لذلك علاقة بالساعة الباكرة وبالمهمة المنفّرة. كان ثمة شيء آخر. لقد عاد مزاجه العكر الذي يعتبر مكوناً دائماً لشخصيته، بعد أن اختفى بضعة أسابيع ملحوظة. لم يصل بعد إلى قوته القصوى، لكن لن يتأخر ذلك. منذ وصوله لم يصدر عن ميلبرغ شيء سوى التذمر والأنين والشكوى. ومن المستغرب أن التعامل معه في حالته المعتادة هذه أسهل من التعامل معه في فترة وداعته القصيرة. ومن المعتاد أكثر. تركهما منتصبان هناك، وهو يشتم دائماً، وانصرف من أجل تملق الفريق الذي هبَّ لنجدتهم من أودفالا همس مارتن من جنب فمه:

- لا أدري ما الذي حدث له، لكن على أية حال، فالأمر انتهى الآن.

- ما الذي تظنّ أنه قد حلَّ به؟

- اضطراب ذهني مؤقت، أجاب مارتن، وهو يهمس دائماً.

- أمس، سمعتْ أنيكا إشاعة عجيبة.

- ماذا؟ أخبرني!

- لقد ذهب باكراً أول أمس، تذكر ذلك.

- ليس في هذا أي ثورة.

- لا، بالطبع، لكن أنيكا سمعته يتصل بـ **أرلاندا**. وبدا أنه مستعجل بشدة للذهاب إليها.

- المطار؟ هل كان يجب عليه استقبال شخص معين؟ على أية حال، لم يركب الطائرة بما أنه لا يزال هنا.

بدا مارتن حائراً مثل باتريك. ومحباً للاستطلاع أيضاً.

- لا أعرف مثلك ماذا كان يقصد هناك، لكن الغموض يتزايد.

أشار إليهم أحد الرجال الواقفين أمام القبر. وهما يظهران بعض التحفظ اقتربا من ركام التراب ونظرا إلى الحفرة. تمّ إخراج تابوت بني.

- ها هو صاحبكم. هل نخرجه لكم؟

أومأ باتريك برأسه موافقاً.

- لكن احذروا. سوف أعلم الفريق. سوف يتكفلون بالبقية فور إخراجكم له.

ذهب لرؤية تقنيي أودفالا الثلاثة الذين كانوا يحادثون ميلبرغ. تقدّمت سيارة شركة نقل الأموات إلى غاية الممر المغطى بالحصى، وكانت متأهّبة، ببابها الخلفي المفتوح، لنقل التابوت، سواء أكانت هناك جثة أو لا

- لقد أوشكوا على الانتهاء الآن. هل نفتح التابوت هنا أم تفعلوا ذلك بأودفالا؟

رئيس الوحدة التقنية، **توربيورن روود**، لم يجب باتريك مباشرة، بادر وطلب من المرأة الوحيدة ضمن الفريق أن تذهب لالتقاط صور. عندها استدار نحو باتريك:

- أعتقد أننا سوف نفضّ الغطاء هنا. إن كنتَ محقاً ولم نجد شيئاً في التابوت، فإنّ القضية محسومة. أما إذا تحقّق السيناريو الذي

أتخيله، وهذا هو المرجَّح، أي أن تكون هناك بالفعل جثة داخل التابوت، فإننا سنأخذها معنا إلى أودفالا للتحقق من الهوية. هل هذا ما تريدون بالفعل؟

كان شاربه الذي يشبه شارب حصان البحر يصعد وينزل بينما كان ينظر إلى باتريك في انتظار رده. أومأ هذا الأخير برأسه.

- أجل، إنْ كان هناك أحد في التابوت، أودّ الحصول على ما يؤكد مائة بالمائة بأنه جوهانس هولت بحق.

- من الممكن القيام بذلك. لقد التمستُ أن يعثروا لي على ملف أسنانه الطبي منذ أمس، هكذا لن تضطر لانتظار الجواب مدة أطول. بما أن الأمر مستعجل.

أطرق روود. بدوره كان لديه بنت في السابعة عشرة ولم يكن في حاجة لأن تُكْتَب له بحروف من نار على الجدار أهمية التصرف بسرعة. كان يكفي التخيل ولو لثانية واحدة الرعب الذي يعانيه والدا جيني مولر.

في صمت انتظروا ريثما كان التابوت يُرفع وئيداً من القبر. عمّا قريب، يتجاوز الغطاء مستوى الأرض، وشعر باتريك بيديه ترتعدان قليلاً بعد هنيهة سيعرفون ذلك. بمؤخر عينه، انتبه إلى جلبة على مبعدة منهم شيئاً ما داخل المقبرة. أدار رأسه ليشاهد على نحوٍ أفضل. تباً إذن. عبر السياج المطلّ على ثكنة رجال المطافئ، شاهد سولفيغ قادمة بأقصى سرعة. ولعجزها عن الركض كانت تتقدم وهي تتمايل مثل سفينة وسط أمواج البحر العاتية، متجهة رأساً نحو القبر حيث كان التابوت الآن ظاهراً للعيان كله.

- فيمَ تخوضون عندكم، يا عديمي القيمة؟

رجف تقنيو أودفالا الذين لم يسبق لهم أبداً أن احتكوا بسولفيغ هولت، وقد هالتهم هذه اللغة الخليعة. وقد أدرك باتريك، ولكن

بعد فوات الأوان، أنه كان يجب عليهم التكهّن بذلك وضرب ما يشبه سداً حولهم. لقد ظنّ أنّ ساعة استخراج الجثة المبكرة كافية لجعل الناس على مسافة منهم، لكن سولفيغ ليست بالطبع أياً كان. توجّه للقائها.

- سولفيغ، لا ينبغي لك أن تكوني هنا.

أمسك بها باتريك من ذراعها بلطف. تخلصت منه بعنف ثم واصلت طريقها.

- إذن لا تصرفون النظر أبداً! الآن تريدون أيضاً إزعاج جوهانس في قبره! تريد بأي ثمن الاستمرار في تدمير حياتنا!

وقبل أن تسنح لهم الفرصة بالإقدام على ردّ فعل، كانت سولفيغ قبالة التابوت، ثم ارتمت عليه، وصرخت مثل سيدة إيطالية مهيبة في مراسيم دفن. ونقرت على الغطاء بقبضتيها. لبثوا جميعاً وكأن على رؤوسهم الطير. لا أحد كان يدري ما يجب فعله. ثم رأى باتريك شخصين قادمين ركضاً من الاتجاه نفسه الذي سلكته سولفيغ. اكتفى جوهان وروبير بأن صوّبا نحوهم نظرات حاقدة قبل الانشغال بوالدتهما.

- كفي عن ذلك يا ماما، هيّا سوف نعود إلى البيت.

كان الجميع مصعوقاً. داخل المقبرة لم يكن يُسمع سوى صراخ سولفيغ وصوت ابنيها المتوسّل. استدار جوهان:

- لم تنم طول الليل. منذ أن أخبرتها بمشروعك. لقد قمنا بما استطعنا لمنعها، لكنها هربت منا. أيها الأوغاد، لن يتوقف إذن هذا الأمر قط!

بدا كلامه وكأنه صدى لكلام أمه. للحظة شعروا جميعهم بالخزي من هذا العمل القذر الذي كانوا مكرهين على إنجازه. وعلى الرغم من ذلك، كان عليه إنهاء ما شرعوا فيه.

أومأ توربيورن روود بذقنه إلى باتريك ثم تقدّما لمساعدة جوهان وروبير على إبعاد سولفيغ عن التابوت. يخيل للمرء أنها استنفدت كلّ ما تبقى فيها من قوة، ثم تهاوت على صدر روبير.

- اصنعوا ما عليكم فعله، لكن دعونا في سلام بعد ذلك، قال جوهان دون أن ينظر إليهم مباشرة.

أخذ الولدان أمهما بينهما في اتجاه بوابة المقبرة. ولما اختفوا تماماً دبّت الحركة من جديد. لم يعلّق أحد على الحادث.

- هل لديكم انطباع بأن هناك أحد ما في الداخل؟ سأل باتريك الرجال الذين رفعوا التابوت.

- من الصعب قول ذلك. التابوت في حدّ ذاته ثقيل. أحياناً تتسرب بعض التربة. الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذلك، هي فتحه.

لم يعُد من الممكن تأخير اللحظة أكثر. لقد التقطت المصورة الفوتوغرافية كلّ الصور الضرورية. والأيدي محمية بقفازات، شرع روود وزملاءه في العمل.

بتؤدة تمّ فتح غطاء التابوت. حبس الجميع أنفاسهم.

عاودت أنيكا الاتصال عند الساعة الثامنة بالضبط. كان لديهم متسع من الوقت ظهيرة اليوم السابق للبحث في أرشيفهم وكان من المفروض في كلّ الأحوال العثور على شيء ما الآن. كانت على صواب.

- يا له من توقيت! لقد عثرنا للتو على لائحة زبائن الـ FZ-302، لكن للأسف ليس لدي أخبار سارّة. أو ربما هناك خبر سار، بالضبط. ليس لدينا سوى زبون واحد في محيطكم، رولف بيرسون، وبالمناسبة، هو لا يزال زبوناً لدينا، لكن ليس بخصوص هذا المنتَج، بالطبع. سوف أعطيك عنوانه.

دوَّنت أنيكا المعلومات على بطاقة ملصقة، يتملكها الإحباط لأنها لم تحصل على أكثر من هذا الاسم. وهذا قليل جداً، التحقق من زبون واحد، لكن قد يكون رئيس المبيعات على صواب، ربما كان ذلك خبراً ساراً. قد يكفيهم اسم واحد، بعد كل شيء.

- غوسطا؟

وهي جالسة، دوَّرت كرسي المكتب إلى غاية الباب، أطلَّت برأسها في الممرّ وصاحت. لا جواب. ثم نادت مرة أخرى، بصوت مرفوع شيئاً ما، وكان جزاؤها أن أطلّ رأس غوسطا في الممر.

- لدي مهمة من أجلك. لقد توصلنا باسم المزارع في الناحية كان يستعمل السماد الذي وجدوه على الفتيات.

- ربما يجب أن نلتمس الإذن أولاً من باتريك؟

كان غوسطا متردداً. لم يكن قد استيقظ تماماً بعد، حيث أمضى ربع ساعته الأولى على مكتبه وهو يتثاءب ويفرك عينيه.

- باتريك يعاين استخراج الجثة مع ميلبرغ ومارتن. لا يمكننا إزعاجهم في هذه اللحظة. أنت تعرف لماذا الأمر مستعجل، لن نتبع القواعد هذه المرة، يا غوسطا

حتى في الأوقات العادية من الصعب مقاومة أنيكا حينما تريد الحصول على شيء حقاً، وما كان على غوسطا سوى الإقرار بأنها كانت محقة تماماً في إلحاحها ثم زفر.

- لكن لا تذهب بمفردك، قالت له أنيكا. إننا لا نبحث عن قروي بسيط يقطّر نبيذه في السر، لا تغفل عن ذلك. خذْ إرنست معك. ثم وشوشت كي لا يسمعها إرنست: ليكن ذا فائدة ولمرة واحدة على الأقل ذلك المُسْتَمْني. ثم رفعت صوتها من جديد. اغتنموا الفرصة لفحص المكان جيداً. إذا شاهدتم أدنى شيء مثير

للريبة، تظاهروا وكأن شيئاً لم يكن، ثم ارجعا إلى هنا من أجل تقديم تقرير لباتريك، وسيعود إليه اتخاذ القرار في شأن ما يلي من أحداث.

- هكذا إذن، لم أكن أعلم بأنه تمّت ترقيتك من سكرتيرة إلى رئيسة شرطة، يا أنيكا. ربما تمّ ذلك خلال عطلتك؟ قال غوسطا بنبرة لاذعة، لكنه لم يجرؤ على قول ذلك بما يكفي من القوة حتى تسمعه أنيكا. ولعله سيكون من الغباء أن يذهب بجرأته إلى ذلك المدى.

من وراء زجاج نافذتها، ضحكت أنيكا، وكانت نظاراتها الشمسية مستقرة على أرنبة أنفها كما جرت العادة. كانت تعلم بالتحديد أية أفكار حاقدة تنطّ بين أذني فليغار، لكنها لم تكن تأبه لذلك بتاتاً. لقد كفَّت عن احترام آرائه منذ زمن بعيد، لكنها كانت تأمل فقط أن يتجند لعمله الآن وأن لا يعرِّضه للفشل. إرنست وهو في ثنائي، سوف تكون تلك توليفة خطرة، لكن لم يكن لديها خيار، إذ عليها التصرف وفق ما في عهدتها.

لم يستحب إرنست إيقاظه من نومه. كان يأمل الاستفادة من وقت طيب تحت الغطاء بينما كان رئيسه مشغولاً في مكان آخر ولا يستطيع التحقق من وجوده بالمكتب، وجاءت رنة الجرس الحادة لتقلب مشاريعه نهائياً.

- يا للعهر، ماذا حلّ بنا؟

أمام الباب، كان غوسطا قد أمسك الجرس بإصبعه.

- يجب أن نعمل.

- ألا يمكن لذلك انتظار ساعة أخرى؟ قال إرنست وهو خاثر النفس.

-لا ، يجب أن نذهب للاستماع إلى قروي اشترى النتاج الذي وجده التقنيون على الجثث.

- هل ذاك اللقيط باتريك هو مَن قرر الأمر؟ وقال بأنه من الواجب عليّ أنا مصاحبتك - كنت أعتقد بأني مقصيّ من هذا البحث؟

تساءل غوسطا مع نفسه إنْ كان ينبغي له الكذب أو قول ما وقع. قرر قول الحقيقة.

- لا ، هيدشتروم موجود بفيالباكا رفقة مولان وميلبرغ. إن أنيكا هي من التمس منا ذلك.

- أنيكا؟ أطلق إرنست ضحكة سمجة. منذ متى نتلقى أوامرنا من سكرتيرة سخيفة، أنت وأنا؟ لا ، لا ، إذا كان الأمر هكذا سوف أعود للنوم بعض الوقت أيضاً

وهو يواصل تهكمه، كان يستعدّ لإغلاق الباب في وجه غوسطا، لكن قدماً بين الباب وعضده منعته من ذلك.

- اسمع، أظنّ أنه ينبغي لنا مهما يكن الأمر، الذهاب للتحقُّق من هذه الحكاية. صمت غوسطا، ثم استعمل الحجّة الوحيدة التي يدرك أن إرنست مصغٍ لها. هل ترى وجه هيدشتروم لو أننا وجدنا حلاً للقضية، نحن الاثنين؟ مَن يدري، ربما نمسك بالفتاة في مزرعة ذلك الفلاح الحقير. ألا يروقك القدوم لإخبار ميلبرغ بذلك؟

البريق الذي شعَّ في وجه إرنست لوندغرين أكَّد بأنّ الحجة أصابته في الصميم. وخيّل لإرنست أنه يسمع سلفاً امتداح رئيسه له.

- انتظر، سوف أرتدي ملابسي. لقاؤنا عند السيارة.

عشر دقائق عقب ذلك، كانا يسيران نحو فيالباكا. تقع مزرعة رولف بيرسون إلى الجنوب قليلاً من مِلْكية هولت، ولم يستطع

غوسطا لجم التساؤل ما إذا كانت تلك مجرّد صدفة. بعد أن ضلاَّ الطريق مرة، انتهى بهما المطاف إلى العثور عليها وأوقفا السيارة بالباحة. كان المكان خالياً. غادرا السيارة وعاينا المكان صعوداً نحو البيت.

هي مزرعة مثل أيّ مزرعة أخرى في المنطقة. يوجد مخزن حبوب مشيَّد من الخشب، مصبوغ بالأحمر، على مرمى حجر من البيت، له طلاء أبيض بينما إطارات النوافذ كانت زرقاء. رغم كل ما كانت تكتبه الصحف عن تدفق المساعدات الأوروبية التي تمطر على المزارعين السويديين، فإن غوسطا يعلم أن الواقع كان مغايراً لذلك تماماً كان يخيم على البنايات اضمحلال عصيّ على الترميم. الظاهر أن الملاّك كانوا يفعلون ما في وسعهم للحفاظ عليها، لكن الطلاء كان آخذاً في التشقق سواء على البيت أو مخزن الحبوب، كما أن إحساساً غامضاً بالهجر كان يلتصق بالجدران. صعدا واستظلا بالإفريز أمام المدخل، حيث المشغولات الخشبية المخرمة بعشق تدلّ على أن البيت تمّ تشييده قبل أن تقدّس الحداثة كلاًّ من مفهوم السرعة والنجاعة.

– ادخلا

تناهى إلى سمعهما صوتٌ حادّ من عجوز قصيرة القامة ثم مرّرا أرجلهما على الماسحة أمام الباب قبل الدخول. أرغم السقف المنخفض إرنست على حني رأسه، لكن غوسطا، الذي لم ينتمِ قط إلى نادي أصحاب القامة الطويلة والمهيبة، استطاع الدخول دون خشية من أن تُصاب جمجمته.

– نهارك سعيد، نحن من الشرطة. نبحث عن رولف بيرسون.

قامت العجوز التي كانت منهمكة في إعداد وجبة الفطور بمسح يديها بمنشفة.

- لحظة، سوف أذهب لإخباره. إنه مستغرق في النوم، مفهوم. هذا ما يحلّ بالمرء حينما يصير عجوزاً. فرفرت وغادرت الغرفة.

نظر غوسطا وإرنست حولهما، ولم يدرِ كلّ منهما ما يجب فعله، ثم جلسا إلى الطاولة. هذا المطبخ يذكِّر غوسطا بطفولته، ولو أن الزوجين بيرسون لا يكبرانه سوى بعشر سنوات تقريباً. بدت له العجوز كبيرة للوهلة الأولى، لكن إن دقّق النظر عن قرب فإن عينيها كانتا أكثر فتوة من جسمها. حصيلة حياة من العمل الشاق.

كانا يستعملان دائماً موقداً خشبياً للطبخ. وكان البلاط مغطى بمشمَّع يخفي على الأرجح أرضية خشبية رائعة. كان الجيل الجديد يفضّل ترميمها، لكن بالنسبة إلى غوسطا وآل بيرسون فإن الأرضية الخشبية كانت لا تزال تعدّ تذكيراً بفقر طفولتهم. فالمشمّع، حينما تمّ إحداثه، كان علامة على أنَّ المرء قد تحرَّر من حياة أبويه البائسة.

كان كساء الجدران الخشبي متآكلاً، لكنه أيقظ مع ذلك ذكريات عاطفية. لم يستطع غوسطا كبح اندفاعه لترك سبابته تذرع تجويف الصفائح الخشبية مثلما كان يقوم بذلك في مطبخ والديه في صباه، وكان الإحساس هو نفسه.

وحدها التكتكة الهادئة المنبعثة من ساعة حائطية هي ما كان يسمع في المطبخ، لكن بعد لحظة سمعا وشوشات في الغرفة الجانبية. تعالى صوت، بينما الآخر كان يتوسل. وعقب بضع دقائق عادت العجوز رفقة زوجها. هو بدوره كان يبدو أكبر من السبعين سنة المرجّح أنه يبلغها، ولم يكن في صالحه إيقاظه من قيلولته. كان شعره ثائراً بالكامل وكانت تجاعيد التعب ترسم أخاديد عميقة على وجنتيه. عادت العجوز إلى موقدها. ظلت خافضة عينيها وركزت على دقيق الشوفان الذي كانت تقلبه في المقلاة.

- وما الذي قد يدفع الشرطة للمجيء إلى هنا؟

كان الصوت شديد السطوة وانتبه غوسطا إلى أنّ العجوز أجفلت. وبات يدرك لمَ تبدو أكبر من سنها بكثير. أحدثت ضجيجاً بمقلاتها فزمجر زوجها:

- لكن كفي عن ذلك، اللعنة! أكملي ذلك لاحقاً! دعينا وشأننا الآن!

أحنت جبهتها وسحبت المقلاة بسرعة من على النار. ودون أن تنبس بكلمة، تركتهم في المطبخ وانصرفت. انتابت غوسطا الرغبة ليتعقبها ويُسمِعُها كلمة طيبة لا شكّ كانت ستريحها، لكنه أحجم عن ذلك.

صب رولف بيرسون لنفسه كأساً من النبيذ ثم جلس. لم يطلب من إرنست وغوسطا إنْ كانا يرغبان في كأس منه، وعلى كلّ حال، ما كانا يستطيعان الردّ بالإيجاب. وبعد أن شربها دفعة واحدة، مسح فمه بظاهر يده وحثّهما بنظرة منه.

- طيب؟ ماذا تريدان؟

رمق إرنست الكأس الفارغة بنظرة ملؤها الحسد وكان غوسطا هو من بادر إلى الكلام:

- هل جرت العادة أن استعملت سماداً. راجع مذكرة أفكاره، FZ-302؟

ضحك المزارع بيرسون بحرارة.

- هل من أجل هذا تزعجان قيلولتي؟ للسؤال عن السماد الذي أستعمل؟ حسناً يا عزيزي، يمكن القول بكلّ صدق إن الشرطة لا تجد الكثير ممّا يجب فعله!

- لدينا أسباب وجيهة لطرح هذا السؤال عليك. ونودّ الحصول على جواب. لم يكن مزاج غوسطا يسمح بالعبث كما أنّ بغضه للرجل كان يزداد مع توالي الدقائق.

- أجل، أجل، لا داعي للغضب. ليس لديّ ما أخفيه. ضحك مجدداً وصبَّ لنفسه كأساً أخرى.

تمطّق إرنست بشفتيه وعيناه مصوبتان على الكأس. وبالنظر إلى نفَس رولف بيرسون، فلم تكن تلك أول كأس لليوم. وباعتبار عدد الأبقار الواجب حلبها، فالظاهر أنه مرّ على استيقاظه وقت لا بأس به. لئن وفيناه الحساب وبقليل من الإرادة نستطيع القول إنّ الساعة كانت توافق أوان الغذاء بالنسبة إلى رولف بيرسون، لكن وحتى لو حسبنا على هذا النحو، فإن الوقت كان لا يزال مبكراً جداً لاحتساء الكحول، في نظر غوسطا

- لقد استعملته إلى غاية سنتَي 1984-1985، أظن ذلك. بعدها جاءت إدارة سخيفة صديقة للبيئة اعتبرت أنه قد يكون له «أثر سلبي على توازن التنوع البيولوجي». كان يتكلم بصوت جهير وهو يحاكي المزدوجتين بأصابعه في الهواء. وبالتالي توجّب استبداله بسماد يقلّ عنه جودة بعشرة أضعاف وأغلى منه ثمناً بعشرة منها كلهم أغبياء، صدِّقاني.

- كم من الوقت استعملته؟

- حسناً، على الأرجح، طول عشر سنوات تقريباً لديّ دون شك التاريخ المضبوطة في دفاتري، لكن يبدو لي أن ذلك نحو أواسط السبعينيات. لماذا يهمكم ذلك بكل هذا القدر؟ نظر إلى غوسطا وإرنست وهو يزوي عينيه الحذرتين.

- إن ذلك مرتبط بتحقيق نجريه في هذه الأثناء.

لم يضف غوسطا شيئاً إلى ما قاله، لكنه لحظ بأن الأمور اتضحت أكثر بالنسبة إلى المزارع فجأة.

- لذلك علاقة بالفتيات، أليس كذلك؟ فتيات فجوة الملك؟

وتلك الفتاة الأخرى التي اختفت؟ وتعتقدان أنّ لي صلة بذلك؟ هه، هذا ما استقر عليه نظركما؟ انتبها لما تتفوها به!

نهض وهو يتمايل قليلاً على ساقيه. كان رولف بيرسون رجلاً مهيباً. لم يَبْدُ أنّ أياً من الأضرار الجسدية الناجمة عن السن قد مسَّته وكانت ذراعاه تبدوان متينتين وقويتين تحت قميصه. رفع إرنست يديه علامة على التهدئة ثم نهض بدوره. ففي أوقات مثل هذه يستطيع لوندغرين أن يظهر عن جدواه، خمَّن غوسطا بامتنان. كان يعيش لمثل هذه المواقف.

بدا المزارع حذراً، ثم أومأ برأسه. واغتنمها غوسطا فرصة ليلتمس منه:

- هل يمكنني أن ألتمس منك استعمال المرحاض؟

كانت مثانته على غير ما يرام وتعاظمت حاجته إلى أن صارت الآن أمراً مستعجلاً بالفعل. أومأ رولف بيرسون بحركة من ذقنه في اتجاه باب من الأبواب.

لما عاد غوسطا من المرحاض، بدا وكأن إرنست ورولف بيرسون صديقان قديمان.

- أي نعم، اللعنة، لم يعُد الناس يحسون بالحرج، بل قد يسرقون حتى قميصك. ماذا في وسعنا عمله، نحن، الناس المخلصون مثلك ومثلي. توقف إرنست بعد أن وُجد متلبساً. تدلّ كأس فارغة قبالته بأنه انتهى به المطاف إلى الحصول على جرعة النبيذ المشتهى.

نصف ساعة عقب ذلك، تسلح غوسطا بالشجاعة وأنَّب زميله.

- تفوح منك رائحة الكحول، إنها نتنة. كيف تظن أنك ستمر أمام أنيكا بمثل هذا البخر النتن؟

- وإن يكن، لا تبالي. أنت، إنك أفظع من مُدَرِّسة عجوز. لقد

شربت جرعة صغيرة، هذا كلّ ما في الأمر. لا أرى أين يكمن المشكل في ذلك. كما أنه ليس من اللائق أن يرفض المرء حين تتم دعوته للشرب.

اكتفى غوسطا بأن زفر بصوت مسموع، دون الإقدام على تعليقات أخرى. كان يشعر بالإحباط. لم تثمر نصف ساعة من التجول في أراضي الفلاح عن أي نتيجة. لا أثر للفتاة والقبر حُفر منذ زمن قريب، وبدا أنّ الصبيحة ذهبت هدراً. وقد أمكن لإرنست والفلاح أن يأتلفا خلال اللحظة القصيرة التي غاب فيها غوسطا ولم يكفا عن الثرثرة خلال زيارة المزرعة. شخصياً، كان غوسطا يظنّ بأنه كان من الأجدى الحفاظ على مسافة أكبر من مشبوه مفترضٍ في تحقيق يخصّ جريمة قتل، لكن لوندغرين كان يتبع، مثلما هي العادة، قوانينه الخاصة.

- لم يقل شيئاً ذا قيمة، بيرسون هذا؟

نفخ إرنست في يده المعقوفة وشمَّها. تجاهل في البدء السؤال وقال:

- اسمع يا فليغار، توقف هاهنا، سوف أذهب لشراء علبة أقراص محلاة للحنجرة.

بصمتٍ يعلوه الوجوم، توقف غوسطا بمحطة الخدمات OKQ8 وانتظر داخل السيارة بينما كان إرنست يُسرِع لشراء ما يحجب به رائحة فمه. ولمّا جلس من جديد داخل السيارة، إذاك فقط ردّ على سؤال غوسطا.

- لا، لقد فشلنا بامتياز، لكن الرجل لطيف جداً على كل حال، يمكن أن أقسم بأنْ لا صلة له بهذه القضية. لا، هذه فرضية نستطيع حذفها على الفور. هذا الشيء بخصوص السماد، إنه بلا شك مسلك خاطئ. هؤلاء التقنيون الشرعيون السفهاء، إنهم قاعدون

في المختبر طول النهار للقيام بتحليلات تافهة، بينما نحن في الميدان نرى كم إنّ نظرياتهم سخيفة. الحمض النووي، وخصلات الشعر، والأسمدة، وآثار العجلات وكلّ تلك الترهات التي يثيرونها. لا، لا شيء يعادل حصة ضرب جيدة في الموضع المناسب، بهذه الطريقة نصل إلى المبتغى، هذا قولي لما يجول في خاطري، يا فليغار.

ضمّ قبضة يده بشدة لتوضيح كلامه، وحيث إنه كان يشعر بالرضى إذ أبان عن معرفته التامة بالكيفية التي يقوم بها الشرطي بعمله على الوجه الأحسن، استرخى على مسند الرأس وأغمض عينيه بعض الوقت.

تابع غوسطا الطريق نحو تانمشيد دون أن يضيف كلمة واحدة. ما كان يعتقده إرنست شيء لم يكن هو متيقناً منه على القدر نفسه.

لقد وصل الخبر إلى غاية بيت غابرييل أيضاً. كانوا ثلاثتهم يحفُّهم الصمت حول مائدة الفطور، كلٌّ غارق في أفكاره. وقد كانت مفاجأة كبرى بالنسبة لهما أن حلت ليندا في المساء السابق وهي تحمل حقيبتها وذهبت لتنام دون أن تنطق بكلمة واحدة في غرفتها التي كانت مُعَدَّة لها دوماً

وهي متردِّدة، قطعت ليني حبل الصمت.

- أنا سعيدة لأنك عدتِ، يا ليندا.

ردت ليندا بغمغمة، ونظرها مثبت على شريحة الخبز التي كانت منهمكة في إعدادها.

- تكلمي بصوت مرتفع، ليندا، ليس من الأدب التمتمة كما تفعلين.

تلقى غابرييل نظرة قاتلة من ليني، لكنه لم يكن يكترث لذلك

قيد أنملة. إنّ هذا بيته، ولم يكن في نيته استعمال اللين مع الصبية كي يحظى بمتعة غير مؤكدة من وجودها بالمنزل لبضعة أيام.

- لقد قلتُ إني هنا فقط لقضاء ليلة أو ليلتين، ثم أعود إلى المزرعة. هناك، لا يكفُّون عن رهبنتهم، إنهما يتشدّدان مع الطفلين، إن ذلك محزِن بكل صراحة. أمر رهيب، طفلان لا يتحدثان سوى عن المسيح.

- أجل، لقد قلت ذلك لجاكوب، بأني أجدهما صارمين أكثر من اللازم مع الطفلين، لكن ذلك نابع من شعور نبيل. والإيمان مهم بالنسبة إلى جاكوب وماريتا، يجب أن نحترم ذلك. إني أعلم مثلاً بأن جاكوب يغتاظ كثيراً من سماعِك تطلقين اللعنات هكذا بكل صدق، تلك ليست لغة مهذبة تليق بفتاة شابة.

ثائرة الأعصاب، رفعت ليندا عينيها إلى السماء. لقد أرادت فحسب الابتعاد عن جوهان بعض الوقت، لن يجرؤ على الاتصال بها هنا، لكن اجترارهما للكلام أخذ يثير أعصابها مسبقاً في النهاية، سوف تعود على الأرجح عند الأخ منذ الليلة. هنا، الجو لا يُحتمل، بكل صدق.

- أفترض أنكم تحدثتم عن استخراج الجثة، عند جاكوب. لقد كلمه أبوك لإخباره أمس على الفور حينما اتصلت به الشرطة. لم يسبق أن سمعنا مثل هذه السخافات! بأنّ كل ذلك من دسائس إفراييم لجعل الناس يعتقدون أن جوهانس قد مات، لم يسبق لي أن سمعت مثل هذه التفاهات!

ارتسمت بقع حمراء على بشرة عنق ليني البيضاء. لم تتوقف عن العبث بعقد اللؤلؤ الذي لها وقد حرصت ليندا على كبح الرغبة في الانقضاض عليها ونزع العقد وحشو اللآلئ السخيفة في فمها.

نحنح غابرييل جرعة من حلقه وانضمّ للمحادثة بصوتٍ قاهر.

إن قصة استخراج الجثة هذه كانت تزعج راحته. تهزّ توازنه وتثير الغبار في عالمه المرتّب، وكلّ ذلك يضايقه بشدة.

لم يصدق لحظة أن لادّعاءات الشرطة ما يسندها، لكن المشكل لا يكمن في ذلك. كما أن فكرة إزعاج راحة قبر أخيه ليست هي ما كان يقلقه، ولو أنّ تلك الخاطرة لم تكن بالشيء اللطيف، طبعاً لا، بل كانت الفوضى التي يمثلها ذلك الإجراء. التوابيت صنعت لكي تدفن، لا لتنبَش. والقبور التي تمّ حفرها ذات يوم من المفروض احترامها والتوابيت التي أغلقت يجب أن تظلّ مغلقة. هكذا يجب أن تكون الأمور. إقراض وديْن. النظام.

- أجل، أرى من المثير كفاية أن يكون للشرطة الحق في التصرف هكذا من تلقاء نفسها. لا أعلم أي الطرق الملتوية التي سلكتها للحصول على الترخيص، لكني أنوي السير بالأمور إلى آخر المطاف، صدقوني. مهما يكن، فنحن لا نعيش في دولة بوليسية.

مرة أخرى، غمغمت ليندا.

- المعذرة، ماذا قلتَ يا فؤادي؟ قالت ليني.

- قلتُ إنّ عليكما ربما التفكير قليلاً في سولفيغ، وروبير وجوهان، وفي ما يقاسونه في هذه اللحظة؟ هل تدركان تأثير أنْ يُفتح هكذا قبر جوهانس؟ لكن لا، الشيء الوحيد الذي تجيدان فعله، هو أنكما تندبان حظكما. فكرا قليلاً في الآخرين ولو لمرة!

رمت المنديل في صحنها وغادرت المائدة. انطلقت يدا ليني لوحدهما نحو عقد اللؤلؤ وبدا أنها كانت على وشك اللحاق بابنتها نظرة من غابرييل سمَّرتها في مكانها.

- أجل، على كلّ حال نعرف من أين استمدّت هذا المزاج الهستيري.

كانت لهجته لهجة اتّهام. لم تقل ليني شيئاً.

- يا لها من جرأة في قول إننا لا نفكر في سولفيغ وابنيها. بالطبع إنّ ذلك يهمنا، لكن من جهة أخرى، لقد أظهروا مرات كثيرة بأنهم ليسوا بحاجة إلى تعاطفنا، وما عليهم سوى تحمل وزر أعمالهم..

أحياناً تمقت ليني زوجها. كان يجلس هناك، راضٍ عن نفسه، ويلتهم بيضته بشهية. في قرارة نفسها، تخيلت أنها تتقدم نحوه، تمسك بصحنه وتضغطه بتؤدة على صدره. وبدلاً من ذلك، شرعت في إخلاء المائدة.

صيف 1979

هما تقتسمان الألم الآن. مثل أختين توأمين كانت تلتصق الواحدة بالأخرى في التحام ملؤه الحب والكراهية. من جهة، أنْ لا يكون المرء وحيداً في الظلمة أمرٌ يولد شعوراً بالأمان. من جهة أخرى، عن الرغبة في الإفلات من الشر كانت تتولد العدوانية، الرغبة في أن يكون الألم موجهاً نحو الآخر عند مَقدَم الرجل الموالي.

لم يتبادلا الحديث كثيراً. كان لصوت كلٍّ منها صدى مفرطَ الكآبة هنا في الظلمات العمياء. حينما كانت الخطوات تدنو، كل واحدة كانت تنصرف إلى جانبها، كانت الواحدة تتخلى عن ذراع وجسد الأخرى اللذين هما الحماية الوحيدة من البرد ومن الظلام. عندها، كلّ ما كان يهم هو الإفلات من الألم وكانتا تتواجهان في صراع كي تكون الأخرى هي من يقع بين يدي الكائن الخبيث.

هذه المرة ربحت وسمعت الصراخ وقد بدأ. بطريقة ما، لأنها نجت كان ذلك أمراً على القدر نفسه من الرعب تقريباً. صوت العظام التي تتعرض للكسر كان محفوراً بشدة في ذاكرتها، لذا أحسَّت في جسمها هي بكلّ صرخة صادرة عن الفتاة الأخرى. إنها تعلم أيضاً ما يلي الصراخ. حينها فإنّ اليدين اللتين قامتا باللَّيّ،

والنخر والجرح تتحولان، تحطّان وهما دافئتان وناعمتان هناك حيث الألم كان أشدّ وطأة. إنها تعرف الآن هاتين اليدين مثلما تعرف يديها هي. يدان عريضتان، ممتلئتان، ناعمتان لا نتوء فيهما. كانت الأصابع طويلة وحساسة مثل أصابع عازف البيانو، ورغم أنه لم يسبق لها أن رأتهما بحق، فإنها تستطيع تخيلهما بوضوح شديد.

الصرخات تتعاظم الآن وكان بودها لو استطاعت رفع ذراعيها كي تسد أذنيها. لكنهما يتدليان رخوان ولا فائدة منهما على طول جذعها ويرفضان الامتثال لأوامرها.

حينما توقفت الصرخات وفُتحت الطاقة فوق رأسيهما ثم أغلقت، زحفت فوق البلاط البارد والرطب نحو مصدر العويل.

حلّ وقت المواساة.

حينما أزيح غطاء التابوت جانباً، عمّ صمت مطبق. ورغماً عنه استدار باتريك كي يراقب الكنيسة وبصره حائر. لم تكن لديه فكرة عمّا ينتظر. برقٌ قادم من البرج قد يصعقهم في غمرة ما يقترفونه من تجديف، لكن لا شيء من ذلك حصل.

حينما رأى الهيكل العظمي في التابوت، انعقد لسانه. لقد كان مخطئاً.

- هو ذا، يا هيدشتروم. ها أنت الآن قد أوقعتنا في مَوْحل لعين.

رمقه ميلبرغ بحسرة وهذه الجملة لوحدها أعطت باتريك الانطباع بأنّ رأسه كان موضوعاً تحت منشار النجارة. رئيسه في العمل كان محقاً. إنه موحل لعين.

- نحمله معنا إذن، للتحديد إن كان الشخص المناسب، لكن أعتقد انه لن تكون هناك مفاجآت كثيرة. ما لم تكن لديك نظريات أخرى عن جثث مستبدلة وأشياء من هذا القبيل.

هزَّ باتريك رأسه فحسب. ذاك جزاء مستحق. قام الفنيون بعملهم، وفي وقت لاحق، حينما كانت العظام في طريقها إلى غوتبرغ، استقل باتريك ومارتن السيارة للعودة إلى المفوضية.

- أوشكت أن تكون على حق. لم يكن الأمر بذلك القدر من الهذيان المعلن.

كان صوت مارتن مواسياً، لكن باتريك هزَّ رأسه من جديد.

- لا، أنت مَن كان على حق. كانت تلك مؤامرة مفرطة في إثارته بكلّ صراحة ليتمّ تصديقها. أتخيل أنه سيكون عليّ التعايش مع هذا لأمدٍ طويل.

- أجل، خذْ ذلك في الحسبان، قال مارتن، لكن اسأل نفسك: هل كان في وسعك أن تنظر إلى وجهك في المرآة كل يوم لو أنك لم تفعل ذلك ولو علمْتَ بعد فوات الأوان أنك كنت محقاً وأن ذلك أودى بحياة جيني مولر؟ على الأقل، إنك حاولت والآن ينبغي أن نواصل العمل على كلّ الأفكار التي تخطر ببالنا، سواء كانت هذيانية أو لا إن تلك فرصتنا الوحيدة للعثور عليها قبل فوات الأوان.

- إنْ لم يكن قد فات أصلاً، قال باتريك وهو عابس بشدة.

- هل رأيت، هذه هي بالضبط الكيفية التي لا يجب أن تفكر بها. إننا لم نعثر عليها بعد وهي ميتة، وبالتالي إنها على قيد الحياة. ليس هناك بديل.

- أنت محق. إني لا أعرف فقط الوجهة التي يجب سلكها. أين يجب علينا البحث؟ إننا نعود دوماً إلى تلك الأسرة اللعينة، آل هولت، لكن لم يكن هناك قط شيء ملموس لاتّباعه.

- لدينا الصلة بين جرائم قتل سيف، مونا وتانيا.

- ولا شيء يعني لنا أن هناك صلة باختفاء جيني.

- لا، أقرّ مارتن، لكن لا أهمية لهذا في حقيقة الأمر، أليس كذلك؟ المهم، أن نقوم بأيّ شيء للعثور على قاتل تانيا ومَن

اختطف جيني. وسوف نرى إذاك إن كان الأمر يتعلق بالشخص نفسه أو لا، لكننا نقوم بأقصى ما يمكن.

أكد مارتن على كل كلمة من الجملة الأخيرة آملاً أنّ كلامه يفي بالمقصود. إنه يدرك جيداً لِمَ كان باتريك يجلد نفسه بعد استخراج الجثة الفاشل، لكن في هذه اللحظة، لا يستطيعان السماح بأن يفقد قائد التحقيق الثقة في نفسه. كان عليهما الوثوق في ما يقومان به.

ما إن وطئت أقدامهم المفوضية حتى نادت عليهما أنيكا، التي لوَّحت بسماعة الهاتف، ويدها مطبقة على مكبر الصوت.

- باتريك، إنه جوهان هولت. إنه يلح على التحدث إليك فوراً هل تكلمه؟

أومأ برأسه إيجاباً وتوجّه صوب مكتبه بخطى سريعة. ثانية عقب ذلك، رنّ الهاتف.

- باتريك هيدشتروم.

سمع باهتمام، دسّ بعض الأسئلة وأسرع إلى غاية مكتب مارتن وقد دبَّت فيه الحيوية من جديد.

- هيا معي يا مولان، يجب أن نذهب إلى فيالباكا.

- لكننا عدنا منها للتو. ماذا سنفعل هناك؟

سوف نتحدث بعض الشيء مع ليندا هولت. أعتقد أن أمراً مهماً يلوح في الأفق، أمر مهمٌّ جداً جداً.

كانت إريكا تأمل بأنهما، شأن أسرة فلود، سوف يرغبان في القيام بجولة في البحر خلال النهار، هكذا تكون قد تخلّصت منهما بهذا الخصوص، كانت مخطئة تماماً

- إننا لا نحب البحر كثيراً، مادلين وأنا نفضّل البقاء في الحديقة، وهكذا نستطيع مؤانستك. المنظر جميل للغاية.

ألقى يورغن نظرة إعجاب إلى الجزر الصغيرة واستعدّ لقضاء النهار تحت الشمس. وقد صعب على إريكا حبس ضحكتها. لقد كان يمتلك مظهراً سخيفاً، أبيض مثل قرص أسبرين ولديه نية واضحة في أن يبقى كذلك. المرهم الشمسي الذي دهن به نفسه من رأسه إلى قدميه كان يجعله أكثر بياضاً، كان أنفه مغطى بطين فليوري للحماية المشدّدة وقبعة شمسية كبيرة لاستكمال المظهر. بعد أن خصَّص نصف ساعة لكل تلك الاستعدادات، زفر ارتياحاً وتداعى إلى جانب زوجته على واحد من الكراسي الطويلة التي شعرت إريكا بضرورة إخراجها من أجلهما

- آه، إنها قمة الروعة، أليس كذلك يا ماد؟

أخذ ينعس وحدَّثت إريكا نفسها بأنها ستغتنم الفرصة للهروب بعض الوقت، حينها فتح عينيه:

- هل ستنزعجين إن طلبت منك مشروباً؟ كوباً كبيراً من عصير الرمان، سيكون على الرحب. ولمادلين أيضاً، هه ماد؟

هزّت زوجته رأسها فقط دون أن ترفع ناظريها. ما إنْ جلست حتى غرقت في كتاب عن نظام الضرائب، ومثل زوجها كان يبدو عليها خوف مريع من أن تلفحها الشمس قليلاً سروال وقميص بأكمام طويلة كانا يمنعان بفعالية كل تَسْمار. هي الأخرى كانت تضع قبعة شمس وأنف فليوري. الظاهر أنهما لم يكونا على بصيرة بما فيه الكفاية. جنباً إلى جنب هكذا، يخال المرء أنّ اثنين من سكان الفضاء قد حطَّا فوق عشب الحديقة.

دخلت إريكا بخطى وئيدة لإعداد المشروب. كل شيء، أي شيء، بشرط أن تعفى من حديثهما إنهما بلا شك أدعى الناس إلى الملل، الذين لم يسبق لها أن عرفت مثلهم. لو طُلب منها أمس مساء أن تختار بين قضاء السهرة صحبتهما وبين النظر للصباغة وهي

تجفّ، لكان الخيار الثاني أسهل. بالمناسبة، سوف تحدّث أم باتريك بإيجاز عن تسرّعها في إعطاء رقم هاتفهم.

كان باتريك محظوظاً لقدرته على الهروب إلى العمل، لكنها كانت تلاحظ بأنه متعَب. لم يسبق لها أن شهدته بذلك القدر من التأثر، بذلك الاستعجال للحصول على نتائج. كما أنّ الرهان لم يسبق أيضاً أنْ كان بتلك الأهمية.

كان بودّها أنْ تساعده أكثر. خلال التحقيق بصدد موت صديقتها أليكس، تمكَّنت من مساعدة الشرطة مرات عديدة، لكن كانت لها صلة شخصية بالضحية. الآن، يمنعها حجم جسمها البطن والحرارة يتآمران، للمرة الأولى في حياتها، لإرغامها على أن تظلّ خاملة. علاوة على ذلك، خيِّل إليها أنّ دماغها توقّف في ما يشبه الانتظار. كلّ أفكارها تصبّ في اتجاه الطفل والمجهود الجبَّار الذي سوف يُستلزم منها في المستقبل القريب. كان ذهنها يتشبث برفض التركيز على أمرٍ مغاير وتتعجَّب من الأمهات اللائي كنّ يعملن إلى غاية عشية الولادة. ربما كانت مختلفة، لكن كلّما تقدّم الحمل أضحت، اختُزِلَتْ - أو رُفِعَتْ، بحسب وجهة النظر- إلى جهاز عضوي وظيفته الحَضن والإطعام. كل شعرة من جسدها كان هدفها إخراج الطفل إلى العالم بقدر ما كان الدخلاء إليه مُرهِقين. كانوا بكل بساطة يشوّشون على تركيزها. لم تكن تنجح في فهم أن وجودها لوحدها بالبيت يوترها إلى كلِّ ذلك الحدّ. الآن، تبدو لها الوحدة مثل الجنة الأبدية.

وهي تزفر، أعدت كوباً كبيراً من عصير الرمان، وأضافت إليه مثلجات ثم ناولته للقادمَين من المريخ بالخارج على العشب.

بعد التحقق سريعاً من المزرعة، عِلماً أن ليندا لم تكن هناك،

بدت ماريتا متحيرة لمَّا رأت مفتشَيْ الشرطة، لكنها لم توجه لهما سؤالاً مباشراً وبعثتهما فحسب إلى القصر الريفي. للمرة الثانية في ظرف وجيز، صعد باتريك الممرّ الطويل. ومرة أخرى، أثاره جمال المكان. إلى جانبه، كان مارتن مشدوهاً.

- اللعنة إذن، يا لهم من محظوظين!

- أجل، يمتلك بعض الناس الحظ، قال باتريك.

- وهما الاثنان فقط مَن يعيش بهذا البيت الضخم؟

- ثلاثة إذا أخذنا ليندا في الحسبان.

- هذا ما يفسِّر لماذا هناك أزمة سكن في السويد، قال مارتن.

هذه المرة، كانت ليني هي مَن فتح الباب حينما دقَّا الجرس.

- ماذا يسعني فعله لأجلكما؟

هل كانت هناك ذرة قلق في صوتها؟ تساءل باتريك.

- نريد ليندا. لقد ذهبنا إلى المزرعة - أشار برأسه إلى اتجاهها - لكن زوجة ابنك قالت إنها هنا.

- ماذا تريدون منها؟ جاء غابرييل خلف ليني التي لم تكن قد فتحت الباب بما يكفي كي يدخلا

- هناك بعض الأسئلة لطرحها عليها.

- لن يطرح أحد أية أسئلة على ابنتي ما لم أعرف بأيّ خصوص.

نفخ غابرييل صدره واستعد للدفاع عن نسله. في الوقت الذي كان فيه باتريك يباشر للإتيان بحجته، ظهرت ليندا عند زاوية القصر الريفي. كانت ترتدي زيّ ركوب الخيل وبدا أنها تتجه صوب الإسطبل.

- هل تبحثان عني؟

أومأ باتريك برأسه، وقد ارتاح باله لأنه لن يضطر للدخول في مواجهة مباشرة مع والدها.

- أجل، عندنا بعض الأسئلة لك. نبقى هنا، بالخارج، أم تفضلين أن ندخل؟

قاطعه غابرييل.

- ما الحكاية، يا ليندا؟ هل اقترفتِ شيئاً ينبغي أن نعلم به؟ من غير الممكن أن تستنطقك الشرطة دون حضورنا، فليكُن لك علمٌ بذلك!

أومأت ليندا برأسها، وقد بدت فجأة بمظهر فتاة صغيرة خائفة.

- أفضّل أن ندخل.

بسكون سارت في عقبي مارتن وباتريك نحو غرفة الجلوس، ودون أدنى مراعاة للثوب الأبيض تداعت فوق الأريكة بملابسها التي ينبعث منها نتن الحصان. لم تستطع ليني منع التشمّم بأنفها، وألقت ليندا نحوها نظرة كلها تحدي.

- هل يناسبك أن نطرح عليك بعض الأسئلة بحضور والديك؟ لو كان الأمر يتعلق باستنطاق وفق القواعد الجارية، لن نستطيع رفض حضورهما، بما أنك لم تصلي بعد سنّ الرشد، لكن في هذه اللحظة، نود فقط أن نطرح بعض الأسئلة.

بدا غابرييل على أهبّة الاندفاع في جدل جديد بخصوص الموضوع، لكن ليندا لم تفعل سوى هزّ كتفيها. للحظة، خيِّل لباتريك أنه لحظ نوعاً من الاكتفاء امتزج بالتوتر، لكنه اختفى فور ذلك.

- لقد توصّلنا للتو بمكالمة من جوهان هولت، ابن عمك. هل تعلمين ما كان يودّ إخبارنا به؟

اكتفت مجدداً بهز كتفيها وشرعت تعبث بأطراف أظافرها في غير اكتراث.

- لقد التقيتما في الآونة الأخيرة، أليس كذلك؟

كان باتريك كمن يمشي على البيض. لقد شرح له جوهان بعض الأشياء عن علاقتهما وكان يفترض بأنّ الخبر لن يتمّ الترحيب به من طرف غابرييل وليني.

- أي نعم، لقد التقينا قليلاً.

- ما هذه السخافات؟

فزعت كلّ من ليني وليندا مثله مثل جاكوب، لم يتلفظ غابرييل أبداً بكلمات نابية. ولا تَذكُران أبداً أنهما سمعتاه يفعل ذلك.

- ماذا؟ أرى من أريد. ليسَ أنت من يقرِّر ذلك.

تدخَّل باتريك قبل أن ينحرف الوضع كلياً.

- لا يهمنا معرفة متى التقيتما، ولا بأيّ وتيرة تمّ ذلك، هذا قد تحتفظين به لنفسك فيما يخصنا، لكن هناك موعد يهمنا على نحوٍ خاص. قال جوهان إنكما التقيتما ذات مساء قبل خمسة عشر يوماً من الآن، بمخزن الحبوب في المزرعة.

احمرّ وجه غابرييل من شدّة الغضب، لكنه لم يقل شيئاً وانتظر بفارغ الصبر جواب ليندا.

- أجل، ممكن. لقد التقينا هناك مرات عديدة، إذن لا أستطيع أن أقول متى بالضبط.

كانت تعبث دائماً بأظافرها بتركيزٍ كبير ولم تكن تنظر إلى أيّ واحد من الراشدين الذين يحيطون بها.

استلم مارتن حبل الكلام هناك حيث توقف باتريك.

- ذلك المساء، رأيتها شيئاً مميزاً، حسب جوهان. ألا تعرفين دائماً إلامَ نلمِّح؟

- بما يبدو عليكما معرفة ذلك، ربما تستطيعان إخباري بالأحرى؟

- ليندا، لا تجعلي الأمور أسوأ ممّا هي عليه بوقاحتك. الآن كوني لطيفة وأجيبي عن أسئلة المفتش. تعلمين عن أيّ شيء يتحدث، إذن قولي ذلك، لكن إنْ كان ذلك يخصّ أمراً ورَّطك فيه ذلك. الصعلوك، إذن سوف.

- توقّف، إنك لا تعلم شيئاً عن جوهان. بنفاقك، فأنت.

- ليندا، قاطعها صوت ليبني من باب التحذير. لا تعقّدي الأمور. افعلي ما يقول أبوك وردّي على الأسئلة، بعدها نتحدث عن الباقي فيما بيننا.

بعد وقت من التفكير، ظهر وكأن ليندا اتَّبعت ما قالته أمها بالحرف واسترسلت والعبوس بادٍ عليها:

- أفترض أن جوهان قال إنّه تمت مشاهدة المرأة.

- أية امرأة؟ كانت علامة الاستفهام واضحة على محيّا غابرييل.

- الألمانية، تلك التي تمّ قتلها.

- أجل، ذلك ما صرَّح به جوهان لنا، أكَّد باتريك، ثم انتظر في صمت أن تتابع ليندا.

- لستُ متيقنة مثل جوهان بأنها كانت هي بالفعل. لقد شاهدنا صورها في الصحف وكان هناك ما يكفي من الشَّبه، أظن، لكن هناك الكثير من الفتيات بذلك الشكل. وما الذي كان سوف يؤدي بها إلى المزرعة؟ إنه ليس مكاناً سياحياً تماماً، صحيح؟

تجاهل مارتن وباتريك سؤالها. كانا يعرفان بالضبط ما الذي جاءت تصنعه بالمزرعة. تتبَع المسلك الوحيد الممكن حول اختفاء أمها - جوهانس هولت.

- أين كانت ماريتا والطفلين ذلك المساء؟ قال جوهان إنهم لم يكونوا بالبيت، لكنه لم يكن يعلم أين كانوا.

- لقد ذهبوا حينذاك لقضاء بضعة أيام بمنزل والدَي ماريتا.

- إن جاكوب وماريتا يقومان بذلك بين الفينة والأخرى، شرحت ليني. عندما يحتاج جاكوب للقيام بنفسه ببعض الإصلاحات بالبيت في هدوء، تذهب لأيام معدودة عند والديها مع الطفلين. هكذا يريان جدّيهما من أمهما قليلاً أيضاً. أما نحن، فنقيم بالجوار إذ نستطيع رؤيتهما كل يوم عملياً.

- لنقل أنكِ لا تعلمين إن كان الأمر يتعلق حقاً بتانيا شميدت، لكن هل تستطيعين وصف الفتاة التي رأيت؟

تردَّدت ليندا.

- سمراء، متوسطة القامة. شعر منسدل على الكتفين. مثل أي كان. ليست طريفة جداً، أضافت باستعلاء مَن تعلَم أنها ولدت بمحاسن خلقية.

- وماذا كانت ترتدي؟ مال مارتن نحو الأمام سعياً منه إلى لفت نظر المراهقة، لكنه فشل في ذلك.

- أقصد، لا أتذكره جيداً. حدث ذلك منذ خمسة عشر يوماً وكان الليل قد أرخى سدوله.

- حاولي. حثّها مارتن على القيام بمجهود

- على نمط الجينز، على ما أظنّ. قميص قصير ضيق وسترة. سترة زرقاء وقميص قصير أبيض، أعتقد، ما لم يكن الأمر هو العكس؟ ثم، أجل، حقيبة حمراء تُحمل على الكتف.

تبادل باتريك ومارتن النظرات. لقد وصفت للتو الملابس بالضبط التي كانت ترتديها تانيا الليلة التي اختفت فيها. وكان القميص القصير أبيض حقاً والسترة زرقاء، وليس العكس.

- في أيّ وقت من الليل رأيتها؟

- كان الوقت باكراً بما فيه الكفاية، أظنّ. نحو السادسة.

- وهل رأيت إنْ كان جاكوب قد دعاها للدخول؟

- لم يفتح أحدٌ حينما قرعت الباب، على أيّ حال. ثم دارت خلف البيت، وبالتالي لم يعد في إمكاننا رؤيتها

- هل رأيتما إن كانت قد انصرفت؟

- لا، الطريق لا تُرى من مخزن الحبوب. ومثلما قلت للتو، لستُ متأكدة بالقدر الذي عند جوهان بأن تلك المرأة هي مَن رأينا!

- هل لديك فكرة عمّن تكون غيرها؟ أقصد، ليس هناك الكثير من الأغراب الذين يأتون لطرق الباب بالمزرعة؟

مرة أخرى هزَّةُ كتفينْ دليلاً على اللامبالاة. بعد لحظة صمت، أجابت:

- لا، لا أدري مَن قد تكون تلك. ربما شخص أراد بيع شيء ما، ما أدراني؟

- لكن جاكوب لم يلمع إلى هذه الزيارة بعد ذلك؟

- لا لم تستفِض في إجابتها أكثر، فأدرك باتريك ومارتن بأنها كانت منشغلة بما رأته أكثر من انشغالها بما أرادت الإيماء إليه أمامهما وربما أمام والديها

- هل أستطيع أن أعرف منكما عمَّ تبحثان؟ أكرِّر لكما ذلك، لقد أصبح هذا أشبه بالمضايقة الموجّهة ضد أسرتي. كما لو أنّ نبش قبر أخي لم يكن كافياً لكما! بالمناسبة، إلى أين وصلتم في شأن ذلك؟ هل كان التابوت فارغاً أم ماذا؟

كانت نبرة غابرييل مستهزئة ولم يكن على باتريك سوى أن يتقبل النقد المغلف.

- كان هناك أحد ما في التابوت، أجل. على الأرجح، أخوك جوهانس.

- على الأرجح، خنخن غابرييل، ثم صالب ذراعيه فوق صدره

- والآن، سوف تتصدّون إلى جاكوبنا المسكين أيضاً؟

مذعورة، نظرت ليني إلى زوجها. كان الأمر وكأنها فهمت الآن فقط تبعات أسئلة الشرطة، فشرعَت تعبث بحنجرتها:

- لا، إنكما لا تعتقدان مهما كان الأمر، بأن جاكوب. !

- لا تراودنا الآن أدنى فكرة، لكننا نستعجل تحديد تنقلات تانيا قبل اختفائها وقد يكون جاكوب شاهداً مهماً

- شاهد! على كلّ حال، إنكما تبذلان جهدكما من أجل إظهار الأمور على نحوٍ ظريف، عليَّ الإقرار لكما بذلك، لكن لا تظنّا لحظة أننا نصدِّقكما. إنكما تسعيان إلى إكمال ما شرع فيه سنة 1979 زملاؤكما الفاقدون للأهلية، ولا يهم على مَن تقبضون، شرط أن يكون من آل هولت، أليس كذلك؟ بداية، تتوقعان فرضية المغفلين التي مفادها أن جوهانس لا يزال على قيد الحياة إلى اليوم وأنه شرع في قتل الفتيات بعد انقطاع دام عشرين سنة، ثم حينما يتضح بأنه شبع موتاً داخل تابوته، تهاجمان جاكوب.

نهض جاكوب وأشار إلى الباب.

- اخرجا من هنا! لا أريد أن أراكما مجدداً بمنزلي ما لم يتوفر الإذن الرسمي اللازم وبحضور محامينا وفي انتظار ذلك، فلتذهبا إلى الجحيم!

كانت اللعنات تخرج من فمه بسهولة أكثر فأكثر وتجمع الريق عند جنبي شفتيه. كان باتريك ومارتن يدركان متى يصير حضورهما غير مرغوب فيه، فغادرا المكان. حينما انغلق باب المدخل خلفهما بشدة، آخر شيء تناهى إلى سمعهما هو صوت غابرييل الذي صرخ في وجه ابنته:

- وأنت، ماذا ذهبت تصنعين مرة أخرى من سخافات؟

- سكت دهراً ونطق كفراً.

- أجل، لم أكن أتوقع أبداً أنّ كل تلك النار ظلت مشتعلة تحت ذلك المظهر الهادئ، قال مارتن.

- نقول قولنا هذا، لكن بمعنى ما، في إمكاني تفهمه. إنْ نظرنا إلى الأمر من زاويته. كانت أفكار باتريك تسرع من جديد نحو الفشل الذريع الذي شهده صباحاً

- كُفّ عن التفكير في ذلك، قلتُ لك. لقد صنعت كلّ ما بوسعك والآن توقف عن التباكي، قال مارتن بما يكفي من القسوة.

نظر إليه باتريك مندهشاً. أحسّ مارتن بنظرته فهزّ كتفيه معتذراً:

- أنا أتأسف، أظنّ أنّ الإرهاق أخذ يزحف عليّ بدوري.

- لا، لا أنت محقٌّ تماماً الوقت غير مناسب للإشفاق على نفسي. أبعد نظره عن الطريق قليلاً ونظر إلى زميله. ولا تعتذر أبداً عن كونك صادق.

- وهو كذلك.

عمّ صمت ثقيل للحظة. حينما تجاوزا خليج فيالباكا، قال باتريك لتلطيف الأجواء:

- ألن تتسلّم من قريب بطاقتك الخضراء؟ هكذا نستطيع إجراء جولة غولف معاً.

- وهل تجرؤ على فعل ذلك؟ وجّه إليه مارتن ابتسامة هازئة. ربما أنا موهبة مغمورة، حذار، قد أتغلب عليك.

- أستبعد ذلك. الماثل أمامك هو سيد العشب الأخضر.

- أجل، طيب، على أية حال، لا يجب التأخر كثيراً، وإلا سوف يكون قد فات الأوان.

- كيف ذلك؟ بدا باتريك مندهشاً بصدق.

- ربما نسيت ذلك، لكن لديك صغير آتٍ في الطريق بعد بضعة

أسابيع. وتعرف أنه لن يتوفر لك الكثير من الوقت بعدها لتغيير أفكارك.

- أوه، هناك دوماً حلول. تلك الأشياء الصغيرة معروفة بكثرة النوم، وأعتقد أننا قد نجد دوماً فسحة من الوقت. إن إريكا تدرك جيداً أنني بحاجة إلى أشيائي الخاصة بي بين الفينة والأخرى. هذا ما تعهَّدنا به حينما قررنا الحصول على طفل، وأن يتمّ ذلك شريطة الحفاظ على الزمن والمكان لنا أيضاً وأن لا نكون فقط والدين.

عندما وصل باتريك إلى نهاية جملته، كانت الدموع تغمر عينَي مارتن من شدّة الضحك. وقد سُمعت له قرقرة وهو يهزّ رأسه.

- أي نعم، ستوفران بالتأكيد الكثير من الوقت. إن تلك الأشياء الصغيرة تنام كثيراً، قال محاكياً نفسه، ممّا جعله يضحك أكثر من السابق.

بدا باتريك قلقاً بعض الشيء حيث كان يعرف أن لأخت مارتن خمسة أطفال وتساءل عمّا إذا كان مارتن يعلم ما ليس يعرفه هو، لكن قبل أن تسنح له الفرصة بأن يسأله ذلك، رن هاتفه المحمول:

- هيدشتروم.

- نهارك سعيد، أنا بيدرسن. هل من إزعاج؟

- لا، أبداً. أنتظر فحسب أنْ أجد مكاناً لركن السيارة.

كانا يتجاوزان مُصطاف غريبستاد واكفهرّ وجهُ كلّ منهما. قطع باتريك بضع مئات من الأمتار إلى أن وصل موقف الجسر وهناك ركن السيارة.

- ها أنا قد فعلت، لقد ركنتها. هل وجدتم شيئاً ما؟

لم يستطع إخفاء حماسته، وتابعه مارتن وهو نافد الصبر. مرَّ حشد من المصطافين أمام السيارة، دخولاً وخروجاً من المتاجر والمطاعم.

- نعم ولا نحن نتأهب للقيام بفحص معمَّق، لكن بالنظر إلى الظروف، راودتني فكرة أنك قد تستحسن سماع أنّ استخراجك المستعجل للجثة لم يكن بلا فائدة.

- صحيح أنني تسرّعت. أشعر بأني غبيّ، وعليه، إنْ كان لديك شيء ما، ليس ضرورياً أن أخبرك بأنّ ذلك يهمني.

- أولاً، الملف الطبي الخاص بالأسنان يشهَد لنا أنّ الشخص في التابوت هو بحقّ جوهانس هولت، ليس هناك أدنى شك، لكن، أضاف الطبيب، ولم يكبح جماح الرغبة في التوقّف حتى يكون الأثر أبلغ، إنّ القول بأنه مات مشنوقاً هو من قبيل السخف التام. إنّ موته المبكر ناتج بالأحرى من ضربة قوية أصابته في الرقبة.

- اللعنة، أعِدْ عليّ ذلك! أجفل مارتن لفرط ما صاح باتريك بشدّة. كيف ذلك، ضربة قوية؟ هل تمّ ضربه بهراوة؟ هذا ما تودّ قوله لي؟

- شيء من هذا القبيل، لكنه الآن ممدَّد على الطاولة، ما إن أصل إلى شيء إضافي، أعاود الاتصال بك. قبل أن أفحصه من قرب، لا أستطيع قول شيء.

- شكراً لاتصالك بهذه السرعة. وأخبرني ما إن تتعرّف على المزيد

أغلق باتريك هاتفه على طريقة الظافر.

- ماذا قال؟ ماذا قال؟ كان مارتن يتلعثم تقريباً من نفاد صبره.

- بأنني لست غبياً تماماً.

- أجل، أفترض أننا بحاجة إلى طبيب لملاحظة مثل هذا الأمر، لكن عدا هذا؟ قال مارتن بجفاء.

- قال إن جوهانس مات مقتولاً

انحنى مارتن إلى الأمام، أمسك وجهه بيديه مُبدياً يأساً مصطنعاً.

- اللعنة إذن، ها هنا، سأستقيل من هذا التحقيق السخيف. كل هذا يقارب الجنون! تقول إذن إن المشتبه فيه الرئيس في اختفاء سيف، مونا، أو موتهما مثلما نعلم الآن، تعرض بدوره للقتل؟

- هذا بالضبط ما أقوله. ولئن ظنّ غابرييل هولت أنه يكفي الصراخ بقوة لإرغامنا على الكف عن التنقيب في غسيلهم الوسخ، فإنه ينخدع كلياً إنّ ما علمناه للتو يدلّ على أنّ أسرة هولت تخفي شيئاً ما. أحدهم يعرف كيف ولماذا تمّ قتل جوهانس، وأراهن أنّ لذلك علاقة بمقتل الفتيات! ضرب كفّه بقبضة يده وشعر بأنّ إحباط الصبيحة تحوَّل إلى طاقة متجددة.

- آمل فحسب أن نستطيع حلّ كلّ ذلك في الوقت المناسب، من أجل جيني مولر، قال مارتن.

كان لتعليقه أثر سطلٍ من الماء البارد وقد صُبَّ على رأس باتريك. لم يكن عليه الانجراف خلف غريزة المنافسة. ما كان عليه نسيان الغاية من تحقيقهما لبثا للحظة يتأملان المارة. ثم انطلق باتريك بالسيارة وتابع نحو المفوضية.

كان كينيدي كارلسون يعتقد أن كل شيء بدأ بسبب اسمه الشخصي. كان ذلك هو الأمر الوحيد الذي يستحضره. في وسع أشخاص آخرين إيجاد أعذار جيدة، على سبيل المثال والدان يدمنان الشرب ويضربانهم. بالنسبة له كان الاسم الشخصي.

لقد أمضت أمه بضع سنوات بالولايات الأميركية بعد الدراسة. فيما مضى كان الأمر يُعتبر حدثاً صغيراً حينما يذهب أحد ما من المنطقة إلى الولايات المتحدة الأميركية، وبصفة عامة، كان المرء

يظلّ هناك، لكن في منتصف الثمانينيات، حينما ذهبت أمه، فإنّ تذكرة إلى الولايات لم تعُد تعني رحلة ذهاب فقط. كان الشباب الذين يذهبون إلى المدينة أو إلى الخارج كثرة. الشيء الوحيد الذي لم يتغير، كانت هي اللاألسن التي تنطلق للقول بأنّ ذلك لن يتم أبداً بشكل جيد. فيما يخص أمه كانت ألسنة السوء على حق، إلى حدٍّ ما. بعد بضع سنوات في القارة الجديدة عادت وهي حبلى به. لم يسبق له أبداً أن عرف أباه، لكن حتى ذلك، لم يكن عذراً جيداً. قبل ولادته، تزوجت أمه من كريستر، الذي كان طيباً شأن أب حقيقي. لا، إنها حكاية الاسم الشخصي تلك. افترض أنها كانت تريد إثارة الانتباه، وإظهار أنها وإن رجعت إلى البلد في حالة لا تُحسد عليها فإنها رغم ذلك زارت العالم الشاسع. وهو سوف يكون الذكرى الدائمة عن ذلك. إلى حدّ أنها لم تكن تدع أيّ فرصة تمرّ دون القول بأن ابنها البكر يحمل اسم جون ف. كينيدي، «بما أنها خلال تلك السنوات في الولايات الأميركية قد أعجبت كثيراً بذلك الرجل». وكان يتساءل لماذا في هذه الحال لم تطلق عليه اسم جون بكل بساطة.

منح كريستر وأمه أفضل الحظوظ لأخويه وأخته. بالنسبة لهما فإن إيملي، مكاييل وتوماس أسماء تفي بالغرض. أسماء سويدية جيدة عادية، تجعله يختلف أكثر عن الذرية. كون أبوه البيولوجي رجلاً أسود زاد الطين بلة، لكن كينيدي لم يكن يعتقد بأنّ ذلك هو ما جعله مختلفاً عن الآخرين. كان فحسب ذلك الاسم السخيف، إنه متأكد من ذلك.

لقد استمتع بالذهاب إلى المدرسة. يتذكر الأمر بوضوح. الإثارة، الفرح، استعجال بدء شيء جديد، مشاهد انفتاح عالم جديد. لم يتطلّب الأمر سوى يوم واحد أو يومين كي تتبخر أوهامه.

وكان ذلك بسبب هذا الاسم الغريب. وأدرك بسرعة عذابه من كونه مختلفاً. اسم غريب، شعر غريب، لباس عفى عنه زمن الموضة، لا يهم. ذلك يظهر بأننا مختلفون. في حاله، كان الآخرون يعتبرون أنه مغترٌّ بذلك الاسم الفريد، وقد عدوا ذلك بمثابة ظرف تشديد. كما لو أنه هو مَن اختاره. لو كان يستطيع الاختيار للقَّب نفسه جوهان أو أوسكار، أو فردريك. شيء يسمح له بالاندماج في الجماعة تلقائياً.

جحيم الأيام الأولى بالمدرسة الابتدائية لم يكن له بدّ من الاستمرار. الوخز والوكز والإقصاء أدَّت به إلى بناء جدار حوله، صلب مثل الصخر، ثم تبعت الأفعال أفكاره. كلّ الغضب الذي راكمه خلف الجدار أخذ يسيل عبر ثقوب صغيرة كانت تصير أكبر فأكبر، إلى أن صار الجميع قادراً على رؤيته. حينها كان الأوان قد فات. لقد أفسد المدرسة وثقة أسرته وأصدقائه لم تكن من النوع اللائق.

من جهته، امتثل كينيدي للقدر الذي خصّه به اسمه. وُشِمتْ على جبينه كلمة «مشكل» والشيء الوحيد الذي تبقى له للقيام به هو الاستجابة للتوقعات. طريقة للعيش سهلة بما فيه الكفاية، لكنها صعبة أيضاً على نحوٍ مفارق.

كل ذلك تغيَّر عندما وصل على مضض إلى مركز بولارين. تمّ القبض عليه من أجل سرقة سيارة مشؤومة، وكان المقام هناك شرط مناسب لعقوبته. وقرَّر أن لا يُظهر أدنى مقاومة حتى يستطيع الرحيل من هناك بأسرع ما يكون. بعد ذلك التقى جاكوب. وبواسطة جاكوب التقى الرب.

الاثنان متساويان في نظره.

لم يتمّ ذلك كما لو أنه معجزة. لم يسمع صوتاً جهورياً قادماً من السماء، ولم يرَ برقاً يضرب الأرض أمامه دليلاً على وجوده. وإنما بالأحرى على مرّ الساعات التي أمضاها في محادثة جاكوب،

رأى تدريجياً صورة ربّ جاكوب ترتسم أمامه. مثل قطعة البَازِل التي تُظهر بتؤدة الصورة الممثّلة على العلبة.

في البداية، تمرَّد. هرَب من المدرسة واقترف حماقات مع رفاقه. وأسرف في معاقرة الخمر إلى حدّ كان يتمّ إرجاعه في حالٍ يرثى لها، ليلتقي في اليوم الموالي، رغم صداع الإفراط في السُّكر المصحوب بالشقيقة، نظرة جاكوب الوديعة التي كانت تبدو دائماً، على نحوٍ غريب، خالية من أيّ عتاب.

اشتكى إلى جاكوب من حكاية الاسم تلك، الذي يُعِدّ حسبه أصل كل عثراته. حينها بيَّن له جاكوب أنّ اسمه كان شيئاً إيجابياً، إشارة إلى الوجهة التي ينبغي أن تتخذها حياته. كان هبة تلقاها، أضاف جاكوب مفسراً أن تتمتع، منذ الولادة، بمثل تلك الهوية الفريدة من نوعها فذلك يدلّ بقوة على أنّ الرب اصطفاه من بين الكثيرين. هذا الاسم كان يجعله متفرداً، وليس غريب الأطوار.

وبنهم جائعٍ يجلس إلى مائدة العشاء، امتصّ كينيدي كل الكلمات. بتؤدة، أدرك أن جاكوب كان على حق. اسمه كان عبارة عن هبة. يجعل منه كائناً متفرِّداً ويظهر أنّ الرب كان يخصّ كينيدي كارلسون بتدبير خاص. وإنْ هو علم بذلك، فهذا بفضل جاكوب هولت.

بدا جاكوب مهموماً في الآونة الأخيرة، وذلك كان يُقلق كينيدي. لقد سمع بالضرورة الإشاعات عن أسرته وعلاقاتها المفترضة بالفتيات المقتولات، وكان يعتقد بأنه يتفهّم حيرة جاكوب. هو بدوره كان عليه مواجهة حقد مجتمع متعطِّش للدم. الآن، يبدو أن أسرة هولت كانت هي الطريدة.

طرق بلطف باب جاكوب. بدا له أنه سمع أصواتاً متوترة، وحينما فتح الباب كان جاكوب يقفل السماعة، متجهِّم الوجه.

- كيف الحال؟
- بعض المشاكل العائلية فحسب. لا تزعج بالك.
- مشاكلك هي مشاكلي يا جاكوب. أنت تعلم ذلك. ألا تريد أن تخبرني؟ تستطيع الوثوق فيّ، مثلما وثقتُ فيك.
فرك جاكوب عينيه بحركةٍ تنمّ عن ضجر ثم تكوَّم على نفسه.
- إنها قضية سخيفة جداً. بسبب حماقة اقترفها أبي منذ أربع وعشرين سنة خلَت، فإن الشرطة تتوهَّم بأننا متورِّطون في مقتل تلك السائحة الألمانية، كما تعرف، لقد تحدَّثت عنها الصحف.
- لكن، هذا أمر رهيب.
- أجل، وآخر ما وقع، هو أنهم استخرجوا جثة عمي جوهانس هذا الصباح.
- لكن، هذا أمر رهيب! انتهكوا قبره؟
ارتسمت ابتسامة على طرفِ شفتَي جاكوب. سنة قبل ذلك، لكان قال: أيّ قبر مقرف سافل ذاك؟
- أجل، للأسف. أسرتي بأكملها تتألم لذلك، لكننا لا نستطيع فعل أي شيء.
شعر كينيدي بالغضب القديم يغمر صدره، لكنه يتحمله الآن على نحوٍ أفضل. من الآن فصاعداً، فإنه صار غضب الرَّب.
- لكن، ألا تستطيعون تقديم شكوى؟ ضدّ المضايقة أو شيء من هذا القبيل؟
من جديد ابتسامة جاكوب العوجاء، المُعَنَّاة.
- أنت، بتجربتك مع الشرطة لا تريدني أن أصدّق، مهما كان، أنّ ذلك أوصل إلى شيء ما؟
لا، بالطبع. احترامه لرجال الشرطة لم يكن متيناً، إن لم يكن منعدماً. إن كان هناك من يفهم إحباط جاكوب، فإنه هو بالتحديد.

كان يشعر بامتنان كبير تجاه جاكوب لكونه اختاره هو من بين الجميع، لمشاطرته معاناته. وهذه هدية إضافية سوف يشكر الرب عليها أثناء صلاة المساء. كان كينيدي يهمّ بفتح فمه لإخبار جاكوب بذلك، عندما قطع رنين الهاتف اندفاعه.

- المعذرة. رفع جاكوب السماعة.

عندما أقفل بعد دقائق معدودة، كان أشدّ شحوباً من ذي قبل. أدرك كينيدي أنّ أب جاكوب كان هو المتحدث وقد بذل مجهوداً كبيراً حتى لا يظهر بأنه كان يُنصت بشراهة.

- هل حدث أمرٌ ما؟

خلع جاكوب نظارتيه ببطء ثم وضعهما.

- لكن قُلْ شيئاً، ماذا كان يريد؟ لم يكن كينيدي قادراً على إخفاء فزعه.

- إنه أبي. جاءت الشرطة لطرح أسئلة على أختي. لقد اتصل بهم ابن عمي جوهان لإخبارهم أنها هي وهو شاهدا تلك الفتاة التي تمّ قتلها، أمام بيتي. تحديداً قبل أن تختفي. يا رب كُن لي معيناً.

- فليكن الرب في عونك، ردَّ كينيدي همهمة.

اجتمعوا في مكتب باتريك. كان المكان ضيقاً، لكن بشيء من الإرادة الصادقة نجحوا في أخذ مكانهم جميعاً. لقد اقترح ميلبرغ أن يستعملوا مكتبه، وهو أكبر من المكاتب الأخرى بثلاثة أضعاف، لكن باتريك لم يُرِدْ نقل كلّ ما علّقه على الجدار.

كانت لوحة العرض مغطاة بقطع من الورق والملاحظات وفي وسطها صور سِيفْ، مونا، تانيا وجيني. كان باتريك يقعد بجنبه على مكتبه. وكان الجميع هناك، مارتن، ميلبرغ، غوسطا، إرنست

وأنيكا، أدمغة مفوضية تانمشيد مجتمعة كلها للمرة الأولى منذ مدّة ليست بالقصيرة، وكان الجميع يتابع باتريك. أحسَّ بغتة بثقل المسؤولية يقعُ على كاهله وأخذ العرق يرشح منه. لقد كره على الدوام أن يكون وسط الدائرة. وأن يعرف بأن الآخرين ينتظرون بنفاد صبر ما سوف يقول فذلك كان يبثّ القشعريرة في سائر بدنه. نحنح جرعة من حلقه.

- منذ نصف ساعة خلت اتصل بنا تورد بيدرسن من مركز الطب الشرعي وقال بأن استخراج الجثة هذا الصباح لم يكن بلا فائدة تماماً.

هنا قام بوقفة وسمح لنفسه بأنْ يشعر بالرضى ممّا سوف يصرِّح لهم به. إن احتمال أن يكون مثار سخرية زملائه طوال شهور لم يعجبه بتاتاً.

- إنّ فحص جثة جوهانس هولت يكشف بأنه لم يَشنق نفسه. كلّ شيء يدل على أنه تلقى ضربة قوية على مؤخر الرأس.

عمَّ الهرجُ الجمعَ. تابع باتريك، وهو يدرك جيداً أنه الآن يحظى بانتباه الجميع.

- وعليه بين أيدينا الآن جريمة قتلٍ أخرى، وإن لم تحدُث بالأمس. وقد ارتأيتُ أنه حان الوقت لنجتمع من أجل توضيح الأمور. هل لديكم أسئلة؟ لا أسئلة؟ طيب، فلننطلق.

بدأ باتريك بعرض كل ما لديهم من معلومات عن سيف ومونا، ومن ضمنها شهادة غابرييل. واصل بمقتل تانيا والتشريح الذي كشف أنها كانت تعاني من الجروح نفسها التي على سيف ومونا، وقد تبيَّن أنها ابنة سيف، ثم تصريحات جوهان الذي يؤكد أنه شاهد تانيا بمنزل جاكوب في المزرعة.

أسمع غوسطا صوته:

- وجيني مولر؟ لستُ مقتنعاً تماماً أنّ هناك صلة بين اختفائها وجرائم القتل.

حدَّقت كل العيون في صورة المراهِقة الشقراء التي كانت تبتسم في وجوههم من لوحة العرض. عينا باتريك كانتا تحدقان أيضاً.

- أوافقك الرأي، غوسطا، قال. في اللحظة الراهنة هذه مجرد نظرية ضمن أخريات، لكن التمشيط لم يعطِ أُكْلَه والتحقُّق من المغتصبين الموجودين في الناحية أدَّت بنا فقط إلى طريق مارتين فريسك الخاطئ. كلّ ما نستطيع فعله الآن، هو أن نأمل في أن يأتي السكان المحليون لمساعدتنا، أن يكون شخص ما قد شهد شيئاً، وسوف نواصل العمل وفق فرضية أنّ الشخص نفسه هو مَن قتل تانيا واختطف جيني. هل هذا يجيب عن سؤالك؟

أومأ غوسطا برأسه. دلَّ الجواب مبدئياً على أنّ لا علم لهم بذلك، ممّا يؤكد تقريباً ما يفكر فيه.

- بالمناسبة، يا غوسطا، لقد أخبرتني أنيكا بأنكما ذهبتما للتحقق من قضية السماد تلك. عمَّ أسفر بحثكما؟

أجاب إرنست مكان غوسطا

- لا شيء. الفلاح الذي تحدَّثنا إليه لا علاقة له بكلّ ذلك.

- لكنكما رغم ذلك فتَّشتما منزله، للتأكد من الأمر؟ سألهما باتريك الذي لم يكُن مقتنعاً بتصريحات إرنست.

- أجل، بالطبع. ومثلما قلت للتو، لم نعثُر على شيء، قال إرنست بنزق.

استفسر باتريك بنظرة منه غوسطا وهزّ هذا الأخير رأسه مؤكداً

- بصرف النظر. إذن، ينبغي لنا التفكير في طريقة أخرى لاقتفاء هذا الأثر. وريثما يحين ذلك، لقد توصلنا بشهادة شخص ما رأى تانيا قبل اختفائها بقليل. لقد اتصل بي جوهان، ابن جوهانس، هذا

الصباح ليقول بأنه شاهد فتاة بالمزرعة، وهو متأكّد بأنها تانيا وابنة عمه ليندا، بنت غابرييل، كانت بصحبته، وقد ذهبنا، مارتن وأنا، للحديث إليها في الصبيحة. إنها تؤكد بأنهما شاهدا فتاة، لكنها ليست متيقنة بالقدر نفسه من أنها كانت تانيا.

- هل نستطيع الوثوق في الشاهد؟ بالنظر إلى سجِل جوهان والعداوة العائلية، لا يبدو لي من الصائب الوثوق فيما يقول، أليس كذلك؟ قال ميلبرغ.

- أجل، ذلك أمر يشغلني أيضاً. ينبغي لنا انتظار ما سيقوله جاكوب هولت، لكن أرى من المفيد، بطريقة أو بأخرى، أن نعود دائماً إلى هذه العائلة. أينما ولّينا وجوهنا، يقع نظرنا على عائلة هولت.

ارتفعت الحرارة بسرعة في الحجرة الصغيرة. كان باتريك قد فتح نافذة، لكن لم يكن لذلك فائدة كبرى، بما أنه في الخارج كانت الحرارة على أشدها أيضاً. حاولت أنيكا الحصول على القليل من الهواء عبر التهوية بمذكرة ملاحظاتها. مسح ميلبرغ عرق جبينه بيده وقد علا وجه غوسطا صبغة رمادية مقلقة بفعل الاسمرار. فكّ مارتن أزرار أعلى قميصه، ممّا سمح لباتريك أن يلاحظ بقدرٍ من الحسد أنّ البعض يتوفر على الوقت المخصَّص لقاعة الرياضة. وبدا إرنست الناجي الوحيد تماماً. قال:

- حسن، في ما يخصّني أنا، أراهن على واحد من هذين الصعلوكين. هما الوحيدان اللذان سبق لهما التعامل مع الشرطة.

- باستثناء أبيهما، ذكَّر باتريك بذلك.

- صحيح، ما عدا الأب. وهذا يدلّ على أنّ هناك شيء ما فاسد في هذا الفرع من العائلة.

- وماذا عن كون المرة الأخيرة التي شوهدت فيها تانيا، كانت

بالمزرعة؟ حسب أخته، فإن جاكوب كان بالبيت في ذلك الوقت. ألا يدل ذلك عليه هو بالأحرى؟

زفر إرنست.

- ومَن الذي قال بأن الفتاة كانت هناك؟ جوهان هولت. لا، أنا لن أصدِّق كلمة ممّا يقول هذا الشخص.

- ألا ترى أننا نستطيع الحديث إلى جاكوب؟ سأل مارتن.

- فكرتُ في أننا، أنت وأنا، نذهب مباشرة إلى بولارين بعد هذا الاجتماع. لقد اتصلت للتحقق من ذلك، إنه هناك اليوم.

- ألا تعتقد بأن غابرييل اتصل به لإخباره؟ قال مارتن.

- ليس هناك أدنى شك في ذلك، لكن لا نستطيع منع ذلك، سنرى ما سوف يقوله.

- ومقتل جوهانس، ماذا نصنع حيال ذلك؟ تابع مارتن مُلِحّاً.

لم يرد باتريك الإقرار بأنه لا يعرف بالضبط. إنها أمور كثيرة يجب حلّها في الوقت نفسه، وكان يخشى، إنْ تراجع إلى الخلف بُغية امتلاك نظرة شمولية، أن يشلّه اتساع رقعة المهمة. زفر قائلاً:

- فلنتصدَّ للأمور، الواحد بعد الآخر. لن نقول ذلك لجاكوب. لا أريد أن يخبر سولفيغ والولدين.

- المرحلة المقبلة هي الحديث إليهم إذن؟

- أجل، أظنّ ذلك. هل هناك مَن لديه فكرة أفضل؟

الصمت. لم يَبْدُ على أحدٍ أنّ لديه أي اقتراح يُذكر.

- ونحن، ماذا سنفعل؟

كان غوسطا يتنفس بشدة وتساءل باتريك، قلقاً، إنْ لم يكُن يعاني من أزمة قلبية.

- قالت أنيكا إن سكان المدينة قدَّموا ما لا يُستهان به من المعلومات منذ أن طلبنا نشر صورة جيني على صدر الصفحات

الأولى للجرائد. وقد قمتُ بفرزٍ لِما يبدو أنّ له أهمية، وأقترح أن تشرعا، إرنست وأنت، في غربلة اللائحة.

تمنى باتريك أن لا يكون قد اقترف خطأ بسماحه لإرنست بالعودة إلى التحقيق، لكن كان من اللازم منحه فرصة ثانية. تلك هي الخلاصة التي وصل إليها بعدما لاحظ أن إرنست اتَّخذ حذره على ما يبدو حينما تحقق صحبة غوسطا من أثرِ السماد.

- أنيكا، أودّ أن تتصلي مرة أخرى بالمقاولة التي باعت المنتوج حتى تلتمسين منهم توسيع دائرة الزبائن. صحيح يصعب عليّ تصديق أنّ الجثث قد تمّ نقلها لمسافة كبيرة، لكن قد يفيدنا التحقق من الأمر.

- ما من مشكل. لوَّحت أنيكا بمذكرة الملاحظات بقوة أشد. كانت حبيبات من العرق تلمع على شفته العليا

لم تُسنَد لميلبرغ أية مهمة. أدرك باتريك أنه يصعب عليه توجيه أوامر إلى رئيسه، كما كان يفضّل أن يظلّ بمنأى عن العمل اليومي للتحقيق، لكن كان عليه الإقرار بأنّ ميلبرغ قد قام بعمل فعّال على نحوٍ مدهش لإبعاد رجال السياسة.

كان دائماً ما يتصرف بغرابة. عموماً، صوت ميلبرغ كان يطغى دوماً على كلّ الأصوات الأخرى إلى حدٍّ بعيد، بينما الآن، يبدو الرجل صامتاً بالمرة وكأنه يسبح في ملكوت آخر. المرح الذي حيَّرهم كثيراً طوال أسابيع عديدة حلَّ مكانه صمت محيِّر أكثر. سأله باتريك:

- بِرْتيلْ، هل لديك شيء تودُّ إضافته؟

- ماذا؟ المعذرة؟ رجف ميلبرغ.

- هل لديك شيء قصد إضافته؟ كرَّر باتريك.

- آه، أجل. بلع ريقه لما رأى كلّ الأنظار موجَّهة صوبه. أوه، لا، لا أعتقد ذلك. يبدو أنك تتحكم في الوضع.

تبادلت أنيكا وباتريك النظرات. عادة، كانت دائماً على اطِّلاع كامل بكلّ ما يُحاك في المفوضية، لكن الآن هزّت فحسب حاجبيها للإشارة بأنْ ليس لديها أدنى فكرة.

- هناك أسئلة؟ لا؟ حسن، إذن إلى العمل.

غادروا جميعهم بارتياح الحجرة المفرطة الحرارة، للانصراف بحثاً عن ركن منعشٍ في مكان ما. وحده مارتن تأخر في المغادرة.

- متى نذهب؟

- نتناول الغذاء أولاً

- وهو كذلك. هل تريد أن أنصرف لشراء شيء ما لنا؟

- أجل، سيكون ذلك لطفاً منك، هكذا سوف يسنح لي الوقت بمكالمة إريكا.

- بلِّغها سلامي، صاح مارتن من عند الباب.

ركَّب باتريك رقم هاتفه المنزلي. كان يأمل أن إريكا لم تكن قد سقطت مغشياً عليها ضحية ذينك الثرثارين يورغن وماد.

- يبدو المكان معزولاً جداً

نظر مارتن لما حوله، لم يكن يرى سوى الأشجار. انقضى ربع ساعة وهما يعبران بالسيارة مسالك غابوية صغيرة وتساءل إنْ لم يكونا قد ضلاَّ طريقهما.

- لا يهمك ذلك، أعرف ما أقوم به. لقد جئت إلى هنا مرة في السابق، حينما فقد أحدهم صوابه، إني أعرف الطريق.

كان باتريك محقاً بعد ذلك بقليل، وصلا إلى المزرعة.

- لا بأس به من مكان.

- أجل، لديهم سمعة طيبة. على كلّ حال، لقد دأبوا دوماً على إظهار واجهة مشرقة. شخصياً، تأخذني الريبة قليلاً عندما يكون هناك إفراط في الرهبنة، لكن هذا يلزمني وحدي. ولو أنّ النوايا تكون حسنة عند الانطلاقة في كلّ تلك الطوائف الإنجيلية، فهي إنْ عاجلاً أو آجلاً، تجذب حتماً أشخاصاً غريبي الأطوار. إنها تقدِّم تضامناً وشعوراً حقيقياً بالانتماء إلى أسرة، وذلك يغري أولئك الذين يخيّل إليهم أن لا بيت لهم أنَّا كانوا.

- يبدو أنك على دراية بما تقول؟

- طيب، أختي وجدت نفسها في فترة ما مع أشخاص غريبي الأطوار. مرحلة المراهقة حينما يبحث المرء عن نفسه، كما تعرف. لم يكن في الأمر أيّ مغالاة وقد خرجت من ذلك بدون خسائر، لكني تعلَّمت ما يكفي من طريقة عملهم ممّا جعلني مرتاباً، وهذا أفضل لصحتي الذهنية. أقول هذا، وأعترف أني لم أسمع بأي شيء سلبي عمّا يحدث هنا، وأفترض أنه ليس هناك من مبرِّر للاعتقاد بأنّ عملهم مخالف للقانون.

- ومهما يكن الأمر، هذا لا يدخل ضمن إطار تحقيقنا، قال مارتن.

كان ذلك أشبه بتحذير، وهذا هو المعنى الذي كان يقصده. عادة، كان باتريك متحكماً في نفسه، لكنه تحدث بنبرة مستخفّة جعلت مارتن يقلق بعض الشيء وتساءل كيف سيتمّ استجواب جاكوب هولت!

حدث كما لو أنّ باتريك قرأ أفكار مارتن. ابتسم:

- لا تخَف. إن ذلك واحدٌ من الأحاديث المفضَّلة لدي فقط، ليس لذلك علاقة بمهمتنا.

ركن باتريك السيارة ثم غادراها. كان المكان يعجّ بالنشاط.

فتيان وفتيات يبدو أنهم يعملون بالخارج كما بالداخل. كلّ شيء كان هنا أدعى إلى الحياة الرعوية المنشودة. طَرَقَ مارتن وباتريك الباب. فتح فتى طويل القامة الباب. علتهما رجفة هما معاً. لقد تعرَّفا عليه، لكن من خلال النظرة الواجمة فحسب.

- مرحباً، كينيدي.

- ماذا تريدان؟ كانت لهجته عدائية.

لم يستطع باتريك ولا مارتن الامتناع عن تفحُّصه. ذهب الشعر الطويل، ذهبت الملابس السود والبشرة المفتقدة للصحة. كان الولد الماثل أمامهما يشعّ حرفياً لشدة طهارته وعافيته، لكن كان لديه دائماً النظرة العدائية نفسها مثل كلّ المرات التي اعتقلوه فيها من أجل سرقة السيارات، حيازة المخدرات وأشياء مفرحة أخرى.

- يبدو أنك على ما يرام، كينيدي. قال باتريك بودّ. لقد أشفقَ دوماً على هذا الفتى.

لم يتفضّل كينيدي بالردّ عليه. وعوض ذلك، أعاد سؤاله:

- ماذا تريدان؟

- نريد محادثة جاكوب هولت. هل هو هنا؟

أغلق كينيدي عليها الممرّ.

- ولماذا؟

- ذلك لا يعنيك. ظلَّ صوت باتريك ودوداً. إذن، أسألك من جديد: هل هو هنا؟

- من مصلحتكم الكفّ عن مضايقته. هو وأسرته. أنا على علم بما تحاولان فعله، ذاك أمر حقير، لكنكما سوف تنالان عقابكما إنّ الله بصير بكلّ شيء ويبصر ما يكنّه قلب كلّ منكما.

تبادل مارتن وباتريك النظرات.

- أجل، لا تقلق بشأن ذلك، يا كينيدي. الآن من الأفضل أن تفسح الطريق.

صارت لهجة باتريك مهدّدة، وبعد لحظة من المواجهة، تراجع كينيدي ليدعهما يدخلان إلى الردهة، على مضض مثلما ظهر. بدا أنه يعرف الطريق.

- مكتبه يوجد في الطرف الأقصى من الرواق إنْ كانت ذاكرتي تسعفني.

مشى كينيدي في أثرهما، مثل ظلٍّ مكتوم. ارتعد مارتن من الحرارة.

طرقا الباب، كان جاكوب جالساً إلى مكتبه.

- جاكوب، رجال الشرطة هنا، أخبره كينيدي وقبضتا يده مشدودتان.

- حسناً، حسناً، ذراع العدالة الطولى. إذن ليس لديكم مجرمين حقيقيين لمطاردتهم؟ شكراً، كينيدي، بمكنك أن تتركنا للحظة.

ودون أن ينبس بكلمة، امتثل كينيدي للأمر وخرج مقفلاً الباب.

- أعتقد أنك تعرف سبب وجودنا هنا؟

خلع جاكوب نظارتيه الشمسية ومال إلى الأمام. بدا أنه مهموم.

- أجل، لقد اتصل بي والدي منذ ساعة تقريباً. لقد قصَّ عليّ حكاية لا يصدّقها العقل مفادها أنّ ابن عمي صرَّح أنه رأى بمنزلي الفتاة المقتولة.

- وهل هي فعلاً حكاية لا يصدقها العقل؟ قال باتريك وهو يتفرّس جاكوب.

- بالطبع هي كذلك. نقرَ بالنظارتين على المكتب. ولماذا

كانت ستقدم إلى المزرعة؟ حسب علمي كانت سائحة، ومزرعتنا تقع خارج المسالك السياحية. وفي ما يخصّ شهادة جوهان المزعومة. أجل، في هذه المرحلة أنتم على علم بوضعيتنا العائلية، للأسف سولفيغ وولداها ينتهزون كلّ الفرص للتشهير بأسرتنا. هذا أمرٌ محزن، لكن بعض الناس يفتقدون وجود الله في قلوبهم.

- هذا ممكن. ابتسم باتريك بلطف، لكن الواقع أننا نعلم لماذا كان لديها على الأرجح سبباً للقدوم إلى المزرعة. بدا أنه رأى بصيصاً من القلق في عينَي جاكوب. أردف قائلاً: لم تكن في فيالباكا بصفة السائحة، وإنما للبحث عن جذورها. وربما لمعرفة المزيد عن اختفاء أمها.

- أمها؟ قال جاكوب، مرتبكاً.

- أجل، تانيا كانت بنت سيف لانتان.

سقطت النظارات الشمسية من يده على المكتب. هل كانت دهشته حقيقية أم مفتعلة، تساءل مارتن، الذي ترك لباتريك قيادة الحديث حتى يستطيع التركيز كلياً على ردود فعل جاكوب أثناء الحوار.

- حسناً، يا لها من أخبار! لكني ما زلت لا أفهم لماذا قادها ذلك إلى منزلي؟

- مثلما قلت، بدا أنها كانت تريد الحصول على معلومات حول ما حدث لأمها. وبما أنّ عمّك كان هو المشتبه به الرئيس بالنسبة إلى الشرطة، إذن. لم يكمِل جملته.

- كل ذلك يشبه تخمينات لا رأس لها ولا أرجل. عمي كان بريئاً، لكنكم رغم ذلك دفعتم إياه إلى الموت بتلميحاتكم. وبما أنه لم يعُد موجوداً هنا، تحاولون القبض على شخصٍ آخر من بيننا

مكانه. أتساءل أيّ شوكة في قلوبكم تدفعكم نحو الحاجة إلى تدمير ما بناه الآخرون؟ هل هو إيماننا وفرحتنا به هي ما يزعجكم؟

أخذَ جاكوب يتحدَّث وكأنه يلقي خطبة وقد أدرك مارتن لماذا كان واعظاً جديراً بكلّ ذلك الاعتبار. كان في تموّجات صوته شيء ساحر.

- إننا نقوم بعملنا، هذا كل ما في الأمر.

كانت لهجة باتريك مختصَرَة وقد اضطرّ للتحكم بنفسه حتى لا يُظهر اشمئزازه ممّا كان يعتبره هراءُ دجّال. إلّا أنه كان مرغماً على الإقرار بأنّ جاكوب كان ينشر حوله شيئاً مميزاً عندما يتكلم. إن ضعاف النفوس قد يمتصّهم بسهولة هذا الصوت وتجذبهم رسالته. تابع قائلاً:

- إذن تصرّح بأن تانيا شميدت لم يسبق لها أن جاءت إلى المزرعة؟

باعد جاكوب ما بين يديه.

- أقسم بأنه لم يسبق لي أبداً أن شاهدت تلك الفتاة. هل هناك من شيء آخر؟

فكَّر مارتن في المعلومة التي قدَّمها لهما بيدرسن. بأن جوهانس لم ينتحر. إنه خبر قد يزعزع بلا شك جاكوب، لكنه كان يعلم أنّ باتريك محقّ. فما إن يهما بمغادرة الحجرة حتى يرنّ الهاتف عند باقي أفراد عائلة هولت.

- لا، أعتقد أننا انتهينا من الأمر، لكن ليس من المستبعد أن نعود لاحقاً.

- لن يفاجئني ذلك.

لقد فقد جاكوب نبرة الواعظ وأصبح صوته من جديد متساوياً وهادئاً. كان مارتن يوشك أن يضع يده على المقبض حينما فُتِح

الباب أمامه دون صوت. كان كينيدي يقف على الجانب الآخر في صمت وقد فتحه بالضبط في اللحظة المناسبة. لقد سمعهما بالتأكيد، إنّ النار السوداء المتقدة في عينيه كانت تمسح كلّ تردّد في هذا الشأن. واضطر مارتن للتراجع أمام الحقد الذي كان يستشفّه فيهما. ولعل باتريك تحدث إليه عبر «العين بالعين» أكثر منها بلغة «عليك بمحبة بني جلدتك».

كان الجو حول المائدة الصغيرة متوتراً، لكن منذ موت جوهانس لم تكن أبداً مسروراً على نحوٍ خاص.

- متى سيتوقف كل هذا!؟ ضغطت سولفيغ بيدها على صدرها وأنّتْ. إننا نجد أنفسنا دائماً في الوحل. كما لو أنّ الناس يتصورون بأننا هنا قاعدون في انتظار الركل! الجميع سيعلم أن الشرطة استخرجت جثة جوهانس! سوف يشرعون في الثرثرة أكثر ممّا سبق! حينما عثروا على هذه الفتاة الأخيرة، اعتقدت أنهم سوف يكفون أخيراً عن لوك ألسنتهم بشأننا، فإذا بكلّ ذلك يتكرّر من جديد.

- يا للعهر، ما عليك إلّا أن تدعيهم يثرثرون! وما يضيرنا ما يحكى في البيوت؟ قال روبير وهو يسحقُ سيجارته بعنفٍ شديد حتى انقلبت المنفضة. سحبت سولفيغ بقوة ألبومات الصور.

- روبير! حذار! قد يخلف ذلك بقعاً على ألبوماتي.

- لقد طفح الكيل من ألبوماتك! على مدار الأيام، جالسة هنا تعبثين بها، صورك السخيفة! ألم تفهمي أن ذلك الزمن قد ولى؟ لقد مرَّ على ذلك مائة سنة، وأنت لا تزالين هنا، تزفرين وتقلبين صفحات ألبوماتك السافلة. بابا مات! لم تعودي ملكة الجمال، لكن انظري إلى حالك!

أخذ روبير الألبومات ورماها على الأرض. صرخت سولفيغ

وجثَت على ركبتيها لجمع الصور التي تبعثرت على البلاط. ذلك زادَ من غضب روبير. متجاهلاً نظرة أمه المتوسلة، انحنى، جمع حزمة من الصور وطفق يمزّقها إلى ألف قطعة وقطعة.

- لا روبير، لا، لا تمزق صوري! أتوسل إليك، روبير! كان فمُ سولفيغ مثل جرح غائر.

- لم تعودي سوى بدينة عجوز! وبابا شنق نفسه! حان الوقت قد تربطي الاتصال!

نهض جوهان، الذي ظلّ مثل المشلول أمام المشهد، وأمسك بقوّة معصم روبير. فتح عنوة الأصابع التي كانت تقبض بتشنُّج على قطع الصور وأرغم أخاه على الإنصات:

- الآن هدئ من روعك. إنك تفعل بالضبط ما يريدونه، أرأيت؟ إنهم يريدون أن ينقلب منا الواحد على الآخر كي تتمزّق الأسرة. لكننا لن نلبي رغبتهم، هل تسمعني؟ سوف نظلّ متماسكين. الآن ساعد ماما في جمع ألبوماتها.

همد غضب روبير مثل نفّاخة أفرغت من هوائها. مسح بيده عينيه ونظر بذعرٍ إلى الفوضى من حوله. سولفيغ ممدّدة على الأرض مثل ركام من اليأس، ركام ضخم ورخو. كانت تنتحب وهي تفلتُ من بين أصابعها قطعاً صغيرة من الصور. كان بكاؤها مفجِعاً بحقّ. جثا روبير على ركبتيه إلى جانبها حضَنَها بذراعيه. بحنو، أبعد جديلة شعر دهنية من على جبينها وأعانها على الوقوف.

- المعذرة، ماما، المعذرة، المعذرة، المعذرة. سوف أساعدك في إعادة لصقها، صورك تلك. بالنسبة إلى تلك الممزقة، فات الأوان، لكنها ليست بكلّ تلك الكثرة. انظري، الأجمل، لم يُصِبْها أي مكروه. انظري إلى نفسك، كم كنت جميلة؟!

أراها صورة. كانت سولفيغ بلباس البحر، من قطعة واحدة،

محتشم تماماً وشريط يمرّ عبر صدرها عرضاً: «ملكة أيار/ مايو 1967». كانت جميلة. تحوّل بكاؤها إلى نشيج مصحوب بشهقات متكررة. انتزعت منه الصورة وأشرق وجهها:

- أجل، كنت جميلة، صحيح يا روبير؟

- أجل، ماما، كنت جميلة! أجمل فتاة رأيتها في حياتي!

- هل تعتقد ذلك حقيقة؟

ابتسمت في تغنُّج وداعبت شعره. ساعدها على الجلوس.

- أجل، أعتقد ذلك. أقسم على ذلك، وإن كذبتُ أذهب إلى النار.

بعد لحظة من ذلك، تمّ جمعُ كل شيء وصارت سولفيغ منهمكة من جديد في تصفُّح ألبوماتها، سعيدة. أشار جوهان إلى روبير بالخروج. جلسا على الدرج أمام البيت وأشعلا سيجارة.

- اللعنة يا روبير، ليس هذا أوان التحامق.

كشط روبير الحصى برجله. لم يقُل شيئاً وماذا عساه يقوله؟

ابتلع جوهان الدخان وبعد ذلك تركه يتسرّب بين شفتيه بتلذُّذ.

- لا يجب بتاتاً أن ننجرَّ إلى لعبتهم. إنّ ما قلته أمر جِدِّي. ينبغي أن نظلّ متحدّين.

ما زال روبير لم يقل شيئاً، دائماً كان يشعر بالخزي. تشكّلت حفرة أمامه وسط الحصى. رمى عقب سيجارته في الثقب وغطاه بالتراب، وهو تصرّف لا فائدة منه. من حولهما، كانت الأرض مكسوّة بأعقاب سجائر قديمة. بعد مرور بعض الوقت، أدار نظره صوب جوهان.

- قل لي، تلك الحكاية التي مفادها أنك شاهدت الفتاة بالمزرعة. تردّد. هل ذلك صحيح؟

مجَّ جوهان آخر نفَسٍ من سيجارته، ورمى بالعقب في التراب، هو أيضاً.

- يا للعهر، أجل، بالطبع صحيح. ثم دخل إلى البيت.

ظلّ روبير في الخارج. للمرة الأولى في حياته، أحسَّ بأن هوّة سحيقة قد تشكَّلت بينه وبين أخيه. وذلك كان يخيفه.

مرَّت الظهيرة في هدوء مخادع. ما دام لم يتوصل بالمزيد من التفاصيل عن بقايا جوهانس التي نُبِشَت. تفادى باتريك كلّ فعل سابق لأوانه، وظلّ في انتظار المكالمة. ولأنّه لم يعُد يتحمّل ملازمة مكانه، ذهب لرؤية أنيكا من باب تزجية الوقت بالثرثرة قليلاً

- هل تبلينَ حسناً، بخصوص تلك القضية؟ وعلى جاري العادة، نظرت إليه من فوق نظارتيها

- ويْ، إنّ الحرّ الشديد لا يسهِّل الأمور.

لاحظ وجود تيار هواء منعش في مكتب أنيكا. كان هناك مكيف هوائي كبير يطنّ على مكتبها. أغلق باتريك عينيه من شدة الارتياح.

- لماذا لم يخطر هذا ببالي أنا؟ لقد اشتريتُ واحداً من أجل إريكا بالبيت، لماذا لم أشترِ واحداً لأجلي هنا أيضاً؟ انطلاقاً من الغد صباحاً، سوف أهتم بذلك.

- إريكا، أجل، كيف حالها؟ المسكينة، لعلّ الأمر صعب بالنسبة إليها مع موجة الحرّ هذه.

- أجل، قبل أن تتوفر على المكيف، كادت تصاب بالجنون. تنام بصعوبة، لديها تشنجات بالساقين، كما أنها لا تستطيع التمدّد على بطنها، في النهاية، تعرفين، كل هذه الأشياء.

- طيب، لا، لا أستطيع في الحقيقة الادّعاء بأنني أعرف، قالت أنيكا.

انتبه باتريك لما قاله. لم يكن لأنيكا وزوجها أطفال ولم يجرؤ يوماً على سؤالها عن السبب. ربما لا يستطيعان الحصول على أطفال وفي هذه الحال فإنه قد تحدّث بما لا يليق من خلال تعليقه الأرعن.

- لا تبالي، إنه اختيارٌ قمنا به. لم نشعُر يوماً بالرغبة في أن يكون لنا أطفال. لدينا كلبان، إنهما ينعمان بحناننا.

- أوف، لقد خشيتُ أن أكون قد ارتكبت حماقة. أحسّ باتريك باستعادة وجنتيه للونهما مهما يكن، إنّ ذلك متعِب لهما بما فيه الكفاية، ولئن كانت إريكا هي الذي يعاني من ذلك أكثر بالطبع. إنا نود أن نصل إلى نهاية ذلك، الآن. ثم لقد تمّ الهجوم علينا في الآونة الأخيرة بعض الشيء.

- الهجوم عليكما؟ رفعت أنيكا حاجبيها.

- العائلة، وما يزعم أنهم أصدقاء، الذين يجدون بأن فيالباكا في شهر يوليو/ تموز هي فكرة رائعة.

- وهم يريدون استغلال المناسبة للانفراد بصحبتكم لوحدهم بعض الوقت، هو ذاك؟ قالت أنيكا ساخرة. أي نعم، إني أعرف ذلك الكلام المعسول. كنا نعاني من مشكل الطفيليات هذا في البداية لما كنا حديثي العهد بشراء بيتنا الريفي، ثم طفح بنا الكيل فتخلّصنا منهم. ولم تصلنا أخبار عنهم منذ ذلك التاريخ، لكنهم ليسوا من الناس الذين يُفتقدون. الأصدقاء الحقيقيون، هم الذين يأتون أيضاً في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني. أما الآخرون، فإنك تتخلى عنهم دون أدنى مشكل.

- صحيح، لكن يسهل قول ذلك على فعله. لقد قامت إريكا

فعلاً بطرد الدفعة الأولى، لكن في هذه الأثناء، نتحمل الثانية من خلال التظاهر بحسن الضيافة تأدباً. ومسكينتي إريكا المرغمة طول اليوم على خدمتهم، زفر باتريك.

- ربما ينبغي عليكَ أنت إظهار أنك سيد الموقف وإصلاح كل ذلك؟

- أنا؟ نظر باتريك إلى أنيكا باستياء.

- أجل، إذا كانت إريكا تنهك نفسها في العمل بينما أنت مختبئ هنا طول النهار، ربما تستطيع إظهار شيء من العزم حتى تستعيد قليلاً من الهدوء. لعلّ ذلك غير سهل بالنسبة إليها. لقد اعتادت على قيادة السفينة لوحدها، ومع الحمل، فإنها تظلّ محبوسة في البيت لا تفعل شيئاً سوى التفكير في نفسها بينما أنت تواصل العيش على جاري العادة.

- لم أنظر إلى الأمور على هذا النحو، قال باتريك، وشعر بأنه مغفل بما فيه الكفاية.

- هذا ما حدّثت به نفسي بالضبط. هذا المساء، سوف تقوم بطردهم، ضيوفك الأعزاء، رغم ما يهمس به في أذنك وسواسك العزيز. ثم تهتمّ بأمّ المستقبل كما يجب. هل تحدّثها على الأقل، تسألها عما تشعر به، وهي وحيدة في البيت؟ أعتقد أنها لا تخرج كثيراً، نظراً إلى هذه الحرارة الشديدة؟

- لا

جراء ذلك فقد باتريك تقريباً القدرة على الكلام. وكأنّ آلة ضاغطة مرّت على جسده. غصّ حلقه من القلق. لا داعي ليكون المرء عبقرياً لإدراك أن أنيكا كانت على صواب. خليط من الأنانية المتعنتة وميله إلى الانغماس في العمل جعلاه يهمل كلياً وضعية إريكا. وهو يعرفها حقّ المعرفة رغم ذلك، إنه يعلم إلى أيّ حدّ

يهمها أن تكون نشيطة، لكن لعله كان يجدُ من المناسب أن يخادع نفسه على ذلك النحو.

- هيًّا، ارجع إذن باكراً بعض الشيء للاهتمام برفيقتك.

- لكني أنتظر مكالمة.

انطلق جوابه تلقائياً، وأظهرت له النظرة التي رمقته بها أنيكا أنه لم يكن بالجواب الصحيح.

- هل تقصد أنّ هاتفك المحمول لا يعمل سوى بين جدران المفوضية؟ إنّ محيط نشاطه محدود جداً، أعني إنْ كان فعلاً هاتفاً محمولاً؟

- أجل، تأوَّه باتريك من عذابه. وثب من الكرسي. حسناً، سوف أنصرف إذن إلى بيتي. إذا وصلت أية مكالمات، من لطفك حوليها على هاتفي المحمول.

نظرت إليه أنيكا كما يُنظر لمخبول، ثم خرج من الحجرة القهقرى. لو أنّ لديه قبعة، لكان أمسكها بيده - وانحنى أمامها إجلالاً أيضاً

ومع ذلك فإنّ أحداثاً غير متوقّعة سوف تمنعه من الرحيل قبل مرور ساعة كاملة.

كان إرنست منهمكاً في استكشاف جناح الحلويات عند هيذميرْس. راودته في البداية فكرة الذهاب إلى محلّ الحلويات، لكن كان هناك طابور طويل حيث فضَّل الانصراف إلى الخدمة الحرة.

وفي غمرة المأزق المتمثّل في الاختيار بين الفطائر بالقرفة والهلاليات بالشكولاتة، شدّت انتباهه ضوضاء في الطابق العلوي.

وضع الحلوى وذهب للاستخبار عمّا يقع. كان المحل ينقسم إلى مستويات ثلاث. في الطابق الأرضي هناك المطعم وكشك الجرائد والمكتبة، في الطابق الأول، توجد المواد الغذائية، وفي الطابق الأعلى، الألبسة، الأحذية، ومحل الهدايا. كانت سيدتان تتشاجران حول حقيبة يد عند صندوق الدفع بالطابق الثاني. كانت إحداهما تحمل شارة على صدرها تدلّ على انتسابها إلى الموظفين بينما الأخرى تبدو وكأنها خارجة مباشرة من فيلم روسي من الدرجة الثانية: تنورة قصيرة، جوارب طويلة مشبكة، قميص بحّار مَقاسُ مَن في سن الثانية عشرة وما يكفي من مساحيق الماكياج حتى تشبه لوحة ألوان الصباغة.

- No, no, my bag![1]، كانت تصرخ بصوت حاد، بإنجليزية ركيكة.

- لقد شاهدتك تأخذين شيئاً ما، قالت البائعة، هي الأخرى بالإنجليزية، لكن بلكنة سويدية واضحة جداً. وبدا عليها الارتياح عندما رأت إرنست.

- حمداً لله، يجب إلقاء القبض على هذه المرأة. لقد شاهدتها تتجول في الأروقة وتضع سلعاً في حقيبتها وكانت تحاول الانصراف بكلّ ذلك.

لم يتردَّد إرنست. بخطوتين كبيرتين، كان قرب السارقة المفترضة ثم أمسكها من ذراعها. وبما أنه لم يكن يتحدث بكلمة واحدة في الإنجليزية، لم يتكبَّد عناء طرح أية أسئلة. انتزع منها حقيبة اليد بقوة وأفرغ ببساطة ما حوته في الأرض. وسقط من الحقيبة: مجففاً للشعر، موسى كهربائية للحلاقة، فرشاة أسنان

---

(1) لا، لا إنها حقيبتي!

كهربائية، ولسبب غريب، خنزيراً من السيراميك بإكليل من الزهور على الرأس.

- وما قولك في هذا، هه؟ قال إرنست. قامت البائعة بالترجمة إلى الإنجليزية.

حركت المرأة رأسها فحسب وكأنها لم تفهم شيئاً. قالت:

- I know nothing. Speak to my boyfriend, he will fix this. He is the boss of the police![1]

- ماذا تقول؟ صفر إرنست. أزعجه أن يكون مكرهاً على طلب مساعدة من امرأة لفَهْمْ ما يُقال.

- تقول إنها لا تعلم شيئاً. وبأن عليك التحدث مع صديقها. تقول إنه رئيس الشرطة!

كانت نظرة البائعة المرتبكة تنتقل من إرنست إلى المرأة، التي كانت تعلو شفتيها الآن ابتسامة ظافرة.

- أوه أي نعم، إنها سوف تستطيع التحدث مع الشرطة. وسنرى إنْ كانت ستواصل التلفظ بمثل هذه السخافة. «صديقي الذي هو رئيس الشرطة». ربما إنها لازمة تتردَّد كثيراً في روسيا، أو في أي مكان سافل أنتِ قادمة منه، سيدتي الصغيرة، لكن ذلك لا يُصدَّق هنا، قال صارخاً، ووجهه على بُعد بضعة سنتيمترات فقط من وجه المرأة. لم تكن تفهم ولا أدنى كلمة، لكن بدا أنها أقل ثقة في نفسها من ذي قبل.

جذبها إرنست بعنف خارج المحل واقتادها إلى مركز الشرطة. كانت تنسحب خلفه كلياً بكعبها العالي وقد خفَّف الناس من سرعة

---

(1) أنا لا أعرف شيئاً. اتصلوا بصديقي، سوف يتكفل بذلك. إنه رئيس الشرطة.

سياراتهم لمتابعة المشهد. شرقت عينا أنيكا حينما مرَّ من أمام مكتب الاستقبال مثيراً الضجيج من ورائه.

- ميلبرغ!

كان يصرخ في المفوضية بأكملها. أطلّ كلّ من باتريك، مارتن وغوسطا. ثم نادى إرنست مرة أخرى في اتجاه مكتب ميلبرغ.

- ميلبرغ، تعال انظر ها هنا، إني أمسك خطيبتك!

كركر لوحده. سوف تؤدي هذه الفتاة الثمن. عمَّ صمت محيِّر مكتب ميلبرغ وتساءل إرنست إن كان الوقت قد سنح للرئيس بالخروج أثناء تلك الدقائق المعدودة حيث تغيَّب هو بنفسه لشراء الحلويات.

- ميلبرغ؟ نادى مرة ثالثة، وهذه المرة بحماس أقل من نيته جعل المرأة تبتلع كذبتها. وبعد انقضاء دقيقة طويلة جداً، حيث كان إرنست واقفاً بالممر، ويده تحيط ذراع المرأة بصرامة وعيون الجميع متجهة نحوهما، انتهى المطاف بأنْ خرج إرنست من مكتبه. مطرقاً وفي البطن غصّة، أدرك إرنست أن القضية لم تمرّ ربما بذلك القدر الذي ارتجاه.

- بيييرتيل!

تخلَّصت منه وركضت نحو ميلبرغ الذي شلَّت حركته مثله مثل أيلٍ بهرته أضواء سيارة. وبما أنها كانت أطول منه بحوالي عشرين سنتيمتراً، كان أثر ذلك مضحكاً على الأقل حينما ارتمت على عنقه. ظلّ إرنست فاغراً فاه. خيِّل إليه أنّ الأرض ستنشقّ تحت قدميه ورأى نفسه منكبّاً سلفاً على رسالة استقالته. قبل أن يتمّ طرده. بذهولٍ أدركَ أنّ عدة سنوات من التملق الزائد قد اندثرت بفعل مبادرة بائسة وحيدة.

تركت المرأة ميلبرغ واستدارت للإشارة بإصبع الاتهام إلى

إرنست، الذي كان لا يزال والحقيبة بيده، والارتباك بادٍ عليه.

- This brutal man put his hands on me! He say I steal! Oh, Bertil, you must help your poor Irina![1]

ربَّت ميلبرغ على كتفها بشكلٍ أخرق، وهي حركة كانت تستلزم أن يرفع يده تقريباً إلى علوّ أنفه هو.

- You go home, Irina, OK? To house. I come later, OK?[2]

من الممكن وصف إنجليزيته على أكبر تقدير بالمتردِّدة، لكنها فهمَت بأنه يقول لها بأن تعود إلى البيت، ولم تكن تستحسنُ ذلك.

- No, Bertil, I stay here. You talk to that man, and I stay here and see your work, OK?[3]

هزّ رأسه بصرامة ودفعها أمامه بإصرار. استدارت، حائرة، وقالت:

- But Bertil, honey, Irina not steal, OK?[4]

ثم لوت ردفيها كي تخرج ماشية بحذائها ذي الكعبين الرفيعين بعد نظرة أخيرة حاقدة في اتجاه إرنست. وكان هذا الأخير يحدق دائماً في البلاط ولا يجرؤ على ملاقاة نظرة ميلبرغ.

- لوندغرين! إلى مكتبي!

---

(1) هذا الرجل المتوحش عنفني! قال إني سرقتُ! أوه، برتيل يجب أن تساعد إريناك المسكينة؟

(2) ارجعي إلى البيت، إرينا، اتفقنا؟ إلى البيت. سوف آتي في وقت لاحق، اتفقنا؟

(3) لا، يا برتيل، سوف ألبث هنا. وتحدث هذا الرجل، وأنا سألبث هنا وأتابع عملك، اتفقنا؟

(4) لكن برتيل، حبيبي، إرينا لا تسرق، اتفقنا؟

في مسمعي إرنست كان ذلك يطنّ مثل يوم الحساب. تبع ميلبرغ منصاعاً في الممر، كلّ أولئك الذين أطلوا برؤوسهم لمتابعة ما يقع ظلوا مشدوهين. الآن هم يعرفون على أيّ حال سبب كلّ تقلبات مزاج ميلبرغ حديثة العهد.

- سوف تسدي لي معروفاً بأن تقص عليّ الآن ما وقع، قال ميلبرغ.

وافق إرنست بإيماءة خافتة من رأسه. العرق يسيل على جبينه ولم يكن ذلك بسبب ارتفاع الحرارة.

حكى المشادّة عند هيدميرس حيث رأى تلك المرأة تتشاجر مع بائعة من أجل حقيبة اليد. بصوت مرتعد قصَّ كذلك كيف أفرغ محتوى الحقيبة ووجد عدداً لا بأس به من المواد التي لم يتمّ تسديد ثمنها ثم سكت في انتظار الحكم. وكم دهش حينما مال ميلبرغ إلى الخلف في كرسيه وهو يزفر بعمق.

- أجل، إني واقع في ورطة موحلة.

تردَّد لحظة، فتح درجاً وأخرج منشوراً رماه فوق الطاولة أمام إرنست.

- هذا، هو ما كنتُ أتوقعه. الصفحة الثالثة.

بعد أن أثار فضوله، تناول إرنست ما يشبه دليلاً مدرسياً به صور ومعطيات التلاميذ الشخصية، وفتحه. كانت الصفحات مليئة بصور نساء، مع إشارات مختصرة عن القامة، الوزن، لون العينين، وأوقات الفراغ المفضلة. بغتة أدرك هوية إرينا. إنها «زوجة بالمراسلة». رغم أنه لم يكن هناك شبه كبير بين الإرينا التي رأى وصورتها في الدليل. لقد كانت تبدو فيه على أقل تقدير أقل عشر سنوات، عشرة كيلوغرامات، وكيلو غرام من مساحيق الماكياج. في الصورة كانت جميلة وبريئة، وكانت تنظر إلى العدسة بابتسامة

عريضة. انتقلت عينا إرنست من الصورة إلى ميلبرغ الذي قام بحركة مباعداً ما بين ذراعيه.

- كما ترى، **هذا**، ما كنت أنتظره. لقد تبادلنا الرسائل طول سنة وتستطيع تخيُّل أني كنت أستعجل استقدامها إلى هنا، تلك. أومأ برأسه في اتجاه الدليل الموضوع على ركبتي إرنست، ثم زفر. وجاءت. كانت مفاجأة غير سارة. وبسرعة أعقب ذلك: «برتيل، حبيبي، اشترِ لي هذه، اشترِ لي تلك»، بل إني أمسكتها بالجرم المشهود وهي تفتِّش حافظة نقودي. أجل، أقسم على ذلك، إنها ورطة موحلة حقيقية. نقر عش خصلات الشعر الموضوع على جمجمته ولاحظ إرنست أن ميلبرغ الذي كان يهتم بمظهره قد اختفى. الآن كان قميصه متسخاً من جديد ودوائر رشح العرق تحت الإبطين كانت كبيرة بحجم صحن. كان ذلك مطمئناً نوعاً ما عادت الأمور إلى مجاريها.

- أنا واثق بأنك لن تصرخ بهذا على الملأ

رفع ميلبرغ أصبعاً نحو إرنست الذي هزّ رأسه بسرعة. لن تتجاوز كلمة شفتاه. غمره الارتياح، بعد كلّ ما حصل، لن يتمّ طرده.

- إذن يمكننا نسيان هذا الحادث؟ سوف أهتم بتدبير ذلك كما يجب. تذكرة إياب على أول رحلة.

نهض إرنست وخرج من الحجرة وهو ينحني بقوة.

- ثم قُل لزملائك بالكفّ عن نميمتهم والانكباب على العمل.

ارتسمت على وجه إرنست ابتسامة عريضة وهو يسمع لهجة ميلبرغ الصارمة. لقد عاد الرئيس إلى سابق عهده.

لو كان لديه شكوك حول دقّة كلام أنيكا، فقد اندثرت ما إنْ اجتاز عتبة الباب. ارتمت إريكا تماماً بين ذراعيه وقد رأى ملامحها

المشدودة من التعب. اجتاحه تأنيب الضمير من جديد. كان عليه أن ينصت إليها أكثر، منتبهاً أكثر. وبدل ذلك، فقد دفن نفسه في العمل أكثر من المعتاد، وتركها تهيم كلياً بلا شغل بين أربعة جدران.

- أينهما؟ قال همساً.

- في الحديقة، همست إريكا بدورها. أوه باتريك، لن أتحمّل رؤيتهما هنا يوماً إضافياً. لقد ظلا ملتصقين على مؤخرتيهما طول النهار ينتظران أن أخدمهما. لم أعُد أتحمّل ذلك.

انهارت بين ذراعيه وداعبَ هو رأسها.

- لا تقلقي، سوف أتكفّل بالأمر. أنا متأسف، ما كان ينبغي أن أعمل كلّ ذلك القدر هذا الأسبوع.

- لقد قلتُ لك إني موافقة. ولم يكُن لديك خيار، همهَمَت إريكا لصق صدره.

رغم تأنيب الضمير، أقرَّ بأنها على حق. كيف كان له أن يتصرف بخلاف ذلك، بينما فتاة شابة قد اختفت، ربما هي محتجزة بالقوة في مكان ما، لكن في الوقت نفسه، إريكا والطفل، وصحّتهما، يجب أن تحظى بالأولوية.

- لستُ لوحدي بالمفوضية. أستطيع تفويض العديد من الأمور. لكن، للبدء، لدينا مشكلة أكثر استعجالاً يجب حلّها.

تخلَّص من بين ذراعي إريكا، أخذ نفساً عميقاً وخرجَ إلى الحديقة.

- مرحباً. تجري الأمور بخير بالنسبة إليكما؟

أدار يورغن ومادلين أنفيهما، المطليان بالكريم الفوسفوري الواقي، نحوه وحركا رأسيهما بمرح. أرى أن أموركما جارية بشكل جيد، فكّر باتريك، طبعاً! هناك شخص يسهر على خدمتكما طول النهار، حيث تعتقدان بأنكما في فندق هنا.

- اسمعا، لقد وجدتُ حلاً لمعضلتكما. لقد اتّصلت بالعديد من الأماكن للتحقق من الأمر. لقد غادر فيالباكا الكثير من السياح وهناك غرف شاغرة بالـ **غران أوتيل**، لكن يبدو أنّ ميزانيتكما لا تسمح بذلك، ربما ذلك باهظ جداً بالنسبة لكما؟

استفاض يورغن ومادلين، اللذان بدا عليهما الحيرة خلال ثانية، في هذا الاتجاه. أجل، إنّ ذلك باهظ الثمن جداً شيئاً ما

- لقد اتَّصلت أيضاً بمخيم الاصطياف الواقع على **فالو**، قال باتريك وتابع بعين الرضا بُدُو الانشغال فجأة عليهما. وتخيّلا - هم أيضاً لديهم أماكن. ذلك ممتع، أليس كذلك؟ سعر معقول، نظيف ولطيف. هل يمكن توقّع أكثر من ذلك؟

صفق يديه بحماسٍ زائد واستبق الاحتجاج الذي رآه يرتسم على شفاههما.

- أعتقد أنه من الأفضل البدء في جمع متاعكما في الحال، العبَّارة المتَّجهة صوب الجزيرة تنطلق في غضون ساعة.

شرع يورغن يقول شيئاً، لكن باتريك رفع يده في الحال لوقفه.

- لا، لا، لا تشكرني. إنّ ذلك لا يعتدّ به، تطلَّب ذلك إجراء بعض المكالمات فقط.

وبابتسامة عريضة، دخل لملاقاة إريكا التي تابعت كل شيء من نافذة المطبخ. صفق يده بيدها وقد حبسا نَفَسَيهما حتى لا يضحكا

- أحسنت، همست إريكا بإعجاب. لم أكن أعرف أني أعيش مع بطل في الماكيافيلية!

- هناك الكثير من الأشياء التي لا تعرفينها بخصوصي، يا حبيبتي، قال لها. أنا كائن معقد جداً، كما تعلمين.

- حقاً؟ اعتقدتُ دوماً أنك تمتاز ببساطة غريبة، قالت ذلك لإغاظته مبتسمة.

- لو لم تكن لديك هذه الكرة الضخمة التي تعيق المرور، لأظهرتُ لك في الحال مدى بساطتي. تظاهر باتريك بأداء دور الغاوي وأحسّ أن التوترات قد زالت مثلما يحدُث عقب مشاحنات العشاق الصغيرة. ثم استعاد جديته.

- هل توصلتِ بأخبار جديدة عن آنا؟

اختفت ابتسامة إريكا.

- لا، ولا خبر. لقد نزلت للاستخبار عند الرصيف العائم، لكن المركَب لم يعُد هناك.

- هل تعتقدين أنها رجعت إلى بيتها؟

- لا أعرف. إما هي هناك، أو هم يواصلون ملاحتهم على طول الساحل، لكن، هل تعلم، لا أبالي بذلك. لقد طفح بي الكيل، لشدّة ما هي حساسة، فقد أخذت تستاء ما إن أتفوه بشيء لا يناسبها

زفرت وتمَّت مقاطعتها من قِبل يورغن ومادلين اللذين مرّا والوجوم يعلو ملامحهما، لجمع أمتعتهما

في وقتٍ لاحق، بعد أن رافق باتريك المصطافين المتعنِّتين إلى عبَّارة فالُو، جلسا في الشرفة المقصورة واستمتعا بالسكينة المستعادة. ولأنه منشغل بالتصرف على أحسن وجه يحدوه الشعور بأن لديه الكثير من الأمور التي يجب عليه تعويضها، قام باتريك بتدليك رجلي وكاحلي إريكا المنتفخين، التي تنهدت ارتياحاً طوح بعيداً في زاوية من رأسه خاطرة الفتيات المقتولات وجيني مولر المختفية. من الواجب حقاً أنْ تنعم النفس بشيء من الراحة بين فينة وأخرى.

جاءت المكالمة في الصباح. وتأكيداً على تصميمه الاهتمام على نحوٍ أفضل برفيقته، لم يذهب باتريك إلى العمل تلك الصبيحة

وكانا مستغرقين في تناول الفطور في هدوء بالحديقة حينما اتصل بيدرسن. بنظرة اعتذار إلى إريكا، نهض باتريك، وأشارت إليه بالانصراف، مبتسمة. بدا عليها أنها أحسن بكثير ممّا سبق.

- نعم، هل لديك شيء مثير للاهتمام؟ قال باتريك.

- أجل، هذا أقلّ ما يجب قوله. أولاً، فيما يخص سبب وفاة جوهانس هولت، ملاحظتي الأولى كانت صائبة. جوهانس لم يشنق نفسه. إنْ قلت إنه وجد ممدداً على الأرض بأنشوطة حول العنق، فذلك أنّ الحبل قد تمّ وضعه بعد وفاته. لقد تلقى ضربة قوية على الرقبة بأداةٍ صلبة، ليست مستديرة، بل قاطعة بالأحرى. لديه أيضاً جرح بالفك، قد يكون نتيجة ضربة كذلك.

- نستطيع إذن أن نكون متيقنين بأن الأمر يتعلق بجريمة قتل؟ سأله باتريك ويده مضمومة على السماعة بتوتر.

- أجل، من المستحيل أن يكون قد تسبَّب بنفسه في هذا الجرح.

- وإلى متى يرقى موته؟

- من الصعب الجزم بذلك، لكنه ظلّ مدفوناً لمدة طويلة. أفترض بأنه مات بالفعل في الفترة التي تمّ فيها الاعتقاد بأنه شنق نفسه. لم يتمّ وضعه بالقبر لاحقاً على نحوٍ متأخر، إنْ كان هذا ما تحاول التلميح إليه، قال بيدرسن بنبرة مازحة.

فكر باتريك بصمت في ما قاله بيدرسن للتو، ثم بادرته خاطرة:

- قلتَ بأنك عثرت على شيء آخر. ما ذاك؟

- أوه، سوف يعجبك ذلك. لدينا متدربة هنا خلال الصيف وهي أكثر من مستقيمة الضمير. خطرت لها فكرة القيام بفحص الحمض النووي على جوهانس، بما أنه الآن قد تمّ نبشه على أيّ

حال، إذا جاز القول، ومقارنة ذلك مع عينات المني الموجود على تانيا شميدت.

- نعم؟ سمع باتريك نفسه يتنفس بقوة.

- لن تصدقني، لقد وجدنا تطابقاً شديداً حدّ العهر! الصعلوك الذي قتل تانيا شميدت هو من عائلة جوهانس هولت دون أي أدنى شكّ ممكن؟

لم يسبق قط لباتريك أبداً أن سمع بيدرسن المهذب للغاية يستعمل عبارات بذيئة، لكن الآن هو مستعد للقيام بالمثل. يا للعهر! حينما استعاد رشده، قال:

- هل تستطيع تبيّن درجة القرابة؟ كان قلبه يخفق بسرعة.

- أجل، نحن نعمل على التحقُّق من ذلك، لكن لأجل ذلك نحتاج إلى المزيد من موادّ المقارنة، إذن تكمن مهمتك الآن في أخذ عينات من الدم من كلّ أفراد عائلة هولت المعروفين.

- كلهم؟ قال باتريك وأحسّ بالفشل لمجرد التفكير في ردّ فعل العشيرة على هذا التدخّل في حياتهم الخاصة.

شكر بيدرسن على المعلومة وعاد إلى مائدة الفطور حيث كانت إريكا تتربع على عرشها مثل سيدة عذراء، قميص النوم الأبيض المنتفخ باستداراتها وخصلات الشعر الشُّقر المنسدلة. إنها لا تزال تخطف أنفاسه.

- هيَّا، هيَّا. لوّحت له بيدها للانصراف، فطبع قبلة على خدها شاكراً لها.

- هل لديكِ ما تصنعينه اليوم؟ سألها.

- من بين مزايا الزوار المتطلبين، هو أني الآن أستمتع بفكرة أن لا أقوم بأي شيء طول النهار كله. بعبارة أخرى، سوف أقضي النهار في التسكّع. القراءة في الحديقة، والأكل قليلاً

- يبدو لي ذلك خطّة جيدة. سوف أحاول العودة باكراً اليوم أيضاً سوف أكون هنا على أقصى تقدير عند الساعة الرابعة، هذا وعد.

- أجل، أجل، حاول جهدك. سوف تعود عندما يمكنك ذلك. اذهب الآن، أرى جيداً أنك لم تعُد تقوى على ملازمة مكانك.

لم تكن في حاجة لقول ذلك مرتين. أسرع إلى المفوضية.

لمّا وصل بعد عشرين دقيقة كاملة لاحقاً، كان الآخرون منهمكون في شرب القهوة. متلبساً، أدرك أنه وصل بلا شك متأخراً بأكثر ممّا هو متوقع.

- مرحباً هيدشتروم، هل نسيت ضبط منبِّهك أم ماذا؟

إرنست الذي عادت له ثقته في نفسه تماماً منذ الأمس، ضمن ما يكفي بالضبط من الوقاحة في لهجته.

- لا، بل أقول إنّ الأمر يتعلق بالأحرى بتعويض صغير عن كلّ تلك الساعات الإضافية. كان يجب أيضاً أن أهتم برفيقتي، قال باتريك، هو يغمز صوب أنيكا، التي غادرت موقعها بالاستقبال لوقت قصير.

- أجل، أعتقد أنه يعد جزءاً من امتيازات الرئيس، أن يستفيد المرء من صبيحة بين الفينة والأخرى، من أجل النوم حتى ساعة متأخرة عن المعتاد. لم يستطع إرنست منع نفسه من الردّ بالمثل.

- صحيح أني مسؤول عن هذا التحقيق، لكني لست رئيساً مع كلّ ذلك، نبَّهه باتريك بلطف.

النظرات التي وجَّهتها أنيكا صوب إرنست لم تكن بالقدر نفسه من اللطف.

- وبصفتي مسؤولاً عن التحقيق لدي خبر جديد - ومهمة جديدة، تابع باتريك.

أخبرهم بما قاله له بيدرسن وخلال لحظة قصيرة عمَّ مطبخ مركز شرطة تانمشيد جو الانتصار.

- طيب، هذا يعني أننا ضيَّقنا المجال إلى أربعة أشخاص محتملين، قال غوسطا. جوهان، روبير، جاكوب وغابرييل.

- أجل، ولا يجب أن ننسى المكان الذي شوهدت فيه تانيا للمرة الأخيرة، قال مارتن.

- حسب جوهان على أي حال، ذكَّر إرنست. هو مَن يصرح بالأمر، يجب استحضار ذلك في الذهن. من ناحيتي، أودّ الحصول على شاهد أكثر ثقة شيئاً ما في البدء.

- أجل، لكن ليندا تقول إنهما شاهدا شخصاً ما ذلك المساء، إذن.

وضع باتريك نهاية للنقاش بين إرنست ومارتن.

- لا يهم ذلك كثيراً، ما إن نقوم بإجراء فحوصات الحمض النووي على كلّ أفراد عائلة هولت، لن نحتاج إلى التكهّنات. سوف نعلم. وقد اتصلت مسبقاً للحصول على التراخيص اللازمة. الجميع يعلم لماذا هذا شأن مستعجل، وأنا أنتظر الضوء الأخضر من النائب العام بين الفينة والأخرى.

صبّ لنفسه فنجان قهوة وجلس صحبة زملائه. وضع هاتفه المحمول وسط الطاولة ولم يمنع أحد نفسه من إلقاء نظرة إليه بين حين وآخر.

- ماذا كان رأيكم في فرجة الأمس؟

لقد نسي سلفاً وعده بأنْ لا يبوح بأسرار ميلبرغ. في هذه المرحلة، الجميع سمع بخطيبة ميلبرغ بالمراسلة. لقد انقضى دهر لم

يجدوا بعده نميمة مماثلة يلوكونها بألسنتهم، وهنا لديهم شيء يعلقون عليه طولاً وعرضاً لفترة ليست بالقصيرة.

- يا له من عرض مهيب، مهما يكن! قال غوسطا ضاحكاً. إذا كان المرء محتاجاً إلى المرأة إلى حدّ الإرسال في طلبها عبر كتالوج، فلا ينبغي له أن يشتكي بعد ذلك.

- كنت أودّ رؤية وجهه حينما ذهب لإحضارها من المطار وأدرك أنها لم تكن في مستوى تطلعاته.

ضحكت أنيكا بحرارة من هول الكارثة. الضحك من مأساة الآخرين لم يكن يبدو بذلك القدر من الفظاعة عندما كان ميلبرغ هو المستهدف.

- أجل، عليّ القول بأنها لم تنعم كثيراً بفرحتها، قال إرنست مازحاً. لقد انطلقت مباشرة إلى المتجر لملء حقيبتها. ويبدو أنها كانت تنظر بالأخص إلى ملصق الثمن، وليس إلى السلعة في حدّ ذاتها. بالمناسبة، فيما يتعلق بالسرقة، ما قولكم في هذا. بيرسون، العجوز الذي ذهبنا لرؤيته أمس، غوسطا وأنا، قال بأن معتوهاً يأتي بانتظام ليختلس بعضاً من سماده السخيف. بعد كل دفعة، كان يفطن إلى اختفاء أكياس من الأسمدة. يا للعهر، كم إنّ الناس بذلك القدر من البخل، الذهاب لاختلاس أكياس البعر، هه؟ بعر باهظ الثمن على ما يبدو، لكن مهما يكن. خبط ركبتيه وهو يضحك ملء شدقيه. أي نعم، وكأننا في حلم، وقال وهو يمسح دمعة. ثم أدرك أنّ صمتاً مطبقاً قد تشكّل من حوله.

- ماذا قلتَ للتو؟ كان صوت باتريك مُثقلاً بالوعيد. لقد سبق لإرنست أن سمع هذه النبرة، أياماً قليلة من قبل، وفهم أنه اقترف غلطة مرة أخرى.

- طيب، لقد حكى لي أنّ شخصاً ما كان يسرق بانتظام أكياساً من السماد.

- وباعتبار أنّ المزرعة هي الضيعة الأقرب، لِمَ تحدّث نفسك بأنّ ذلك قد تكون له أهميته كمعلومة؟

لشدّة ما كان الصوت جامداً أحسّ إرنست بالبرد يلدغ جلده. نظر باتريك صوب غوسطا.

- هل سمعته أيضاً، يا غوسطا؟

- لا، لعل المزارع أخبره بذلك حينما ذهبت إلى المرحاض لبضعة دقائق. رمق إرنست بنظرة غضب.

- لم أفكر في ذلك، دمدم إرنست. اللعنة إذن، كما لا يمكن أن نستحضر كل شيء في ذهننا.

- إلا أنّ هذا بالتحديد ما يجب فعله. لكن سنتحدث في هذا الشأن لاحقاً. المشكل الآن هو معرفة ماذا يعني ذلك بالنسبة لنا.

رفع مارتن يده، وكأنه في المدرسة.

- هل أنا وحدي مَن يظنّ أننا نقترب أكثر فأكثر من جاكوب؟ أولاً، لدينا شهادة، وإنْ كان مصدرها محطّ شكوك، لنفترض أنّ تانيا كانت موجودة بالمزرعة قبل اختفائها بقليل. ثانياً، بقايا الحمض النووي على تانيا تدلّ على شخص ما ينتمي لعائلة جوهانس، وثالثاً، أكياسٌ من الأسمدة اختفت من ضيعة هي، تماماً، الأقرب من المزرعة. هذا كافي، أعتقد، للقبض عليه وإجراء محادثة معه وللذهاب من أجل استكشاف أرضه.

لم يقُل أحد شيئاً وتابع مارتن حجّته:

- لقد قلت ذلك بنفسك يا باتريك، الأمر عاجل. لن نخسر شيئاً إنْ ألقينا نظرة وضيقنا الخناق على جاكوب. وفقط إنْ نحن لم نفعل شيئاً عندها نكون خاسرين. بالطبع، سوف نحصل على إجابة

واضحة ما إن يتمّ مقارنة دم العائلة كلها بالحمض الموجود، لكن في انتظار ذلك لا يسعنا البقاء مكتوفي الأيدي هنا. يجب فعل شيء ما!

وأخذ باتريك الكلمة في نهاية المطاف:

- مارتن على حق. لدينا ما يكفي من المعطيات كي نجازف بالتحدث إليه، ولا ضير من إلقاء نظرة على المزرعة، بالمناسبة. هاكُم ما سنقوم به: غوسطا وأنا، سوف نذهب لإحضار جاكوب. وأنت يا مارتن، سوف تتصل بأودفالا وتطلب الدعم من أجل تفتيش المزرعة. أطلب المساعدة من ميلبرغ للحصول على التراخيص، واحرص ملياً على أن تخصّ كل بنايات الضيعة، وليس فحسب منزل السكن. سوف نقدم تقاريرنا لأنيكا تباعاً، أوكي؟ هل من أسئلة؟

- أجل، وماذا نفعل من أجل أخذ عينات الدم؟ قال مارتن.

- أجل، اللعنة، لقد نسيتها سوف نحتاج بحق إلى القدرة على استنساخ أنفسنا. فكَّر باتريك لحظة. مارتن، تستطيع الاهتمام بذلك أيضاً؟ حرَّك مارتن رأسه. حسناً، اتصل بمركز فيالباكا الطبي كذلك واستقدم شخصاً يمكنه أخذ العينات. واحرص على أن تكون الأنابيب مرتَّبة على نحوٍ سليم وابعثها بسرعة إلى بيدرسن. هيا، لننطلق. ولا تنسوا لمَ الأمر مستعجل!

- وأنا ماذا أصنع؟ تراءت إلى إرنست فرصة استعادة الحظوة من جديد.

- تظلّ هنا، قال باتريك ولم يضيِّع مزيداً من الجهد في النقاش.

تمتم إرنست بشيء ما، لكن كان يعرف متى يستحسن عدم الإلحاح. ومع ذلك سوف يحدِّث ميلبرغ بذلك ما إن ينتهي كلّ ذلك. إنّ الأمر لم يكن بكلِّ ذلك القدر من السوء. لا أحد يتَّصف بالكمال، اللعنة!

كانت ماريتا تشعر بقلبها يخفق. العبادة في الهواء الطلق كانت مذهلة، مثل العادة، وإن جاكوبها هو مَن كان في الوسط. مستقيماً وقوياً ومتيقناً ممّا يقول، كان يعظُ بكلام الرب. كان الكثير من الناس مجتمعين هناك. إضافة إلى معظم شباب مزرعة الإيواء - بعضهم لم يروا بعد النور، وقد رفضوا المجيء - جاء قرابة مائة من المخلصين. كانوا يقتعدون العشب، وعيونهم مصوبة على جاكوب، الواقف في مكانه المعتاد على الصخرة، وظهره إلى البحيرة. وحولهم كانت أشجار البتولا منتصبة سامقة وكثيفة، يستظلّ بها حينما يجثم الحرّ كما أنّ هسيسها كان يرافق صوت جاكوب الرخيم. أحياناً كان يستعصي عليها فهم سعادتها. هذا الرجل، الذي ينظر إليه الجميع بعيون ملؤها الإعجاب، اختارَها هي.

لم تكن تبلغ سوى سبع عشرة سنة عندما تعرّفت إليه. وكان جاكوب في سن الثالثة والعشرين ويتمتع سلفاً بسمعة الرجل القوي داخل التجمع. شيئاً ما بفضل جدّه الذي كان لشهرته تأثير عليه، لكن أكبر قسط كان ناجماً رغم ذلك عن إشعاعه. لطف وشدة هما التوليف الغريب الذي يعطيه قوة الجذب تلك التي لم يكن بمقدور أحد الإفلات منها. كانت هي وأبويها أعضاء في التجمع منذ أمدٍ بعيد ولم يتغيبوا أبداً عن أيّ قدّاس. ومنذ المرة الأولى التي شاركت خلالها في قداس لجاكوب هولت، شعرت بقشعريرة الإثارة، وكأنها كانت تعلم أنّ أمراً عظيماً سوف يحدث. وكان كذلك. لم تستطِع إزاحة نظرتها من عليه وظلّت عيناها معلقتان إلى فمه الذي كانت تتدفق منه كلمة الرب. حينما أخذت نظرة جاكوب تلاقي نظرتها، توّجته بالدعاء إلى الرب. صلوات محمومة، متوسلة، مستجدية. هي التي تعلمت أنه لا ينبغي استجداء شيء لنفسها في الصلوات، هي الآن تطلب شيئاً طائشاً يماثل الرجل طيشاً. كان ذلك أقوى منها.

ومع شعورها بحرقة نيران المَطْهر التي تطارد المذنبة، فقد واصلت صلواتها على نحوٍ محموم ولم تتوقف إلّا بعد أنْ كانت متأكدة بأنه ترك نظره يقع عليها ووجد أنها تروقه.

وفي الواقع لم تفهم لماذا اختارها جاكوب زوجة له. كانت تعرف أن خِلقتها عادية وبأنها كانت صموتة ومنكفئة على نفسها، لكنه أرادها، وفي يوم زفافهما، تعهّدت لنفسها بأنها لن تفكر أبداً في ذلك ولن تعترض على إرادة الرب. كان جلياً أنه أصفاهما بين الجميع وبأنه رأى أن ذلك سيكون سوياً، مثل باقي خليقته، وكان عليها أن تقتنع بهذا التفسير. ربما كان شخصاً بقوة جاكوب في حاجة إلى شريكة ضعيفة لن تقاوم. أو شيء من هذا القبيل.

الطفلان اللذان يجلسان على الأرض بجانبها أخذا يتململان من نفاد صبرهما. أخرستهما ماريتا بصرامة. كانت تعرف أنهما يتحرّقان للركض واللعب، لكن سوف يسمح لهما الوقت بفعل ذلك لاحقاً، أما في الوقت الحاضر فإنّ عليهما الإنصات إلى أبيهما حينما يدعو إلى كلمة ربه.

- إننا لمَّا نواجه الصعاب يُمْتَحن إيماننا، لكن هكذا يتقوى أيضاً. دون مقاومة، فإن الإيمان يضعف ويجعلنا نُصاب بالتخمة والكسل. وإذن لن نتأخر في سلك طريق الضلال. شخصياً، كان عليّ مواجهة محن هذه الآونة الأخيرة، إنكم تعلمون ذلك لا ريب. أسرتي أيضاً. يبدو أنّ هناك قوى شريرة تريد امتحان إيماننا. أقولها، إنهم محكومون بالفشل. لأنّ إيماني يزداد ويتقوّى. لشدّ ما ازداد فإنّ قوى الشر لن تستطيع المسّ بي. المجد للرب الذي يمدّني بمثل هذه القدرة.

رفع يديه نحو السماء وصاحت الجموع «هللويا»، كانت الوجوه تشعّ فرحاً واقتناعاً. ماريتا بدورها رفعت يديها نحو السماء حمداً

للرب. أنْسَتْها كلمات جاكوب صعوبات الأسابيع الأخيرة تلك. كانت تثق فيه وكانت ثقتها في الرب، وإذا كانا فحسب معاً، لا شيء يستطيع زعزعتهما.

أنهى جاكوب القداس في وقت لاحق، وجاءت جماعات من الناس تحيط به. الجميع كان يريد أن يشدّ على يده، يشكره ويعبِّر له عن دعمه له. كان يبدو على الجميع أنه يريد لمسه للحصول بذلك على قسطٍ من سكينته واقتناعه بُغية أخذ ذلك معهم. الجميع كان يريد قسطاً منه. كانت ماريتا تظلّ مبتعدة، ولها يقينٌ ظافرٌ بأنّ جاكوب كان مِلكاً لها. أحياناً كانت تتساءل، خطأ، إن كان يعد ذنباً الإحساس بمثل تلك الحاجة إلى امتلاك زوجها، وإرادة الاحتفاظ به كاملاً لنفسها، لكنها كانت تزيح بسرعة هذا النوع من الخواطر. الظاهر أنها تلك مشيئة الرب بأن يكونا معاً، وعليه فإنه لا يمكن لذلك أن يكون شيئاً خبيثاً.

حينما تفرَّق الحشد من حوله، أمسكت بيد الطفلين وتوجَّهت للقائه. لقد كانت تعرفه حقّ المعرفة. رأت التعب يظهر على عينيه ويطرد ما ملأه أثناء القداس.

- تعال، سنعود إلى البيت، يا جاكوب.

- ليس بعد، ماريتا عليَّ أولاً قضاء بعض الأمور.

- ليس هناك شيء لا يمكنك قضاؤه غداً. سوف أعود بك إلى البيت الآن، يجب أن ترتاح قليلاً، إني أرى كم أنك متعب.

ابتسم وأمسك بيدها.

- كما هو الحال دائماً، أنتِ على حق، زوجتي العزيزة والحكيمة. سوف أذهب فقط لأخذ أغراضي من المكتب ثم ننطلق.

كانا قد شرعا في الصعود نحو الضيعة حينما شاهدا رجلين

يدنوان منهما في البدء حجبَت عنهما الشمس رؤية مَن يكونا، لكن بعد ذلك تأوه جاكوب متذمراً.

- وماذا تريدان أكثر من ذلك؟

نظرة ماريتا الحيرى كانت تروح وتغدو من جاكوب إلى الرجلين إلى أن أدركت، من خلال لهجة جاكوب، أنهما على الأرجح ينتميان إلى الشرطة. تفرَّستهما بعينٍ ملؤها الحقد. إنهما سبب كل ذلك القدر من الهَمِّ لجاكوب وللأسرة في الآونة الأخيرة.

- نودّ التحدث إليك لحظة، يا جاكوب.

- ما الذي يمكن إضافة قوله، ولم أقُله سلفاً البارحة؟ زفر. طيب، فلنضَعْ حداً لهذا الأمر. هيّا بنا إلى مكتبي.

لم يبارح الشرطيان مكانهما وهما محرجان، نظرا إلى الطفلين وأخذت ماريتا تشتمّ أمراً ما غريزياً، ضمَّت الطفلين إليها

- ليس هنا نودّ التحدث إليك في المركز.

كان أصغر شرطي من بينهما هو المتحدث. أما الآخر فكان يقف بعيداً شيئاً ما وينظر إلى جاكوب، بملامحَ صارمة. نشبَ الرعب مخالبه في قلب ماريتا. كانت بحقّ قوى الشرّ التي تدنو، بالضبط كما قال جاكوب في موعظته.

صيف 1979

فهمت أن الفتاة الأخرى قد فارقت الحياة. من ركنها في الظلمة سمعت نفسها الأخير، وبيدين مضمومتين، توسلت إلى الله على نحوٍ محموم بأن يتقبل رفيقتها في المحنة. بمعنى ما، كانت تغبطها. تغبطها لأنها تخلّصت من العذاب.

كانت الفتاة هنا مسبقاً حينما وجدت نفسها بدورها في الجحيم. في البدء، شلَّ الرعب حركتها، لكن ذراعَيْ الأخرى حولها وجسمها الدافئ منحتاها إحساساً غريباً بالأمان. وفي الوقت معاً، لم تكن لطيفة دوماً. أرغمهما الصراع من أجل البقاء على الاقتراب من بعضهما ولكن على الافتراق أيضاً. وخلافاً للفتاة الأخرى، فقد تشبّثت بالأمل، وكانت تعرف أنَّ هذه الأخيرة حقدت عليها أحياناً من أجل ذلك، لكن كيف كان سيتسنى لها التفريط في الأمل؟ طول حياتها تعلَّمت أنّ كل مشقة، ومهما كانت غير معقولة، لها حلّ، وإذن لماذا ستكون هذه المشقة مختلفة؟ كانت ترى وجه أبيها ووجه أمها وتتمسّك في هدوء بيقين أنهما سوف يلتقيانها قريباً.

كانت تتأسى عليها، تلك الفتاة الأخرى. كانت حياتها شديدة الفراغ. ما إن شعرت بجسمها الدافئ في الظلام أدركت من تكون، ولو أنه في الحياة الفعلية، الحياة فوق، لم يسبق لهما أن تبادلتا

الحديث أبداً. وباتفاقٍ ضمنيّ لم تكونا تناديان على بعضهما بالاسم. كان ذلك سيكون أشبه بالمعتاد ولا الواحدة ولا الأخرى كانت قادرة على تحمُّل ثقل مماثل، لكنها تحدثت عن طفلتها. كانت تلك المرة الوحيدة التي دبَّت الحياة شيئاً ما في صوتها.

أن تضمّ يديها وتصلّي من أجل مَن ماتت تطلب منها جهداً يفوق قدرة البشر تقريباً. لم تعد أطرافها تستجيب لها، لكن باستجماع ما تبقى لها من آخر قوى نجحت في ضمّ يديها المتمردتين على هيئة شيء يشبه حركة الصلاة.

وبصبر انتظرت في الظلام صحبة ألمها. الآن لم يعد الأمر سوى مسألة وقت كي يعثرا عليها، البابا والماما. قريباً...

- طيب، وسوف أتبعكما إلى المركز، لكن فيما بعد، كفى! سمعتما! قال جاكوب بانزعاج.

بمؤخّر عينها رأت ماريتا أن كينيدي يقترب. لقد شعرت دوماً بالنفور منه. حينما ينظر إلى جاكوب، كان في عينيه ما يشي بالمقت الممزوج بالولع، لكن جاكوب عاتبها حينما أخبرته بمشاعرها. كينيدي كان طفلاً شقياً شرع أخيراً في الإحساس بالسكينة بداخله. ما كان يحتاجه الآن، هو الحب والعناية، وليس الحيطة. ومع ذلك لم يفارقها القلق. حركة من جاكوب جعلت كينيدي يتراجع إلى الخلف، على مضض، ثم عاد نحو البيت. وكأنه كلب حراسة يريد حماية صاحبه، خمنت ماريتا.

استدار جاكوب نحوها وأحاط وجهها بيديه.

- ارجعي مع الطفلين. ليس هناك أيّ مشكل. كلّ ما يريده هذان الشرطيان هو إضافة شيء من الحطب على النار التي سيحترقان بها.

ابتسم لتلطيف كلامه، لكنها ضمّت الطفلين إليها. كانا ينظران إليهما بقلق، هي وجاكوب. وعلى طريقة الصغار أحسّا أن شيئاً حلّ لزعزعة توازن عالمهما.

استأنف أصغر رجلي الشرطة سناً الكلام. بدا هذه المرة أنه محرجٌ شيئاً ما وهو يتحدث.

- أنصحك بأنْ لا تعودي مع الطفلين قبل المساء. سوف. تردَّد، سوف نجري تفتيشاً للبيت هذه الظهيرة.

- أية مكيدة تدبران؟ استشاط جاكوب غضباً حيث صعب عليه النطق بشكل سليم.

شعرت ماريتا بردّ فعل الطفلين القلق. لم يتعودا سماع أبيهما يصرخ.

- سوف نخبرك بذلك، لكن حينما نصل إلى المفوضية. هل يمكننا الذهاب الآن؟

في نهاية المطاف أومأ جاكوب برأسه دلالة على الخضوع، وحتى لا يزيد من قلق الطفلين قام بمعانقتهما، قبَّل ماريتا على خدها وانطلق يحيط به المحققان.

ظلت ماريتا جامدة ترقب السيارة وهي تأخذ جاكوب. من ناحية البيت، كان كينيدي يراقب. كانت عيناه سوداوين كالليل.

في القصر الريفي أيضاً، كانت الجلبة على أشدها.

- سأتصل بمحاميَ! كلّ هذا غير معقول! أخذ عينات من دمنا ومعاملتنا مثل مجرمين من الرعاع!

من شدّة غضب غابرييل كانت يده على مقبض الباب ترتعد. قبالته، على الدرج، ردّ مارتن بهدوء على نظرة غابرييل. خلفه كان يقف طبيب المقاطعة، الدكتور جاكبسون، الذي كان يتصبب عرقاً جسده الضخم لم يكن يتكيف كثيراً مع الحرارة المرتفعة، لكن السبب الأول للعرق على جبينه يتمثل في أنه كان يجد الوضع غير مريح إلى أقصى حد.

- افعل، افعل، قال مارتن، لكن لا تنسى أن تصف له بتفصيل الوثائق التي نتوفر عليها، وسوف يقول لك محاميك إنّ لدينا كامل الحق. وإن لم يصل في غضون ربع ساعة، فلدينا كل الصلاحية، بالنظر إلى طابع القضية المستعجل، لتنفيذ الأمر بغير حضوره.

كان مارتن يتحدث عن قصد لغة إدارية قدر الإمكان. حدَّث نفسه أنها على الأرجح اللغة الكفيلة بالتأثير أفضل في غابرييل، وقد نجح ذلك. على مضض أدخلهما غابرييل. تناول الوثائق التي عرضَها مارتن عليه وتوجَّه مباشرة إلى الهاتف. أشار مارتن بالدخول إلى الشرطيين اللذين وفدا للدعم من أودفالا واستعدّ للانتظار. تحدث غابرييل في الهاتف وهو يومئ بانفعال، وبعد لحظات معدودة عاد إلى الردهة.

- سوف يصل خلال عشر دقائق، قال بنبرة متجهِّمة.

- طيب. أين هي زوجتك وابنتك؟ يجب أن نأخذ عينات منهما كذلك.

- في الإسطبل.

- هل تستطيع الذهاب للنداء عليهما؟ قال مارتن لواحد من عناصر أودفالا

- بالطبع. من أين؟

- هناك دربٌ ضيق أمام الجناح الأيسر. اتبعه وستجد الإسطبل على بُعد مائتي متر من هناك. ورغم حركاته الدالة بوضوح على رأيه في الوضع، فإن غابرييل كان يحاول الحفاظ على المظاهر. بنبرة مصطنعة، أضاف: يا هذا، أعتقد أنكما تستطيعان الدخول في انتظار ذلك.

في صمتٍ، وحرجٍ، كانا يجلسان بطرفَي الردفين على جانب الأريكة في غرفة الجلوس، حينها وصلت ليندا وليني.

- ما الحكاية يا غابرييل؟ رجل الشرطة هذا، يقول إن الدكتور جاكبسون سوف يأخذ لنا عينة دم! قلْ لي بأنها مزحة!

ليندا التي كان يصعب عليه رفع عينيها عن الرجل الشاب بالزي الرسمي الذي ذهب لإحضارهما من الإسطبل، كان لها رأي آخر.

- رائع!

- للأسف، يبدو أنّ الأمر جدّي تماماً، يا ليني. لقد اتصلت بالأستاذ لوفغرين، سوف يكون هنا بين فينة وأخرى. وقبل ذلك، يمنع أخذ أيّ عينة دم.

- لكن لا أفهم لماذا تصرون على القيام بكلّ ذلك؟ بدا على ليني الحيرة، ومع ذلك فقد كانت رابطة الجأش.

- أنا آسف، لا يمكننا إخباركما بأيّ شيء لأسباب فنية متعلقة بالتحقيق، لكن كلّ شيء سوف يتمّ شرحه عمّا قريب.

كان غابرييل مستغرقاً في فحص التراخيص أمامه.

- أرى هنا أن لديكم أيضاً ترخيصاً بأخذِ عينات من جاكوب، سولفيغ والولدين.

هل كان ذلك انطباعاً أم أنّ مارتن رأى ظلّاً يعبر وجه غابرييل؟ في الثانية اللاحقة، سمع طرقاً خفيفاً على الباب ودخل المحامي.

بعد إنهاء الإجراءات وحالما شرح المحامي لغابرييل وأسرته أنّ في حوزة الشرطة كلّ التراخيص القانونية، قام الطبيب بأخذِ عيّنات الدم. في البداية غابرييل، ثم ليني التي بدت الأكثر هدوءاً بينهم جميعاً ممّا أدهش مارتن، بل لاحظ أنّ غابرييل نظر إلى زوجته بذهول، وكذلك بشيء من الرضا. وفي الأخير أخذ الدكتور جاكبسون عينة من دم ليندا، التي دخلت في اتصال بصريّ مكثّف مع الشرطي الشاب. وجد مارتن نفسه مرغماً على تحذيره بنظرة صارمة منه.

- هو ذا، تمّ الأمر. نهض الطبيب بصعوبة وجمع الأنابيب. كانت مصنَّفة بعناية عليها اسم كلّ واحد وتمّ وضعها في ثلاجة.

- سوف تذهبون عند سولفيغ الآن؟ سأله غابرييل. وبغتة أبان عن ابتسامة مصطنعة. احرصوا على وضع خوذات وإخراج العصي، لا أظنّ أنها ستسمح لكم بأخذ دمها دون مقاومة.

- أعتقد أننا قادرون على تدبير الوضع، قال مارتن بصرامة. لم يكن يستحسن بريق السخرية في عيني غابرييل.

- طيب، لا تقولوا بعد هذا أنني لم أحذركم. قال مقهقهاً.

تلفّظت ليني بقوة:

- غابرييل، تصرّف مثل شخص راشد!

مشدوهاً لأن زوجته عاتبته مثلما يعاتَب الطفل، سكت غابرييل وجلس مجدداً. نظر إليها وكأنه يراها للمرة الأولى.

انصرف مارتن صحبة زملائه والطبيب ثم توزعوا في سيارتين للذهاب عند سولفيغ. توصل بمكالمة من باتريك وهم في الطريق.

- مرحباً، كيف تمَّت الأمور بالنسبة لكم؟

- مثلما كان متوقع، قال مارتن. لقد خرج غابرييل عن طوره واتصل بالمحامي، لكننا حصلنا على بغيتنا، ونحن نتّجه صوب سولفيغ الآن. أعتقد أنّ ذلك لن يتم بالقدر نفسه من السهولة هناك.

- لا، على الأرجح، لكن حذار فقط من أنْ تتفاقم الأمور.

- أجل، أجل، سوف أستعين بدبلوماسيتي كلها. لا تقلق. وأنتم، كيف تتم الأمور؟

- دون مشاكل. إنه رفقتنا في السيارة وسنصل قريباً إلى تانمشيد.

- حظاً سعيداً إذن.

- وحظكم أيضاً.

أنهى مارتن الحديث بالضبط في الوقت الذي وصلوا فيه أمام كوخ سولفيغ هولت. هذه المرة، لم يفاجئه الاضمحلال بذلك القدر المنتظر لأنه خبره من قبل، لكنه تساءَل مع ذلك كيف يصل الأمر بالمرء إلى العيش بهذه الطريقة. قد يكون فقيراً، فذلك مقبول، لكن رغم ذلك قد يحرص على أن يكون ما يحيط به نظيفاً ومرتباً

طرق الباب بشيء من التوجُّس، لكن حتى بخياله الأكثر جموحاً لم يكن ليتوقع الاستقبال الذي كان ينتظره. صخّ! حطّت صفعة على خده الأيمن وحبست الدهشة أنفاسه. وأحسّ، بما أنه لم يستطع رؤية ذلك، بأنّ رجال الشرطة تصلّبوا خلفه للدخول بالقوة، لكنه رفع يداً مهدئة لإيقافهم.

- هدوء، هدوء. ليس في الوارد استعمال القوة هنا، أليس كذلك يا سولفيغ؟ قال بصوت وديع للمرأة الواقفة أمامه. كانت تزفر بقوة، لكن بدا أنها تسكن بنبرة صوته.

- كيف تجرؤ على المجيء هنا بعد نبش قبر جوهانس! وضعت يديها على خاصرتيها وأغلقت مدخل البيت بفعالية.

- أتفهَّم اعتبارك ذلك صعبَ التحمُّل، يا سولفيغ، لكننا نقوم بعملنا فحسب، وأفضِّل أن أراكِ متعاونة.

- ماذا تريد الآن إذن؟ لفظَت بقوة.

- أودّ الدخول لحظة، سوف أشرح لك.

استدار نحو الرجال خلفه وقال:

- انتظروا هنا لحظة، سولفيغ وأنا، سوف نتحدث قليلاً في البدء.

دخل بكلّ بساطة وأغلق الباب خلفه. لشدّة ما أسقط في يده رجعت إلى الخلف وأفسحت له للدخول. استنفر مارتن كلّ مواهبه

الدبلوماسية وشرح لها الوضع بدقّة متناهية. بعد شيء من الوقت، خفَّ احتجاجها ودقائق من بعد، فُتح الباب من جديد كي يتيح دخول زملائه.

- يجب المناداة على ولديك أيضاً، يا سولفيغ. أين هما؟

- إنهما يختبئان على الأرجح خلف البيت في انتظار معرفة سبب وجودكم هنا أعتقد أنهما أخذا يضجران من رؤية وجوهكم القذرة، هما أيضاً. ضحكَت وفتحت نافذة متسخة.

- جوهان، روبير، تحركا! لقد عاد رجيلات الشرطة!

دبَّت حركة بين الشجيرات، ثم جاء جوهان وروبير دون استعجال. حذران، نظرا إلى الجماعة المتزاحمة في المطبخ الصغير.

- ما الأمر الآن؟

- الآن يريدون دمنا أيضاً، قالت سولفيغ وهي تصف الوقائع ببساطة.

- تبّاً إذن، إنكم مخبولون تماماً. لن أعطيكم في حياتي شيئاً من دمي السافل أبداً!

- روبير، بلا مشاكل، قالت سولفيغ متعبَة. لقد تحدّثت إلى المفتش هنا وتعهدتُ بأنْ لا تحدث مشاكل. وعليه، اجلسا وأخرسا. كلما أسرعنا في التخلص منهم، كلما كان ذلك أفضل.

وقد ارتاح مارتن بشدة عندما أطاعا أمهما. بوجهٍ متجهّم، نظرا إلى جاكبسون وهو يخرج الحقنة. بعد أن أخذ عينة دم سولفيغ أيضاً، رتَّب مثلما سبق العينات المصنفة جيداً داخل الثلاجة وقال إن العمل بالنسبة له قد انتهى.

- لِمَ كل هذا؟ سأل جوهان من باب الفضول ليس إلا

قدَّم مارتن الإجابة التي عرضها مسبقاً على غابرييل. ثم استدار نحو أصغر واحد من عنصرَيْ شرطة أودفالا

- يجب أن تذهب إلى تانمشيد لأخذ العينة الأخرى وأن تسرع بعدها مباشرة إلى غوتبرغ بالحمولة كلها.

الرجل الشاب، الذي عاكس ليندا على نحوٍ ظاهر بإفراط، برأسه.

- سوف أتكفّل بذلك. هناك رجلان قادمان من أودفالا لدعمكما في. - سكت ونظر قليلاً بتردُّد إلى سولفيغ وولديها الذين كانوا ينصتون باهتمام إلى الحوار -. في القضية الأخرى. سوف يلحقان بكم. - ومرة أخرى قام بوقفة محرجة -. في المكان الآخر.

- جيد، قال مارتن. استدار نحو سولفيغ. شكراً لكم، سوف نذهب الآن.

للحظة فكَّر في أن يكلِّمهم عن جوهانس، لكنه لم يجرؤ على معارضة الأمر الرسمي الذي تلقاه. باتريك لم يكن يريد أن يتم إخبارهم في الوقت الراهن، وقد التزم بذلك.

قبالة البيت، توقف لحظة. بصرف النظر عن الكوخ المتهدِّم، وحطام السيارات وكل الفوضى المتراكمة هناك، فإنّ لديهم محيطاً غاية في الجمال. كان يأمل فقط أن يرفعوا أعينهم بين الفينة والأخرى عن عوزهم لاستحسان المنظر الإلهي الذي يعيشون فيه، لكنه كان يشكّ في ذلك.

- طيب، وجهتنا الآن المزرعة، قال مارتن. توجّه نحو السيارة بخطى واثقة. أنجز مهمة وفي انتظاره أخرى. تساءل كيف تتم الأمور بالنسبة إلى باتريك وغوسطا.

- في رأيك، لماذا أنت هنا؟ قال باتريك. كان جالساً قرب غوسطا، قبالة جاكوب في الحجرة الصغيرة المخصصة للاستنطاقات.

تأملهما جاكوب بهدوء، ويداه مضمومتان على الطاولة.

- كيف تريد أن أعرف ذلك؟ ليس هناك أي منطق في ما اتخذتموه ضدّ أسرتي، وأعتقد أنّ كل ما يجب فعله، هو الانصياع ومحاولة التخلص من هذه المشاغل.

- تقصد بقولك أنك تعتقد مخلصاً أنّ مهمة الشرطة ذات الأولوية هي إزعاج أسرتك؟ وما هو دافعنا؟ انحنى باتريك إلى الأمام، طامعاً في معرفة الجواب.

- الشرّ والغلّ لا يحتاجان إلى دافع، أجاب جاكوب دائماً برباطة الجأش نفسها، لكن ما أدراني، ربما يراودكم الإحساس بأنكم تعرضتم للسخرية مع جوهانس والآن يودون البحث لكم عن مبرر.

- كيف ذلك؟ قال باتريك.

- أقصد أنكم ربما تشعرون بأنكم إذا نجحتم في حبسنا هذه المرة فذلك يعني أنكم كنتم على حق بالنسبة إلى جوهانس في الماضي.

- ألا ترى أنّ هذا مُبالغٌ فيه بعض الشيء؟

- ماذا يجب عليّ تصديقه؟ أعرف فقط أنكم لزقتم بنا مثلما تفعل ديدان العَلَق وبأنكم ترفضون الاستغناء عن ذلك. عزائي الوحيد هو أنّ الرب عليم بالحقيقة.

- تتحدث كثيراً عن الرب، يا بُني، قال غوسطا، الذي بالنظر إلى سنّه لم يتردَّد في رفع الكلفة مع جاكوب. هل أبوك على القدر نفسه من الإيمان مثلك؟

بدا السؤال محرجاً لجاكوب، وذاك كان قصد غوسطا.

- إيمان أبي يقع بمكانٍ ما في سريرته. لكن.   بدا أنه يفكر في الكلمة المنتقاة. علاقته المعقّدة مع أبيه جعلت الإيمان بالرب في الرتبة الثانية. ومع ذلك فهو موجود بداخله.

- أبوه، أجل. إفراييم هولت. الواعظ. كانت تربطك به علاقة وثيقة جداً. كان غوسطا يُبدي ملاحظات أكثر منها أسئلة.

- لا أفهم لماذا قد يهمّكم ذلك! لكن أجل، جدي وأنا كنّا مقرَّبين من بعضنا جداً. زمَّ جاكوب شفتيه.

- لقد أنقذ حياتك؟ قال باتريك.

- أجل، إنه أنقذ حياتي.

- وماذا كان رأي والدك في هذه الحال، أن أباه الذي كانت تربطه به.   علاقة معقدة، هذه هي عباراتك، هو مَن كان قادراً على إنقاذ حياتك، وليس هو بنفسه؟ واصل باتريك.

- كلّ أبٍ يريد أن يكون بطلاً في عيني ابنه، أعتقد، لكني لا أرى أنه كان ينظر إلى الأمور هكذا. في نهاية المطاف، جدي أنقذ حياتي وظلّ أبي ممتناً له إلى الأبد.

- وجوهانس؟ كيف كانت علاقته بإفراييم - وبوالدك؟

- لا أفهم ما أهمية ذلك؟ لقد حدث هذا منذ أكثر من عشرين سنة!

- نحن على وعي بذلك، لكننا نستحسن مع هذا أن تردَّ على أسئلتنا، قال غوسطا.

الوجه الهادئ الذي كان يُظهره جاكوب أخذ يتصدّع. مرَّر يده خلال شعره.

- جوهانس.   أجل، بابا وهو كان لديهما دون شكّ بعض المشاكل، لكن إفراييم كان يحبه. لم يكونا متحابَّين على نحوٍ

خاص، لكن هذا الجيل كان يتصرف دون شك على ذلك النحو. إذ لم يكن من الوارد أن يُظهر المرء مشاعره.

- هل كانا يتشاجران كثيراً، أبوك وجوهانس؟

- يتشاجران، يتشاجران، هذا قولٌ مبالغ فيه. كان لديهما خلافاتهما، لكن ذلك أمرٌ عادي بين الإخوة.

- حسب ما يقوله الناس، فذلك تجاوز الخلافات، بل البعض يقول إن غابرييل كان يحقد على أخيه. ضغط باتريك أكثر.

- الحقد كلمة فيها مغالاة لا ينبغي النطق بها على استخفاف. من المؤكّد بلا ريب أنّ بابا لم يكن يبادل جوهانس مشاعر الحبّ الجياشة، لكن لو أتيح لهما المزيد من الوقت، هما الاثنان، أنا على يقين بأنّ الرب كان سوف يتدخل. الإنسان لا يجب أن يعارض أخاه.

- أعتقد أنّك تلمِّح إلى هابيل وقايين. من المفيد أنّ هذه الواقعة الإنجيلية هي ما تبادر إلى ذهنك بالتحديد. هل الأمور كانت إذن سيئة بينهما إلى هذه الدرجة؟

- لا، قطعاً لا بعد كل شيء بابا لم يقتل أخاه، أليس كذلك؟ بدا أنّ جاكوب استعاد قسطاً من الهدوء الذي فقدَه وضمّ يديه من جديد وكأنه يريد الصلاة.

- هل أنت متأكد؟ كان صوت غوسطا مليئاً بالتلميحات.

كان بصر جاكوب ينتقل من الواحد إلى الآخر.

- عمَّ تتحدثان؟ جوهانس شنق نفسه، الجميع يعلم ذلك.

- حسناً، المشكل هو أنه عند فحص بقايا عظام جوهانس، عثرنا على شيء آخر. جوهانس لم ينتحر. لقد تمّ قتله.

أخذت اليدان المضمومتان على الطاولة ترتعشان. حاول جاكوب الكلام، لكن ولا كلمة واحدة خرجت من فمه. مال باتريك

وغوسطا إلى الخلف، في الوقت نفسه، وقاما بملاحظة جاكوب بصمت. على أقل تقدير، بدا وكأنه أصابه الخرس.

- كيف كان ردّ فعل أبيك حينما وصله نبأ وفاة جوهانس؟

- أنا، أنا. أنا لا أدري، تمتم جاكوب. كنت لا أزال في المستشفى. ثم خطرت بباله فكرة كالبارقة: هل تحاولان الإيحاء بأنّ بابا يكون قد قتل جوهانس؟ جعلته الفكرة يقهقه ضاحكاً. أنتما مخبولان! أبي يكون قد قتل أخاه! لا، هذا هراء! ثم قهقه ضاحكاً بصراحة. لم يبدُ على باتريك وغوسطا أنّ ذلك يسليهما.

- هل تظنّ أنّ هناك ما يُضحِك، في أنّ عمك جوهانس قد تمّ قتله. هل تجد ذلك مسلياً؟ قال باتريك بنبرة موزونة.

صمت جاكوب على الفور وأطرق برأسه.

- لا، بالطبع لا، لقد حدث ذلك مثل صدمة فقط. رفع بصره. لكن لا أفهم أكثر من ذلك لماذا تريدان التحدُّث إليّ. لم أكن أبلغ سوى عشر سنوات في تلك الفترة وكنت بالمستشفى، بينما أفترض أنكما لا تريدان الادّعاء بأنني، أنا، لديّ صلة بذلك. وأضاف «أنا» للتأكيد على مقدار اعتبار أنّ الفكرة سخيفة. ما يكون قد وقع، فهو مع ذلك بديهي. لعلّ مَن قتل فعلاً سيف ومونا كان سعيداً جداً، حينما أشرتم إلى جوهانس باعتباره المذنب، وحتى لا يتم ردّ الاعتبار إليه أبداً، قام بقتله وتصوير الجريمة على أنها انتحار. القاتل كان يعرف كيف سيكون ردّ فعل الناس. سوف يعتبر ذلك بصفته دليل إدانته الصارخ وكأنه قدّم اعترافات مكتوبة. والأرجح أنّ الشخص عينه هو مَن قتل الألمانية. إنّ ذلك منطقي، أليس كذلك؟ قال باستعجال. شعر ببريق في نظرته.

- إنها نظرية جيدة بما يكفي، قال باتريك. ليست سيئة تماماً،

إنْ صرفنا النظر عن حقيقة أننا أجرينا مقارنة بين بصمة جوهانس الجينية وعيِّنة من الحمض النووي المتأتّي من المني الذي وجدنا على جثة تانيا. وقد اكتشفنا أنّ جوهانس هو مِن العائلة نفسها والشخص الذي قتل تانيا. انتظر ردّ فعل. لم يحدث. لم تتحرك شعرة في جاكوب.

- بحيث أننا اليوم، واصل باتريك، قمنا بأخذ عينات من دم كلّ أفراد العائلة، وسوف نقوم بإرسالها، ومن بينها العينة التي أخذنا منك عند وصولنا هنا، إلى غوتبرغ، من أجل تحليل مقارن. ثم، نحن على يقين من الحصول على اسم القاتل كتابة. وعليه، أليس من المجدي أن تخبرنا بما تعرف، يا جاكوب؟ لقد شوهدت تانيا بمنزلك، القاتل من عائلة جوهانس - إنها صدف غريبة بما يكفي، ألا ترى ذلك؟

كان لون وجه جاكوب يتغير بلا توقف. تارة شاحب، وأخرى مكفهر، وكان باتريك يستطيع رؤية فكّه ينقبض.

- هذه الشهادة ليست سوى ادّعاء كاذب، وأنتم تعرفون ذلك. جوهان أراد محاصرتي، هذا كل ما في الأمر، لأنه يكره أسرتي. وأما عن عينات الدم والحمض النووي وكل ذلك، يمكنكم أخذ العينات التي تريدون، لكن الشيء الوحيد المؤكد، هو أنكم سوف تقدمون لي اعتذاراتكم حينما تحصلون على نتائجكم الملعو. !

- أعد بأن أقدّم اعتذاري شخصياً، أجاب باتريك بهدوء، لكن في انتظار ذلك، أعتزم الإلحاح للحصول على الإجابات التي أحتاجها

كان بودّه لو أن مارتن ومجموعته يتوفّرون على الوقت لإنهاء التفتيش قبل استجواب جاكوب، لكن ذلك كان سباقاً ضد الساعة وهم مرغمون على التعامل مع ما لديهم. ما كان يودّ معرفته من

بين كل شيء هو إن كان تحليل تربة المزرعة يحتوي على آثار من FZ-302. كان يأمل أن يستطيع مارتن إخباره قريباً عن الآثار المادية المحتملة الخاصة بتانيا أو جيني، لكن تحاليل التربة تستغرق وقتاً، بما أنه لا يمكن إجراؤها في عين المكان. كان مرتاباً بما في الكفاية أيضاً فيما يخصّ إمكانية العثور حقيقة على شيء ما في ضيعة جاكوب. هل كان من الممكن إخفاء وقتل شخص ما دون أن تفطن ماريتا والطفلان لذلك؟ عفوياً، كان يشعر بأنّ دور المشتبه به الرئيس يُناسب جاكوب جيداً، لكن هذا السؤال بالضبط هو ما كان يزعجه. كيف يتصرّف المرء لإخفاء كائن إنساني في المكان الذي يقيم فيه، دون إثارة شكوك الأسرة؟

وكأن جاكوب استطاع قراءة ما يجول في خاطره، قال:

- أتمنى صادقاً بأنكم لن تقلبوا البيت سافله أعلاه. سوف تُصاب ماريتا بالجنون إنْ رجعت إلى البيت ووجدت الفوضى تعمّه.

- إنّ رجالنا يتخذون حرصهم، قال غوسطا.

نظر باتريك إلى هاتفه. ليت مارتن يتّصل عمّا قريب.

تواري جوهان في المرآب ليحظى بالسكينة. ردّ فعل سولفيغ إزاء نبش الجثة ثم أخذ العينات سبّبا له القشعريرة. فيضُ المشاعر ذاك، يتجاوز قدرته بكثير، وكان بحاجة إلى البقاء وحيداً لبعض الوقت والتفكير في كلّ ذلك. كان البلاط الإسمنتي تحته صلباً، لكن طراوته ممتعة. ضمّ ذراعيه حول ركبتيه المرفوعتين وسند خده إلى ركبته. هنا، الآن، كان يفتقد ليندا أكثر من أي وقت مضى، لكن الفقد كان يمتزج بالغضب. ربما لن يتغير ذلك أبداً لقد تخلّص على الأقل من جزء من سذاجته واسترجع السيطرة التي ما كان عليه التفريط فيها ومع ذلك، فإنّ ليندا كانت وكأنها سُمٌّ يستوطن نفسه

جسمها الفتيّ والمشدود جعل منه أبلهاً تماماً هذه المرأة تسكنه وكان يلوم نفسه حدّ الموت.

كان يعلم أنه حالمٌ ليس إلّا لذلك ضيَّع نفسه مع ليندا على ذلك النحو. وإن كانت لا تزال صغيرة بكثير، وواثقة من نفسها بإفراط، ومفرطة الأنانية. كان يعلم جيداً أنها لن تظلّ أبداً بفيالباكا وبأن لا مستقبل لهما معاً البتة، لكن الحالم فيه كان يشقّ عليه رغم ذلك قبول الأمر الواقع. في الوقت الراهن، لقد تعلم الدرس.

وعد نفسه بأن يتحسّن. سوف يصير مثل روبير. شرس، صلب، ولا يُقهر. كان روبير يخلّص دائماً نفسه. لا يبدو أن شيئاً يستطيع النيل منه. وكان جوهان يحسده على ذلك.

تناهى إلى سمعه صوتٌ من خلفه فاستدار، وهو متأكد من أنه روبير. قطعت يدان حول عنقه أنفاسه.

- لا تتحرك وإلا خنقتك.

تعرَّف جوهان إلى الصوت على نحوٍ ملتبس، لكنه لم يستطع تحديده. حينما انفكّت القبضة من حول عنقه، تمّ رميه بعنف على الحائط. استعاد تنفسه وهو يلهث.

- تبّاً، ماذا تفعل؟ حاول جوهان الالتفات، لكن أحداً ما كان يحبسه بقبضة شديدة ويضغط وجهه لصق الحائط الإسمنتي البارد.

- اغلق فمك.

كان الصوت بلا رحمة. فكَّر جوهان في طلب النجدة، لكنه كان يعرف بأنه يبعد كثيراً عن المنزل حتى يتسنى سماعه.

- ماذا تريد، اللعنة؟ كان يصعب النطق بالكلمات ونصف وجهه محبوس لصق الحائط.

- ما أريد؟ لن تتأخر في معرفة ذلك.

حينما أفصح المهاجم عن طلبه، لم يفهم جوهان في البدء شيئاً، لكن عندما تمّ لفه على عقبيه ووجد نفسه وجهاً لوجه مع مهاجمه، صار كلّ شيء واضحاً. لكمة باليد اليمنى على الوجه أخبرته أن الأمر جدّي، لكن ذهنه المتمرد صحا.

- اذهب إلى الجحيم، تمتم. كان فمه يمتلئ رويداً بالدم. أخذت أفكاره تصير غائمة، لكنه كان يرفض التراجع.

- ستفعل ما أقول.

- لا، تمتم جوهان.

عندها بدأت الضربات تنهال عليه. كانت تقع عليه بانتظام موزون إلى أن غمرته العتمة التامة.

كان مكاناً رائعاً للعيش. لم يمنع مارتن نفسه من أن يستحضر هذه الفكرة حينما شرعوا في التفتيش بمنزل جاكوب وأسرته. كانت الألوان ناعمة، وينبعث الدفء والسكينة من الغرف ذات اللمسة الريفية، بمفارش من الكتان الأبيض وستائر خفيفة تتطاير في الهواء. نوع الديكور الداخلي الذي يحب أن يكون لديه. وهم الآن مرغمون على إزعاج هذه السكينة. كانوا يفحصون كل شبر من البيت بمنهجية. لم يكن أحد يتكلم، كانوا يعملون في صمت. ركّز مارتن اهتمامه على غرفة الجلوس. ما كان يثبط العزيمة هو أنهم لا يعرفون عمّا يبحثون. ولو وقعت أيديهم على أثرٍ من آثار الفتيات، لم يكن مارتن متيقناً من التعرف عليه.

للمرة الأولى منذ أن شرع يؤكِّد بحزم على أن جاكوب هو الرجل المطلوب، أخذ ينتابه الشك. كان من المستحيل تصور أن شخصاً يعيش في مثل هذا المكان، محاطٌ بكلّ ذلك الانسجام، قادر على قتل أحدٍ ما.

- كيف تجري الأمور عندكم؟ صاح مخاطباً رجال الشرطة في الطابق.

- لا شيء إلى حدّ الآن، قال واحد منهم على سبيل الإجابة.

زفر مارتن واستمرّ في فتح أدراج الخزانات وقلَبَ كلّ ما يمكن قلبه.

- سأخرج لمباشرة مخزن الحبوب، قال لشرطي أودفالا الذي ساهم في البحث بالطابق السفلي.

طراوة سخية كانت تعمّ المخزن. أدرك السبب الذي جعل ليندا وجوهان يختارانه مكاناً لمواعيدهما. رائحة القش تدغدغ منخريه وتشيع ذكريات أصياف طفولته. صعد سلم العلِّية ونظر عبر الفجوات بين الألواح الخشبية. بالفعل، من هنا لدى المرء رؤية جيدة على المنزل، بالضبط مثلما قال جوهان. ما من مشكلٍ للتعرُّف على شخص ما من هذه المسافة.

نزل مارتن. كانت الحظيرة فارغة إلّا من بعض الأدوات الفلاحية القديمة التي يعلوها الصدأ في إحدى الزوايا. لم يفكِّر أنه سوف يجد أي شيء يُذكر هنا، لكنه سوف يجعل واحداً من الآخرين يلقي نظرة أيضاً. خرج من المخزن ونظر إلى ما حوله. ما خلا المنزل الرئيس والمخزن، لم يتبقَّ سوى مرأب صغير بالحديقة وكوخ اللعب، ولم يكن لديه الكثير من الأمل في إيجاد شيء ما هناك. هما معاً كانا صغيرين جداً كي يقيم فيهما شخص، لكن حتى يرتاح ضميره، سوف يقومون بالتحقق مع ذلك.

كانت الشمس تلهب دماغه وكان ينصبب عرقاً. استدار نحو البيت، لكن حماسه لبداية النهار أخذ يفتر. أحسَّ بالإحباط. جيني مولر توجد في مكان ما، لكن ليس هنا.

أخذ اليأس يتسلّل إلى باتريك بدوره. بعد ساعتين من الاستنطاق، لم يحصلا بعدُ على شيء من جاكوب. بدا أنه مصدوم بصدق من معرفة أن جوهانس قد مات مقتولاً كان يكرِّر أن الشرطة تتحامل على أسرته وبأنه بريء وكان يرفض بعناد التصريح بأي شيء غير ذلك. مرات عديدة رمق باتريك الهاتف المحمول الذي كان يظلّ صامتاً باستخفاف على الطاولة قبالته. كان بحاجة ماسة إلى التوصل بأخبار سارَّة. عينات الدم المأخوذة لن تمنحهم إجابة قبل صباح اليوم الموالي على أقرب تقدير. كان يعلم ذلك، إلى حدّ أنه جعل كلّ أمله في مارتن والفريق الذي يفتش المزرعة، لكن المكالمة لم تتم إلا في الساعة الرابعة بعد الظهر، وقد أخبره مارتن، مستكيناً، بأنهم لم يعثروا على أيّ شيء وبأنهم سوف يصرفون النظر. أشار باتريك إلى غوسطا بأنْ يغادر معه غرفة الاستنطاق.

- إنه مارتن. لم يجدوا شيئاً.

- لا شيء؟ خبا بريق الأمل في عيني غوسطا

- لا، ولا أثر. إذن الظاهر أنّ ليس هناك من خيارٍ آخر سوى إطلاق سراحه. سحقاً إذن! ضرب باتريك بقبضته الحائط، لكنه هدأ بسرعة. طيب، هذا أمر مؤقت. غداً أتوصل بالتقرير عن عينات الدم وحينها نستطيع ربما القبض عليه فعلياً.

- أجل، لكن فكِّر في ما قد يفعله من هذا الوقت إلى أن نفعل ذلك. إنه يعرف ما لدينا ضده الآن، وإن تركناه ينصرف، قد يذهب مباشرة للإجهاز على الفتاة.

- أجل، لكن اللعنة السافلة، ماذا تقترح إذن؟

تحوّل إحباط باتريك إلى غضب، لكنه أدرك أنّ من الظلم معاتبة غوسطا على ذلك النحو واعتذر فوراً.

- سوف أقوم فحسب بآخر محاولة للحصول على إجابة تخصّ العينات قبل أن نطلق سراحه. من الممكن أنهم وجدوا شيئاً قد يفيدنا منذ الآن. إنهم يعلمون لماذا الأمر مستعجل ويعلمون بأنه أولوية قصوى.

ذهب باتريك إلى مكتبه وركّب رقم الطبّ الشرعي انطلاقاً من هاتفه الثابت. كان يحفظ الرقم عن ظهر قلب منذ ذلك الحين. قبالة النوافذ، كانت حركة السير تضجّ كالعادة تحت شمس الصيف وللحظة، حسد المصطافين الذين يمرون بسياراتهم المزدحمة على لامبالاتهم. كم كان يودّ لو يستطيع أن يجاريهم في لامبالاتهم.

- مرحباً، بيدرسن، هذا باتريك هيدشتروم. كنت أودّ فقط التحقُّق ممّا إذا عثرتم على شيء يُذكر، قبل أن نطلق سراح المشتبه لدينا

- لقد سبق وقلت لك أننا لن نكون على استعداد قبل صباح الغد. واعلم أننا خصَّصنا لذلك عدداً لا يُستهان به من الساعات الإضافية. كان بيدرسن يبدو مرهَقاً ومتوتراً.

- أجل، أعرف، لكن أردتُ رغم ذلك التأكد.

دلَّ صمت طويل أن بيدرسن يعيش على الأرجح صراعاً داخلياً مع نفسه وانتصب باتريك على كرسيه.

- لقد وجدتم شيئاً ما، أليس كذلك؟

- إنّ ذلك مؤقت فحسب. ينبغي أن نقارن ونطابق بين النتائج قبل أن يكون لنا الحق في تقديم تقرير، وإلا فإن النتائج قد تكون كارثية. علاوة على هذا، يجب القيام بالاختبارات وإعادة إجرائها بعد ذلك في المختبر المركزي، لأن فريقنا لا يتوفر على التجهيزات المتطورة التي يمتلكها فريقهم.

- أجل، أجل، قاطعه باتريك، أعلم ذلك، لكن في هذه اللحظة إنّ حياة فتاة في السابعة عشرة معرَّضة للخطر، وإذا كان هناك من ظرف تستطيع فيه الالتفاف على القواعد بكل هدوء، فإنه هو هذا بحقّ. حبس أنفاسه وانتظر.

- أجل، لكن تعامل مع هذه المعلومة بحذر، لا يخطر ببالك المشاكل التي قد أتعرَّض لها إذا.. لم يكمل بيدرسن جملته.

- كلمة شرف، قل لي ما لديكم الآن. أصبح الهاتف زلقاً كله من العرق لشدّة ضمّه كما يفعل.

- لقد بدأنا بداهة بتحليل دم جاكوب هولت. وقد وجدنا أشياء مفيدة، مؤقتة بالطبع، قال محذراً إياه مرة أخرى كذلك.

- نعم؟

- وفق اختبارنا الأول، لا يطابق جاكوب هولت عينة المني الذي وجد على الضحية.

أفسح باتريك المجال للهواء كي يفلت من رئتيه بتؤدة. لم يدرك بأنه كان يحبس تنفسه.

- إلى أي درجة من اليقين؟

- كما قلتُ، علينا إجراء الاختبار عدّة مرات كي نكون متأكدين تماماً، لكن في حقيقة الأمر ليس ذلك سوى إجراء شكلي لأغراض العدالة. كن متأكداً من أن النتيجة سليمة، قال بيدرسن.

- تباً إذن. أجل، هذا يسلط ضوء مغايراً على القضية. لم يستطِع باتريك إخفاء الإحباط المنبعث من صوته. لقد كان متيقناً بشدّة من أنّ جاكوب هو مَن يبحثون عنه. والآن ها هم يعودون أدراجهم إلى نقطة البداية. تقريباً.

- ولم تجدوا أي تطابق مع العينات الأخرى؟

- لم نصل بعد إلى هذه المرحلة. لقد افترضنا أنك تريد أن

نركّز على جاكوب هولت وهذا ما قمنا به. لذلك لم يسمح لنا الوقت بالقيام سوى باختبار واحد على شخص آخر غيره، لكن غداً في الصباح سوف أكون جاهزاً لإخبارك عن الآخرين.

- أجدني إذن أمام شخص في غرفة الاستنطاق ينبغي عليّ التعجيل بإطلاق سراحه. وأدين له بتقديم الاعتذار علاوة على ذلك، زفر باتريك.

- طيب هناك مستجدّ آخر.

- نعم؟ قال باتريك.

تردّد بيدرسن.

- العينة الثانية التي سنحت فرصة التحقق منها تعود إلى غابرييل هولت. ثم.

- نعم، قال باتريك بنفاد صبر أعظم.

- وفق التحليل الذي أجريناه على بنية الحمض النووي لدى كلّ منهما، لا يمكن لغابرييل أن يكون هو أب جاكوب.

تجمّد باتريك في كرسيه، لم يقُل شيئاً

- هل لا تزال هنا على الخط؟

- نعم، أنا هنا. لم أكن أتوقع ذلك، فحسب. هل أنت متأكد؟ ثم أدرك ما يكون عليه الجواب واستبق بيدرسن: إنه أمر مؤقت، وسوف تجرون اختبارات أخرى وهلم جراً، أعلم ذلك، لا حاجة إلى أن تُعيد قول ذلك.

- هل قد يكون لذلك معنى بالنسبة إلى التحقيق؟

- الآن، لكل شيء معنى، ومن البداهي أن ذلك سوف يفيدنا. ألف شكر.

لبث باتريك من حيرته يفكّر لحظة، ويداه معقودتان حول قفاه ورجلاه على المكتب. نتيجة عينة جاكوب السلبية ترغمهم على

مراجعة طريقة تفكيرهم، لكن ذلك لا يقلّل من كون قاتل تانيا من أسرة جوهانس، والآن بعد أن أصبح جاكوب خارج اللعبة، لم يتبقَّ سوى غابرييل، جوهان وروبير. ومع أنه لم يكن جاكوب، فإن باتريك على استعداد للمراهنة على أنّ الرجل يعرف أمراً ما. طول الاستنطاق، أحسّ بأنه كان يريد الإفلات، بأنه كان يقاوم بشدّة حتى يظلّ شيئاً ما مخفياً. المعلومة التي توصَّل بها من بيدرسن قد توفّر لهم على الأرجح الفرصة التي هُم في حاجة إليها لزعزعته بما يكفي ودفعه إلى الكلام. سحب باتريك ساقيه من على الطاولة ونهض. حكى لغوسطا باختصار ما النبأ الذي وصله تواً وعادا معاً إلى غرفة الاستنطاق، حيث كان جاكوب يُقلِّم أظفاره والضجر بادٍ عليه. اتفقا بسرعة على التكتيك الواجب اتباعه.

– كم من الوقت ستحتفظون بي هنا؟

– لدينا الحق في إبقائك مدة ستّ ساعات، لكن مثلما قلنا لك ذلك، في إمكانك إحضار محامٍ أنّا شئت. هل يهمك ذلك؟

– لا، لن يكون ذلك ضرورياً، أجاب جاكوب. البريء لا يحتاج إلى مدافع غير إيمانه بالرب الذي يسوّي كل شيء.

– طيب، إذن، لعلكما تمتلكان ما ينبغي، أنت والرب، الظاهر أنكما «كهاتين» قال باتريك رافعاً يده وهو يُشبك السبابة والوسطى بقوة.

– إننا نعرف مدى علاقة بعضنا ببعض، ردّ جاكوب بلهجة مختصرة وأنا أشفق على أولئك الذي لا مكان للرب في حياتهم.

– إذن أنت تشفق علينا نحن المساكين الأشقياء، هذا ما تقصد؟ قال غوسطا مستخفّاً.

– إنّ الحديث معكما مضيعة للوقت. لقد أغلقتما قلبيكما

انحنى باتريك نحو جاكوب.

- كلّ هذا مثير للاهتمام. الرب والشيطان والخطيئة وكل ما تبقى. وما موقع والديك من كل هذا؟ هل هما يعيشان حسب أوامر الرب؟

- أبي، ربما ابتعد قليلاً عن مجمعنا الإنجيلي، لكن إيمانه يظلّ ثابتاً، مثلما هو الحال بالنسبة إلى أمي، إنهما يخشيان الرب.

- هل أنت متأكد؟ أقصد، ماذا تعرف حقيقة عن الطريقة التي يعيشان بها؟

- ماذا تقصد؟ إنني أعرف والديّ، مهما يكن! ماذا دبَّرتما أيضاً لتمريغ سمعتهما في الوحل؟

ارتعشت يدا جاكوب وشعر باتريك بشيء من الرضى لأنه نجح في زعزعة هدوئه الراسخ.

- أريد ببساطة القول إنك لا تستطيع أن تعرف ما يحدث في حياة الآخرين. من المحتمل جداً أنّ هناك خطايا ما تخزُّ ضمير كل واحد من والديك، وأنت لا علم لك بها كلياً، أليس كذلك؟

نهض جاكوب وتوجّه نحو الباب.

- كفى الآن. إما تعمّدا إلى اعتقالي أو اتركاني أنصرف، لكنني لن أستمع إلى أكاذيبكما لمدة أطول!

- هل تعلم مثلاً أنّ غابرييل ليس هو أبوك؟

توقف جاكوب تماماً، ويده ممدودة للإمساك بمقبض الباب. استدار ببطء.

- ماذا قلتَ؟

- سألتك إن كنت تعلم بأنّ غابرييل ليس هو أبوك البيولوجي. لقد تحدَّثت للتو مع المسؤول عن تحليل عينات الدم التي قدّمتموها جميعاً وليس هناك من شكّ ممكن. غابرييل ليس أباك.

هجر كل لون وجه جاكوب. الظاهر أنه كان مصعوقاً

- قاموا بتحليل دمي؟ قال بصوت مرتعش.

- أجل، وقد وعدتك بالتماس الاعتذار منك إنْ أخطأت. نظر إليه جاكوب بشدة.

- أعتذر، قال باتريك. دمك لا يتطابق مع الحمض النووي الذي وجدناه على الضحية.

خرَّ جاكوب مثل نفاخة مثقوبة. جلس بتثاقل.

- إذن ماذا سيقع الآن؟

- لقد شطب اسمك من قائمة المشتبه فيهم بمقتل تانيا شميدت، لكني أظنّ دوماً بأنك تخفي علينا أمراً ما. أمامك الآن فرصة إخبارنا بما تعرف. أعتقد أن عليك اقتناصها، يا جاكوب.

هزَّ رأسه فحسب.

- لا أعرف شيئاً. لم أعد أعرف شيئاً. أرجوك، اتركني أنصرف الآن.

- ليس بعد. نريد التحدث إلى أمك بداية، قبل أن تفعل أنت ذلك. حيث أفترض أن لديك بعض الأسئلة القليلة لطرحها عليها؟

أومأ جاكوب برأسه أن نعم.

- لكن لماذا تريدون التحدث إليها؟ لا شأن لذلك بتحقيقكم؟

أعاد باتريك على مسامعه ما قاله لبيدرسن:

- في هذه اللحظة لكل شيء علاقة بالتحقيق. إنك تخفي أمراً ما، وأنا مستعد للمراهنة على ذلك براتب شهري. ولدينا النية في تقصي الأمر، مهما كانت الوسائل التي يجب استخدامها

يخيّل للمرء أنّ كل رغبة في المقاومة قد هجرت جاكوب، لم يقُم سوى بهزّ رأسه باستكانة. وبدا أن الخبر جعله في حالة صدمة.

- غوسطا، هلا أحضرت ليني إلى هنا؟

- أعتقد أنه ليس لدينا ترخيص بالإحضار؟ قال غوسطا، متذمراً.

- إنها بالتأكيد على علم بأننا نعتقل جاكوب هنا لأجل الاستنطاق، وعليه ليس من الصعب إحضارها هنا بطيب خاطرها.

التفت باتريك صوب جاكوب.

- سوف نحضر لك شيئاً من الأكل والشرب، ثم تلبث هنا في انتظار أن نفرغ من الحديث مع والدتك. بعدها يمكنك رؤيتها. اتفقنا؟

أومأ جاكوب برأسه موافقاً، شاعراً بالغدر. وبدا أنه غارق بعمق في خواطره الذاتية.

بمشاعر متضاربة جداً أولجت آنا المفتاح في القفل بمنزلها في ستوكهولم. كان من الرائع أن تستطيع الهرب لبعض الوقت، سواء بالنسبة لها أو إلى الطفلين لكن ذلك قد كتم أيضاً تحمّسها لغوستاف. وحتى تكون صريحة تماماً، لقد وجدت أنه من المرهق أن تبقى محبوسة في مركبٍ شراعي مع شخص بذلك القدر من التزمُّت. كما كانت تقلقها تلك النبرة الغريبة التي تعلو صوت لوكا في المرة الأخيرة التي تحدثا فيها مع بعض عبر الهاتف. ورغم كلّ المعاملة القاسية التي عرَّضها لها، فقد أعطى دائماً الانطباع بأنه يتحكم بصفة مطلقة في نفسه وفي الوضع. والآن تسمع للمرة الأولى نبرة رعب في صوته. وكأنه أدرك بأنه لم يعُد يتحكّم بزمام الأمور التي قد تحدث. كانت على علم بالإشاعات القائلة بأنّ لديه مشاكل في العمل. استشاط غضباً أثناء اجتماع داخلي، وفي مناسبة أخرى شتم زبوناً، وبصفة عامة، أخذت تظهر عليه علامات الاضطراب الذهني. وكان ذلك يخيف آنا. كان يخيفها على نحو مريع.

شيء ما لا يرام مع القفل. امتنع المفتاح عن الدوران. بعد أن حاولت لحظة، أدركت أن الباب لم يكن مغلقاً بالمفتاح. كانت متيقنة عين اليقين من أنها أغلقته عندما انصرفت أسبوعاً من ذي قبل. قالت للطفلين بأنْ يمكثا هناك ببهو الدرج، ثم فتحت الباب بلطف. انقطع نَفَسها شقتها، الأولى التي تمتلكها لوحدها، والتي كانت فخورة بها، قد تمّ تدميرها لم تسلم ولا قطعة واحدة من الأثاث. كل شيء تمّ كسره وعلى الجدران خطت بحروف كبيرة، سوداء، شبيهة بالغرافيتي، عبارة «أيتها العاهرة القذرة». وضعت يدها على فمها وشعرت بالدموع تغمر عينيها لم تكن في حاجة للتفكير مرتين لمعرفة مَن فعل بها ذلك. إن ما عبر ذهنها منذ أن تحدثت إلى لوكا صار الآن يقيناً. بدأت الأمور لديه تخرج عن السيطرة. الآن الحقد والغضب اللذين كانا دوماً هناك، خلف المظاهر، انتهى بهما المطاف إلى جعل الواجهة الجميلة تنهار.

تراجعت آنا إلى بهو الدرج. أمسكت طفليها الاثنين وضمّتهما إلى القرب منها. وعلى نحوٍ غريزي ودّت لو اتصلت بإريكا. ثم حدّثت نفسها بأنّ عليها تدبّر أمرها لوحدها.

كانت سعيدة جداً من حياتها الجديدة. شعرت بأنها قوية جداً. للمرة الأولى في حياتها، تتصرف لوحدها. لم تكن سوى نفسها ليست بالأخت الصغرى لإريكا، ولا بزوجة لوكا. لا شيء سوى نفسها. في الوقت الحاضر، كل شيء تم تدميره.

كانت تعرف ما هي مجبرة على فعله. لقد ربح القط. لم يعُد للفأر إلّا مكان واحد يلجأ إليه. أي شيء كي لا تخسر الطفلين.

غادرت اللعبة. يستطيع أن يصنع بها ما يريد، لكن أمراً واحداً كان مؤكداً، إنْ تعرض من جديد لأحد طفليها، سوف تقتله. دون أدنى تردد.

لم يكن يوماً مريحاً. لشدة ما كان ردّ فعل غابرييل سيئاً إزاء ما يسميه شطط الشرطة في استعمال السلطة، فقد حبس نفسه في مكتب عمله ورفض الخروج منه. عادت ليندا إلى الجياد وظلّت ليني لوحدها على كنبة غرفة الجلوس محدّقة في الجدار قبالتها. فكرة أنّ جاكوب كان في تلك اللحظة يتعرّض للاستنطاق ملأت عينيها بدموع الإهانة، بصفتها أماً، شعرت بالحاجة إلى دفع الشرّ عنه، سواء كان طفلاً أو راشداً، ومع أنها كانت تعرف جيداً بأنها لم تكن مسؤولة عنه، فقد خيّل إليها أنها فشلت. وحدها تكتكة الساعة ما كان يزعج السكينة، وهذا الصوت الرتيب قد أوقعها تقريباً في حالة من الذهول. فزعت عند سماع طرق على باب، انصرفت لفتحه والخوف يغمرها. خيِّل إليها أنّه في هذه الآونة، كلما حلَّ أحد ما، فذلك لحمل خبر سيئ. لذلك لم تندهش أكثر من اللازم حينما ظهر غوسطا.

- ماذا تريدون أيضاً؟

- نحن بحاجة إلى مساعدتك لنا في بعض الأمور. في المفوضية.

- هل ما زلتم تعتقلون ابني؟

أومأ غوسطا موافقاً في تبرم، وارتباك. توقّع سيلاً من الاحتجاجات، لكن ليني اكتفت بهزّ رأسها وتبعته إلى الدرج.

- ألا تخبرين زوجك؟

- لا كانت تلك الإجابة الوحيدة ثم راقبها باهتمام. خلال ثانية وجيزة، تساءَل إن لم يكونوا قد ضغطوا أكثر من اللازم على أسرة هولت. ثم تذكر أنّ في موضع ما من فوضاهم العائلية يوجد قاتل وفتاة مختطفة. انغلق باب السنديان الثقيل ومثل أيّ زوجة مذعنة وقفت على بُعد بضع خطوات من غوسطا للِّحاق بسيارة

الشرطة. قبل أن تركب، أعربت ليني عن رغبتها في أخذ سيارتها وسمح لها غوسطا بهذا الامتياز. وتبعها عن قرب طول الطريق. كانت الشمس آخذة في الأفول وهي تصبغ الحقول بالأحمر، لكن جمال الطبيعة كان آخر ما قد يشغلهما، هذا وتلك.

بدت أمارة الرضى على باتريك حينما شهد وصولهما. بينما قام غوسطا بالذهاب والإياب، فقد أمضى وقته في ذرع الممرّ قبالة غرفة الاستنطاق وهو يأمل بشدة أن يستطيع التكهُّن بخواطر جاكوب.

- نهار سعيد، قال بهزّة خفيفة من رأسه نحو ليني. لم يكن هناك حاجة لأن يعرِّفا بنفسيهما مرة أخرى، كما أنّ المصافحة بدت مفرطة في الإذلال. لم يكونا هنا لتبادل عبارات الودّ. تساءل باتريك وهو حائر شيئاً ما كيف ستتحمل ليني أسئلتهما! لقد بدت شديدة الهشاشة، شديدة الهزال، والأعصاب على حافة الانفجار. أدرك بسرعة أنه لم يكن عليه الانشغال بأي شيء. لمّا وصلت هناك، خلف غوسطا، بدا عليها الإذعان، لكنها كانت هادئة ورابطة الجأش.

وبما أن مفوضية شرطة تانمشيد لم تكن تتوفر إلّا على غرفة واحدة للاستنطاق، استقرا بالمطبخ. لم يعرف أيّ منهما السبيل للبدء، لكن كم كانت دهشتهما كبيرة حينما استبقتهما ليني.

- لديكم إذن أسئلة تودّون طرحها عليّ.

- أجل، قال باتريك. لقد توصَّلنا ببعض المعلومات ولا نعرف كيف نتدبرها. ولا أيّ مكان من التحقيق يجب وضعها فيه. ربما ولا واحد، لكن في هذه اللحظة ولأن الوقت يداهمنا حيث لا نستطيع التلطُّف في الأمر. لذلك لن ألفّ وأدور حول الموضوع.

تنفَّس باتريك بعمق. واصلت ليني التحديق فيه، دون أن يظهر

عليها أيّ انفعال، لكن مع النظر إلى يديها على الطاولة، اللتين ضمّتهما وكأنها في صلاة. لاحظ باتريك أنّ عقدات أصابعها كانت بيضاء تماماً.

- لقد حصلنا على أول نتيجة تمهيدية لتحليل عيّنات من دمكم.

هذه المرة، رأى بأنّ يديها أخذتا ترتعشان وتساءل إلى متى سوف تستطيع الحفاظ على هدوئها الظاهر.

- أولاً، أستطيع التصريح لكِ بأنّ حمض جاكوب النووي لا يتطابق مع الحمض النووي الذي وجدناه على الضحية.

انهارت ليبني أمامه. أخذت يداها رجفة لا إرادية وأدرك بأنها جاءت إلى مخفر الشرطة وهي على استعداد لتلقي خبر بأنّ ابنها قد تمّ اعتقاله من أجل جريمة قتل. أضاء الارتياح وجهها وابتلعت ريقها مرات عديدة حتى لا تجهش في البكاء. وبما أنها لم تقلْ شيئاً، تابع:

- وفي المقابل، لقد وجدنا شيئاً غريباً عند مقارنة البصمات الجينية عند كلّ من جاكوب وغابرييل. إنّ التحليل يبرهن بوضوح أنه من المستحيل أن يكون جاكوب ابناً لغابرييل. جعلت النبرة التي استعملها من كلامه سؤالاً وانتظر ردّة الفعل، لكن الارتياح جرّاء العلم ببراءة جاكوب قد أزاح ثقلاً من على صدرها، ولم تتردَّد سوى ثانية واحدة لتقول:

- أجل، إنّ ذلك صحيح. غابرييل ليس هو أب جاكوب البيولوجي.

- ومَن هو أبوه في هذه الحال؟

- لا أرى كيف يتّصل هذا الشأن بجرائم القتل. خاصة وقد تمّت تبرئة جاكوب الآن.

- مثلما قلت لك سابقاً. الوقت يداهمنا ولا نستطيع السَّماح

لأنفسنا بالخوض في هذا النوع من الاعتبارات، لذلك أستحسن أن تجيبي عن سؤالي.

- لا نستطيع بالطبع إرغامكِ على ذلك، قال غوسطا، لكنه هناك فتاة شابة في حالة اختفاء وكل معلومة قد تفيدنا، حتى تلك التي لا يبدو لك أنها ذات فائدة.

- هل سوف يتمّ إخبار زوجي بذلك؟

تردَّد باتريك.

- لا يمكن أن أتعهّد بأيّ شيء، لكني لا أرى سبباً يجعلنا نهرع لإخباره بذلك. تردّد، لكن جاكوب على علم بالأمر.

فزعت. وأخذت يداها ترتعشان من جديد.

- ماذا قال؟ صوتها لم يكن سوى همس.

- لن أكذب عليك. لقد زلزله ذلك. وهو يتساءل بالطبع مَن يكون أبوه الحقيقي.

أطبق الصمت حول الطاولة، لكن غوسطا وباتريك انتظرا بهدوء أن يقرّ عزمها على الكلام. بعد قليل من الوقت، جاء الجواب، بالهمس ذاته دوماً:

- إنه جوهانس. وصار صوتها أقوى. جوهانس هو أب جاكوب.

الظاهر أنها اندهشت لقدرتها على نطق تلك الجملة بصوتٍ عالٍ دون أن تحلّ صاعقة من السماء وتهلكها على الفور. لقد أصبح السرّ أثقل فأثقل وبات من الصعب تحمّله كل سنة، والآن كاد انسياب الكلمات أن يكون تفريجاً عن النفس. وتابعت الكلام بسرعة:

- لقد عشنا مغامرة قصيرة. لم أنجح في مقاومته. كان أشبه بقوة طبيعية تحصد ما تشاء بكلّ بساطة. وغابرييل كان. مختلفاً جداً.

تردَّدت ليني بخصوص الكلمة الواجب انتقاؤها، لكن كان في استطاعة باتريك وغوسطا مدّها بها

- لقد حاولنا مسبقاً، غابرييل وأنا، الحصول على طفل منذ مدة ليست بالقصيرة وحينما اكتشفنا بأنني حامل، كادّ يجن من الفرحة. كنت أعرف أنّ الطفل قد ينتسب إمّا إلى غابرييل أو إلى جوهانس، لكن رغم كل التعقيدات التي قد يسبّبها الأمر، كنت آمل بشدّة أن يكون من صلب جوهانس. إنّ طفلاً من صلبه قد يكون - رائعاً! لقد كان حيوياً بشدة، جميلاً بشدة، ونابضاً بالحياة بشدة!

أخذت عيناها تلمعان وبدت وكأنها صارت أصغر بعشر سنوات دفعة واحدة. الظاهر أنها كانت تعشق جوهانس. أن تفكّر في مغامرتهما، بعد كل تلك السنوات، أمر لا يزال يجعلها تحمرّ من الخجل.

- كيف عرفت بأنه ولد جوهانس، وليس غابرييل؟

- عرفت ذلك ما إن رأيته، ما إن وضعوه في حضني.

- وجوهانس، هل كان يعلم بأنه ولده وليس ولد غابرييل؟

- أي نعم. وكان يحبّه. لم أكن سوى تسلية مؤقتة بالنسبة إلى جوهانس، وإن وددتُ لو كانت الحال غير ذلك، لكن مع ابنه كان الأمر مختلفاً. كان يأتي حينما يكون غابرييل مسافراً، لرؤيته واللعب معه. إلى أن صار جاكوب كبيراً بما يكفي للمخاطرة بأن يتحدّث عن الأمر، حينها توقف عن المجيء. كان يكره رؤية أخيه يسهر على تربية ابنه البكر، إلّا أنه لم يكن على استعداد للتخلي عن الحياة التي كان يعيشها. ولم يكن مستعداً كذلك للتخلي عن سولفيغ.

- وكيف كانت هي حياتكم حينها؟ سألها باتريك، والأسى ظاهر عليه بصدق. هزت كتفيها.

- في البداية كان ذلك عين الجحيم. العيش بالقرب من

جوهانس وسولفيغ، وحضور ولادة ولديهما، أخوَيّ جاكوب غير الشقيقين، لكن كان لديّ ولدي، ثم، سنوات كثيرة بعد ذلك، رزقت بلبيندا أيضاً. وقد يبدو الأمر غير قابلٍ للتصديق، لكن مع الوقت، أخذت أحبّ غابرييل. ليس مثل الطريقة التي أحببتُ بها جوهانس، لكن دون شك بطريقة أكثر واقعية. جوهانس لم يكن بالرجل الذي تُغرم به المرأة دون أن تغرق. حبي لغابرييل فاقدٌ لكل طعم، لكن يسهُل العيش معه.

- ألم تخشَي من أن يفتضح الأمر حينما مرض جاكوب؟ سألها باتريك.

- لا، كنت أخشى أموراً أخطر من ذلك بكثير، قالت لييني بنبرة لاذعة. لو مات جاكوب، كلّ شيء كان سيغدو عديم الأهمية، وخاصة عدم معرفة مَن كان أبوه الحقيقي. صار صوتها ألطف من ذي قبل، لكن جوهانس كان قلقاً للغاية. لقد غمره اليأس لعلمه بمرض جاكوب وعجزه عن فعل أيّ شيء. لم يكُن يستطيع حتى إظهار خوفه على الملأ، لم يكن يقدر على السهر إلى جانبه بالمستشفى. كان ذلك صعباً بالنسبة له.

وتاهت لييني في خضم حقبة لا رجعة لها، ثم رجفت وأرغمت نفسها على العودة إلى الحاضر. نهض غوسطا كي يصبّ لنفسه فنجان قهوة وناول باتريك إبريق القهوة الذي هزّ رأسه بينما اعتذرت ليني عن العرض. لمّا عاد إلى الجلوس، سألها غوسطا:

- ألم يكن هناك شخص آخر يشتبه في الأمر أو يعلم به؟ ألم تبوحي أبداً بذلك لأحدٍ؟

لاح بريقٌ صارم في عيني ليني.

- بلى، في لحظة ضعف، تحدّث جوهانس عن جاكوب إلى سولفيغ. لمّا كان زوجها حيّاً، لم تجرؤ على استغلال ذلك، لكن

بعد موت جوهانس أخذت تعمَد إلى بعض التلميحات التي تحوّلت فيما بعد إلى طلبات كلّما أعوَزها المال.

- إنها تقوم بابتزازك؟ قال غوسطا. هززت ليني رأسها.

- أجل، إني أعطيها المال منذ أربع وعشرين سنة.

- كيف استطعتِ فعل ذلك دون أن يفطن غابرييل إلى الأمر؟ إذ أتصور أن الأمر يتعلق بمبالغ ضخمة؟

- لم يكن ذلك سهلاً، قالت، لكن ولو أنّ غابرييل دقيق في الحسابات الخاصة بالضيعة، فإنه لم يكن بخيلاً معي أبداً، وقد أعطاني دوماً المال الذي أطلبه من أجل التسوّق، ومن أجل حاجيات البيت عموماً. وللقدرة على الأداء لسولفيغ، كنت مقتِّرة وقد أعطيتها أكبر قسط، لكن أفترض بأنه لا خيار أمامي الآن سوى أن أخبر غابرييل بذلك، وهكذا يتمّ حلّ المشكل مع سولفيغ.

أبانت عن ابتسامة ماكرة، لكنها استعادت بسرعة جديتها وحدَّقت في عيني باتريك مباشرة.

- لقد أثمرت هذه القصة شيئاً جيداً على الأقل، هو أني لا أهتم البتة بما سوف يقوله غابرييل، ولو أن ذلك نخرني منذ خمس وثلاثين سنة. المهم بالنسبة لي أكثر، هما جاكوب وليندا، والشيء الوحيد الذي أضرب له حساب في هذه اللحظة هو أن جاكوب تمّت تبرئته، أنا لست على خطأ فيما يخص هذا الأمر على الأقل؟ وناشدتهما معاً بنظرة منها.

- أجل، يبدو أنه بريء بالفعل.

- ولماذا تحبسونه هنا إذن؟ هل أستطيع الانصراف الآن وأخذ جاكوب معي؟

- أجل، هيّا، قال باتريك بهدوء، لكن نود مع ذلك أن نلتمس منك خدمة. إن جاكوب يعلم شيئاً بخصوص القضية التي تشغلنا،

ولو من أجل سكينته الذاتية، من المهم أن يحدثنا البثي لحظة صحبته، حدّثيه بكل هذا، لكن حاولي إقناعه بأن لا يخفي ما يعلم.

زفرت ليني.

- إني أتفهّمه، ذلك معروف. لماذا يجب عليه أن يساعدكم بعد كلّ ما فعلتم به، هو وبأسرته؟

- لأنه كلما أسرعنا في حلّ القضية، كلما استطعتم الاستمرار في عيش حياتكم على الوجه الأسرع.

لم يرد باتريك أن يكشف لها بأنّ التحاليل أبانت أيضاً عن أن المذنب ينتمي رغم كل شيء إلى عائلة هولت، ومن الصعب عليه أن يبدو مقنعاً كانت تلك ورقتهم الرابحة ولم يكن في نيته لعبها ما لم يكن ذلك للضرورة القصوى. في انتظار ذلك، تمنّى أن تصدّق ليني كلامه مهما يكن وأن تستوعب منطقه. هزت رأسها ووافقت أخيراً على طلبه.

- سأقوم بما في وسعي، لكني لست متأكّدة من أنك على حقّ. لا أظن أنّ جاكوب يعرف أكثر ممّا يعرفه أيّ واحد سواه.

- سوف نعرف ذلك عاجلاً أو آجلاً، أجاب باتريك بما يكفي من الحدّة. سوف تذهبين إليه إذن؟

توجّهت بخطوات مترددة إلى غرفة الاستنطاق. استدار غوسطا نحو باتريك، مقطباً حاجبيه:

- لماذا لم تُخبرها بأنّ جوهانس مات مقتولاً؟

- لا أدري. هزّ باتريك كتفيه. أشعر بأني كلّما نجحتُ في خلط الأمور بالنسبة إلى هذين كان ذلك أحسن. إن جاكوب سيُخبر ليني بالأمر، وعلى الأرجح إن هذا سوف يزعزعها أيضاً وربما، ربما، سيبوح واحد منهما بشيء.

- هل تعتقد أن ليني تخفي شيئاً أيضاً؟ سأله غوسطا.

- لا أدري، قال باتريك من جديد، لكنك لم ترَ ملامحها حينما قلنا بأنّ جاكوب شُطّب عليه من قائمة المشتبه بهم؟ كان ذلك تعجباً.

- أتمنى أن تكون محقاً، قال غوسطا ثم فرك وجهه علامة على التعب. كان النهار طويلاً

- لننتظر ريثما يتحدثان قليلاً مع بعضهما، ثم نستطيع الذهاب لأكل شيء ما والنوم قليلاً علينا استجماع قوتنا، وإلا فلا طائل يُرجى منا، قال باتريك.

وجلسا ينتظران.

سمعت صوتاً بالخارج، لكن بعد ذلك عمَّ الصمت مجدداً. هزت سولفيغ كتفيها وركزت من جديد على ألبوماتها. بعد انهمار المشاعر في الأيام الأخيرة، كان من الجيد الارتماء في حضن أمان الصور التي تمَّت وأعيدت مشاهدتها. لم تتغير أبداً، على أكبر تقدير صارت شاحبة ومصفرة شيئاً ما بفعل الزمن.

نظرت إلى الساعة المعلّقة في المطبخ. صحيح، كان الولدان يرحلان ويحلان حسب هواهما، لكن هذا المساء وعدا بالعودة لأجل العشاء. المفروض أن يُحضر روبير قطع بيتزا من عند الكابتان فالك، وشعرت بالجوع يلوي بطنها. بعد ذلك بقليل سمعت خفق نعال على الحصى بالخارج ونهضت بمشقة لإعداد المائدة. كؤوس وصحون فحسب، أما أدوات المائدة الأخرى فلا جدوى لها. كانوا يأكلون مباشرة من علب الكرتون.

- أين هو جوهان؟ قال روبير وهو يضع البيتزا ويبحث عن أخيه بنظراته.

- كنتُ أظن أنك تعرف ذلك. لم أره منذ ساعات، قالت سولفيغ.

- لعله في المرأب، سأذهب لإحضاره.

- قلْ له بأن يُسرع، ليس في نيتي أن أظلّ في انتظاره هاهنا، صاحت سولفيغ خلفه وأخذت تفتح بنهم علب البيتزا لتحديد قطعتها.

- جوهان؟ صاح روبير منادياً قبل أن يصل إلى المرأب، لكن ذلك للحصول على ردّ. طيب، ربما هذا لا يعني شيئاً، أحياناً يصير جوهان أصماً وأعمى عندما يستتر هنا.

- جوهان؟ رفع صوته درجة، لكنه لم يسمع سوى صوته في الصمت المحيط.

بغضب انتزع باب المرأب، وهو متأهّب ليصرخ في وجه أخيه الأصغر على استسلامه إلى أحلامه، لكنه نسي بسرعة هذه النوايا.

- جوهان؟ اللعنة إذن!

كان أخوه ممدداً سوية الأرض وبقعة حمراء كبيرة تحت الرأس. تطلَّب الأمر من روبير ثانية ليُدرك أنه دم. لم يكن جوهان يتحرك.

- جوهان! أصبح صوته أنيناً وغمر النشيج أضلاعه. خرَّ على ركبتيه قرب جسد جوهان المعنَّى ومرَّر يديه عليه دون أن يدري ما عليه فعله بتاتاً. كان يريد مساعدته، لكنه لا يعرف كيف، وكان يخشى بأن يعمّق الجروح إنْ لمسه بقوة مفرطة. جعله أنين أخيه يأتي ردّة فعل. نهض، وركبتاه ملطختان بالدم، وركض نحو المنزل.

- ماما، ماما!

فتحت سولفيغ الباب وضيَّقت عينيها. كانت أصابعها لزجة بالكامل، وفمها يلمع من شدة الدسم، الظاهر أنها شرعت في الأكل وإزعاجها يوتر أعصابها.

- ما هذا الهرج السخيف؟ ثم رأت بقع الدم على ملابس روبير. ما الذي وقع؟ أهو جوهان؟

ركضت نحو المرأب بالسرعة التي تتيحها بدانتها، لكن روبير أوقفها قبل أن تصل.

- لا تدخلي. إنه على قيد الحياة، لكن أحداً ما ضربه شرَّ ما يكون الضرب. يبدو أنه ليس على ما يرام، اطلبي الإسعاف، بسرعة.

- من. ؟ نشجت سولفيغ وسقطت مثل دمية مفكَّكة الأوصال بين ذراعي روبير. تخلّص منها، غاضباً وأرغمها على الوقوف لوحدها.

- لا يهم. الآن يجب إحضار الإسعاف. اذهبي للاتصال هاتفياً بسرعة، وأنا سأعود إلى جوهان. واطلبي المركز الطبي كذلك، أمام سيارة الإسعاف طريق أودفالا بأكملها، سوف تستغرق وقتاً.

أعطى أوامره مَن له سلطة جنرال وامتثلت سولفيغ على الفور. رجعت إلى المنزل جرياً وبعد أن اطمأن روبير أسرع للعودة قرب أخيه.

حينما جاء الدكتور جاكبسون، لم يذكر هذا وذاك الظروف التي جمعتهما خلال اليوم نفسه، بل لم يفكرا في ذلك حتى. أفسح روبير المكان، مرتاحاً لأن شخصاً كفؤاً سوف يتصدّى للوضع، وانتظر الحكم بتوتر.

- إنه على قيد الحياة، لكن يجب نقله إلى المستشفى بأسرع ما يمكن. سيارة الإسعاف في الطريق حسب ما فهمت؟

- أجل، قال روبير بصوت واهن.

- هيّا إذن، أحضر له غطاء.

لم يكن روبير مغفلاً، لقد فهم جيداً أن ملتمس الطبيب يهدف خاصة إلى جعله مشغولاً، لكنه كان سعيداً للقيام بشيء ملموس وأطاعه فوراً كان مرغماً على إبعاد سولفيغ عن باب المرأب حيث كانت تبكي في صمت، وجسدها كله يهتز بالنشيج. لم يكن يدّخر ما

يكفي من القوة لمواساتها. كان مشغولاً كثيراً بالحفاظ بدوره على هدوئه، ما كان عليها سوى تدبّر أمرها قدر ما استطاعت. في البعيد، سَمع صفارة إنذار. لم يسبق له أبداً أنْ كان فرحاً بذلك القدر لرؤية الأضواء الدوّارة الزرق تظهر منَ خلال الأشجار.

ظلت ليني نصف ساعة صحبة جاكوب. كان باتريك يفضّل لو أمكنه التنصت عبر الباب، لكنه تحمل بصبر. وحدها قدمه التي لم يكف عن تحريكها تشهد على توتره. غوسطا بدوره التحق بمكتبه سعياً منه للعمل قليلاً، لكن ذلك كان صعباً. لم يكن باتريك يعرف كثيراً ماذا ينتظر بالضبط من كلّ هذه الأحجية. ليت ليني تستطيع فقط بطريقة أو بأخرى أن تضع الأصبع على الزرّ المناسب لجعل جاكوب يتكلم، لكن ربما قد ينغلق أكثر. ما السبيل لمعرفة ذلك؟ كان ذلك هو المشكل بحق. أحياناً يصعب علينا تفسير بعض ردود الأفعال، بينما في الأصل كنّا رغم ذلك قد وزنّا الخسائر والأرباح المحتملة. كان يشعر بالتذمر من اضطراره للانتظار إلى الغدّ صباحاً للحصول على نتائج التحليلات. ودَّ لو عمل عن طيب خاطر الليل كله على سبلٍ قد تؤدي إلى جيني، إذا كان هناك من سبيل فقط. وبدل ذلك، كانت تحاليل الدم هي كلّ ما لديهم إلى حدّ الآن، وكان مرغماً على الإقرار بأنه راهن كثيراً على مطابقة عينة جاكوب. والآن بعد أن انهارت هذه النظرية تماماً، يجد نفسه أمام صفحة بيضاء، وهاهم يعودون إلى نقطة الانطلاق. هناك، في مكان ما بالخارج، كانت جيني محبوسة، ويخيل إليه أن ما لديهم الآن أقلّ ممّا كان في البداية. النتيجة الملموسة الوحيدة إلى حدّ الآن هي أنهم ربما نجحوا في تشتيت أسرة وتحديد جريمة قتل وقعت منذ أربع وعشرين سنة. ما خلا ذلك، لا شيء.

للمرة المائة نظر إلى ساعة معصمه ونقر بعض النغمات المنفردة المحبطة على المكتب بقلمه الحبر. ربما، ربما في هذه اللحظة كان جاكوب يحكي لأمه تفاصيل تحلّ كلّ شيء دفعة واحدة. ربما

بعد انقضاء ربع ساعة علم بأنّ هذه المعركة كانت خاسرة. عند سماع باب غرفة الاستنطاق ينفتح، قفز من كرسيه وذهب لملاقاتهما وجد نفسه قبالة وجهين مغلقين. عيون صلدة كالحجارة تنظر إليه، يملؤها التحدي، وأدرك في هذه اللحظة المحددة أنه إذا كان جاكوب يخفي أمراً فإنه لن يكشف شيئاً من تلقاء نفسه.

- لقد قلتَ بأنني أستطيع أخذ ابني عند الانصراف، أجابت ليني بصوت صقيعي.

- أجل، قال باتريك. لم يكن هناك ما يجب إضافته.

الآن كلّ ما تبقى لهم فعله هو ما أوحى به إلى غوسطا. أن يعود كلٌّ إلى داره، ليأكل وينام قليلاً مع شيء من الحظ، يستطيعان العمل في الغد ببطاريات مشحونة.

صيف 1979

كان بالها مشغولاً بأمها المريضة. سوف يصعب على أبيها الاعتناء بها. كان الأمل في العثور عليها مجدداً ينمحي ببطء من شدة الرعب جراء بقائها لوحدها في الظلام. دون بشرة الأخرى الناعمة، كان الظلام يبدو لها أكثر حلكة.

الرائحة أيضاً كانت تزعجها. الرائحة الفاترة، بنتانة الموت كانت تحجب باقي الروائح. حتى رائحة فضلاتهما كانت تختفي داخل الفتور النجس، وقد تقيأت مرات عديدة، تجشوات حامضة ناتجة من بطنها الفارغ. الآن بدأت تتمنى الموت. ذلك يخيفها أكثر من أيّ شيء سواه. أخذ الموت يراودها، يهمس لها، يوحي لها بوضعِ حدٍّ للألم وللرعب.

كانت تترقب خفق النعال فوقها باستمرار، وهذا الصوت حينما تنفتح الطاقة. الألواح التي يتمّ خلعها ثم من جديد الخطوات الوئيدة التي تنزل على السلم. كانت تعرف أن المرة المقبلة التي سوف تسمعها فيها ستكون هي الأخيرة. لن يتحمل جسدها المزيد من الألم، ومثل الفتاة الأخرى، سوف تلبي نداء الموت.

وفي تلك اللحظة بالتحديد، وكما لو كان ذلك تحت الطلب، سمعت الأصوات التي طالما خشيتها. وهي مرعوبة، استعدت للموت.

كان من الرائع أن تنعم بوجود باتريك في البيت أبكر من المعتاد مساء أمس، لكن الظروف منعتها من الإحساس بالفرح الذي طالما رغبت فيه. وهي حامل، استطاعت إريكا للمرة الأولى فهم القلق الذي ينتاب كلّ الأمهات وكانت تتألم مع والدَي جيني مولر.

وعلى حين غرة أحسَّت بالذنب لأنها كانت فرحة بكل ذلك القدر طول النهار. منذ انصراف الزائرين، عادت السكينة وكان لديها الفرصة كاملة للثرثرة مع المخلوق الذي يتحرك داخلها، ولأخذ القيلولة وقراءة كتاب. كما أنها تحدَّت طلعة غالارباكن للذهاب قصد شراء أشياء صغيرة طيبة للأكل وكذا كيس كبير من الملبَّسات. فيما يخصّ السكاكر، لم يكن ضميرها مرتاحاً. لقد حذَّرتها القابلة بصرامة من أن السُّكَّر غير مفيد للنساء الحوامل، وإذا تمّ ابتلاعه بمقادير كبيرة فقد يجعل من المولود مدمناً صغيراً على السّكر. من المؤكد أنها تمتمت أيضاً أنّ ذلك يتطلب كميات كبيرة، إلّا أنّ كلامها رغم ذلك يدور في رأس إريكا. على الثلاجة ألصِقت قائمة طويلة بكلّ ما يُمنع عليها أكله، ويخيل إليها أحياناً أن وضع طفل يتمتع بكامل الصحة مهمة مستحيلة. كان يحرّم عليها بعض أنواع السمك، بينما كان يسمح لها بأخرى، لكن مرة واحدة في الأسبوع،

ثم ينبغي معرفة ما إذا كانت أسماك البحر أو النهر. دون الحديث عن معضلة الجُبن. كانت إريكا تعشق كلّ أصناف الجبن وقد حفظت تلك التي تستطيع أكلها من غيرها. وللأسف الشديد، كانت الأصناف الزرق على قائمة الممنوعات، وقد كانت تتخيل مسبقاً حفل العربدة حول الجبن والنبيذ الأحمر الذي سوف تقيمه فور انتهاء فترة الرضاعة.

لشدَّة ما كانت مستغرقة في أحلام الأكل المفرط فإنها لم تسمع باتريك يدخل. فزعت من الهلع، وقد مرّ بعض الوقت قبل أن يعود نبض قلبها إلى إيقاعه العادي.

- أوه يا إلهي، كم أنك أخفتني!

- المعذرة، لم أتعمَّد ذلك، اعتقدتُ أنك سوف تسمعينني.

جلس بالقرب منها على الأريكة وقد استغربت لمّا رأت قسمات وجهه.

- لكن يا باتريك إنك مربكٌ بالكامل. هل حدث أمر ما؟ هجمت عليها فكرة تقشعرّ لها الأبدان. هل عثرتم عليها؟

- لا، هزّ باتريك رأسه.

ذلك كلّ ما قاله وانتظرت إريكا بهدوء التتمة. بعد لحظة، بدا أنه في حالٍ تسمح بالمواصلة.

- لا، لم نعثر عليها، بل على العكس، يخيَّل إلي أننا تقهقرنا اليوم.

بغتة، انحنى إلى الأمام ودفن وجهه بين يديه. اقتربت منه إريكا أكثر، أحاطته بذراعيها وسندت خدها إلى كتفه. لقد شعرت، أكثر ممّا سمعت، بأنه يبكي في صمت.

- ذلك مثير للاشمئزاز، إنها تبلغ السابعة عشرة. هل تفهمين؟

سبع عشرة سنة وهناك مريض عاهر يتخيل أنه يستطيع أن يفعل بها ما يشاء. نحن نركض مثل بلهاء ملعونين لا كفاءة لهم بينما هي، ربما، تعاني أقصى درجات الرعب. كيف تسنى لنا الاعتقاد بأننا سوف نكون قادرين على إجراء تحقيق بهذا الحجم؟ نحن، في العادة، لا نكلَّف سوى بسرقة الدراجات وأشياء من هذا القبيل! مَن هو الأبله الذي سمح لنا - الذي سمح لي! - بالإشراف على هذا التحقيق الخاسر! ثم فرَّج ما بين ذراعيه.

- ما كان أحدٌ بقادر على التصرف أفضل منكم، يا باتريك! ماذا تظن أنه كان سيحصل لو كلفوا فريقاً من غوتبرغ، إنك تفكر في هذا، أليس كذلك؟ إنهم لا يعرفون المنطقة، لا يعرفون الناس، ولا يعرفون كيف تجري الأمور هنا وما كان في استطاعتهم القيام بعملٍ أفضل منكم. كما أنكم لم تكونوا لوحدكم تماماً، وإن كان هذا هو انطباعك. لا تنسى أن أودفالا بعثت رجالاً عملوا معكم وقاموا بعمليات تمشيط، لو أخذنا هذا المثال وحده. لقد قلت بنفسك ذلك المساء إنّ تعاونكم تمّ على نحو جيد جداً. هل نسيت مسبقاً؟

كانت إريكا تحدِّثه وكأنها تحدث طفلاً، لكن دون استعلاء. كانت تودّ فحسب أن تكون واضحة وبدا أن الطريق إلى ذلك كان سالكاً، لأن باتريك هدأ واستطاعت الإحساس بجسده يسترخي.

- أجل، أعتقد أنك على حق، قال بتحفُّظ. لقد فعلنا كل ما في وسعنا، لكن يبدو أن نصيب ذلك الخسارة مسبقاً الوقت ينقضي وأنا قابع هنا، في البيت، بينما جيني ربما في طريقها إلى الموت، في هذه الثانية بالضبط.

غمر الذعر صوته من جديد وشدَّت إريكا كتفه.

- صهْ! لا تسمح لنفسك بالتفكير هكذا. وقد تركَت نغمة صرامة تتسلَّل عبر صوتها لا يجب أن تنهار الآن. إذا كان هناك

شيء تدين لها به، لها ولوالديها، هو الحفاظ على برودة أعصابك ومواصلة العمل.

لم يحر جواباً، لكن إريكا لاحظت بأنه ينصت لما تقول.

- لقد اتصل بي والداها اليوم ثلاث مرات. وأربعة بالأمس. هل تعتقدين لأنهما على وشك التخلي عن كلّ أمل؟

- لا، لا أعتقد ذلك، قالت إريكا. أظن فقط بأنهما يثقان فيكم وفي عملكم. وفي هذه اللحظة، يتمثَّل عملك في استمداد القوة لمواجهة نهارٍ آخر من الأبحاث غداً. لن تربحوا شيئاً إن استنفدتم قوتكم بالكامل.

ابتسم باتريك عندما سمع إريكا تعيد العبارات نفسها التي قالها لغوسطا. إنه كان يعرف ربما بعد كل شيء عمّا يتحدث بين الفينة والأخرى.

أطاعها حرفياً. ومع أنه كان فاقداً للشهية في الحقيقة، أكل ما أعدَّته إريكا له ونام بعد ذلك نوماً خفيفاً. في أحلامه، شابة شقراء فتية تهرب منه بلا كلل. كانت تصل إلى القرب منه بما يكفي ليلمسها، لكن في الوقت الذي كان يوشك فيه على مدّ يده والإمساك بها كانت تنفجر ضاحكة بسخرية وتهرب منه. حينما خلَّصه جرس المنبّه من النوم، كان متعباً ويتصبَّب منه عرق بارد.

إلى جانبه، أمضت إريكا قسطاً من الليل في التفكير في آنا. إن كانت في بداية اليوم مصممة على أن لا تقوم بالخطوة الأولى، في الفجر، إنها متأكدة بالقدر نفسه من أن عليها الاتصال بأختها ما إن يبزغ ضوء النهار. شيء ما ليس على ما يرام. كانت تشعر بذلك.

رائحة المستشفى كانت تخيفها. انبعاثات المواد المطهرة فيها شيء يوحي بالنهاية، مثلها مثل الجدران الكئيبة وأعمال الفن

الرخيصة. بعد ليلة خلت من النوم، خُيِّل لسولفيغ بأنّ الناس جميعاً يدورون من حولها بالتصوير البطيء. حفيف ثياب الموظفين كان يتضخم في أذنيها إلى أن فاق الضجيج العام. كانت تتوقع أن ينهار العالم فوق رأسها في كل لحظة. كانت حياة جوهان معلّقة إلى خيط رفيع جداً، لقد أخبرها الطبيب بصرامة عند مطلع النهار وشرعت مسبقاً تفكر في الحِداد. ماذا يسعها فعل غير ذلك؟ كل ما حصلت عليه في الحياة تسرَّب من بين أصابعها مثل الرمل الناعم وبعثرته الرياح. لا شيء مما حاولت الإمساك به لبث في يدها. جوهانس، الحياة بالمزرعة، مستقبل ولديها - كل شيء تمّ تدميره وسجنها في عالمها هي.

لكن الآن لم يعد في إمكانها الهروب. ليس عندما يفرض الواقع نفسه على هيئة رؤى وضجيج وروائح. الواقع، حيث في تلك اللحظة كانوا منهمكين في تقطيع جسد جوهان، الذي من شدّة ما كان جلياً فإن المرء لا يستطيع الهروب منه.

لقد قطعت صلتها بالرب منذ زمن بعيد، لكنها في الوقت الحاضر تصلي كما لو أن حياتها مرهونة بذلك. رتّلت كل الأدعية الورعة التي تتذكرها منذ طفولتها، وأخذت على عاتقها عهوداً لن تفي بها أبداً، آملة أن الإرادة الطيبة تكفي، على الأقل إلى حين أن تتوفر لجوهان ميزة صغيرة تبقيه على قيد الحياة. إلى جانبها، كان روبير لا يزال تحت وقع الصدمة. أكثر من أيّ شيء، كانت تودّ لو انحنت عليه من أجل ملامسته، ومواساته، ومن أن تكون أماً، لكن الكثير من السنوات مضت وكل الفرص ضاعت. الآن هما مثل غريبين جنباً إلى جنب، يجمعهما فحسب الحبّ الذي يكنانه للفتى الشاب في جناح العمليات، أخرسان هما الاثنان في يقينهما بأنه كان الأفضل منهما.

وصل شخص قريب إلى طرف الرواق. كانت ليندا تسير بمحاذاة الجدران، لا تعرف كيف سيتم استقبالها، لكن كل رغبة في الشجار قد هجرت سولفيغ وابنها البكر بعد الضربات التي تلقاها جوهان. في صمت، جلست قرب روبير وانتظرت لحظة قبل أن تجرؤ على السؤال:

- كيف هي حاله؟ قال لي بابا بأنك اتصلت هذا الصباح.

- أجل، اعتقدتُ أنّ من الواجب إخبار غابرييل، قالت سولفيغ، ونظرها تائه دوماً في البعيد، نحن رغم كل شيء من عائلة واحدة. رأيت أنّ عليه العلم بالأمر.

وانغمست في عالمها، ثم هزت ليندا رأسها فحسب. واصلت سولفيغ:

- إنهم ما زالوا مستغرقين في إجراء الجراحة له. نحن لا نعرف أكثر من ذلك. سوى أنه قد يموت.

- لكن من قام بذلك؟ قالت ليندا، مصمّمة بحزم على أن لا تنكفئ قريبتها إلى صمتها قبل أن تحصل على إجابة عن سؤالها.

- لا نعلم من فعل ذلك، قال روبير، لكن أيّاً كان، سوف يدفع الثمن، ذلك الحقير!

خبط يده بعنف على المتكأ وصحا فترة وجيزة من حال الصدمة. لم تقل سولفيغ شيئاً

- ما الذي جئت تفعلينه هنا بالمناسبة؟ قال روبير وهو يدرك كم كان غريباً مجيء ابنة عمهم إلى المستشفى، هي التي لم يألفوها أبداً بشكل خاص.

- أنا. نحن. أنا تلعثمت ليندا بحثاً عن الكلمات لوصف العلاقة التي تربطها بجوهان. كانت مندهشة لملاحظة أن روبير لم يكن على علمٍ بها صحيحٌ أن جوهان أكّد لها بأنه لم

يحدِّث أخاه عن علاقتهما، لكنها ظنت أنه ذكر شيئاً عن الأمر رغم ذلك. أن يرغب جوهان في الحفاظ على قصّتهما سرياً يظهر بوضوح الأهمية التي كانت تتمتع بها لديه، وهذا الكشف غمرها بالخزي.

- لقد. التقينا مرات عديدة، جوهان وأنا. تحقّق بعناية من أظافرها المقلمة على وجه أكمل.

- كيف ذلك، التقيتما؟ نظر إليها روبير متحيراً. ثم فهم وشرع يضحك. آه، طيب، لقد قمتما، أقصد. مفهوم. يا للعجب منكما إذن! إنه لا يهدر وقته، أخي ذاك! ثم ظلّت الضحكة محبوسة في حلقه حينما تذكَّر لماذا هو هناك واستعاد وجهه سحنته المضطربة.

مرَّت الساعات وظلوا جالسين هناك، هم الثلاثة، صفاً واحداً في قاعة الانتظار. مع صوت كل خفقة نعلٍ في الرواق كانوا يترقبون بقلق طبيباً بوزرة بيضاء سوف يأتي ليُخبرهم بالحُكْم. وكان كل واحد منهم يصلي دون أن ينتبه أن ينتبه للآخر.

حينما اتصلت سولفيغ في الصباح الباكر، اندهش هو بنفسه من الشفقة التي أحسّ بها. لقد طالت الحرب بين فرعي العائلة مدة طويلة حيث صارت العداوة بينهما وكأنها طبيعة ثانية، لكن عندما علمَ بالحال التي كان عليها جوهان، انمحت كل ضغينة قديمة. جوهان هو ولد أخيه، من لحمه ودمه وهذا هو الشيء الوحيد الذي يهمّ. ورغم ذلك، بدا له أن الذهاب إلى المستشفى أمرٌ لا يليق بما فيه الكفاية كما أنه تصرّف منافق، وقد كان ممتناً للينذا بالذهاب إلى هناك، بل إنه أدّى لها ثمن التاكسي إلى أودفالا، وإن كان في العادة يعتبر أن التنقل عبر التاكسي هو قمة البذخ.

مشتَّت الذهن بالكامل، ظلّ غابرييل قبالة طاولة عمله الواسعة.

بدا العالم بأسره وقد انقلب أعلاه أسفله وكان الطين يزداد بلة. وخيِّل إليه أنّ السيل قد بلغ الزبى خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة. جاكوب الذي اعتقل للاستنطاق، تفتيش المزرعة، كل العائلة التي كان عليها إجراء فحوصات الدم والآن جوهان في المستشفى، بين الحياة والموت. لقد نذر حياته لبناء أمنٍ كان ينهار أمام عينيه.

في المرآة على الجدار المقابل رأى وجهه وكأن تلك هي المرة الأولى. بمعنى ما، كانت الحال كذلك. رأى كم أنه شاخ في بضعة أيام. نظرته اليقظة اختفت، وحفرت الهموم تجاعيد في وجهه، وشعره الذي كان في العادة حسن التسريحة صار أشعثاً وكامداً. كان غابرييل مضطراً للإقرار بأنه محبط من نفسه. لقد نظر إلى نفسه على الدوام بأنه رجل يخرج قوياً من المصاعب، شخص جدير بثقة الآخرين حينما تبرز المتاعب. وبدل ذلك، فإن ليبني هي التي أظهرت على أنها الأقوى من بين الاثنين. لقد عرف ذلك دائماً، بعد كل شيء. هي بدورها ربما عرفت ذلك دوماً، لكنها تركته يعيش في وهمه مدركة أنه سوف يكون سعيداً أكثر على ذلك النحو. غمره إحساس بالدفء. حبّ هادئ. شيء ما ظلّ دفيناً هناك عميقاً تحت ازدرائه النرجسي، لكنه وجد الآن فرصة للانبثاق. ربما قد يخرج شيء طيب من هذه الكارثة.

طرقٌ على الباب قطعَ عليه حبل أفكاره.

- ادخل.

دخلت ليبني بلطفٍ ولاحظ من جديد التغيُّر الذي طرأ عليها اختفى الوجه المتوتر واليدان اللتان كانتا تلتويان من شدّة القلق، بل كانت تبدو أكبر، وتقف منتصبة.

- صباح الخير حبيبتي. هل كان نومكِ هنيئاً؟

أومأت برأسها أن نعم وجلست على واحد من الكرسيين المخصصين للزوار. تفحّصها غابرييل بتمعن. الهالات أسفل عينيها جاءت على النقيض من جوابه. ورغم ذلك فقد نامت أكثر من اثنتي عشرة ساعة. أمس عندما عادت بعدما ذهبت لإحضار جاكوب من المفوضية، بالكاد سمح له الوقت بالتحدث إليها. لقد همهمت فقط بأنها متعبة، ثم انصرفت للنوم. ثمة أمرٌ ما يُحاك، يستطيع استشعار ذلك الآن. لم تنظر إليه ليبني ولا مرة واحدة منذ أن دخلت إلى الغرفة، ولم تفعل سوى النظر إلى حذاءيها باهتمام كبير. تعاظمت الحيرة داخله، لكن كان عليه أن يحكي في البداية ما وقع لجوهان. تفاعلت بدهشة وإشفاق، لكن بدا الأمر قليلاً وكأنّ الكلمات لم تُصبها حقيقة. شيء ما أكثر عمقاً يشغل بالها بحيث أن الاعتداء الجسدي على جوهان لم يستطِع تحويل انتباهها عنه. الآن كل أضواء التنبيه تومض في الوقت نفسه.

- هل حدث شيء؟ هل حدث شيء في المفوضية أمس؟ لقد تكلمتُ مع ماريتا أمس في المساء، قالت لي بأنهم أطلقوا سراح جاكوب وإذن لا تستطيع الشرطة مهما يكن أن. لم يكن يعرف جيداً كيف يواصل. انطلقت الأفكار في كلّ الاتجاهات داخل رأسه ثم رفض التفسيرات كلها الواحد تلو الآخر.

- لا، لقد تمّت تبرئة جاكوب تماماً، قالت ليبني.

- لكن هذا رائع، ما تقولينه عندك! أشرق وجهه. كيف. ما الذي. ؟

كانت ليبني بالملمح الصارم ذاته دائماً، ولم تلتق نظره أبداً.

- قبل أن نتحدث في ذلك، هناك أمر آخر يجب عليك معرفته. ترددت. جوهانس، هو، هو.

كان غابرييل يترنح على كرسيه من شدة نفاد صبره.

- نعم، طيب، ما بال جوهانس؟ هل يتعلق الأمر بنبش الجثة الشقية تلك؟

- أجل، يمكن قول ذلك.

وقفة جديدة ودَّ معها غابرييل لو يهزها حتى يرغمها على الكلام. ثم تنفست بعمق وأرسلت كل شيء في دفقٍ سريع حيث بالكاد كان يسمع ما تقوله:

- لقد أخبروا جاكوب بأنهم فحصوا عظام جوهانس واكتشفوا بأنه لم ينتحر. بأنه مات مقتولاً

ترك غابرييل قلمه الحبر يسقط على المكتب. نظر إلى ليبني وكأنها فقدت عقلها واصلت:

- أجل، أعلم أن الأمر قد يبدو غير معقول تماماً، لكن الظاهر أنهم على يقين مطلق بذلك. أحدٌ ما قتل جوهانس.

- هل يعلمون مَن؟ كانت الشيء الوحيد الذي أمكنه قوله.

- بالطبع لا، أجابت ليبني بحدّة. لقد اكتشفوا هذه الحقائق للتوّ ومع كل تلك السنوات التي انقضت. شرعت ذراعيها واسعاً

- حسناً، يا لها من أخبار! لكن حدثيني عن جاكوب. هل اعتذروا له؟ سألها غابرييل بدناءة.

- لم يعُد مشتبهاً فيه بتاتاً، إذن. لقد نجحوا في البرهنة على ما كنا نعرفه مسبقاً

- أجل، لم تكن تلك مفاجأة بحق، كانت مسألة وقت فقط، لكن كيف. ؟

- عينات الدم. لقد قارنوا دمه بمواد خلّفها المذنب وذلك لا يتطابق معه.

- أجل، كان في إمكاني قول ذلك لهم منذ البداية. وهذا ما قمتُ به فعلاً، إن لم أكن مخطئاً! قال غابرييل بافتخار وشعر بأنّ

عقدة ضخمة انحلت داخله. إذن سوف نحتسي الشامبانيا احتفاء، يا ليني، ولا أفهم ما سبب عبوسك.

رفعت ناظريها وحدّقت فيه مباشرة.

- لأن الوقت سمح لهم أيضاً بتحليل دمك.

- أجل، لكنه مهما يكن لم يتطابق هو الآخر، قال غابرييل ضاحكاً.

- لا، لم يتطابق مع دم القاتل، لكن. لا يتطابق كذلك مع دم جاكوب.

- ماذا؟ ماذا تقصدين؟ كيف ذلك، لا يتطابق؟ بأي طريقة؟

- لقد لاحظوا على الفور بأنك لست بوالد جاكوب.

الصمت الذي عقب ذلك كان مجلجلاً نظر غابرييل إلى وجهه في المرآة من جديد وهذه المرة لم يتعرف على نفسه. غريب كان ذاك الذي ينظر إليه، الفم فاغر والعينان مشرعتان.

بدا وكأن ليني تخلصت من كلّ المشاكل التي أثقلت كاهلها وأشرق وجهها عرف الانفراج. فكر بصورة عابرة كم كان صعباً بالنسبة لها حمل مثل ذلك السرّ طول كل تلك السنين، لكن بعد ذلك انفجر الغضب بكلّ قوته.

- ما هذه الترهات؟ قال صارخاً وفزعت ليني.

- إنهم على حق، لستَ أب جاكوب البيولوجي.

- ومن هو إذن، اللعنة، أب جاكوب؟

عمَّ الصمت. بتؤدة، ظهرت له الحقيقة. همس ثم تهاوى على متكئ كرسيه.

- جوهانس.

لم تكن ليني في حاجة لتأكيد الأمر. بغتة صار كل شيء جلياً بالنسبة له ولعنَ غباءه هو. مِن أنه لم يفطن لشيء. النظرات

المختلَسة، الإحساس بأن شخصاً ما جاء إلى بيته في غيبته، التشابه الذي لا يصدَّق أحياناً بين جاكوب وجوهانس.

- لكن لماذا. ؟

- تقصد لماذا وقعتُ في حبال جوهانس؟ اتخذ صوت ليبني نبرة باردة وحديدية. لأنه كان كل ما لم تكُنه أنت. كنتُ اختياراً ثانياً بالنسبة لكَ، زوجةً منتقاة لأسباب عملية، شخصاً مطلوباً منه أن يظلّ في مكانه ويسهر على أن تكون حياتك مثلما أردتها، مع أقل ما يمكن من الصرير. كان يجب أن يكون كل شيء منظماً، منطقياً وعقلانياً. بلا حياة! خفت صوتها. جوهانس لم يفعل شيئاً سبَقَ أنْ قرر فعله. كان يحبّ متى شاء، يكره متى شاء. أن تكون مع جوهانس كأنك إلى جانب قوة الطبيعة. هو كان يراني، كان يراني حقيقة، لم يكن يفعل سوى مصادفتي في طريقه قبل الانصراف إلى اجتماع أعمال آخر. كل موعد غرام معه كان أشبه بالموت للانبعاث من جديد.

ارتعد غابرييل حينما سمع الشغف في صوت ليبني. ثم انمحى الصوت وتأمّلته بذهنٍ صافٍ.

- يؤسفني أني خدعتك فيما يخصّ جاكوب طول كل هذه الأعوام، صدقني، أنا آسفة فعلاً، وألتمس منك المغفرة من كل قلبي - لكن ليس في نيتي طلب المغفرة عن حبي لجوهانس.

مالت باندفاع إلى الأمام ثم وضعت يديها على يدي غابرييل. قاوم الرغبة في سحبهما وتركها تفعل دون أن يتحرك.

- كانت لديك فرص كثيرة، يا غابرييل. أعرف أنّ بداخلك الكثير ممّا يمتاز به جوهانس، لكنك تمنع ذلك من الخروج إلى النور. كان في وسعنا الاستمتاع بسنوات جميلة معاً، وكنت سأحبك فيها. بطريقة ما، وصلتُ إلى ذلك رغم كل شيء، لكني أعرفك بما

يكفي كي أعلم أيضاً أنه ابتداء من الآن لن تستطيع أبداً السماح لي بأن أبرهن لك عن حبي.

لم يُجِبْها غابرييل. كان يعلم أنها على حقّ. طول حياته تصارع ضدّ ظلّ أخيه الذي عاش فيه وخيانة ليني أصابته في مقتل.

تذكر الليالي التي سهرا فيها، هو وليني، عند مرقد ابنهما المريض. كان يودّ أن يكون لوحده قرب جاكوب كي يرى ابنه كم أن الآخرين، ومن ضمنهم ليني، هم بلا أهمية. في عالم غابرييل، كان يمثّل كلّ ما يحتاجه جاكوب. كان الأمر هزلياً تقريباً. في الواقع، كان هو الخاسر في اللعبة. إنّ مَن كان له الحق في السهر إلى جانب جاكوب ومسك يده وقول أن كل شيء سوف يكون على ما يرام هو جوهانس. وإفراييم الذي أنقذ حياة جاكوب. إفراييم وجوهانس. تواطؤ الاثنين الأبدي الذي لم ينجح أبداً في سبر أغواره. الآن بدا هذا التواطؤ عصياً على التجاوز.

- وليندا؟ كان يعرف الجواب، لكنه شعر بأنه مضطر للسؤال. ولو من باب ردّ الصاع صاعين إلى ليني.

- ليندا ابنتك. يمكن أن تكون مطمئناً من هذه الناحية. جوهانس هو العشيق الوحيد الذي عرفته خلال زواجنا وأنا مستعدّة لتحمُّل عواقب ذلك الآن.

كان هناك سؤال آخر يحيره أكثر.

- هل جاكوب على علم بذلك؟

- جاكوب على علم.

نهضَت. نظرت بحزن إلى غابرييل وقالت بصوت منخفض:

- سوف أجمع أغراضي خلال النهار. قبل هذا المساء، أكون قد اختفيت.

لم يسأل أين ستذهب. لم يعد لذلك أدنى أهمية. لم يعد لأي شيء أدنى أهمية.

تصرفا بتكتم. لا هي ولا الطفلين كان في مقدورهم رؤية أن الشرطة جاءت. وفي الوقت نفسه، شيء ما تغيَّر. شيء ما غير محسوس، لكنه هناك رغم ذلك. شعور بأنّ منزلهم لم يعد بالمكان الآمن الذي كان عليه من ذي قبل. كل شيء في البيت قد لمسته أيادي غريبة، التي قلَّبت وحوَّلته ظهراً لبطن، ورأت. بحثت عن شيء مؤذٍ - في بيتهم! من المؤكد أن الشرطة السويدية أبانت عن براعة كبيرة، خلافاً للديكتاتوريات والدول البوليسية التي شاهدتها في الأخبار بالتلفزيون، لكن للمرة الأولى في حياتها شعرت بأنها فهمت ما يعنيه العيش تحت الإكراه. هزّت رأسها وتأسَّفت للناس الذين يعيشون تحت التهديد الدائم لاقتحام بيوتهم. ورغم ذلك لم تفهم أبداً بحق إلى أيّ حدّ يشعر المرء بأنه وسخ ومقدارُ الخوف المتعاظم إزاء المجهول الذي قد يحلّ في أية لحظة.

افتقدت جاكوب في الفراش هذه الليلة. ودَّت لو كان إلى جانبها، يدُ زوجها في يدها وكأنها ضمانة على أنّ كل شيء سيعود كما كان من قبل، لكن حينما اتصلت بالمفوضية في اليوم السابق عند المساء، تمّ إخبارها أن أمه جاءت لمرافقته وافترضت أنه سوف ينام في بيت والديه. كان عليه أن يخبرها، لكن بعدما صاغت هذه الفكرة عاتبت نفسها محدثة إياها بأن ذلك منطق دنيء. زوجها يقوم دوماً بما هو أفضل لهم، وإذا كانت مستاءة من مجيء الشرطة إلى بيتها، فإنها لا تستطيع حتى تصوّر ما أحس به جاكوب من حبسه في المفوضية وإرغامه على الإجابة عن كل أنواع الأسئلة المستحيلة.

بحركات وئيدة، مسحت ماريتا مائدة فطور الطفلين. وهي

متردّدة، تناولت الهاتف وشرعت تركّب رقم منزل حموها وحماتها، ثم تراجعت عن ذلك. ربما كان جاكوب يستعيد شيئاً من راحته ولم ترغب في إزعاجه. بالكاد أغلقت السماعة، رنّ جرس الهاتف وتجرأت على تمنّي مفاجأة. على الشاشة رأت أن الاتصال وارد من القصر الريفي فأجابت وهي فرحة، مقتنعة بأنه كان جاكوب.

- نهارك سعيد، ماريتا، هذا غابرييل.

قطّبت حاجبيها. بالكاد تعرَّفت على صوت حموها. كان يتحدث مثل رجل عجوز.

- نهارك سعيد، غابرييل. كيف هي الأحوال عندكم؟

حجبت النبرة المرحة قلقها، لكنها انتظرت بفارغ الصبر أن يواصل. صدمتها بغتة فكرة أن يكون قد حدث مكروه لجاكوب، لكن قبل أن يسمح الوقت بطرح سؤالها، استفسرها هو:

- أنبئيني، هل جاكوب في الأنحاء؟

- جاكوب؟ لكن ليني ذهبت لإحضاره من تانمشيد أمس. كنت على يقين أنه يبيت عندكم؟

- لا، لم يأتِ إلى هنا لقد رافقته ليني عندكم مساء أمس.

كان الذعر في صوتها بحجمِ الذعر الذي تشعر به.

- لكن أين هو إذن؟ أطبقت ماريتا بيدها على فمها وقاومت حتى لا يخونها فزعها.

- لعله. ربما هو.

لم تسعف غابرييل الكلمات، وزاد ذلك من حيرته. إذا لم يكن في بيته، ولا في بيتهم، لم تكن هناك إمكانات أخرى كثيرة. وقعت عليه خاطرة مرعبة.

- جوهان في المستشفى. لقد تمّ الاعتداء عليه وضربه ضرباً مبرحاً في منزلهم أمس.

- أوه يا إلهي، كيف هي حاله؟

- لا يعرفون إنْ كان سيبقى على قيد الحياة. ليندا في المستشفى، سوف تخبرنا ليندا فور معرفتها بالمزيد.

تهاوت ماريتا على كرسي بالمطبخ. غصَّ حلقها وشقَّ عليها التنفس.

- هل تظن أن.

- لا، مهما يكن لا بالكاد كان صوت غابرييل مسموعاً، لكن من يُقْدِم.

ثم أدركا معاً أن حيرتهما تنبني على حقيقة أنّ هناك قاتلاً حراً طليقاً. كان الصمت الذي تلا هذه الملاحظة مجلجلاً

- اتصلي بالشرطة، ماريتا سأحضر على الفور. ثم أغلق السماعة.

من جديد، وجد نفسه كالأبله قليلاً خلف مكتبه. كان يكره نفسه في محاولة للعثور على ما يشغله عوض أن يظلّ مركزاً على الهاتف. رغبته في الحصول على نتائج تحاليل الدم تمنعه من التفكير في شيء آخر. كان الوقت يزحف ببطء الحلزون. قرَّر تعويض التأخّر الحادث في الجانب الإداري وأخرج بعض الوثائق. مرّت نصف ساعة بعد ذلك، ولم يفعل شيئاً، ظلَّ فحسب ينظر إلى الفراغ. الإحساس بقلة النوم. تناول رشفة من فنجان القهوة أمامه، لكنه صعَّر خدَّه اشمئزازاً. تسنى للمشروب الوقت كي يبرد. والفنجان بيده، نهض لإحضار بعض القهوة الساخنة حينها رنّ الهاتف. ارتمى عليه بسرعة مفرطة انسكب معها الفنجان على المكتب.

- باتريك هيدشتروم.

- جاكوب اختفى!

من شدة ما كان متأكداً من أنّ الطب الشرعي هو المتّصل، فقد تطلب دماغه ثانية من الوقت كي يستعيد رشده.

- المعذرة؟

- هذه ماريتا هولت على الخط. اختفى زوجي منذ مساء أمس.

- اختفى؟

لم ينجح باتريك في متابعتها بعد. كان التعب يجعل ذهنه يعمل بسرعة بطيئة وعلى مضض.

- لم يعُد إلى البيت مساء أمس. كما أنه لم ينم ببيت والديه أيضاً. وبالنظر إلى ما وقع لجوهان، يمكننا.

الآن كانت جهوده تذهب سدى.

- تمهلي، تمهلي، رويدك. ما الذي حلّ بجوهان؟

- إنه يخضع للعلاج بأودفالا لقد تمّ الاعتداء عليه جسدياً إلى حدّ أنه ليس من المؤكد بقاؤه على قيد الحياة. ماذا لو أن الشخص نفسه تعرض لجاكوب؟ ربما هو الآخر مصابٌ في مكان ما.

ازدادت درجة الذعر في صوتها، والآن استدرك دماغ باتريك التأخر. في تانمشيد لم يسمعوا بأيّ عنف ضد جوهان هولت، لعلّ زملاءهم في أودفالا هم المكلفون بالقضية. كان يجب عليه الاتصال بهم فوراً، لكن ينبغي له بداية أن يهدّئ من روع زوجة جاكوب.

- ماريتا، أنا متأكد بأنه لم يحدث أي مكروه لجاكوب، لكن سوف أبعث بأحد إلى منزلكم وسأتصل بالشرطة في أودفالا للاستعلام عن جوهان. إني لا أستهين بما تقولين، لكن لا أرى سبباً للقلق في هذه المرحلة. قد يحدث أن يختار شخص عدم الرجوع إلى بيته، لمبررات تعود إليه، نحن هنا نشاهد ذلك مراراً. وجاكوب كان بالتأكيد مضطرباً بعد الاستنطاق الذي خضع له أمس، ربما كان بحاجة للبقاء وحده بعض الوقت، ما أدراني؟

- لم يتغيب جاكوب أبداً دون إخباري بالمكان حيث هو ذاهب. إنه ينتبه جيداً إلى مثل هذه الأمور على الدوام.

- إني أصدِّق ما تقولينه، وأعدُكِ بأننا سوف نتصدى للأمر فوراً وأبعث لكم واحداً من رجالنا، اتفقنا؟ هل في استطاعتك الاتصال بحموِك وحماتك كي يحضرا إلى بيتكم، وهكذا نتمكن من الحديث إليهما في الوقت معاً؟

- أظن أنه من السهل لو أني ذهبت إلى عندهم، قالت ماريتا، وقد انفرجت أساريرها جراء إقدام الشرطة على القيام بشيء ملموس وعلى الفور.

- اتفقنا إذن، قال باتريك، ثم أقفل السماعة بعد أن ناشدها قدر المستطاع للمرة الأخيرة بأن تحاول عدم التفكير في الأسوأ

وكأن خموله تلاشى. رغم ما قاله لماريتا، هو بدوره كان يميل إلى الاعتقاد بأنّ اختفاء جاكوب لم يكن عادياً بالمرة. علاوة على ذلك، إذا كان جوهان قد كان ضحية للعنف أو لمحاولة قتل، فهذا أمر يدعو للقلق. بادر إلى الاتصال بزملائه في أودفالا

لحظة بعد ذلك، أخبرَ بكلّ ما يعرفون عن الاعتداء، أي لا شيء جدير بالذكر. بأنّ جوهان تعرض للضرب مساء اليوم السابق وبأنه بين الحياة والموت. وبما أن جوهان بنفسه لم يستطع بعد قول مَن كان المعتدي عليه، فإن الشرطة لا تتوفر على أي مسلك. لقد تحدثوا إلى سولفيغ وروبير، لكن لا الأولى ولا الثاني شاهدا أحداً قرب منزلهم. للحظة، اشتبه باتريك في جاكوب، لكن بدت تلك على الفور أنها فكرة متسرعة. لقد حدث الاعتداء على جوهان حينما كان جاكوب في المركز.

تردَّد باتريك بخصوص الخطوة الواجب اتباعها هناك مهمّتان ينبغي إنجازهما. من جهة، كان يصرّ على أنْ يذهب أحدٌ ما إلى

المستشفى بأودفالا للتحدث مع سولفيغ وروبير للتحقق ممّا إذا كان لديهما إضافة رغم كل شيء. ومن جهة أخرى، عليه أن يرسل شخصاً إلى القصر الريفي لرؤية أسرة جاكوب. بعد تردُّد وجيز، قرر الذهاب شخصياً إلى أودفالا، وإرسال مارتن وغوسطا إلى القصر الريفي، لكن في اللحظة التي كان يهمّ فيها بالنهوض، رنّ جرس الهاتف من جديد. هذه المرة كان الطب الشرعي بحق.

بكثير من الخشية، استعدَّ لسماعِ ما للمختبر من أقوال. ربما سوف يحصلون على قطعة الأحجية الناقصة في الدقيقة التالية، لكن قطعاً، ولا حتى في خياله الأشد جموحاً، لم يكن ليتصور مثل تلك الإجابة.

حينما وصل مارتن وغوسطا إلى القصر الريفي، قضيا الطريق كاملاً في مناقشة ما قاله باتريك، لكن ضيق الوقت لم يعُد يسمح بالتيه في التخمينات. الشيء الوحيد الذي يستطيعان فعله الآن هو الاندفاع دون تفكير في العواقب، وبعناد.

أمام درج المدخل الرئيس اضطرا لتخطي حقيبتين كبيرتين. تساءل مارتن عمّن يتأهب للسفر. كان هناك من الأمتعة أكثر ممّا هو ضروري لغابرييل من أجل رحلة عمل، وجعلته اللمسة الأنثوية للحقيبتين يراهن على ليني.

هذه المرة، لم يتمّ إدخالهما إلى الصالون وإنما إلى مطبخ في الطرف الأقصى من البيت، عبر رواق طويل. كان عبارة عن حجرة أحسّ فيها مارتن بالارتياح على الفور. بالتأكيد الصالون جميل، لكنه كان كذلك فاقداً للشخصية بما يكفي. كان جوٌّ من الطمأنينة يخيم على المطبخ كله، ببساطته الريفية على الضد من الأبهة الخانقة التي كانت تطبق على الضيعة بأكملها. في الصالون، أحس مارتن بنفسه

وكأنه شخص لا فائدة منه بينما هنا راودته الرغبة في أن يشمّر عن كُمّيه ويشرع في تحريك ما بداخل القدور الضخمة التي علا غليانها.

قبالة طاولة ريفية كبيرة، كانت ماريتا جالسة عالقة لصق الجدار. يخيل للمرء أنها تبحث عن السلوى في ظرفٍ مربع وغير مرتقب. على مسافة من هناك، سمع مارتن صراخ أطفال يلعبون ومن خلال النوافذ المطلة على الحديقة، شاهد طفلَيْ جاكوب وماريتا يركضان على المساحة المعشوشبة الواسعة.

تبادلا التحية جميعاً بإيماءة بسيطة من الرأس، ثم جلسا إلى المائدة مع ماريتا. وجد مارتن أن الجو المخيم غريب، لكنه لم يتوصل إلى إدراك ما يحصل. جلس غابرييل وليبيني على مبعدة الواحد من الأخرى قدر ما استطاعا ولاحظ أنهما كانا يحتاطان جداً من النظر إلى بعضهما. فكَّر في الحقيبتين أمام الباب. ثم أدرك أن ليبيني تكون قد فاتحت غابرييل في شأن مغامرتها مع جوهانس، والثمرة الناجمة عن ذلك. ليس من العجب أن يكون الجو متوتراً كلّ ذلك القدر. وبالتالي كان للحقيبتين ما يبرّرهما. الشيء الوحيد الذي يربط ليبيني بالضيعة هو قلقهما المشترك حيال جاكوب.

- لنستهلّ بالبداية، قال مارتن. مَن منكما كان آخر من رأى جاكوب؟

قامت ليبيني بحركة خفيفة من يدها.

- أنا.

- ومتى كان ذلك؟ استطرد مارتن.

- حوالي الثامنة مساء. بعد أن نقلته من عندكم. أومأت برأسها نحو رجلي الشرطة قبالتها.

- وإلى أين أخذتِهِ؟ قال مارتن.

- لقد أوصلته بالضبط إلى ممرّ دخول المزرعة. اقترحت عليه

بأن أصعد إلى غاية البيت، لكنه قال بأن لا حاجة إلى ذلك. إذْ من الصعب شيئاً ما القيام بنصف دورة وبما أنه ليس هناك سوى مائة متر تقريباً لم ألحّ عليه.

- وكيف كانت حاله؟ واصل مارتن.

حدّقت صوب غابرييل. الجميع كان يعلم عمّا يتكلمون، لكن لم يرغب أحد في ذكر ذلك صراحة. حدَّث مارتن نفسه بأن ماريتا لم تعرف بعد على الأرجح وضع جاكوب العائلي المتغيّر، لكن للأسف من المستحيل عليه أن يتصرف بتروٍّ في هذه اللحظة. يجب أن تكون بين أيديهم كل الحقائق الآن ولم يكن في وسعهم السماح لأنفسهم بالتلميحات.

- لقد كان. تعقبت ليني الكلمة الملائمة. لقد كان. تائهاً أقول وكأنه كان تحت تأثير الصدمة.

متحيرة، نظرت ماريتا إلى ليني، ثم إلى الشرطيين.

- عمَّ تتحدثون؟ لماذا قد يكون جاكوب تحت تأثير الصدمة؟ ماذا فعلتم به أمس؟ أخبرني غابرييل بأنه لم يعُد على قائمة المشتبه فيهم، إذن لماذا سوف يكون تحت تأثير صدمة ما؟

وحدها بعض الارتعاشات على وجه ليني تشهد على عاصفة المشاعر التي كانت تعتمل داخلها، ثم وضعت يدها بهدوء على يد ماريتا.

- علم جاكوب بخبر مزلزل أمس، يا عزيزتي. لقد اقترفتُ شيئاً منذ سنوات عديدة جداً، أحمله بداخلي منذ ذلك التاريخ. وبفضل الشرطة، علم جاكوب بالأمر أمس مساءً. ألقت بنظرة حاقدة نحو مارتن وغوسطا. لقد خطر ببالي دائماً إخباره بالأمر، لكن الأعوام مضت بسرعة وأعتقد أني كنت أنتظر أن تحين الفرصة المواتية.

- فرصة فعل ماذا؟ قالت ماريتا.

- فرصة أن أخبر جاكوب بأن جوهانس، وليس غابرييل، هو أبوه البيولوجي.

أتى غابرييل تكشيرة قبيحة واختلج، كأنه تلقى طعنة سكين في الصدر، لكن ملمحه المصدومِ تلاشى. بات ذهنه يتقبّل التحول ولم يكن من الصعب سماع الخبر كما هو الشأن في المرة الأولى.

- هذا لا يصدق! أوه يا إلهي، لا ريب أن ذلك حطَّمه. نظرت مارتا إلى ليني وغابرييل، والعينان مشرعتان. ثم انهارت.

حينما سمعت تعليقها، فزعت ليني وكأنها تلقت صفعة.

- ما وقع قد وقع، قالت، الآن المهم أكثر هو العثور على جاكوب، بعدئذٍ. بعدئذٍ، سوف يكون لدينا دائماً الوقت للاهتمام بما تبقى.

- ليني على حق، قال غابرييل. مهما أظهر تحليل عينة الدمِ، يظلّ جاكوب ابني في قلبي، وينبغي أن نعثر عليه.

- سوف نعثر عليه، قال غوسطا. ليس من المستغرب أن يرغب في الانفراد بنفسه لبعض الوقت للتفكير في كل ذلك.

كان مارتن يشعر بالامتنان تجاه غوسطا لأنه يعرف في أيّ لحظة أن يُظهرَ عطفه الأبوي المطمئِن. هنا، تدخل في الوقت المناسب ليبدِّد حيرتهم، ثم واصل مارتن أسئلته بهدوء:

- إذن لم يعد أبداً؟

- لا، قالت ماريتا. لقد اتصلت بي ليني بالضبط قبل أن ينصرفا من المفوضية، بحيث كنت على علم بأنهما في الطريق، لكن بعدئذٍ، حينما لم أشهد قدومه، قلت لنفسي أنّه على الأرجح رجع مع ليني للنوم هناك عندهم. صحيح، من عادته فعل ذلك، لكن من جهة أخرى لأننا مررنا جميعاً بمحنة في الآونة الأخيرة، هو والأسرة، فقد ظننتُ أنه كان في حاجة لرؤية أبويه.

وهي تتلفظ بهذه الكلمات، ألقت نظرة جانبية إلى غابرييل، لكنه لم يفعل سوى أن ردّ عليها بابتسامة شاحبة. سيتطلب الأمر من الجميع بعض الوقت قبل أن يتكيف مع هذا المعطى الجديد.

- كيف عرفت بما وقع لجوهان؟ سأل مارتن.

- لقد اتصلت سولفيغ هذا الصباح.

- كنت أعتقد أنكم. على خلاف؟ قال مارتن بحذر.

- أجل، نستطيع قول ذلك بهذا الشكل، لكن العائلة هي العائلة، أعتقد، وحينما يتطلب الأمر حقاً. ترك غابرييل الكلمات تتلاشى وحدها. ليندا برفقتهم في هذه اللحظة. جوهان وهي كانا قريبين من بعضهما أكثر ممّا كنا نظن، لقد علمنا بذلك للتو. وأفلت غابرييل ضحكة خفيفة غريبة، مُرَّة.

- لم يتم إخباركم بأي شيء آخر؟ سألت ليني.

أومأ غوسطا برأسه.

- لا، حسب آخر الأخبار، حالته مستقرة. لكن باتريك هيدشتروم في طريقه إلى أودفالا في هذه اللحظة، سوف نرى ما قد يخبرنا به بعد ذلك. إذا كان هناك من تغيير، في هذا الاتجاه أو ذاك، ستعلمون به بالسرعة نفسها التي يصلنا بها. أقصد أن ليندا ستحدّثكم على الفور.

- حسناً، أظن أننا حصلنا على كلّ ما نريد، قال مارتن وهو يهمّ بالنهوض.

- هل تعتقد أنّ مَن قتل الألمانية هو الذي سعى أيضاً إلى قتل جوهان؟ ارتعدت شفة ماريتا السفلى قليلاً سؤالها الحقيقي كان تلميحاً.

- ليس هناك أيّ سبب لاعتقاد ذلك، قال مارتن بلطف. أنا

متأكد بأننا لن نتأخر في معرفة ما وقع. أقصد أن جوهان وروبير يرتادان دوائر مشبوهة، والراجح أكثر أنه ينبغي البحث من هذه الناحية.

- وما الذي ستفعلونه الآن للبحث عن جاكوب؟ تابعت ماريتا بإصرار. هل ستقومون بتمشيط في المنطقة؟

- لا، هذا ليس أولوياً. بكل صدق، أظنّ أنه توارى في مكان ما للتفكير في. الوضع، وبأنه لن يتأخر في الظهور من جديد. وأفضل شيء قد تفعلونه هو ملازمة البيت، والاتصال بنا فور عودته. اتفقنا؟

لم ينبس أحد ببنت شفة واعتبرا ذلك على أنه موافقة. لم يكن في مقدورهما فعل شيء يُذكر حقيقة في تلك اللحظة، لكن كان على مارتن الإقرار بأنه أبعد من الإحساس بالثقة التي سعى إلى بثها في أسرة جاكوب. كانت تلك صدفة عجيبة أن يختفي جاكوب في المساء نفسه حيث إن ابن عمه، أخاه أو ما يجب وصف جوهان به، كان ضحية اعتداء وحشي!

لما عاد إلى السيارة، أخبر بذلك غوسطا الذي أومأ برأسه. هو بدروه كان يشعر في باطنه أن كل شيء لا يسير على ما يرام. صدفة شديدة الغرابة نادراً ما تحدث في الواقع وعلى الشرطي أن لا يثق فيها. الأمل الوحيد المتبقي هو أن تتوفر لدى باتريك أكثر من هذه المعلومات. مرة أخرى نظرة تحذير من طرف غوسطا.

- كنتُ أمسك به، قال لِيلْ بصوت مبحوح. كنت أمسك به من ذراعيه لمنعه من ردّ الضربات، كيف كان يسعني معرفة أن كينيدي سينحرف هكذا؟ يا للعهر، اللعنة، كيف كان لي أن أعرف ذلك؟ نقل نظره بين غوسطا وإرنست. ما الذي سيحدث الآن؟ لن أستطيع البقاء بالملجأ؟ هل سأعود إلى السجن؟

الصلب الشديد كان يوشك على الإجهاش بالبكاء. كان أشبه بطفل صغير خائف ولم يتكبد غوسطا أي مجهود كي يبدو أبوياً، بل كان ذلك عفوياً.

- سوف نهتم بذلك لاحقاً. سنجد مخرجاً لذلك. في هذه اللحظة، المهم هو أن نستطيع التحادث مع كينيدي. يمكنك إمّا أن تنتظر هنا ريثما ذهبنا لإحضاره، وإما أن تبقى في السيارة بينما نحن نتحدث معه. لك الاختيار.

صيف 2003

استيقظت بوجعٍ حادّ في الرأس وبإحساس لزجٍ في الفم. لم تكن جيني تدرك مكان وجودها. آخر شيء تتذكره هو أنها طلبت توصيلة وركبت سيارة، والآن هي هناك، قُذف بها بغتة في عالم مظلم وغريب. لم تكن تشعر بالخوف. كان يخيل إليها أن ذلك ليس سوى حلم وبأنها سوف تستيقظ في كل لحظة وتكتشف بأنها موجودة في السيارة العائلية المقطورة.

بعد وقت قليل، سلك اليقين طريقه، هذا كابوس لن تصحو منه. يدفعها الذعر، أخذت تجس كالأعمى في الظلمة، وعند الطرف الأقصى من الجدار الذي لمسته، أحسَّت بألواح خشبية تحت أصابعها. هناك سُلَّم. صعدته درجة بعد درجة، مستعينة بيديها. فجأة رطمت رأسها. وضع السقف حداً لصعودها بعد بضع خطوات وأصبح الإحساس بمخافة الأمكنة المغلقة حاداً. قدَّرت أن بإمكانها الوقوف منتصبة فقط، لم تكن الحجرة بذلك القدر من العلو، وبأنه ليس هناك أكثر من مترين بين الجدران. مذعورة، ضغطت على الألواح في أعلى السلم، وشعرت بأنها تتحرك قليلاً، لكن من المستبعد خلعها. تناهى إلى سمعها صليل معدني، وأدركت أن هناك على الأرجح قُفْل من الجهة الأخرى.

بعد محاولات معدودة إضافية لفتح المغواة، نزلتْ، وهي محبطة، ثم جلست على البلاط الطيني، متكومة على نفسها. تردَّد صدى خفق نعال فوقها فتحركت بغريزة أبعد ما استطاعت.

حينما اقترب الرجل تعرَّفت على وجهه في العتمة. لقد رأته حينما أركبها في السيارة وقد أرعبها ذلك. تستطيع تحديد هويته، تعرف نوع السيارة التي كان يقود وكانت تدرك أنه لن يطلق سراحها أبداً وهي حية.

شرعت تصرخ، لكنه وضع يده بلطف على فمها محاولاً تهدئتها. حينما اقتنع بأنها لن تصرخ، أزاح يده وأخذ يزيل ثيابها عنها. لمس ذراعيها وساقيها، بلذة ظاهرة، بحبّ تقريباً. سمعت تنفّسه يصير أثقل فأثقل وزمّت شفتيها كي تقطع الطريق على التفكير فيما سوف يحدث.

بعد ذلك، اعتذر. ثم حلَّ العذاب.

كانت حركة السير الصيفية قاتلة. ازداد تذمّر باتريك كلما تتالت الكيلومترات في العَدَّاد، وعند دخول موقف السيارات بمستشفى أودفالا، كان مضطراً للتنفس بعمقٍ حتى يهدأ. بصفة عامة، لم يكن ينفعل بتلك الصورة فقط لأن بعض المقطورات كانت تحتلّ الطريق كله أو لأن السائقين من المصطافين كانوا يستمتعون بالمناظر الطبيعية غير آبهين بالطابور الذي يتكون خلفهم، لكن الإحباط الناجم عن نتائج التحاليل أسهم بشكلٍ كبير في خفض مستوى التسامح عنده.

كان من الصعب عليه تصديق ما سمع بأذنيه. لم يكن هناك أي حمض نووي مطابق للعينة المأخوذة من على جسد تانيا. ومن شدّة ما كان مقتنعاً بأنّ النتائج ستخبرهم باسم القاتل، فإنه لم يستعدْ رشده حقاً بعد هذه المفاجأة. شخصٌ ما من أسرة جوهانس هولت قام بقتل تانيا، هذه حقيقة لا محيد عنها، لكنه لم يكن أيّ أحد من الذين يعرفهم.

متوتراً، ركَّب رقم المركز. لقد بدأت أنيكا متأخرة قليلاً عن المعتاد، وقد انتظر بنفاد صبر أن تصل.

- مرحباً، هذا باتريك. اعذريني على إرهاقك، لكن هل تستطيعين، بأسرع ما يمكن، محاولة العثور عمّا إذا كان هناك أفراد

آخرون من عائلة هولت في المنطقة؟ إني أفكر في أطفال غير شرعيين من صلب جوهانس هولت.

سمعها تكتب وعقف أصابعه درءاً لسوء الحظ. كلّ شيء يدلّ على أنّ ذلك كان ملاذه الأخير. وإلا، فإنّ كل ما تبقى له هو الجلوس والتفكير في المعضلة.

أقرّ بأنه يستحبّ النظرية التي خطرت بباله خلال الطريق إلى أودفالا أن يكون لجوهانس ابن في المنطقة لا يعرف عنه شيئاً. بالنظر إلى ما علموه من طريقة عيشه، فذلك لا يبدو مستحيلاً، بل إنه قابل للتصديق بالأحرى، بعد التمعّن. وذلك قد يكون أيضاً سبباً لمقتل جوهانس نفسه، فكّر باتريك دون أن يعرف حقاً كيف يجمع كلّ أطراف الخيط. الحسد حافزٌ جيد للقتل والطريقة التي تمَّ بها قتل جوهانس تتفق جداً مع هذه النظرية. جريمة قتل اندفاعية، دون سبق إصرار وترصد. سَورة غضب وحسد خرجت عن السيطرة.

لكن أيّ صلة بمقتل سيف ومونا؟ تلك كانت قطعة الأحجية التي لم ينجح بعد في وضعها، ربما المعلومات التي ستجدها أنيكا قد تساعدهم في السير على هذه الدرب.

صفق بوابة السيارة وتوجه نحو المدخل الرئيس. بعد أن بحث قليلاً، انتهى به المطاف إلى العثور على الخدمة المقصودة بفضل بعض أعوان المستشفى الودودين. الأشخاص الثلاثة الذين كان يبحث عنهم موجودين في قاعة الانتظار. مثل عصافير على خط الهاتف، كانوا يجلسون جنباً إلى جنب، صامتين والبصر متحيّر، لكنه رأى بريقاً شعّ في عيني سولفيغ حينما رأته. نهضت بمشقّة متمايلة لملاقاته. يظهر عليها أنها لم يغمض لها جفن بالليل، وتلك كانت حالها. لا ريب. كانت ملابسها غير مرتبة وتفوح منها رائحة عرق لاذعة. جدائل شعرها الدسمة كانت متشابكة على نحو غريب

وتشكّلت هالات سوداء أسفل حدقتيها وبدا روبير متعباً هو أيضاً، لكن ليس بمظهر سولفيغ الذابل. وحدها ليندا بدت بكامل لياقتها، كانت نظرتها صافية وهي أنيقة بما فيه الكفاية. كانت لا تزال لا تعرف بأن بيتها الأسري في طريقه إلى التفتت.

- هل أمسكتم به؟ جذبت سولفيغ شيئاً ما ذراع باتريك.

- يؤسفني ذلك، لكننا لا نعلم شيئاً بعد. ماذا قال الأطباء لكم؟

هز روبير رأسه.

- إنهم لا يزالون منهمكين في إجراء الجراحة له. لقد تحدثوا عن جلطة تضغط على الدماغ. حسب ما فهمتُ، إنهم يفتحون جمجمته كلها. أستغرب إن وجدوا فيها دماغاً

- روبير! صاحت سولفيغ مندهشة، لكن باتريك أدرك بأنه يحاول إخفاء قلقه عبر المرح. كانت تلك وسيلة ناجعة عموماً بالنسبة له هو أيضاً تهاوى باتريك على مقعد. عادت سولفيغ للجلوس.

- من الذي استطاع فعل ذلك بولدي الصغير؟ تأرجحت على كرسيها لقد شاهدت كيف كان حينما أخذوه، يخال المرء أنه شخص آخر. ليس هناك سوى الدم، في كل الأنحاء.

فزعت ليندا وكشّرت. لم ينفعل روبير. وهو ينظر من قرب إلى سرواله الجينز الأسود وإلى سترته، لاحظ باتريك أنهما لا يزالان ملطخان بدم جوهان.

- ألم تسمع شيئاً، لم تر شيئاً، مساء أمس؟

- لا، قال روبير وهو منزعج. لقد قلنا ذلك سابقاً لرجلي الشرطة، كم من مرة ينبغي تكرار ذلك؟

- أنا آسف بحق، لكني مضطر لطرح هذه الأسئلة. ألتمس منكما مرة أخرى التحلي بشيء من الصبر.

كان التأثر الظاهر في صوته حقيقياً. إنّ عمل الشرطي صعب، على الأخص في ظروفٍ مثل هذه، حيث ينبغي التدخل في حياة الناس الذين ينشغل بالهم بأشياء ذات أهمية مغايرة، لكنه تلقى عوناً غير متوقع من سولفيغ.

- تعاون معهم، يا روبير. يجب أن نقوم بكلّ ما في وسعنا من أجل مساعدتهم للوصول إلى من صنع ذلك بجوهان، ينبغي أن تدرك ذلك. استدارت صوب باتريك.

- لقد بدا لي أني سمعت شيئاً، قبل أن ينادي عليّ روبير بقليل. إلا أننا لم نرَ أحداً، لا قبل ولا بعد أن عثرنا عليه.

أومأ باتريك برأسه، ثم قال لليندا:

- ولم تشاهدي جاكوب أمس بالصدفة؟

- لا، قالت ليندا، مرتبكة. لقد نمتُ بالقصر الريفي. أتصور أنه كان في منزله بالمزرعة. لماذا؟

- الظاهر أنه لم يعُد مساء أمس، وعليه اعتقدتُ أنك رأيته ربما؟

- لا، لم أره، لكن تحقق من ذلك مع ماما وبابا.

- لقد فعلت. هما لم يرياه بدورهما. ألا تستحضرين أماكن أخرى استطاع الذهاب إليها؟

- لا، إلى أين؟ هذه المرة، بدأت الحيرة تظهر على ليندا. ثم وكأن فكرة هجمت عليها. هل من الممكن أنه ذهب للنوم في بولارين؟ صحيح أنه لم يفعل ذلك أبداً من قبل، لكن.

خبط باتريك فخذه بقبضة يده. ألا ندري إلى أي حدّ نحن مغفلون؟ لقد نسوا ضيعة الاستقبال في بولارين. اعتذر وانصرف للاتصال بمارتن كي يذهب قصد التحقق من الأمر فوراً.

لما عاد إلى قاعة الانتظار، رأى أن سيارة الإسعاف قد تبدلت.

أثناء حديثه مع مارتن، اتصلت ليندا بأبويها عبر هاتفها المحمول. الآن هاهي تنظر إليه بكلّ ما في المراهِقة من تحدٍّ.

- ما الذي يحدث فعلاً؟ قال لي بابا إن مارينا اتصلت بكم للإخبار عن اختفاء جاكوب وبأن رجلي الشرطة الآخرين جاءا وطرحا عليهما الكثير من الأسئلة. كان بابا قلقاً للغاية. كانت تقف أمام باتريك ويداها على وركيها.

- لا داعي للقلق في هذه اللحظة، كرّر عليها اللازمة نفسها التي أسمعها غوسطا ومارتن في القصر الريفي. من المرجح أن أخاك يريد فقط أن يترك لشأنه بعض الوقت، لكننا مضطرون لأخذ مثل هذه الأمور على محمل الجد.

نظرت إليه ليندا بحذر، لكن بدا أنها اكتفت بذلك. ثم قالت بصوت مهموس.

- لقد أخبرني بابا أيضاً عن جوهانس. متى تنوي إخبارهم بذلك؟

أومأت برأسها في اتجاه روبير وسولفيغ. لم يستطِع باتريك كبح النظر بافتتان إلى المنحنى الذي ترسمه خصلات شعرها الأشقر الطويل في الهواء. ثم تذكر سنّه وعاتب نفسه: بعد كل شيء، هو على وشك أن يصير رب أسرة.

ردّ هو الآخر بصوت مهموس:

- سننتظر بعض الشيء. المناسبة غير مواتية الآن، بالنظر إلى حال جوهان.

- ها هنا، أنت على خطأ، قالت ليندا بهدوء، بل بالضبط الآن هم في حاجة إلى أخبار سارة. صدقني، إني أعرف بما يكفي جوهان، خبر كون جوهانس لم ينتحر سوف يُعتبر خبراً ساراً في هذه الأسرة. وعليه، إذا لم تصرّح بالأمر الآن، فأنا من سيفعل ذلك.

يا لها من صبية متمردة قذرة! إلا أن باتريك كان مستعداً للإقرار بأنها على صواب. ربما أفرط في الانتظار بغية إخبارهم. من حقهم أن يعلموا بالأمر.

أشار علامة على الموافقة ونحنح جرعة من حلقه وهو يجلس.

- سولفيغ، روبير، أعرف أنكما لم توافقا على نبش جثة جوهانس.

اندفع روبير مثل صاروخ.

- سحقاً إذن، أنت أخرق تماماً! لن تعود إلى هذا مرة أخرى! ألا تعتقد أنّ لدينا ما يكفي من الهموم هكذا؟

اجلس يا روبير، زمجرت ليندا. إني أعلم ما سيقوله لكما، وصدقني، سوف يعجبكما ما ستسمعانه.

مذهول لتلقيه أوامر من ابنة عمه الهزيلة، جلس روبير وصمت. واصل باتريك، تحت أنظار سولفيغ وروبير المتوجسة.

- لقد سمحنا لطبيب شرعي بفحص. أوه. الجثة. وقد وجد شيئاً مثيراً للاهتمام.

- مثير للاهتمام؟ خَنَّتْ سولفيغ. إنّ لك معجماً خاصاً.

- أجل، طيب. ألتمس منكما العذر، لكن ليس هناك طريقة سليمة لقول ما سأصرح به. جوهانس لم ينتحر. لقد تم قتله.

أحسَّت سولفيغ باختناق في التنفس. ظلّ روبير وكأن صاعقة أصابته، غير قادر على الحركة.

- ماذا؟ ماذا تقول؟ أمسكت سولفيغ يدَ روبير الذي تركها تفعل.

- أقول بالضبط هذا. جوهانس تمّ قتله، ولم يضع حداً لحياته. من جديد عادت الدموع تنهمر من عيني سولفيغ، المحمرّتين

مسبقاً من البكاء. ثم أخذ جسدها الضخم يرتعد وألقت ليندا نظرة مظفرة نحو باتريك. كانت تلك دموع الفرح.

- كنت أعرف ذلك، قالت. أعرف أنه ما كان ليقترف فعلاً مماثلاً والناس الذين زعموا أنه انتحر لأنه قتل تلك الفتيات، سوف يندمون على ذلك الآن. من المؤكّد أنّ مَن قتل الفتيات هو مَن قتل جوهانس أيضاً. عليهم أن يركعوا أمامنا لطلب المغفرة منّا. كل تلك السنوات التي أمضينا.

- ماما، كفي عن هذا، قال روبير متذمراً. بدا عليه أنه لم يفهم بحقّ ما قاله باتريك. لا ريب أنّ الأمر يتطلب بعض الوقت كي يسلك طريقه.

- ماذا ستفعلون الآن للقبض على قاتله؟ قالت سولفيغ بنفاد صبر.

تردَّد باتريك.

- طيب، لن يكون الأمر بهذه السهولة. لقد مضى الكثير من السنوات وليس هناك أدنى وسيلة إثباتٍ لنهتدي بها، لكن بالطبع سوف نعمل ما في وسعنا. هذا كلّ ما أستطيع التعهّد به.

- أجل، هذا ما كنت أفكّر فيه، خَنَّتْ سولفيغ. ما عليكم للقبض على القاتل سوى تسخير القدر نفسه من الوقت الذي استغرقتم للقبض على جوهانس في تلك الفترة، هكذا لن يكون ثمة أي مشكل. وأطالب بالمزيد من الاعتذار الآن من طرفكم!

هدّدت باتريك بإصبعها وأدرك أنه من الأحسن دون شكّ الانصراف قبل أن ينقلب الوضع. تبادل نظرة مع ليندا وأشارت إليه خلسة بالانصراف. توجّه إليها بتوصية أخيرة:

- ليندا، إن حصلتِ على أخبار تخصّ جاكوب، عديني بأنكِ

سوف تتصلين على الفور، لكن أظن أنك على صواب. لعلّه موجود في بولارين.

أومأت برأسها، لكن الحيرة ظلت مستقرة في عينيها

بالكاد ولجا موقف ركن السيارات بالمفوضية حينما اتصل بهما باتريك. واصل مارتن الطريق على الفور، في اتجاه بولارين. أخذ مؤشر الحرارة يرتفع مجدداً بعد صبيحة من الطراوة السخية، فرفع المكيّف درجة. جذب غوسطا ياقة قميصه ذي الأكمام القصيرة.

- لو توقفت هذه الحرارة الحقيرة!

- هه، حينما تكون بالغولف، أعتقد أنك لا تُكثر من الشكوى، ضحك مارتن.

- آه، لكن الأمر مختلف تماماً-، قال غوسطا دون أن يضحك. الغولف والدين أمران لا يقبلان المداعبة في عالمه. خلال ثانية وجيزة، تحسّر غوسطا على عمله المشترك مع إرنست. صحيح أن العمل مع مارتن مثمر أكثر، لكنه أقرّ بأنه يحبّ جو العمل البارد في ثنائي مع لوندغرين، أكثر ممّا كان يعتقد. إرنست له مساوئه، لكنه لا يتأفف أبداً إن أفلت ساعة أو ساعتين لضرب بعض الكرات في ملعب الغولف.

بعد ذلك بلحظة، تراءت له صورة جيني مولر فشعر بوخز ضميرٍ حاد. في لحظة وجيزة من التبصر أدرك أنه أصبح عجوزاً سخيفاً أذاقته الحياة المِرار، يشبه إلى حدٍّ مرعب أباه في آخر أيامه، وإذا استمر هكذا، سيجد نفسه على حاله، وحيداً في دار للعجزة يهذِر عن إساءات وهمية، لكن دون أطفال قد يشعرون بأنهم مجبرون على رؤيته بين حين وآخر.

- ما رأيك، هل هو هنا أم لا؟ قال ليقطع بسرعة مع خواطره السيئة.

فكَّر مارتن ثم قال:

- لا، في كلّ الأحوال، أشك جداً، لكن ذلك أمر يستحق أن نتأكد منه.

وصلا إلى الساحة وأدهشهما من جديد المشهد الرعوي الذي كان يمتدّ أمامهما. بدت الضيعة تسبح إلى الأبد في فيض من نور الشمس العذب الذي يعمق بلطف الفارق بين أحمر البنايات وأزرق البحيرة في الخلف. ومثل المرة السابقة، كان هناك فتيان يشتغلون في كلّ مكان، مستغرقون تماماً في مهامهم. وكانت الكلمات التي خطرت ببال مارتن هي جريء، سليم، صحي، نظيف، وطني، والتوليف بين هذه الكلمات كان يجعله يشعر بقشعريرة خفيفة. علمته التجربة أن أمراً إذا بدا حسناً بإفراط فذلك لأنه كان على الأرجح كذلك.

- إن هذا يشبه قليلاً الشبيبة الهتليرية، ألا تعتقد ذلك؟ قال غوسطا وكأنه صاغ في كلماتٍ إحساسَ مارتن بالضيق.

- لا شك في ذلك، لكنك ربما تبالغ بعض الشيء. لا تطلق هذا النوع من التعليقات جزافاً، قال مارتن بحدة.

وبدا أن غوسطا تأذى من ذلك.

- المعذرة، قال بنبرة غاضبة. لم أكن أعرف أنك تنتمي لشرطة الكلام. ثم إنهم لن يقبلوا أشخاصاً مثل كينيدي هذا هنا لو كان معسكراً نازياً.

- فضل مارتن تجاهل التعليق وتوجّه نحو باب الدخول. فتحت له إحدى المنشطات الباب.

- نعم، ما سبب حضوركما؟

الظاهر أن عدائية جاكوب إزاء الشرطة قد عمَّت المكان.

- نبحث عن جاكوب. كان غوسطا لا يزال عابساً ومارتن هو من أخذ المبادرة.

- إنه غير موجود هنا. جربا في بيته.

- هل أنت متأكد من أنه ليس هنا؟ نود إلقاء نظرة.

بتحفظ، انزاحت المرأة مفسحة المجال كي يدخل رجلا الشرطة.

- كينيدي، لقد عادت الشرطة. إنهما يريدان رؤية مكتب جاكوب.

- إننا نعرف الطريق إليه، قال مارتن.

تجاهلته المرأة. بخطى سريعة، جاء كينيدي، وتساءل مارتن ما إذا كان يضطلع بوظيفة دليل الضيعة بصفة دائمة. أو أنه بكلّ بساطة يحب أن يدل الناس على الطريق.

ودون أن يقول شيئاً، تقدم مارتن وغوسطا في الرواق إلى غاية المكتب. شكراه بأدب وفتحا الباب، وكلهما أمل. لا أثر لجاكوب. دخلا وبحثا عن إشارة تدلّ على أن جاكوب أمضى ليلته هناك، غطاء على الأريكة، ساعة منبه، لا شيء ذي بال، لكن لم يكن هناك شيء، ثم خرجا، وهما محبطان. كان كينيدي في انتظارهما، بهدوء. رفع يده لإبعاد خصلات شعر منسدلة على عينيه. التقط مارتن نظرة غضبى لا يمكن سبر غورها.

- لا شيء، ولا ذرة، قال مارتن في السيارة حينما كانا عائدان إلى تانمشيد.

- لا، قال غوسطا، باقتضاب مفرط.

رفع مارتن عينيه نحو السماء. الظاهر أن غوسطا ما زال عابساً. طيب، تلك مشكلة غوسطا وليست مشكلته.

إلا أنّ خواطر غوسطا كانت تسبح في مكان آخر تماماً. لقد شاهد شيئاً ما أثناء زيارتهما للضيعة، لكن ذلك يستعصي عليه بلا توقف. حاول أن لا يفكر في الأمر حتى يُعمل لاشعوره بحرية، لكن الأمر مستحيل شأن من يستحيل عليه تجاهل حبة رمل في جفنه. لقد رأى شيئاً وكان من المفروض أن يشرع ذلك أمامه مسلكاً ما

- ما النتيجة يا أنيكا؟ هل وجدتِ شيئاً؟

هزت رأسها. مظهر باتريك البدني يقلقها. إفراط في قلة النوم، إفراط في قلة الأكل المطبوخ، والأرق المفرط، كلها أخذت من اسمراره ولم تخلف سوى ملامح شاحبة. كان جسده يبدو وكأنه يوشك على الانهيار تحت حمل ضخم ولا داعي لأن يكون المرء عبقرياً لإدراك سرّ هذا الحِمل. كانت تود لو استطاعت أن تخبره بتمييز مشاعره الخاصة عن المهنية، لكنها تخلت عن الفكرة. هي بدورها كانت تشعر بالضغط، وآخر شيء كانت تراه في الليل قبل أن تغمض عينيها هي الملامح اليائسة لأبوي جيني مولر، حينما جاءا للتبليغ عن اختفاء ابنتهما

- كيف حالك؟ اكتفت بالقول وهي ترمق باتريك من خلف طرف نظارتيها.

- كيف تريدين أن تسير الأحوال في ظروف مماثلة؟ مرر يداه بنفاد صبر على شعره وغيَّر تسريحته مثلما في كاريكاتير البروفسور فولْدينْغ.

- أتصور أنك مثل البَعْر، قالت أنيكا بصراحة. لم تكن أبداً ماهرة في تغليف الكلمات. حينما يتصف شيء بالبعر، فإنه يُشتمّ منه رائحة البعر حتى لو أغرق بالعطر، هو ذا شعارها

- أجل، شيء من هذا القبيل. ابتسم باتريك، لكن لا داعي للخوض في ذلك. ألم تجدي شيئاً في السجلات؟

- لا، أنا متأسفة، سجل الحالة المدنية لا يذكر أبناء آخرين من صلب جوهانس هولت، وليس هناك طيف من الأماكن التي تستوجب البحث.

- هل من الممكن أن يكون لديه أبناء رغم ذلك، الذين لم يتم التصريح بهم؟

نظرت إليه أنيكا وكأنه مختل عقلياً بعض الشيء وخنخنت.

- أجل، لحسن الحظ ليس هناك قانون يجبر الأم على كشف هوية أب ولدها، وعليه، بالطبع يمكن أن يوجد أبناء من صلبه في خانة «أب مجهول».

- اسمحي لي باستكشاف ذلك، هناك عدد منهم.

- ليس بالضرورة. كل شيء رهين بالمدى الذي تود توسيع البحث إليه جغرافياً. عليك أن تدرك فحسب أن الناس في هذه المنطقة كانوا دائماً محترمين جداً وتذكَّر أننا لا نتحدث عن الأربعينيات. لعل جوهانس كان في قمة لياقته في الستينيات والسبعينيات، في تلك الفترة لم ينظر إلى أن يكون للمرأة ولد خارج الزواج على أنه جلب للعيب والعار بكل هذا القدر، بل اعتُبِر ذلك في فترات من الستينيات على أنه امتياز.

ضحك باتريك.

- لئن كنت تلمحين إلى جيل وُودْ سْتُوك، أعتقد أن الـ flower power وحرية الحب لم يصلا أبداً إلى فيالباكا.

- لا تجعل يقينك في ذلك إلى هذا الحدّ، إذ في المياه الأكثر هدوءاً إلخ، أنت تعرف، قالت أنيكا، وهي سعيدة لأنها نجحت في التخفيف قليلاً من الجو المشحون. في الأيام الأخيرة، يعتقد

المرء أنه موجود في شركة لنقل الأموات وليس في مركز للشرطة، لكن باتريك استعاد جديته بسرعة.

- نظرياً، تستطيعين إذن وضع قائمة للأبناء في. محافظة تانُومْ مثلاً، الذين هُم من أب مجهول؟

- أجل، أستطيع، ليس فقط نظرياً، بل وعملياً أيضاً، لكن ذلك سوف يستغرق بعض الوقت، حذرته أنيكا.

- افعلي ذلك بأسرع ما يمكن.

- وكيف ستتصرف حتى تعثر في هذه القائمة على مَن قد يكون جوهانس أباً لهم؟

سوف أبدأ بوضع السؤال بالهاتف. وإذا لم ينفع ذلك، عندها سأرى.

انفتح باب الاستقبال ودخل مارتن وغوسطا. توجه باتريك بالشكر إلى أنيكا على مساعدتها له وانصرف لاستقبالهما. توقف مارتن، بينما ولج غوسطا مباشرة إلى مكتبه، ولم تبارح عيناه الأرض.

- لا تسألني، قال باتريك وهو يهز رأسه.

قطب باتريك جبينه. إنه في غنى الآن عن نشوب نزاعات بين الموظفين. تكفي الأخطاء التي اقترفها إرنست. وكأنّ مارتن اطّلع على ما يجول في خاطره.

- لا تقلق، ليس في الأمر أية خطورة.

- مفهوم. نتناول قهوة ونحن نقوم بالجرد؟

أومأ مارتن برأسه، وانصرفا إلى المطبخ وصبَّ كلّ واحد لنفسه فنجاناً وجلسا إلى طرفي المائدة.

- هل وجدتما أثراً لجاكوب في بولارين؟ سأله باتريك.

- لا، لا شيء. الظاهر أنه لم يذهب إلى هناك. وأنت، على ماذا حصلت؟

بسرعة، تحدث باتريك عن زيارته للمستشفى.

- لكن هل يمكنك شرح لماذا لم يمنحنا التحليل أي شيء؟ نحن نعلم أنّ مَنْ نبحث عنه ينتمي إلى عائلة جوهانس، لكنه ليس جاكوب، ولا غابرييل، ولا جوهان ولا روبير. وبالنظر إلى نوع العينة المتوافرة لدينا. فإن النساء مستبعدات قطعاً. هل لديك فكرة؟

- أجل، لقد سألت أنيكا أن تحاول البحث عن معلومات تخصّ ابناً غير شرعي، محتمل من صلب جوهانس هولت في المنطقة.

- يبدو ذلك معقولاً مع شخص مثله، الأحرى أن ما لا يمكن تصديقه هو أن لا يكون لديه لقيط هنا ولقيط هناك.

- والفرضية القائلة بأن المعتدي على جوهان قد تهجّم الآن على جاكوب، ما رأيك فيها؟ سأله باتريك وهو يرتشف بلطف القهوة الساخنة.

- سوف تكون بلا شك مصادفة مثيرة. ما رأيك أنت؟

- مثل رأيك. ستكون مصادفة عجيبة إذا لم يتعلّق الأمر بالشخص عينه. يخيّل إليّ أن الرجل اختفى تماماً من على وجه الأرض، هو أيضاً. لم يشاهد أحد منذ مساء الأمس. عليّ الإقرار بأني حائر.

- أنت، كان لديك دوماً إحساس بأن جاكوب يخفي أمراً ما. هل لهذا السبب حدث له مكروه؟ قال مارتن متردداً. هل أخذ أحد خبراً بأنه جاء إلى المفوضية وأعتقد بأنه حكى أشياء لا يريد هذا الشخص أن يتم الكشف عنها؟

- ربما، قال باتريك، لكن هذا هو المشكل. كل شيء ممكن

في هذه اللحظة وليس لدينا سوى تخمينات. استعمل أصابعه للعد. لدينا سيف ومونا اللتان قتلتا عام 1979. جوهانس قتل عام 1979. تانيا قتلت الآن، بعد أربع وعشرين سنة من ذلك. جيني مولر التي تعرّضت للاختطاف، على الأرجح وهي تطلب توصيلة. جوهان الذي كان ضحية اعتداءات شنيعة مساء أمس، وربما تمّ قتله، حسب المَخرج، وجاكوب الذي اختفى ولم يبقَ له أثر. في كلّ مرة، تبدو عائلة هولت هي القاسم المشترك، ورغم ذلك لدينا أدلة على أن لا أحد منها مذنب بوفاة تانيا وكل شيء يدلّ على أنّ مَن قتل تانيا قد قتل سيف ومونا. باعد باتريك بين يديه بحركة تدلّ عن العجز. إنها ورطة لا تصدق. ونحن غارقون فيها حتى النخاع، ولن نعثر على دبرنا ولو بمصابيح الجيب!

- أنت، لقد أفرطت في قراءة هذه الدعاية المضادة للشرطة، قال مارتن مبتسماً.

- طيب، وعليه ماذا نصنع الآن؟ قال باتريك. تنقصني الأفكار. قريباً سينفرط الوقت بالنسبة إلى جيني مولر، ما لم يكن قد تمّ ذلك منذ أيام.

بغتة، غيَّر موضوع الحديث للخروج من ورطته.

- وتلك الشابة، تمّ الأمر، هل دعوتها؟

- أية شابة؟ قال مارتن الذي حاول أن يُعَبِّر بحياد.

- هيَّا، هيَّا، إنك تعرف من أقصد؟

- إن كنت تتحدث عن بِيَا، فأنت على خطأ لقد ساعدتنا فحسب قليلاً في الترجمة الفورية.

- لقد ساعدتنا فحسب قليلاً في الترجمة الفورية، قلده باتريك بصوت نشاز مصطنع وهو يحرك رأسه يميناً وشمالاً هيَّا، غادر كرسي الاحتياط وعد إلى المباراة. لمجرد سماع صوتك حينما

تتحدث عنها، فمن البديهي أنك تفكر فيها، لكنها ربما ليست تماماً من النوع الذي يروق لك. أقصد، بعد كل شيء، إنها غير مرتبطة بشخص آخر. ابتسم باتريك للتخفيف من مضايقته له.

تأهب مارتن لردٍّ لاذع حينما رنّ جرس الهاتف. أجاب باتريك.

حاول مارتن سماع من يكون. يتعلق الأمر بتحاليل الدم/ على الأرجح شخص من المختبر. لم تسعفه تعليقات باتريك كثيراً.

- كيف ذلك، غريب؟ آه نعم؟ طيب، اللعنة، غير معقول؟ لكن كيف يمكن له. مفهوم. أجل.

كان على مارتن أن يكبح رغبته في التدخل. ملامح باتريك تظهر أن شيئاً مهماً يقع، لكنه كان يعاند في الردّ فقط بكلمات من مقطع واحد.

- حسب فهمي، لقد حدَّدتم إذن بالضبط علاقات القرابة بينهم.

أومأ باتريك برأسه نحو مارتن كي يظهر له بأنه يحاول منحه بعض المعلومات عن محتوى المكالمة.

- لكن ما زلت لا أرى كيف يمكن ذلك أن يناسب. ؟ لا، ذلك مستحيل تماماً. إنه ميت. لا بد أن هناك تفسير آخر. لا، اللعنة إذن، أنت هو الخبير. انصت لما أقول وفكّر في الأمر. لعل هناك تفسير آخر.

بدا أنه ينتظر أن يفكّر الشخص على الطرف الآخر من الخط. همس له باتريك:

- ماذا يحدث هناك؟ رفع باتريك أصبعاً قبالة فمه. الظاهر أنه يتلقى شكلاً من أشكال الردّ.

- لا يبدو أن الأمر مبالغ فيه قطعاً، بل إنه ممكن تماماً.

أشرق وجهه. وأمكن لمارتن رؤية الانفراج ينتشر مثل موجة في سائر بدن باتريك بينما كان هو يحفر أخاديد في المائدة بأظافره.

- شكراً! الشكر الجزيل!

أغلق باتريك هاتفه واستدار نحو مارتن، والوجه لا يزال مشرقاً.

- إني أعرف من يحبس جيني مولر! ولن تصدِّق مسامعك!

انتهت العملية الجراحية. تمّ نقل جوهان إلى غرفة الإنعاش، تغطيه الأنابيب وغارق في عالمه المظلم الخاص. كان روبير يجلس على حافة السرير ويمسك يده. تركتهما سولفيغ على مضض، كي تذهب للمرحاض، وكان ينعم بأخيه لوحده للحظة، بما أنه لم يسمح لليندا بذلك. لم يرغبوا في وجود الكثير من الناس حول سريره.

الأنبوب السميك الذي يلجُ فم جوهان كان يتصل بجهاز يصدر عنه ما يشبه الصفير. وقد أجبر روبير نفسه على القيام بمجهود حتى لا يتخذ إيقاع جهاز التنفس. كأنه كان يريد مساعدة جوهان في التنفس، فعل أي شيء للتخلص من الإحساس بالعجز الذي يهدد باكتساحه.

داعب بإبهامه كف جوهان. وعنَّت له فكرة استشراف خطّ حياته، لكنه لم يدرك جيداً أي منها كانت. كان لجوهان خطان طويلان وواحد قصير، وتمنى روبير أن يكون خط القلب هو الأقصر.

كانت فكرة وجود عالم ليس فيه جوهان فكرة مدوخة. كان يعرف أن أغلب الوقت هو مَن كان يبدو الأقوى، الزعيم، لكن الحقيقة أنه بدون جوهان لم يكن سوى صبي حقير. كان لدى جوهان عطف هو في حاجة إليه كي يظل إنساناً. هجره قدر كبير من

العطف حينما وجد أباه ميتاً، ودون جوهان، سوف تسيطر عليه الخشونة.

واستمر في إطلاق الكثير من الوعود هناك عند مرقد أخيه. تعهد بأنّ كل شيء سوف يتغير لو أن جوهان استطاع فقط البقاء معه. وتعهد بأنه لن يعود للسرقة أبداً، بأن يجد عملاً، ويحاول استثمار حياته في صنع أمور جيدة، أجل، تعهد بأن يحلق شعر رأسه.

أطلق هذا الوعد الأخير بشيء من الرهبة، لكن من فرط دهشته، بدت بأنها تخلق الفارق. رعشة خفيفة مثل ريشة في يد جوهان. حركة خفيفة من السبابة كما لو أنه يريد الردّ على مداعبة روبير. ليس أكثر، وهذا ما كان ينقصه. انتظر بنفاد صبر عودة سولفيغ. كان على عجل ليخبرها بأنّ جوهان سوف يتخطى هذه المحنة.

- مارتن، هناك شخص على الهاتف يقول بأنّ لديه معلومات حول الاعتداء على جوهان هولت. تجاوزت الباب برأسها واستدار مارتن.

- يا له من ماخور، ليس لدي وقت الآن.

- هل ألتمس منه الاتصال لاحقاً؟ قالت أنيكا مستغربة.

- لا، اللعنة، لا، سوف آخذ المكالمة. وهرع مارتن إلى مكتب أنيكا وانتزع السماعة من يدها. بعد أن أنصت باهتمام للحظة ووضع بعض الأسئلة، أغلق وخرج راكضاً.

- أنيكا، علينا أن نذهب الآن، باتريك وأنا. اعثري على غوسطا واطلبي منه أن يتصل بي على هاتفي المحمول فوراً. وإرنست، أين هو؟

- لقد ذهب غوسطا وإرنست للغذاء معاً، لكني سأتصل بهما على الهاتف المحمول.

- جيد. انصرف مارتن راكضاً، ووصل باتريك فقط عقب ذلك بثوانٍ معدودة.

- هل تمكنت من الاتصال بأودفالا يا أنيكا؟

رفعت إبهامها إلى الأعلى.

- كل شيء على ما يرام، إنهم في الطريق إلينا.

- ممتاز! استدار للانصراف ثم تدارك نفسه. وبالمناسبة، لا داعي لقائمة من ليس لديهم آباء.

ثم رأته يختفي هو أيضاً بخطى سريعة في الرواق. لقد ازدادت الطاقة بالمفوضية إلى حد يمكن الإحساس بها مادياً قدم لها باتريك ملخصاً موجزاً عمّا وقع وأحسَّت بوخز في يديها وساقيها من شدة الإثارة. التوفر على ثغرة أخيراً كان بمثابة خلاص والآن لكل دقيقة قيمتها. لوَّحت بيدها في اتجاه باتريك ومارتن اللذين مرا أمام النافذة الزجاجية في الرواق واختفيا في الخارج.

- حظاً موفقاً، صاحت، بدون أن تتأكد من أنهما سمعاها وعجلت بتركيب رقم غوسطا

- أي نعم، غوسطا، إنها كارثة. ها نحن، أنت وأنا، بينما الذئاب الصغيرة تحكمنا.

استهل غوسطا حديثه المفضل وأقرّ غوسطا مع نفسه أنّ الاستماع إليها أصبح متعباً ومع أنه تذمر مسبقاً من مارتن، فذلك على الأخص لإحساس بالمرارة من أن ينتقده شخص لا يبلغ نصف سنين عمره. وبالنظر عن بعد، أدرك أن الأمر لم يكن بكلّ ذلك القدر من السوء.

كانا قد استقلا السيارة للذهاب إلى الغذاء بـ **التلغراف في** غريبستاد. لم يكن هناك وفرة كبيرة من المطاعم في تانمشيد، إذ تُعدّ

على الأصابع، كما أن غريبستاد على بعد عشر دقائق فحسب.

فجأة، أخذ هاتف غوسطا الذي وضعه على المائدة، يرن، إنه مقسِّم المفوضية.

- اللعنة، لا تردّ، دعه يرن. إنّ لك الحق في الأكل بسلام لبعض الوقت. مدَّ إرنست يده لقطع اتصال محمول غوسطا، لكن نظرة من زميله أوقفت حركته بالمرة.

كان المطعم مزدحماً وصوَّب بعض الرواد عيوناً متذمرة على من تجرأ على المكالمة في مكان عام. رد غوسطا على تلك النظرات وأجاب بصوت أعلى من اللازم. حينما أنهى مكالمته، وضع ورقة نقدية على المائدة وقال لإرنست:

- هيَّا للعمل.

- ألا يمكن إرجاء ذلك؟ إنني لم أتناول قهوتي بعد، قال إرنست.

- تناولها في المركز لاحقاً. سوف ننصرف للقبض على أحدهم.

للمرة الثانية في هذا اليوم، ينتقل غوسطا إلى بولارين، وهذه المرة، هو مَن يقود السيارة بنفسه. أخبر إرنست بما قالته أنيكا، وحينما وصلا بعد نصف ساعة من ذلك، كان فتى مراهقاً في انتظارهما فعلاً على حافة الطريق، على مسافة من الضيعة.

أوقفا السيارة وترجلا

- هل أنت هو لِيلْ؟

هزّ الشخص رأسه. كان طويلاً وقوياً، له قفا ثور وقبضتان ضخمتان. وكأنه منذور للعمل كحارس ملهى ليلي، فكّر غوسطا، أو يد مأجورة، مثلما في هذه الحال. يد يمنى مأجورة لها ضمير، رغم ذلك، حسب ما يبدو.

- لقد اتصلت بنا، وعليه نحن ننصت إليك، تابع غوسطا.

- أجل، من الأفضل لك أن تعترف فوراً، قال إرنست بنبرة عدائية ونبهه غوسطا بنظرة صارمة. ليست هذه المهمة في حاجة إلى استعراض الفحولة من طرفه.

- أجل، مثلما قلت للمرأة في المركز، كينيدي وأنا، ارتكبنا حماقة أمس.

حماقة، فكر غوسطا. طيب، أكيد أن الفتى لا يشتهر بتواضعه.

- هكذا؟

- لقد ضربناه قليلاً، ذاك الفتى، الذي ينتمي لعائلة جاكوب.

- جوهان هولت؟

- أجل، أعتقد أنه يسمى كذلك. جوهان. صار الصوت حاداً. أقسم على ذلك، لم أكن أعرف أن كينيدي سوف يؤذيه بذلك الشكل. لقد قال إنه سيتحدث معه فحسب، وتخويفه بعض الشيء. وليس المدفعية الثقيلة.

- لكنه تصرف بخلاف ذلك إذن. حاول غوسطا أن يبدو أبوياً. دون نجاح مفرط.

- أجل، لقد جنَّ جنونه. لم يكفّ عن كيل أطنان من المديح حول جاكوب، بأنه رائع، وكل تلك الترهات وبأن جوهان خرَّب له شيئاً ما، لم يكفّ عن قول الأكاذيب، وكينيدي أراد منه أن يعترف، وحينما قال جوهان لا، حينها، فقد كينيدي صوابه وأخذ يضربه بشدة.

هنا كان مجبراً على التوقف بغية استعادة تنفسه.

ظنّ غوسطا أنه تابع ذلك عن قرب، لكنه لم يكن متأكداً تماماً. إنها لمصيبة تلك، أن لا يحسن الصغار الحديث هذه الأيام!

- وأنت، ماذا كنت تفعل في تلك الأثناء؟ كنت تزيل الأعشاب

الطفيلية في الحديقة؟ قال إرنست متهكماً. ثم نظرة تحذير أخرى من طرف غوسطا.

- كنت أمسك به، قال لِيلْ بصوت مبحوح. كنت أمسك به من ذراعيه لمنعه من ردّ الضربات. كيف كان بوسعي معرفة أن كينيدي سوف ينحرف هكذا؟ يا للعهر، اللعنة، كيف كان بوسعي معرفة ذلك؟ ونقل ناظريه بين غوسطا وإرنست. ما الذي سيحدث الآن؟ لن أستطيع البقاء في الملجأ؟ سأعود إلى السجن؟

الفتى الصلب الشديد كان يوشك أن يجهش باكياً. كان أشبه بطفل صغير خائف، ولم يتكبّد غوسطا عناء حتى يبدو أبوياً، إذ تمّ ذلك عفوياً.

- سنهتم بذلك لاحقاً. ونجد له مخرجاً. أمّا اللحظة، المهم هو أن نتمكن من الحديث إلى كينيدي. تستطيع إما الانتظار هنا ريثما نذهب لإحضاره، أو تبقى في السيارة بينما نتحدث إليه. لك الاختيار.

- سوف ألازم السيارة، قال ليل بصوت خفيّ. على أيّ حال، سيعلم الآخرون أني من بلَّغ عنه.

- جيد، هيَّا بنا إذن.

وقطعوا المائة متر الأخيرة بالسيارة إلى غاية الضيعة. المرأة عينها التي فتحت الباب لغوسطا ومارتن في الصباح فتحته من جديد. ازداد تذمّرها بضع درجات.

- وماذا تريدان مرة أخرى؟ قريباً سنضطر لوضع بوابة للشرطة. اللعنة، لم يبقَ شيء لم نره! بعد العلاقات الطيبة التي نسجناها مع السلطات طوال سنوات، إذن.

رفع غوسطا يده مقاطعاً إياها. وغدت ملامحه قاسية على نحوٍ رهيب ليقول:

- لا وقت لدينا الآن للجدال. نريد التحدث إلى كينيدي. فوراً.

تفاعلت المرأة مع النبرة الجدية ونادت في الحين على كينيدي. وعندما عادت للكلام، كان صوتها أكثر وداعة.

- ماذا تريدون من كينيدي؟ هل فعل شيئاً؟

- ستحصلين على التفاصيل في الوقت المناسب، قال إرنست بفظاظة. في هذه اللحظة، تتجلى مهمتنا الوحيدة في أخذ الفتى إلى المركز للحديث معه. لدينا أيضاً الضخم، لِيلْ.

خرج كينيدي من الظلّ. بسروال داكن اللون، وقميص أبيض، وشعر مسرَّح جيداً كان يشبه نزيلاً بإقامة إنجليزية داخلية، وليس شريراً سابقاً في ملجأ لإعادة التأهيل. الشيء الوحيد الذي كان يشوش على اللوحة هو الخدوش على مفاصل يديه. شتم غوسطا داخلياً. كان هذا ما لاحظه في المرة الأخيرة وهذا ما كان عليه تذكّره.

- فيم أستطيع خدمتكم، أيها السيِّدان؟ كان في صوته غنة ظاهرة، لكن ربما مفرطة شيئاً ما يدرك المرء أنه يقوم بمجهود ليتحدث على نحوٍ حسن، ممّا يزيل عنه كلّ أثر.

- لقد تحدثنا إلى لِيلْ. لعلك تدرك بلا ريب وجوب مرافقتنا إلى المركز.

أحنى كينيدي رأسه علامة على الموافقة في صمت. لئن كان هناك شيء علّمه جاكوب إياه، فهو أن يكون المرء قادراً على تحمُّل تبعات أفعاله حتى يدخل في رحمة الرب.

ألقى نظرة أسف أخيرة حوله. سوف يفتقد الضيعة.

كانا يجلسان الواحد قبالة الثاني، في صمت. ماريتا ذهبت إلى بيتها بالمزرعة صحبة الطفلين لانتظار جاكوب. العصافير تزقزق في

الخارج، لكن كل الشيء داخل البيت كان ساكناً. الحقيبتان لا تزالان موضوعتان أسفل الدرج الخارجي. لم يكن في وسع ليني الانصراف قبل التأكُّد من أنّ جاكوب كان خارج دائرة الخطر.

- هل توصلتَ بأخبار من ليندا؟ سألت بصوت متردِّد. كانت تخشى أن تخرق الهدنة المؤقتة بينها وبين غابرييل.

- لا، ليس بعد.

- يا لسولفيغ التعسة، قال غابرييل.

فكرت ليني في سنوات الابتزاز بأجمعها، لكنها كانت مع ذلك على رأيه. كلّ أمٍّ لا تستطيع إلا أن تشعر بالتعاطف مع أمّ أخرى تعرَّض ولدها للأذى.

- هل تعتقد أن جاكوب أيضاً. ظلَّت الكلمات محبوسة في حلقها.

وبحركةٍ غير متوقعة، وضع غابرييل يده على يد ليني.

- لا، لا أظنّ ذلك. لقد سمعتِ ما قاله الشرطيان. لا شك أنه توارى فحسب عن الأنظار في مكان ما للتفكير في كلّ هذا. ولديه أمور كثيرة عليه التفكير فيها.

- أجل، بالفعل، قالت ليني بمرارة.

لم يقل غابرييل شيئاً، لكنه ظلّ واضعاً يده على يدها. وكانت تلك مواساة لا حدَّ لها بالنسبة إليها وأدركت فجأة أنها المرة الأولى بعد كل تلك السنوات التي يعبِّر فيها غابرييل عن هذا القدر من العطف. انتشر الدفء في سائر جسدها، لكنه امتزج فوراً بألم الفراق الوشيك. لم تكن لها أية رغبة في هجره. لقد بادرت من أجل تجنيبه إهانة طردها خارج البيت، لكن بغتة تساءلت إن كانت قد أحسنت التصرف. ثم سحب يده وتمّ تجاوز اللحظة.

- هل تدري، الآن بالنظر عن بُعد، أستطيع القول إني شعرت

دائماً بأن جاكوب يشبه جوهانس أكثر ممّا يُشبهني. كنت أعتبر ذلك وكأنه من سخرية القدر. بالنسبة إلى العالم الخارجي، كان يبدو إفرابيم أقرب إليّ بلا ريب، أكثر منه إلى جوهانس. كان أبي يعيش هنا بيننا، أنا من ورث المزرعة وكل شيء، لكن ذلك ليس صحيحاً. إن كانا يتشاجران كلّ ذلك القدر، فذلك في العمق لأنهما يتشابهان. أحياناً يخيّل إلى المرء أن إفرابيم وجوهانس كانا شخصاً واحداً ووحيداً. وأنا، كنتُ مقصياً على الدوام. حينما وُلِد جاكوب ورأيت كل ذلك القدر من الشبه فيه مع أبي وأخي، فكأنّ ذلك شرَّع لي إمكانية الانتساب إلى زمرتهما. لو توصّلت إلى جعل ابني يتعلق بي وتعلّمت التعرُّف عليه بعمق، فكما لو أنني تعرفت أيضاً على إفرابيم وجوهانس. وصرتُ جزءاً من هذه الزمرة.

- أعرف، قالت ليبني بلطف، لكن لم يبد أن غابرييل قد سمعها. وراح نظره يتيه في البعيد عبر النافذة، ثم استرسل قائلاً:

- كنت أغبط جوهانس الذي صدَّق حقيقة أكذوبة أبي التي تدعي بأننا نمتلك القدرة على منح الشفاء. هل تتخيلين القوة التي يمنحها هذا الاعتقاد؟ أن ترى يديك وتعيش على يقين من أنهما أدوات الربّ. أن ترى الناس يهبّون واقفين ويمشون، أن تعيد البصر للعميان وتعرف أن ذلك تمَّ بفضلك. أنا لم أكن أرى سوى الفرجة. كنت أرى أبي في الكواليس، يقوم بالإدارة، بالإخراج وكنت أمقت كلّ دقيقة تمرّ. أما جوهانس، فإنه لم يكن يرى سوى المرضى قبالته. لا يرى سوى طريقه نحو الرب. وحينما أُغلِقَ الممَّر، فقد شعر بالكثير من الأسى. ولم أتعاطف معه أبداً. لا، لقد كنت أطير من شدة الفرح. وأخيراً سوف نصير طفلين عاديين، جوهانس وأنا. وأخيراً نستطيع أن نشبه بعضنا، لكن ذلك لم يتمّ هكذا. استمر جوهانس في سحره، بينما أنا. انخنق صوته.

- لديكَ كل ما كان لدى جوهانس، لكنك لم تجرؤ يا غابرييل. هذا هو الفرق بينكما، لكن، صدقني، إنه هنا، في مكان ما.

للمرة الأولى في حياتهما الزوجية، رأت دموعاً في عينيه. حتى حينما أوشك جاكوب على الموت، لم يستطع التصرف على سجيَّته. أمسكت بيده وضمّها بقوة.

- لا أستطيع أن أعدك بقدرتي على مسامحتك، قال غابرييل، لكنني أستطيع أن أعدك بمحاولة ذلك.

- أعلم ذلك، صدقني، غابرييل، أعلم ذلك. ثم وضعت يد غابرييل على خدِّها.

مع توالي الساعات، كانت حيرة إريكا تزداد، وتحولت إلى ألمٍ صامت أسفل الظهر. حاولت طول الصبيحة الاتصال بـ آنا، على الثابت وعلى المحمول، لكن لم يأتِ الردّ. بعد طلب الاستعلامات، حصلت على رقم محمول غوستاف، لكن كلّ ما استطاع قوله هو أنه نقل آنا والطفلين إلى أودفالا في اليوم السابق وبأنهم ركبوا القطار من هناك. المفروض أنهم وصلوا إلى ستوكهولم مع حلول المساء. كانت إريكا تشرع بالتوتر من أنه لا يبدي أدنى ذرة قلق. اكتفى بعرض مجموعة من التفسيرات المنطقية، من قبيل أنهم كانوا ربما متعبين وفصلوا الهاتف، وأن بطارية المحمول لم تعد مشحونة أو ربما لم تؤدِّ آنا فواتير الهاتف. جعلت هذه التعليقات إريكا تغلي من الغيظ وأقفلت السماعة. إنْ لم تكن قلقة بما فيه الكفاية من قبل، فهي الآن كذلك.

حاولت الاتصال بباتريك طلباً لنصيحته، أو على الأقل كي تجد بعض المواساة، لكنه لم يكن يحر جواباً لا على المحمول أو على

هاتف المفوضية. اتصلت بالمقسم وقالت أنيكا فقط بأنه ذهب في مهمة وأنها لا تعرف متى سيعود.

استمرت إريكا في الاتصال هاتفياً على نحوٍ محموم. لم يفارقها الإحساس الصامت، وبالتحديد عندما كانت توشك على صرف النظر، ردّ أحدٌ على المحمول.

- ألو؟ صوت طفل. إنها إيما، فكرت إريكا

- مرحباً عزيزتي، أنا خالتك إريكا قولي، أين أنتم؟

- بستوكهولم، لثَغَتْ إيما. هل جاء الوليد؟

- لا، ليس بعد، ابتسمت إريكا. إيما هل من الممكن أن تنادي على أمك؟

تجاهلت إيما السؤال. بما أنها كانت محظوظة على نحوٍ لا يصدق ونجحت في سرقة هاتف أمها والردّ على مكالمة، فلم يكن في نيتها التخلي عنه بسرعة.

- هل تعلميييين؟ قالت إيما

- لا، لا أدري، قالت إريكا، لكن يا عزيزتي، سوف نتحدث في ذلك لاحقاً، الآن أودّ حقيقة، حقيقة التحدث مع أمك. هل تعلمييين؟ كررت إيما بإصرار.

- لا، ماذا؟ زفرت إريكا وهي متعبة.

- لقد رحلنا من البيت!

- أجل، أعرف، منذ مدة ليست بالقصيرة.

- لا، اليوم، قالت إيما مزهوة بنفسها.

- اليوم؟

- أجل، لقد عدنا للإقامة عند بابا.

أخذت الغرفة تدور حول إريكا. وقبل أن تسنح الفرصة لها لقول أيّ شيء، سمعت إيما تقول:

- حسناً، وداعاً، سأذهب للّعب الآن.
ثم لم تجد سوى الرنين. وضعت السماعة وهي منهارة.

بحزم قرع باتريك الباب في المزرعة. جاءت ماريتا لفتحه.
- نهارك سعيد، ماريتا لدينا إذن بالتفتيش.
- لكن لقد أتيتم مرة في السابق؟ قالت والحيرة بادية عليها.
- هناك أمر جديد. لديّ فريق بصحبتي، لكني التمستُ من الرجال الانتظار في الطريق ريثما يسمح لك الوقت بالانصراف مع الطفلين. لا داعي لأن يشاهدا رجال الشرطة، قد يخيفهما ذلك.
أومأت ماريتا برأسها من دون أن تقول شيئاً. سلب القلق حيال جاكوب همّتها ولم تجد حتى القوة للاحتجاج. استدارت منصرفة قصد إحضار الطفلين، لكن باتريك قاطعها بسؤال جديد:
- هل هناك بنايات على أراضيكم غير التي تُرى هنا؟
- لا، البنايات الوحيدة هي منزلنا، مخزن الحبوب، مرأب الأدوات وكوخ الألعاب. هذا كل شيء.
هزّ باتريك رأسه وتركها تنصرف.
بعد ربع ساعة من ذلك، لم يعد هناك أحد بالبيت بإمكانهم الشروع في الأبحاث. أعطى باتريك بعض التعليمات في الصالون.
- لقد سبق أن قَدِمنا إلى هنا مرة دون العثور على شيء وهذه المرّة يجب أن نتصرّف على قدر شديد من الدقّة. حينما أدعوكم إلى البحث في أي مكان، فأنا أقصد بالفعل في أيّ مكان. إذا وجب عليكم خلع ألواح البلاط أو الجدران الفاصلة، افعلوا ذلك. إذا وجب عليكم تكسير بعض الأثاث، افعلوا ذلك، مفهوم؟
وافق الجميع بإيماء من الرأس. كان الجو كئيباً، لكنه يشعّ همة. قدم لهم باتريك عرضاً موجزاً حول تطور القضية، قبل أن

يدخل. في الوقت الراهن، لم يكن لديهم سوى رغبة واحدة: الانطلاق.

بعد ساعة من العمل غير المُجدي، يخيَّل إلى المرء أنه بيتٌ ضربه زلزال. كلّ شيء تمّ تفكيكه ونقله من مكانه، لكن لا شيء سمح لهم بالتقدّم. كان باتريك يساعدهم في الصالون حينما وصل غوسطا وإرنست وظلا يحملقان باستغراب.

- ما هذه الفوضى؟ قال إرنست.

تجاهل باتريك السؤال.

- كيف جرت الأمور مع كينيدي؟

- جيدة، لقد اعترف دون مشاكل وهو الآن في الحجز. يا له من غلام ملعون.

اكتفى باتريك بهز رأسه، وهو مُجْهَد.

- ما الذي يحدث هنا إذن؟ يخيل إلينا أننا الوحيدان اللذان لا علم لهما بالأمر. لم ترد أنيكا إخبارنا بشيء، أخبرتنا فقط بأنه علينا اللحاق بك وبأنك ستُطلعنا على السر.

- لا وقت لدي الآن لإخباركما، قال باتريك بنفاد صبر. في هذه اللحظة، يجب عليكما الاكتفاء بمعرفة أنّ كل شيء يدلّ على أن جاكوب هو مَن يحتجز جيني مولر وعلينا بأيّ ثمن أن نعثر على شيء يدلنا على المكان الذي يحتجزها فيه.

- لكن ليس هو مَن قتل الألمانية، قال غوسطا. لقد أظهر تحليل الدم أن. كانت الحيرة بادية عليه.

- بلى، على الأرجح هو مَن قتل تانيا، قال باتريك وتوتره يزداد أكثر فأكثر.

- لكن مَن الذي قتل الفتيات الأخريات إذن؟ لقد كان لا يزال صغير السن جداً في ذلك الأوان.

- لا ، لم يكن هو القاتل إذاك، لكن سوف نتحدث في ذلك لاحقاً. نحن في حاجة إلى مساعدتكما الآن.

- عمَّ نبحث إذن؟ سأله إرنست.

- الإذن بالتفتيش موضوع على طاولة المطبخ. الأشياء التي تهمنا بالخصوص مسجّلة فيه، قال باتريك واستأنف فحصه لخزانة الكتب.

الوقت يمرّ ولم يجدوا بعد شيئاً يُذكر. أخذ باتريك يشعر بأنّ شجاعته تلاشت. ماذا لو كان مصيرهم الفشل؟ بعد الصالون، تابع في حجرة المكتب، دون جدوى. أجبر نفسه على التنفس بعمق، ويداه على وركيه، وهو يجول بناظريه في الحجرة. كانت صغيرة، لكنها مرتبة. رفوف عليها ملفات وأوراق، مرقمة بعناية. ولا ورقة واحدة تثقل على المكتب القديم الضخم، وداخل الأدراج كان كل شيء مرتب. باستغراق، ترك ناظره يعود إلى المكتب. انكسر ملتقى حاجبيه بتجعيدة. مكتب قديم. لم يسبق له أن أفلت حلقة واحدة من برج بائعي العتقيات على التلفزيون وتذكره قطعة الأثاث القديم هذه منذ الوهلة الأولى بالحجيرات السرية. لماذا لم يفكر في الأمر من ذي قبل؟ بدأ بالجزء الذي يعلو السطح، الجزء المليء بالأدراج الصغيرة. تلمّسها بأصابعه، وحينما وصل إلى آخر واحد منها، تهلّل وجهه لمَّا شعر بشيء. استسلم قضيب معدني صغير حينما ضغط عليه. بطقطقة خفيفة، انزاح الجدار وظَهَر مخبأ. تسارع نبضه. رأى مفكرة قديمة من الجلد الأسود. لبس القفازات المطاطية التي كانت في جيبه وبعناية فائقة أخرج المفكرة. قرأ مضمونها وهو يشعر بالرعب المستحوذ عليه. الآن أصبح من المستعجل العثور على جيني.

تذكر أنه رأى رسالة وهو يقلب المكتب. فتح الدرج المناسب

وعثر عليها بعد أن نقَّب بعض الشيء. شعار مركز أودفالا الاستشفائي المثبت في الزاوية اليسرى بالأعلى يدل على المرسِل. تصفح باتريك الأسطر وقرأ الاسم أسفل الصفحة. ثم أمسك هاتفه المحمول واتصل بالمفوضية.

- أنيكا، هذا باتريك، أودّ أن تتأكدي من شيء لأجلي. شرح لها باختصار. يجب أن تحدثي الدكتور **سُلطان تْشَابا**. في قسم علاج السرطان، أجل، هو ذاك. اتصلي بي عندما يحدث أي طارئ.

استطال الوقت، اللانهائي، أمامهما. اتصلا بالمفوضية مرات عديدة في اليوم، على أمل الحصول على أخبار، لكن بدون جدوى. حينما ظهر وجه جيني على صفحات الجرائد، أخذت هواتفهما المحمولة ترن بلا توقف. أصدقاء، أفراد من العائلة، ومجرد معارف. كلهم كانوا متذمرين، لكنهم حاولوا من أعماق حيرتهم بثَّ بعض الأمل في كيرستين وبُو. اقترح العديد منهم القدوم إلى غريبستاد كي لا يلبثا لوحدهما، لكنهما رفضا كل العروض، بأدب، لكن بحزم. كان يبدو لهما إذاك ببداهة مفرطة أن هناك أمر ليس على ما يرام. إذا اكتفيا بالمكوث هنا في المقطورة للانتظار، جالسين قبالة بعضهما إلى المائدة الصغيرة، فإن جيني ستجتاز الباب إن عاجلاً أو آجلاً وسوف يعود كل شيء إلى حالته الطبيعية.

وظلا على هذا النحو إذن، يوماً بعد يوم، مسجونين في قلقهما. اليوم كان أشدّ إيلاماً من الأيام السابقة. طول الليل، رأت كيرستين كوابيس. وهي تتصبب عرقاً، تقلّبت بلا توقف في السرير، بينما كانت تعبر أمام عينيها صورٌ يصعب تأويلها. مرات عديدة، رأت جيني. حينما كانت صغيرة، على الأخص. في بيتهم، على

العشب أمام المنزل. في شاطئ مخيم، لكن هذه الرؤى كانت تُستبدَل طول الوقت بصور كئيبة وغريبة لم تكن تفهمها. كان الجو بارداً ومظلماً وعلى الجانب ترتسم هيئة لم تنجح في تحديدها، وإن كانت في حلمها تسعى إليها جاهدة، أكثر فأكثر.

حينما تصحو في الصباح، يستقر اليأس في قلبها. بينما تضاف الساعات إلى الساعات وترتفع الحرارة في المقطورة، تظلّ صامتة قبالة بُو وتسعى يائسة إلى تذكر الإحساس بثقل جيني بين ذراعيها. لكن، مثلما في الحلم، كان يخيل إليها أن جيني كانت فحسب على مبعدة منها. تذكرت الإحساس، القوي بشدة أثناء كل هذا الانتظار، لكنها لم تتوقف أبداً في الشعور به من جديد. بتؤدة استقر اليقين فيها. رفعت عينيها عن المائدة ونظرت إلى زوجها ثم قالت:

- لقد ذهبت الآن.

لم يشكّك في كلامها. ما إن نطقت بهذه الكلمات، اقتنع بأن تلك هي الحقيقة.

صيف 2003

كانت الأيام تلتبس مثل الضباب. تتعذب بطريقة لم تصدّق أنها ممكنة ولم تتوقف عن التذمر من نفسها. لو لم تكن غبية بما يكفي حيث طلبت توصيلة، فما كان ذلك ليحدث أبداً. لقد قالت ماما وبابا ذلك وأعادا الكرَّة مرات كثيرة، بأن لا يركب المرء أبداً مع أناس غرباء، لكنها شعرت بأنها محَصَّنَة.

يبدو ذلك بعيداً جداً الآن. حاولت تذكّر الإحساس مرة أخرى، للاستمتاع به لحظة وجيزة. ذلك الإحساس بأنْ لا شيء في الدنيا يستطيع المسّ بها، بأنّ الشرّ قد يصيب الآخرين ولن يصيبها هي. مهما وقع، لن تستطيع الإحساس به مرة أخرى أبداً.

كانت مضطجعة على جنبها وتخدش التراب بيدها الممدودة. كانت الذراع الأخرى لا تقدر على الحركة وأجبرت نفسها على تحريك الذراع السليمة للحفاظ على الدورة الدموية. كانت تحلم بالارتماء عليه، مثل بطلة فيلم، وشلّ حركته عندما ينزل، وتركه فاقداً للوعي على الأرض والهروب، إلى الخارج، من أجل الالتحاق بالناس الذين هبوا للبحث عنها، لكن ذلك كان مستحيلاً، لم يكن سوى حلم عجيب. لم تعد ساقاها تقدران قطعاً على حملها.

كانت الحياة تهجرها ببطء، حدثت لها رؤية سيلان يجري على التراب تحتها ويغذي الكائنات العضوية الموجودة فيه. ديدان التراب ويرقات تمتص بنهم طاقتها الحيوية.

حينما خارت قواها الأخيرة، خطر ببالها أنها لن تجد أبداً الفرصة للاعتذار من أنها كانت بذلك القدر من الإزعاج في الأسابيع الأخيرة. كانت تأمل أن يتفهما رغم ذلك.

ضمَّها بين ذراعيه طول الليل. لقد صارت باردة أكثر فأكثر. والظلمة التي تحيطهما شديدة. أمل بأنها وجدت الظلمة على القدر نفسه من أمانه ومواساته. كانت أشبه بلحاف أسود ضخم يغطيه.

خلال ثانية، خطر طفلاه بباله، لكن هذه الصورة ذكَّرته بالواقع على نحوٍ مفرط، فأزاحها.

جوهانس أظهر الطريق. هو، جوهانس وإفراييم. كانوا ثالوثاً لقد عرف ذلك على الدوام. كانوا يقتسمون هبة لن يساهم فيها غابرييل أبداً ولذلك فإنه لن يفهم أبداً هو، جوهانس وإفراييم. كانوا لا نظير لهم. كانوا أقرب إلى الرَّب من كل الآخرين. كانوا متميزين. لقد كتب جوهانس ذلك في مفكرته.

لم يكن من قبيل الصدفة أن عثر على مفكرة جوهانس السوداء. شيء ما هداه إليها، جذبه مثل مغناطيس نحو ما يعتبره تركة جوهانس. لقد اهتزت مشاعره من التضحية التي لم يتردَّد جوهانس في تقديمها لإنقاذ حياته. لئن كان هناك شخص يدرك ما كان يصبو إليه جوهانس، فإنه هو بحق. يا لها من سخرية حين ندرك بأن ذلك كان بلا جدوى. إنّ جده إفراييم هو مَن صار منقذه. كان يشعر بالأسى لفشل جوهانس وتحسّر على موت الفتيات، لكن لديه وقت

أطول من جوهانس. لن يفشل. سوف يحاول مرة تلو أخرى إلى أن يجد مفتاح نوره الباطني. ذلك الذي قال الجدّ إفراييم أنه يخفيه هو أيضاً في داخله. مثل جوهانس، أبيه الحقيقي.

بحسرة، داعب جاكوب ذراع الفتاة الباردة. لم يكن يبكي لأنها ماتت. لم تكن سوى مخلوق بشري وسوف يمنحها الرَّب مقعداً خاصاً لأنها ضحَّت من أجله، وستكون من بين أصفياء الرب. عنَّت له فكرة: من المؤكد أنّ الرب كان يتوقع على الأرجح عدداً من التضحيات قبل أن يسمح له بالعثور على المفتاح. ربما كان الشأن كذلك بالنسبة إلى جوهانس. لم يتعلق الأمر بإخفاق، إنّ الرب كان يتوقع منه فحسب براهين أخرى على إيمانه قبل أن يظهر له الطريق.

أنارت الفكرة ذهن جاكوب. لعلّ الأمر كذلك. فيما يخصه، كان إيمانه دائماً أشد في رب العهد القديم. الرب الذي يحتاج إلى تضحيات دموية.

أمر يوخز ضميره. إلى أيّ حدٍّ سوف يكون الرب رحيماً به هو الذي لم يستطع مقاومة إغراء الجسد؟ جوهانس كان هو الأقوى. لم يسبق له أبداً أن سقط في شرك الإغراء، وجاكوب معجبٌ به لهذا السبب. حينما شعر هو بالبشرة الناعمة والدافئة لصق بشرته، شيء ما كان مطموراً في أعماقه صحا فجأة. للحظة وجيزة، استحوذ عليه الشيطان فاستسلم له، لكنه ندم عقب ذلك بمرارة شديدة إلى حدّ أن الرب رآه، أوَليس كذلك؟ الرب الذي كان خبيراً بما في أعماق قلبه يعلم رغم كلّ شيء بأنه كان نادماً بصدق، وسيغفر له ذنوبه.

هدهد جاكوب الفتاة بين ذراعيه. أبعد جديلة من شعرها التي سقطت على وجهها. كانت جميلة. ما إن رآها تطلب توصيلة على الطريق، إبهامها مرفوع، أدرك أنها هي التي تلزمه. الأولى كانت هي الإشارة التي ينتظرها. طول سنوات، قرأ عبارات جوهانس في

المفكرة وقد أعْجِب بها، وحينما ظهرت أمام بابه وطرحت أسئلة عن أمها، اليوم نفسه الذي توصل فيه بالقرار، علم أنّ تلك كانت إشارة.

كونه لم يعثر على الهبة بفضل تلك الفتاة، لم يثبط عزيمته. جوهانس لم ينجح مع أمه. المهم هو أنه معها انخرط في النهج الذي كان منذوراً له حتمياً. أن يسير على هدْي أبيه.

إن وضعهن معاً في فجوة الملك كان بمثابة طريقة للإعلان عن ذلك للعالم. التصريح بأنه يتابع من الآن فصاعداً ما ابتدأه جوهانس. كان يشكّ جيداً بأنْ يستطيع أحد فهم الأمر، لكن يكفي أنْ يفهم الربّ ويرى بأن ذلك كان صائباً، مثلما هو وارد في الإنجيل.

لئن كان ينقصه برهان نهائي، فقد حصل عليه مساء أمس. حينما شرعوا في الحديث عن تحاليل الدم، أدرك، بيقين تام، أنه سوف يتمّ حبسه مثل أيّ مجرم. لم يفكر في ذلك، في أن الشيطان هو السبب الذي جعله يترك آثاراً على الجسد.

لكن جاءته الفرصة للضحك على ذقن الشيطان. كم كانت دهشته كبيرة حينما شرح له رجال الشرطة بأن التحاليل تُبَرِّئُه. كان ذلك هو الدليل النهائي الذي ينقصه للاقتناع بأنه كان على الطريق الصحيح وبأن لا شيء يستطيع أن يوقفه. كان متميزاً. كان محمياً. كان مباركاً.

ببطء، داعب من جديد شعر الفتاة. سوف يكون مجبراً للبحث عن فتاة أخرى.

لم يتطلب الأمر سوى عشر دقائق كي تتصل به أنيكا.

- لقد كنتَ على صواب. لقد أصيب جاكوب مجدداً بورمٍ سرطاني، لكن، هذه المرة، لا يتعلق الأمر بلوكيميا. إنه ورم خطيرٍ

في الدماغ. إنه يعلم بأنه لا يمكن فعل أيّ شيء. إنه في مرحلة متقدمة جداً.

- متى توصل بالقرار؟

نظرت أنيكا إلى الملاحظات المدونة في المفكرة أمامها.

- اليوم الذي اختفت فيه تانيا.

جلس باتريك بكلّ ثقله على أريكة الصالون. إنه يعلم الآن، لكن كان يصعب عليه رغم ذلك تصديق الأمر. هذا البيت يتنفس كلّ هذا القدر من السلام والسكينة. ليس هناك أي أثر للشرّ الذي يمسك دليلاً عليه بين يديه. هناك فحسب نمط عادي مخادع. ورود في مزهرية، لعب أطفال مبعثرة في حجرة، كتاب في طور القراءة مفتوح فوق المنضدة. ليس هناك جماجم، ولا ملابس ملطخة بالدماء، ولا شموع سود مضاءة.

فوق المدفأة علِّقت لوحة للمسيح معرجٍ إلى السماء بعد بعثه، تغمره هالة من نور، والناس أسفله يصلون، أنظارهم إلى الأعلى.

كيف يمكن تبرير أشدّ الأفعال شرّاً بحجة أننا حصلنا على إذن من الرَّب؟ لكن ربما ليس هناك داعٍ للاستغراب. على مرّ القرون، تمّ قتل الناس بالملايين باسم الرب. هذه القدرة كان فيها شيء جذاب يُسْكِر الإنسان ويُضِلُّه.

استفاق باتريك من تأمّلاته اللاهوتية وأدرك أن فريقه كان ينظر إليه في انتظار تعليماته. كشف لهم ما وجد وكلّ واحد يصارع الآن حتى لا يفكر في الأهوال التي كانت تعيشها جيني على الأرجح في هذه اللحظة.

المشكل هو أنهم يجهلون تماماً مكان وجودها. في انتظار أن تعاود أنيكا الاتصال به، تابعوا أبحاثهم بشكلٍ محموم. كان باتريك قد اتصل بالقصر الريفي كي يلتمس من ماريتا وغابرييل ولييني إن

كان يخطر ببالهم المكان الذي قد يتواجد فيه جاكوب. لقد استبعد دون مواربة الأسئلة التي كانوا يطرحونها بدورهم. لا يتّسع المجال لذلك الآن.

نفش شعره غير المصفّف أصلاً.

- يا للعهر، أين يمكن أن يوجد بحق؟ قال وهو محبط. لا نستطيع أن نقوم بتمشيط دقيق للمنطقة، شبراً شبراً. كما يمكنه أن يحبسها قرب مزرعة بولارين، أو في موضع ما بين الاثنين. يا للفوضى السافلة، ماذا نفعل الآن؟

كان مارتن يشعر بالعجز نفسه ولم يقل شيئاً. سؤال باتريك هو من نوع الأسئلة التي لا تستلزم جواباً. ثم هجمت عليه خاطرة:

- إنه بالضرورة في مكانٍ ما هنا حول المزرعة. هناك آثار الأسمدة. أعتقد أن جاكوب استخدم المكان نفسه وجوهانس، وبالتالي فإنه من المنطقي جداً أن يحدث ذلك في هذه الأنحاء.

- أنت على صواب، لكن ماريتا وكذا حمواها يقولون أن ليس هناك بنايات أخرى على أراضيهم. صحيح، قد يتعلق الأمر بمغارة أو شيء من هذا القبيل، لكن هل تعلم كم من هكتار تمتلك عائلة هولت؟ كما لو أننا نبحث عن إبرة في كومة قش.

- أجل، لكن ماذا عن سولفيغ وولديها؟ هل سألتهم؟ إنهم أقاموا هنا وربما هم على علم بمكان لا تعرفه ماريتا؟

- هاهنا، ربما وضعنا يدنا على شيء. أليس هناك قائمة بأرقام الهاتف في المطبخ؟ ليندا تحمل معها هاتفها، وبقليل من الحظ قد أصلهم بواسطتها.

انصرف مارتن للتحقق وعاد يحمل قائمة حيث كان اسم ليندا مكتوباً بدقة متناهية. بنفاد صبر، سمع الرنات. وبعد ما بدا له دهراً، ردت ليندا.

- ليندا، هذا باتريك هيدشتروم. أودّ التحدث إلى سولفيغ أو روبير.

- إنهما رفقة جوهان. لقد صحا! قالت ليندا بسعادة غامرة. وقلبه منقبض، فكّر باتريك أن هذه السعادة ستهجر صوتها عمّا قريب.

- انصرفي للمناداة على هذا أو تلك، إنه أمر مهم للغاية!

- مفهوم، أيّ منهما تفضل؟

فكر باتريك. مَن يعرف أكثر من طفل المحيط الذي يعيش فيه؟ كان الاختيار بديهياً

- روبير.

سمعها تضع المحمول وتنصرف للبحث عنه. كان على الأرجح ممنوعاً إدخال المحمول إلى الغرف، إذ قد يشوّش ذلك على الأجهزة الإلكترونية، وسنح الوقت لباتريك من أجل التفكير في الأمر قبل أن يسمع صوت روبير الحادّ على الخط.

- نعم، هذا روبير.

- مرحباً، هذا باتريك هيدشتروم. أودّ أن تساعدنا إنَّ ذلك مهم للغاية، قال مستعجلاً

- نعم، مفهوم، ما الموضوع؟

- هل تعلم إنْ كانت هناك مباني أخرى على الأراضي حول المزرعة؟ طيب، ثم ليس بالضرورة أن يكون مبنى، بالأحرى مخبأ جيد، إن فهمت قصدي، لكن عليه أن يكون كبيراً نسبياً. ما يكفي لشخصين على الأقل.

سمع حرفياً علامات الاستفهام تتراكم على دماغ روبير، لكن كم انفرجت كربة باتريك حينما لم يجادل في صدق مسعاه. وبدلاً من ذلك، شقّ جواب متردّد طريقه إليه بعد لحظة من التفكير:

- حسناً، الشيء الوحيد الذي يخطر ببالي، هو الملجأ القديم في حالة ما إذا كان هناك قصف بالقنابل. إنه يوجد في الغابة، ليس بعيداً. كنا نلعب هناك حينما كنا صغاراً، جوهان وأنا.

- وجاكوب، قال باتريك، هل يعرفه؟

- أجل، لقد ارتكبنا حماقة دلّه عليه ذات يوم. وقد ذهب مباشرة ليخبر بابا الذي منعنا من العودة إليه. كان يقول بأنه خطر. أي نعم، لقد كان تقياً إلى أقصى حدّ على الدوام، قال روبير بسخرية وهو يتذكر خيبة أملهما. وحدث باتريك نفسه بأن «تقي» لم تعُد الكلمة التي نربطها بجاكوب منذئذٍ.

شكره على عجل بعد أن وصف له المسار للوصول إلى هناك، ثم أغلق الهاتف.

- أعتقد أني أعرف أين يوجدان، يا مارتن. اجمع كلّ الرجال في الخارج بالباحة.

بعد ذلك بخمس دقائق، اجتمع ثمانية عرفاء تحت الشمس. أربعة من تانمشيد وأربعة من أودفالا

- لدينا أسباب للظنّ بأنّ جاكوب هولت موجود بعيداً شيئاً ما في الغابة، داخل مأوى مضاد للغارات الجوية. إنه يحبس فيه على الأرجح جيني مولر ولا نعرف إن كانت ميتة أو على قيد الحياة. لذلك يجب أن نتصرف كما لو أنها حية وتدبير الوضع باحتراس شديد. سوف نقترب بهدوء من المأوى ونحيط به ما إن نعثر عليه. وفي صمت-، قال باتريك بصرامة وهو يجول بنظره ويصوبه قليلاً أكثر على إرنست. سوف نخرج أسلحتنا، لكن لا أحد يفعل أي شيء دون أمر رسمي مني. هل هذا واضح؟

أومأ الجميع برأسه على نحو جدي.

- هناك سيارة إسعاف في الطريق من أودفالا، لكنها لا تأتي إلى هنا بضوئها الدوار، ستتوقف قبل ممرّ الدخول. إن الضجيج يتردد بعيداً في الغابة ولا نريد أن يسمعنا. ما إن نتحكم في الوضع، سننادي على الطاقم المعالِج.

- ألا ينبغي أن يصحبنا ممرض؟ قال أحد رجال شرطة أودفالا قد يكون الأمر مستعجلاً ما إن نجدها.

- أنت محق تماماً، لكن لا وقت لدينا لانتظارهم، قال باتريك. في هذه اللحظة، من المهم أكثر تحديد مكان جيني، وبقليل من الحظ، إلى ذلك الحين سوف يكون لسيارة الإسعاف متسع من الوقت للوصول إلى هناك. طيب، هيا بنا الآن.

لقد شرح روبير بأن عليهم سلك الغابة صعوداً خلف البيت، للوصول، على بعد مائة متر من هناك، إلى الدرب المؤدي إلى المأوى. كان غير مرئي تقريباً إذا لم يكن المرء يعرفه وقد كاد باتريك أن يفوته. ببطء تقدموا نحو الهدف، وبعد كيلومتر تقريباً، خيِّل إليه أنه رأى شيئاً بين أوراق الشجر. ودون كلمة، استدار وأشار إلى الرجل خلفه. أحاطوا بالمأوى، بأكبر قدرٍ ممكن من الصمت، لكن كان من الصعب أن لا يُحدث المرء صوتاً بصفة قطعية. كان باتريك يكشِّر مع كل صرير وكان يتمنى أن الجدران السميكة تحجب ذلك.

استلّ سلاحه ورأى بمؤخر عينه أن مارتن قد فعل الشيء نفسه. تقدما على أطراف الأصابع وحاولا فتح الباب. كان مقفلاً بالمفتاح. اللعنة، ماذا تراهم فاعلون الآن؟ لم يكن لديهم أية أداة من أدوات صانع الأقفال والاختيار الوحيد المتبقي لهم هو إقناع جاكوب بالخروج بمحض إرادته. والخشية تغمره، قرع باتريك الباب، ثم تحرَّك بخفة جانباً.

- جاكوب، نحن نعلم أنك هناك. يجب أن تخرج!

لا جواب. حاول مرة أخرى.

- أعرف أنك لم تتعمد إيذاء الفتيات. لقد فعلتَ فحسب ما كان يفعله جوهانس. اخرج الآن، وسوف نتحدث في كل ذلك.

أدرك إلى أيّ حدٍّ كان ذلك مبتذلاً ربما كان يجب عليه الخضوع لتدريب في تدبير احتجاز الرهائن، أو على الأقل إحضار عالم نفساني معهم، لكن، لعدم توفر ما هو أفضل، كان عليه الاكتفاء بأفكاره الذاتية عن الوسيلة في التحدُّث إلى شخص مضطرب عقلياً مختبئ في مأوى مضادّ للقصف الجوي.

وكم كانت دهشته كبيرة حينما سمع القفل يطقطق ثانية بعد ذلك. انفتح الباب ببطء. مارتن وباتريك اللذان كانا يقفان عند جانبي الباب تبادلا النظرات. رفع كلٌّ منهما مسدسه، وهما متوتران إلى أقصى حدّ. خرج جاكوب. كان يحمل جيني بين ذراعيه. من الواضح جداً أنها كانت ميتة واستطاع باتريك أن يشعر بالإحباط والحزن يرجّ قلوب رجال الشرطة الذين كانوا يقفون في الوقت الحاضر وهم منكشفون تماماً، وأسلحتهم موجَّهة صوب جاكوب.

تجاهلهم. اتجه بنظره إلى الأعلى وتكلم وكأنه كان يتوجه إلى السماء.

- أنا لا أفهم. لقد تمّ اصطفائي رغم ذلك. كان عليك أن تحميني. وبدا أنه مضطرب وكأنه وجد الدنيا أعلاها أسفلها. لماذا أنقذتني أمس إذا لم أستحق رحمتك اليوم؟

تبادل باتريك ومارتن النظرات. بدا أن جاكوب في مكان آخر كلياً، لكن هذا يجعله أشدّ خطورة. كان من المستحيل التكهُّن بما سيُقدِم عليه. وحافظا على توجيه أسلحتهما نحوه.

- ضَع الفتاة، قال باتريك.

كانت عينا جاكوب مرفوعتان دائماً نحو السماء وكان يناجي إلهه غير المرئي.

- أعلم أنك كنتَ ستمنحني الهبة في نهاية المطاف، لكني كنت في حاجة لمزيد من الوقت. لماذا تتخلى عني الآن؟

- ضع الفتاة وارفع ذراعيك في الهواء! قال باتريك بصوت أشدّ سطوة بعض الشيء. دائماً لا يأتي أيّ رد فعل من جاكوب. كان يحمل جيني بين ذراعيه ولم يظهر أنه يمسك سلاحاً. تساءل باتريك ما إن كان يجب الارتماء عليه لكسر الجمود. لم يكن هناك من داعٍ للقلق حيال الفتاة، لقد فات الأوان.

ما كاد يخطر بباله ذلك حتى أقبلت هامة طويلة من اليسار، من الجهة الجانبية خلفه. لقد باغته الأمر إلى حدّ أن أصبعه ارتعش على الزناد وكاد يصوّب رصاصة نحو جاكوب أو مارتن. بفعل الصدمة، رأى جسم إرنست الضخم ينقضّ بقوّة مباشرة على جاكوب الذي تهاوى على الأرض. سقطت جيني من بين ذراعيه مثل كيس من الطحين تمّ رميه على الأرض.

والزهو مرسوم على محياه، لوى إرنست ذراعي جاكوب. لم يقاوم، لكنه بدا مذهولاً دائماً.

- وهكذا يكون العمل، قال إرنست ورفع ناظريه لتلقي تصفيقات الجمهور. ظلّ الجميع جامداً وحينما رأى إرنست الغيمة السوداء تتجمّع حول وجه باتريك أدرك بأنه مرة أخرى تصرف بتهور.

لا يزال باتريك يرتعد بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من إطلاق النار على مارتن وقد تعقّل حتى لا يحيط بيديه عنق إرنست ويخنقه ببطء، لكنهما سوف يسويان الأمر لاحقاً. ما هو أهم في الوقت الحاضر هو التعامل مع جاكوب.

- أخرج غوسطا الأصفاد ثم وثّق بهما جاكوب. أوقفه بمساعدة

مارتن دون تمهل ثم استفسر باتريك بنظرة منه. استدار هذا الأخير نحو شرطيين من أودفالا

- خذاه إلى المزرعة واحرصا على أن يجد المسعفون الطريق إلى هنا وأخبروهم بإحضار مِحْمَل.

انطلقوا مع جاكوب، لكن باتريك أوقفهم.

- انتظروا لحظة، أريد أن أحدِّق فيه وجهاً لوجه. أريد أن أرى كيف تبدو عينا شخص قادرٍ على فعل شيء مماثل. أومأ برأسه صوب جسد جيني الجامد.

نظر إليه جاكوب دون ندم، لكن دائماً بالملمح المضطرب نفسه. حدَّق في وجه باتريك وقال:

- أليس هذا غريباً؟ مساء أمس أتى الربّ معجزة لإنقاذي، واليوم يترككم تعتقلونني؟

حاول باتريك أن يرى في عينيه ما إذا كان جاداً أو تلك لعبة غايتها محاولة التملّص من عواقب أفعاله. كانت النظرة التي صادفها سلسة مثل مرآة وأدرك أنّ ما كان يرى هو الجنون الخالص. وهو متعب قال:

- لم يكن الرب. كان إفرايم. لقد خضعت لفحص تحليل الدم لأنّ إفرايم كان قد وهبك نخاعه العظمي حينما كنت طفلاً هذا يعني أنك حصلت على بصمته الوراثية في دمك. لذلك السبب فإنّ عينتك لم تتطابق مع الحمض النووي الذي رفعناه من. الآثار التي خلفتها على تانيا. لم نفهم ذلك إلّا بعد أن قام خبراء المختبر بوضع خريطة لعلاقاتكم الأسرية وبأنّ دمك كان يدل، بشكلٍ مفارق، على أنك أب جوهانس وغابرييل.

لم يفعل جاكوب شيئاً سوى الإيماء برأسه. ثم قال بهدوء:

- لكن، حدثوني، أوَليست تلك معجزة؟

ثم اقتادوه عبر الغابة.

بقي مارتن، غوسطا وباتريك قبالة جسد جيني. أسرع إرنست، وهو مرتبك، للانصراف رفقة رجال شرطة أودفالا وسوف يفعل كل ما يستطيع حتى يظلّ غير مرئي لبعض الوقت.

ودَّ الثلاثة لو أن لديهم معطف من أجل ستر جيني من شدة ما كان عريها فاضحاً، ومهيناً. شاهدوا الجروح على جسدها. الجراحة التي كانت تماثل تلك التي على تانيا. وعلى الأرجح الجروح عينها التي كانت على سيف ومونا حين لقيتا حتفهما.

رغم طبعه المندفع، فقد كان جوهانس رجلاً منهجياً. في مفكرته دوَّن بدقة متناهية الجروح التي كان يُلحقها بضحاياه، كي يحاول فيما بعد إبراءها. كان يتصرف في ذلك شأن العالِم. الجروح نفسها على الاثنتين، بالترتيب نفسه. ربما حتى يعطي لنفسه الانطباع بأنّ الأمر يتعلق تحديداً بتجربة علمية. تجربة حيث كن ضحايا يؤسف لهن، لكن ضرورية. ضرورية حتى يُعيد إليه الرب هبة منح الشفاء التي كان يمتلكها وهو طفل. الهبة التي افتقدها طول حياته الرائدة والتي صار من اللازم إحياؤها حينما مرض ولده البكر، جاكوب.

كان ذلك ميراثاً فاجعاً تركه إفرايم لابنه ولحفيده. ولقد نشط خيال جاكوب بقصص إفرايم عن الإبراء الذي كان يوفره غابرييل وجوهانس في طفولتهما. لقد ألمح إفرايم إلى أنه يستشعر أيضاً الهبة عند حفيده وقد ولد هذا أفكاراً غذَّاها المرض الذي كاد يموت جراءه. ثم عثر جاكوب على مذكرات جوهانس، وبالنظر إلى حالة الأوراق التي تمّ تصفحها بإفراط، فقد عاد إليها مراراً وتكراراً. صدفة بئيسة جعلت تانيا تأتي إلى المزرعة للسؤال عن أمها في اليوم ذاته الذي علم فيه جاكوب بأنه سوف يموت، وهاهم رجال الشرطة مستغرقون الآن في تأمُّل جثة جيني.

حينما انزلقت من بين ذراعي جاكوب، سقطت على جنبها، ويخيل إلى المرء أنها متكومة على هيئة الجنين. وهما مندهشان، رأى كلٌّ من مارتن وباتريك غوسطا يفك أزرار قميصه ذي الأكمام القصيرة. وظهر صدره الأبيض والأمرد، ثم دون أن ينبس بكلمة بسط قميصه على جيني محاولاً أن يخفي ما أمكن من عريها.

- ليس من اللائق أن تظلا هنا محدّقين في الصغيرة بينما هي عارية مجرَّدة، قال مدمدماً ثم جمع ذراعيه على صدره اتقاء من الطراوة المخيمة تحت الأشجار.

جثا باتريك على ركبتيه وأمسك عفوياً بيد جيني الباردة. لقد ماتت وحيدة، لكنها لن تنتظِر لوحدها.

وقد تطلَّب الأمر بضعة أيام حتى تهدأ معظم الجلبة. كان باتريك رفقة ميلبرغ وكل ما كان يريده هو أن ينتهي ذلك. لقد التمس رئيسه عرضاً موجزاً عن القضية ولئن كان باتريك يعرف دافعه - أن تكون له القدرة على سرد حكايات عن مساهمته في قضية هولت - فإن ذلك لم يكن يعنيه في شيء بتاتاً بعد أن أخبر شخصياً والدَي جيني بموتها، بات عاجزاً عن ربط المجد أو الشهر بالتحقيق، وتخلى بسخاء عن هذا النصيب لميلبرغ.

- لكني لم أفهم بعد هذا الشيء المتعلق بالدم، قال ميلبرغ.

زفر باتريك وشرح للمرة الثالثة، وببطء أكثر الآن.

- حينما كان مصاباً باللوكيميا، تلقى جاكوب نخاعاً عظمياً هبة من جده إفراييم. هذا يعني، بعد التبرع، أن جسم جاكوب أخذ يفرز الدم بالحمض النووي نفسه الذي للواهب، أي إفراييم. بعبارة أخرى، يمتلك في جسده جاكوب البصمة الوراثية لشخصين. لذلك السبب حصلنا على البروفايل الوراثي الخاص بإفراييم عند تحليل دم

جاكوب. وبما أن الحمض النووي الذي خلفه جاكوب على ضحيته كان في شكل مَنِيْ، فإنه يعرض بروفايله الوراثي الأصلي. إذن، فإن البروفايلات لا تتطابق. حسب المختبر المركزي، فإن الاحتمالية الإحصائية لحدوث شيء مماثل هي ضئيلة جداً إلى حدّ أنها مستحيلة تقريباً، لكن تقريباً فقط.

بدا أن ميلبرغ فهم الحِجَّة أخيراً. هزّ رأسه، مذهولاً

- هذا غير بعيد عن الخيال العلمي. عشنا وسمعنا يا هيدشتروم! أجل، عليّ الإقرار بأننا قمنا بعمل جيد في هذه القضية. لقد اتصل بي رئيس شرطة غوتبرغ شخصياً أمس، وشكرني على طريقتنا الممتازة في تدبير كل هذا، وليس في وسعي إلا أن أوافقه الرأي.

لقد كان من الصعب على باتريك أن يرى الامتياز في ذلك، بما أنهم لم ينجحوا في إنقاذ الفتاة، لكنه فضَّل أن لا يقدم أي تعليق. بعض الأمور هي ما هي عليه، وليس على المرء سوى قبولها

كانت الأيام الأخيرة ثقيلة. يمكن القول إنها كانت أيام تمرس على الحِداد. واصل نومه المؤرق المضطرب بالصور التي استدعتها الرسوم والملاحظات المدونة في مفكرة جوهانس. ظلت إريكا إلى جانبه، قلقة، وقد أحسّ بأنها هي الأخرى كانت تتقلب ليلاً في السرير ذات اليمين وذات الشمال، لكنه لم يجد القوة للميل نحوها. كان يجب عليه أن يجتاز كل هذا من تلقاء نفسه.

حتى حركات الطفل في بطن إريكا لم تنجح في إيقاظ الإحساس بالطمأنينة التي منحاها له دوماً فيما قبل. كان الأمر وكأنه تمّ تذكيره بغتة كم أنّ العالم هناك في الخارج كان خطِراً وكم أن الناس قد يكونوا خبثاء ومجانين. كيف سيمكنه حماية طفل من ذلك؟ ظلَّ إذن على مبعدة من إريكا ومن الطفل. على مبعدة من

المجازفة بأن يعيش يوماً الألم الذي رآه في وجهي بو وكيرستين مولر حينما أخبرهما، والغصة في حلقه، بأن جيني ماتت. كيف للكائن البشري أن يستطيع العيش بعد مثل هذا الألم؟

في أوقاته الليلية الأشد ظلمة فكر حتى في الهروب. أن يجمع متاعه ويرحل. بعيداً عن المسؤولية والالتزامات. بعيداً عن مجازفة من أن يصير حبّ الطفل سلاحاً يضغط على صدغه ويفرّغ ببطء. هو الذي كان يجسّد الواجب دائماً، يتوقع بجدّ للمرة الأولى في حياته أن يستسلم للجبن. وفي الوقت نفسه كان يعرف أن إريكا في حاجة إلى دعمه الآن أكثر من أي وقت مضى. لقد أحبطها رجوع آنا والطفلين للعيش مع لوكا. إنه يعرف ذلك، لكنه كان عاجزاً أن يقوم بمبادرة نحوها.

قبالته، تابعت شفاه ميلبرغ حركتها.

- أجل، لا أرى أيّ سبب لعدم الحصول على رفعٍ لميزانيتنا القادمة، بالنظر إلى الدعاية التي منحتها لنا.

ثرثرة، ثرثرة، حدَّث باتريك نفسه. كلمات تطفح بالعبث. المال، المجد، الرفع من الميزانية، ومدح الرؤساء. حساب للنجاح فاقد للمعنى. شعر بالحاجة إلى تناول فنجان قهوته وسكب ما فيها ببطء على رأس ميلبرغ. لجعله يصمت فحسب.

- أجل، ومساهمتك سوف يتمّ وضعها في المقدمة طبعاً، قال ميلبرغ. لقد قلتُ ذلك لرئيسي، بأنك قدمت لي دعماً لا يصدق في هذا التحقيق، لكن لا تذكرني بأني قلت هذه حينما سوف يتعلق الأمر بالرفع في الأجور، قهقه وهو يغمز جاكوب. الشيء الوحيد الذي يحزنني هو الجزء المتعلق بموت جوهانس هولت. أليس لديكم أية فكرة بعد عن مَن الذي قتله؟

حرك باتريك رأسه. لقد تحدثوا في شأن ذلك مع جاكوب،

لكنه بدا بصدق أنه يجهل مثلهم هوية الفاعل. إن جريمة القتل هذه تتّسم دائماً بأنه لم يتم حلّها ويبدو أنها ستظل كذلك.

- أجل سوف تكون بمثابة الهدية الإضافية لو استطعتم كشف خيوط كل هذا أيضاً. لن يكون من السيئ الحصول على تهاني لجنة الحكام كذلك بالإضافة إلى 20 على 20، أليس كذلك؟ قال ميلبرغ. ثم استعاد جدّيته. طبعاً، لقد أخذت علماً بنقدك لسلوك إرنست، لكن بالنظر إلى السنوات التي أمضاها في هيئة الشرطة، أرى من الواجب أن نظهر سخاءنا وأن نغضّ الطرف عن هذا الحادث. أقصد، لم يحدث أي مكروه، بعد كل شيء.

تذكر باتريك بالإحساس في أصبعه على الزناد، ومارتن وجاكوب في خط التسديد. شرعت اليد التي كانت تمسك فنجان القهوة في الارتعاد. وكما لو أنها تتحرك بإرادة منها، أخذت ترفع الفنجان وببطء تقربه من قمة رأس ميلبرغ التي يغطيها الشعر المستعار. توقفت عند منتصف الحركة حينما طرق الباب. لقد كانت أنيكا

- باتريك، يسألون عنك على الهاتف.

- ألا ترين أننا مشغولان، زمجر ميلبرغ.

- أظن أنه سوف يرغب في أخذ هذه المكالمة، قالت أنيكا وهي تنظر بحدة إلى باتريك.

نظر إليها، وهو مرتبك، لكنها رفضت أن تقول أي شيء. حينما وصل إلى حجرة مكتب أنيكا، أشارت إلى السماعة على المكتب وخرجت بتكتم إلى الممر.

- لكن، سحقاً يا باتريك، لماذا لم توصل هاتفك المحمول!

نظر إلى هاتفه المعلّق في غمده إلى حزامه وأدرك أنه لم يكن مشحوناً.

- ليس لدي بطارية شحن. لماذا؟ لم يفهم لماذا كان ذلك يغضب إريكا كان في مقدورها الاتصال دائماً به على المقسم.

- لأن ذلك آتٍ في الطريق. لم تجِب على الهاتف الثابت ثم لم تردّ على المحمول أيضاً وبالتالي.

قاطعها وهو مرتبك.

- ماذا، ماذا؟ ما الذي هو آتٍ في الطريق؟

- الطلق يا مغفل. لقد بدأ الطلق، وسالت مني المياه! عليك الحضور لأخذي، يجب أن نذهب الآن!

- لكن المتوقع أنّ هذا سيتم بعد ثلاثة أسابيع من الآن! كان يشعر بأنه لا يزال مرتبكاً

- الظاهر أن الوليد لا يعلم ذلك، بما أنه قادم الآن! قالت إريكا وأقفلت السماعة.

ظل باتريك ذاهلاً، وهو لا يزال ممسكاً بالسماعة. ارتسمت ابتسامة بلهاء على شفتيه. كان طفله قادماً طفلهما، هو وإريكا

لم تعد ساقاه قادرتان على حمله، ركض نحو السيارة وجذب لمرات عديدة مقبض البوابة. شخص ما ربت على كتفه. كانت أنيكا خلفه وبيدها مفاتيح السيارة.

- سوف يعمل ذلك على نحوٍ أفضل لو حاولت بالمفتاح أولاً

انتزع منها حزمة المفاتيح وبعدما لوح لها مودعاً بسرعة، انطلق وسلك طريق فيالباكا. نظرت أنيكا إلى آثار العجلة السود التي خلفها على الزِّفت، ثم رجعت وهي تضحك إلى عملها في الاستقبال.

أغسطس 1979

كان إفراييم مهموماً. غابرييل يواصل التأكيد بإصرار على أنه رأى جوهانس مع الفتاة المختفية. رفض تصديقه، لكن في الآن نفسه كان يعلم أن غابرييل هو آخر مَن بمكنه الإقدام على الكذب. بالنسبة إليه الحقيقة والنظام هما أكثر أهمية من أخيه نفسه، ولهذا السبب كان يشقّ على إفراييم أن لا يأخذ ذلك في حسبانه. وكان يتشبث بأن غابرييل لم يستطع التمييز جيداً. بأن الإنارة الضعيفة في الليل خدعت عينيه وبأن الظلال أضلّته، أو شيء من هذا القبيل. كان يقر نفسه أنّ ذلك مبالغ فيه كثيراً. إلا أنه كان يعرف جوهانس أيضاً. ابنه الطائش، المتملّص من كل مسؤولية، والذي يعتبر أن الحياة ليست إلا لهواً، إنه مهما كان غير قادر على قتل أحد؟

متكئ على عكازته، كان يمشي عبر الطريق التي تربط القصر الريفي والمزرعة. في الواقع، لم تكن له حاجة بالعكاز. لقد كان يرى أن لياقته البدنية مثل حالة أي فتى شاب، لكن كان يعتبر بأن ذلك يجعله أنيقاً. العكاز والقبعة يمنحانه مظهر مالك إقطاعي، وكان يحب استخدام ذلك، بل والإفراط فيه.

كان يحزنه أن غابرييل يبتعد عنه أكثر سنة بعد أخرى، غابرييل يعتقد بأنه يفضل جوهانس عليه، كان يعرف ذلك، وربما ذلك

صحيح، لو كان صادقاً بحق مع نفسه. بكل بساطة، كان جوهانس سهل المعشر. جاذبيته وذهنه المتفتح كانا يجعلان التعامل معه يتم بتساهل، وكان إفرايم يشعر إذاك بأنه بَطْرِيَرْك بالمعنى الصحيح للكلمة. كان جوهانس بمثابة الشخص الذي يستطيع تقويمه بخشونة، شخص يمنحه الانطباع بأنه ضروري، ولو ليجعله عملياً، نظراً إلى كل تلك الفتيات اللائي كانت تطارده. كان الأمر مختلفاً مع غابرييل. كان ينظر دائماً إلى أبيه بازدراء أدّى بإفرايم إلى التعامل معه باستعلاء بارد. كان يعرف أن الخطأ يعود إليه لأسباب كثيرة. مع كلّ قداس كان يقدّمه بمعية ولديه، كانت الحماسة تغمر جوهانس دائماً، بينما كان غابرييل ينكمش على نفسه، وينقبض. لقد رأى إفرايم ذلك وكان يتحمل هذه المسؤولية، لكنه تصرّف لمصلحة ولديه. حينما ماتت رانْبِيلْد، لم يكن لديهم سوى كلامه الخلاب وكراماته للحصول على قوت يومهم ولباسهم. وإنها لصدفة سعيدة تلك حيث انكشفت له تلك الموهبة وحيث إن تلك الأرملة الحمقاء، من آل دايْبْلِين، تركت له أرضها وثروتها. ومن الأفضل لغابرييل أن يقدر كثيراً تبعات ذلك، بدل أن يعاتبه أبد الدهر على طفولته «المرعِبة». الحقيقة هي أنه لو لم تخطر له الفكرة العبقرية لاستعمال الولدين في قداديسه، ما كانوا ليمتلكلوا كل ما لديهم اليوم. لم يقدر أحد على مقاومة الولدين الصغيرين الجذابين اللذين حصلا بقدرة الرب على هبة إبراء المرضى والمعطوبين. بفضل الجاذبية والبلاغة التي كان يستمتع بها بدوره، فقد كانوا لا يقهرون، هم الثلاثة. كان يعرف بأنه بمثابة أسطورة حية في العالم الإنجيلي وكان ذلك يُسلّيه كثيراً. كما كان يحب هذا الاسم الذي فيه إطراء له، أو قدح، إذ يمكن للمرء اعتبار ذلك حسبما أراد، الاسم الذي لقبه به الناس: الواعظ.

إلا أنه استغرب جداً من رؤية إحباط جوهانس عندما علم أنه فقد موهبته مع حلول المراهقة. ولم يجد إفراييم أي عناء في وضع نهاية للخدعة وقد كان ذلك بالنسبة إلى غابرييل أشبه بالفرج، لكن جوهانس تأسف على ذلك. لقد فكر إفراييم دائماً في أن يكشف لهما أنّ كل ذلك ليس سوى اختلاق من عنده وبأن الناس الذين كان «يشفيهم» هم أفراد كان يمنحهم قطعة نقدية صغيرة للمساهمة في العرض، لكن، مع توالي الأعوام، داخله التردُّد. أحياناً كان جوهانس يبدو شديد الوهن. لذلك السبب فإن إفراييم كان ينشغل جداً بقضية الشرطة تلك وباستنطاقها لجوهانس. كان أشدّ هشاشة ممّا يبدو عليه وكان إفراييم يخشى أن يعاني جراء ذلك. وعليه، فكر في أن يقوم بجولة إلى غاية المزرعة والتحدث بعض الوقت مع ابنه. جسّ النبض قليلاً ليرى كيف يتدبر هذا الأخير الأمر.

بدت ابتسامة على شفتي إفراييم. كان جاكوب لا يزال في المستشفى، لكنه تخلّص من محنته. كان يحب حفيده كثيراً. لقد أنقذ حياته، وقد وحّدهما ذلك إلى الأبد برابطة خاصة. إلا أنه لم يكن بذلك القدر من السذاجة الذي كان يخيل إليه. كان غابرييل يظن بلا شك أن جاكوب ابنه، لكن إفراييم، قد شاهد ما كان يحدث أمام عينيه. ومن البديهي أن جاكوب كان ابن جوهانس، ذلك كان ظاهراً في عينيه. حسناً، كل هذه الأمور ليست من شأنه، لكن الولد كان بمثابة فرحة أيامه الأخيرة. صحيح أنه كان يحب روبير وجوهان أيضاً، لكنهما كانا صغيرين جداً. إنّ أحب شيء لديه في جاكوب هو أفكاره الذكية الصغيرة، وعلى الأخص، الحماسة التي كان يبديها عند الإنصات إلى قصص جده. كان جاكوب شغوفاً بالإنصات إلى حكايات طفولة غابرييل وجوهانس عندما كانا يسافران صحبته. «حكايات الشفاء» مثلما كان يقول. «جدي، قُصّ عليّ حكايات

الشفاء»، كان يقول كلما صعد لرؤيته، ولم يكن إفراييم يجدُ أيّ مانع في أن يحيي من جديد تلك الفترة. لأنه استمتع بذلك ملياً. وليس هناك أي أذى للطفل إن هو زاد من عنده قليلاً. وقد اعتاد على أن يختم حكاياته بوقفة فيها تصنُّع وتفخيم، ثم يشير بسبابة ملوية إلى صدر جاكوب قائلاً: «وأنت يا جاكوب، إنك تمتلك الموهبة أيضاً. مندَس فيك بموضع ما، وينتظر أن يخرج إلى النور». كان الصغير جالساً عند قدميه، العينان مشرعتان، واسع فغر الفم، وكان إفراييم يحب أن يرى فتنة سحره.

طرق باب البيت. لا جواب. كان كل شيء هادئاً، الظاهر أن سولفيغ والولدان غير موجودين كذلك. عموماً، كان صوتهم مسموعاً على بعد كيلومترات. كان هناك ضجيج في مخزن الحبوب فذهب للاستعلام. كان جوهانس مستغرقاً في إصلاح شيء ما في آلة الحصاد والدِّراس ولم ينتبه لقدوم إفراييم إلا بعد أن صار خلفه. فزِع.

- إنك غارق في العمل، حسب ما أرى.

- أجل، العمل موجود بوفرة هنا.

- لقد سمعتُ أن الشرطة جاءت تسأل عنك مرة أخرى، قال إفراييم الذي لم يكن من عادته اللف والدوران حول الموضوع.

- أجل، قال جوهانس بفظاظة.

- عمَّ كانوا يسألون هذه المرة؟

- مزيداً من الأسئلة تتصل بشهادة غابرييل بالطبع. واصل جوهانس الانشغال بالآلة ولم ينظر إلى إفراييم.

- تعرف أن ليس في نية غابرييل أن يؤذيك.

- أجل، أعرف. ذاك هو طبعه، لكن النتيجة هاهي.

- صحيح، تأرجح إفراييم على عقبيه، وهو غير متيقن من

الطريقة التي سوف يواصل بها الحديث. من الجميل أن نرى الفتى جاكوب يقف على قدميه قريباً، أليس كذلك؟ قال حتى يظلّ موضوع الحديث محايداً. أنارت ابتسامة وجه جوهانس.

- إنّ ذلك رائع. كما لو أنه لم يكن مريضاً من قبل أبداً. انتصب واقفاً وحدَّق في عيني أبيه مباشرة. سوف أظلّ ممتناً لك إلى الأبد عن ذلك يا بابا.

هزّ إفرايم رأسه وداعب شاربه، راضياً عن نفسه. أردف جوهانس، بحذرٍ:

- بابا، لو أنك لم تستطع إنقاذ جاكوب. هل تظنّ أن..

تردّد، ثم تابع بحزم، كما لو أنه لا يريد أن يسمح له الوقت بتغيير رأيه. هل تظنّ أني كنت قادراً على استرجاع الموهبة؟ أقصد، للقدرة على إبراء جاكوب؟

جعل السؤال إفرايم يرجع إلى الخلف من فرط الدهشة. وقد أدرك بهلع أنّ الوهم الذي اختلقه كان أكبر من المبتغى. أوقدت الحسرة والإحساس بالذنب شعلة من الغضب وتحامل بعنف على جوهانس.

- كيف يعقل أن تكون مغفلاً إلى هذه الدرجة، يا بني؟ كنت أظنّ أنك في يوم من الأيام سوف تصير عاقلاً بما يكفي لتدرك الحقيقة دون الحاجة إلى أن أخطّ لك ذلك كتابة! لا شيء من ذلك كان حقيقياً! لم يكونوا مرضى في الحقيقة، أولئك الذين قمتم «بإبرائهم» - ورسم قوسين في الهواء - أنت وغابرييل، لم يكن أي منهم مريضاً! لقد حصلوا على أجرتهم! من عندي أنا!

نطق الكلمات صارخاً وقد سال لعابه في الآن نفسه. خلال ثانية تساءل عمّا فعل. صار وجه جوهانس شاحباً. ترنَّح كما لو أنه سكران وللحظة وجيزة ظنّ إفرايم أن ابنه أصيب بنوبة قلبية. ثم

همس جوهانس، وبالكاد كان مسموعاً من شدة ما كان صوته منخفضاً.

- إذن قتلت الفتيات بلا جدوى!

الجزع، والإحساس بالذنب والحسرة كلها انفجرت داخل إفراييم وجذبته إلى حفرة عميقة مظلمة، حيث كان ينبغي له بكلّ بساطة أن يجد مخرجاً من العذاب، بهذه الطريقة أو تلك. انطلقت قبضته وحطَّت على ذقن جوهانس بكلّ قوتها. في بطء الحركة رأى جوهانس، والدهشة مرسومة على وجهه، يسقط إلى الخلف، على آلة الحصاد والدّراس. تردد صوت مكتوم في المخزن حينما اصطدم رأس جوهانس بالسطح المعدني. مذعوراً، نظر إفراييم إلى جوهانس الممدّد على الأرض فاقداً الحياة. خرَّ على ركبتيه وحاول جسّ نبضه بشدة. لا شيء. قرَّب أذنه من فم ابنه أملاً في أن يتناهى إلى سمعه ولو أشدّ الأنفاس ضعفاً. دائماً لا شيء. بتؤدة، أدرك أن جوهانس قد مات. بضربة من يد أبيه.

كان ردّ فعله الأول هو أن يذهب طلباً للنجدة. ثم كانت الغلبة لغريزة البقاء. لأن إفراييم هولت كان قبل كل شيء رجلاً حريصاً على مَدَّة العيش. لئن طلب النجدة، فإنه كان سوف يضطر لشرح أسباب ضربه جوهانس، وذلك ما كان لينبغي كشفه في كل الأحوال. لقد ماتت الفتيات والآن مات جوهانس أيضاً. بمعنى من المعاني الإنجيلية، فقد تحقَّقت العدالة. وبالنسبة له، لم يكن يرغب قطعاً أن يمضي أيامه الأخيرة خلف القضبان. وستكفيه عقوبة أن يعيش بقية حياته وهو يعلم بأنه قتل جوهانس. وبحزم شرع يعدّ العدة لإخفاء جريمته. لحسن الحظ أن مِن الناس مَنْ يدين له ببعض الخدمات.

انتبه إلى أنه يتملى في عيشته الجديدة. لقد حدَّد الأطباء مدة ما تبقى له للعيش في ستة أشهر، وفي إمكانه على الأقل أن يمضيها في سلام. بالتأكيد إنه يفتقد مارينا والطفلين، لكنهم كانوا يحلّون لزيارته كل أسبوع، وكان يمضي الفترة الممتدة بين الزيارات في الصلاة. لقد غفر للرب مسبقاً على تخليه عنه في اللحظة الأخيرة. حتى المسيح على صليبه سأل الرب لماذا تخلى عنه، هو ابنه الأوحد. إذا كان المسيح قادراً على المغفرة، فإنّ جاكوب يستطيع ذلك أيضاً.

كانت حديقة المستشفى هي المكان الذي يمضي فيه أغلب أوقاته. يعرف أن المساجين الآخرين يتحاشونه. كان محكوماً على أغلبهم بتهمة جريمة قتل، لكن لسبب أو لآخر يظنون بأنه خطر. لم يكونوا يفهمون. لم يجد متعة في قتل تلك الفتيات وهو لم يفعل ذلك لأجله. لقد فعل ذلك لأنه كان واجباً عليه. وقد بيَّن له إفراييم أنه كان متميزاً، مثله مثل جوهانس. مختاراً. كان من واجبه أن يدير الميراث على وجه حسن وأن لا يهزمه المرض الذي كان يصرّ على الفتك به.

وهو لن يستسلم. لا يستطيع أن يستسلم. في الأسابيع الأخيرة تيقن من أن المسلك الذي اتبعه جوهانس وهو كان معيباً. لقد حاولا

العثور على طريقة عملية لاسترجاع الموهبة، لكن ربما ما كان ينبغي التصرف على ذلك النحو. لا شك في أنه كان ينبغي لهما البدء بالبحث في أنفسهما ساعدته الصلوات والسكينة هنا على التركيز. عبر مراحل، استطاع الوصول إلى الحالة التأملية حيث كان يشعر بأنه أقرب إلى مشروع الرب الأصلي. كان يشعر أن الطاقة قد بدأت تغمره. في تلك الأوقات كان سائر بدنه يقشعر من فرط الانتظار. قريباً سوف يستطيع جني ثمار معرفته الجدية. بالتأكيد إن ذلك يجعله يتحسر أكثر على أنه ضحّى بحيوات دون أية فائدة، لكنها حرب دائرة بين الشر والخير، ومن هذا المنظور، فإن الفتيات كن ضحايا لا بد منهن.

شمس الظهيرة تدفئه على مقعده في الحديقة. لقد كانت صلاة اليوم محصنة على نحوٍ مميز وخيِّل إليه أنه ينافس الشمس. حينما نظر إلى يده، رأى شعاعاً رقيقاً من النور يحيط بها. ابتسم جاكوب. لقد بدأ الأمر.

إلى جانب المقعد، رأى حمامة نافقة. كان الطير يرقد على جنبه، وقد بدأت الطبيعة مسبقاً عملها كي تحوِّله إلى تراب. كان الطائر ممدداً، قذراً بعينين يغطيهما حجاب الموت. أكبّ إلى الأمام، وتفحَّصه بعناية فائقة. إنها إشارة.

نهض جاكوب وجثا قرب الطائر. تأمّله بعطف. يده الآن تتوهج وكأن ناراً تشتعل داخل مفاصله. وهو يرتعد، قرَّب سبابة يده اليمنى من الطائر ثم تركها تستريح على الريش التالف قليلاً لم يحدث شيء. كان اليأس يهدِّد بالهجوم عليه، لكنه أجبر نفسه على ملازمة المكان حيث تقوده الصلوات عادة. بعد ذلك بقليل، رجفت الحمامة. تبعت ذلك رعدة في المخلب. ثم حدث كل شيء في وقت واحد. استعاد الريش بريقه، واختفى الحجاب الأبيض الذي

كان يغطي العينين، انتصب الطائر على مخالبه وبضربة قوية من جناحيه طار نحو السماء. ابتسم جاكوب راضياً.

من نافذة تطلّ على الحديقة، كان الدكتور ستيغ هولبراند يتابع جاكوب برفقة فردريك نيدان، طبيب يمضي جزءاً من خدمته الداخلية في الطب العقلي الشرعي.

- هذا هو جاكوب هولت. إنه حالة خاصة هنا لقد قام بتعذيب فتاتين كي يقوم فيما بعد بإبرائهما. لقد ماتت جِراء جروهما وتمّ الحكم عليه بتهمة القتل. لقد اعتبره خبراء الطب العقلي أنه غير مسؤول وعلاوة على ذلك فإنه يعاني من ورم في الدماغ لا شفاء منه.

- كم يتبقى له من الوقت؟ سأل فردريك نيدان. كان يُدرك أن تلك مأساة، لكنه لم يمنع نفسه من اعتبار ذلك مثيراً إلى حد أقصى.

- ستة أشهر تقريباً. إنه يدّعي بأنه سوف يكون قادراً على إبراء نفسه بنفسه وهو يمضي معظم وقته في التأمل. ونحن نتركه يفعل ذلك. إنه لا يؤذي أحداً في هذه الأوقات.

- لكن ماذا يصنع عنده هناك؟

- أجل، هذا لا يعني أنه لا يأتي أفعالاً غريبة بعض الأحيان. حدق الدكتور هولبراند مضيقاً عينيه واستظلّ بيده حتى يرى جيداً. يبدو لي أنه يهم بإطلاق حمامة في الهواء. حسناً، ليس في هذا أي سوء. إنها ميتة مسبقاً، المسكينة، قال بحدّة.

ثم انتقلا إلى المريض الذي يليه.

كاميلا لاكبيرغ

الأيادي الموهوبة

على الصخور القريبة من ميناء فيالباكا السويدي، يُعثر على فتاة مقتولة وآثار تعذيب وحشيّ بادية على جسدها. وتحت الجثة، ثمة هيكلان عظميان لفاتاتين قُتلتا قبل عشرين عاماً بالأسلوب ذاته.

من هنا ينطلق المفتش باتريك هيدشتروم في تحقيقه ويتوغّل في الماضي وفي الأسرار العائلية، وبالأخص أسرار عائلة هولت التي ينتمي إليها الجدّ إفراييم المشهور بلقب «الواعظ» وولداه غابرييل وجوهانس اللذان كانا في صغرهما يتمتعان بقدرة على شفاء الآخرين؛ هذه العائلة التي انقسمت، بعد انتحار غامض، إلى فرعين متعاديين: الأول يعيش في المجد والنعيم والثاني في البؤس والفقر. وبينما كان باتريك مشغولاً بكشف خبايا هذا اللغز المُحيِّر، شاع خبر اختفاء جِيني، مراهقة شابة كانت تمضي عطلتها في مخيم صيفي، مما أثقَل المهمة عليه وجعَل عامل الوقت حاسماً ومصيرياً...

مرة أخرى، تتفوق كاميلا لاكبيرغ في نسج حبكة حكائية رائعة، متلاعبة بقارئها على نحو مشوّق: الأسرار العائلية، الأمور المسكوت عنها، الاعترافات المتأخرة... كلها تشدنا إلى قراءة يصعب علينا التوقف عنها.



الدار البيضاء: ص.ب: 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com



ISBN 978-9953-68-752-0

